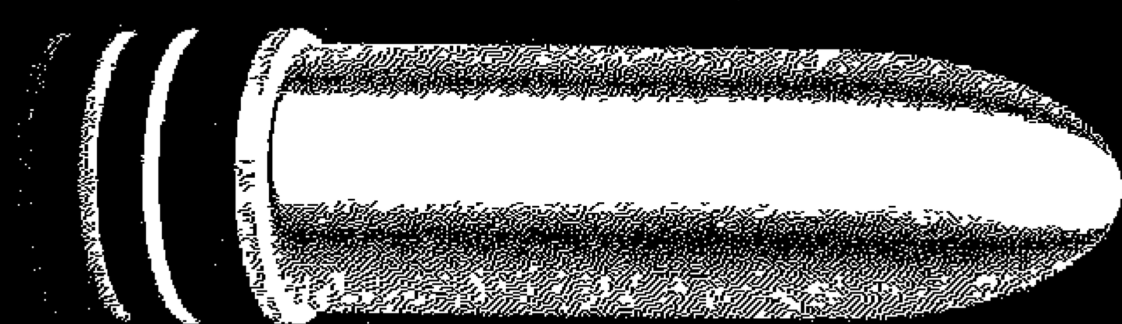
حرّاس الهيكل

عمليات الموساد الخارجية في نصف قرن

الجزء الأول: الحلم

فريد الفالوجي





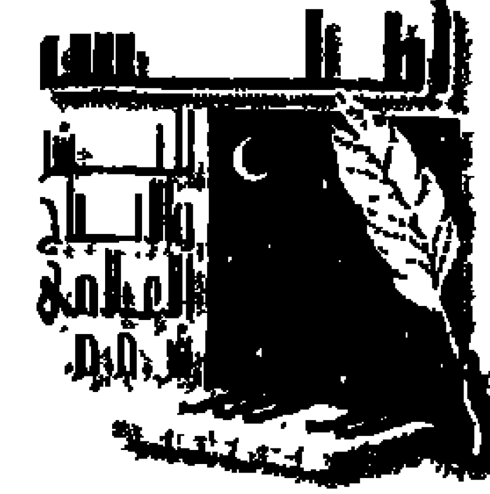
فريد الفالوجى

حراس الهيكل

عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن

الخطف - الاغتيالات - الفضائح

الجزء الأول: الخطف



رئيس مجلس الإدارة
عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب
حسام حسين

مستشار النشر
أحمد جمال الدين

رقم الإيداع
٢٠٠٤ / ٣٣٨٩

الترقيم الدولى
X-٦٩ - ٦٠٨١ - ٩٧٧

الجمع والإخراج الفنى
«مكتبة ابن سينا»
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع ابن سينا

الكتاب : حراس الهيكل جـ ١
المؤلف : فريد الفالوجى
الغلاف : للفنان الهامى عزت
الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي ش. م. م
٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة
٥ ش محمد شفيق - من ش وادى النيل - المهندسين
E-mail:atlas@innovations-co.com
تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٠٤٣٤٦٩
فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨



مقدمة

مع البحث الطويل في تاريخ أجهزة المخابرات.. قيامها.. وتطورها.. وإنجازاتها.. كان لا بد من الوقوف بإمعان أمام المخابرات الإسرائيلية.. التي تمثل أغرب نموذج استخباراتي من نوعه عرفته البشرية حتى اليوم .

فجهاز الاستخبارات الإسرائيلي هو الوحيد الذي وضعت لبنته الأولى قبل قيام الدولة بنصف قرن .

والوحيد الذي تأسس فوق أرض تبعد عن أحلامه وأطماعه بآلاف الكيلومترات.

هو أيضاً الوحيد بين أجهزة المخابرات في العالم.. الذي ملأت جرائمه أركان المعمورة.. وسطّرت إخفاقاته وفضائحه آلاف الكتب بشتى اللغات.

ليس هذا فقط.. بل تفرّد دون غيره من الأجهزة الاستخباراتية العالمية، باستخدام الجنس والنساء بشكل وبائي.. اعتمادًا على أن الجنس عقيدة دينية مقدسة عند اليهود.. للوصول إلى المآرب.. والغايات.

ولدت المخابرات الصهيونية عام ١٨٩٧ في بال بسويسرا.. وترعرعت في جنيف ثم استانبول، وأحكمت قبضتها كالأفعى على أرض فلسطين وشعبها.. حتى قامت إسرائيل عام ١٩٤٨.. وبذلك تحقق الحلم الصهيوني المسعور في أرض الميعاد.. حيث نشطت عصابات الشتات والإرهاب في محو معالم فلسطين.. وتفريغها من سكانها العرب بأساليب بربرية وحشية.. فاقت حدود الوصف والخيال.

يقول (كلود برزوزوفسكي[1]) في كتابه الجريء: (من الوطن القومي اليهودي إلى دولة إسرائيل.. *تحليل اغتصاب*) :

هدفان رئيسيان ، وضعتهما الحركة الصهيونية نصب عينيها وركزت كل جهودها على تحقيقهما سواء على المستوى المحلي أو المستوى العالمي، وذلك خلال مسار استغرق ثلاثين عاماً، تعتبر أعواماً حاسمة في تاريخ الشرق الأوسط ، وهو مسار ما بين صدور وعد بلفور ، بإعطاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وبين صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ، رقم ١٨١ عام ١٩٤٧ ، الذي يقضي بتقسيم أرض فلسطين إلى دولة عبرية ودولة عربية.

أما هذان الهدفان الرئيسيان اللذان حققتهما الحركة الصهيونية بكل وسائل الضغط والترغيب والترهيب فهما: أولاً: تحويل الأقلية اليهودية التي كانت قائمة في فلسطين، إلى أغلبية وذلك عن طريق تهجير يهود أوروبا سواء بطرق شرعية أو غير شرعية، بحيث يصبح هناك شعب يهودي في فلسطين.

ثانياً : تحويل هذا الشعب اليهودي إلى مالك للأرض ، التي لم يكن يملك منها أكثر من اثنين في المائة حتى عام ١٩١٧ ، أي حتى صدور وعد بلفور.

وفي مقدمة الكتاب يبرز (برزوزوفسكي) أن إيجاد دولة يهودية في فلسطين ما كان يمكن أن يتم إلا بثمن باهظ. هو طرد الأهالي الأصليين والاستيلاء على ممتلكاتهم. وهذه النقطة بالتحديد هي ما أغفلتها الكثير من المؤلفات التي صدرت عن (يهود) حول الصراع العربي الإسرائيلي.

ويتناول المؤلف باستفاضة ، جهود الصهيونية منذ ظهور كتابات تيودور هيرتسل، الذي يعتبره المؤلف (أبا الصهيونية الحديثة) ، وهي الجهود التي أثمرت

---

(١) يهودي نزحت أسرته البولندية إلى أرض فلسطين في القرن الماضي، ولد عام ١٩٣٠ بالغرب من القدس.. وعاش في القدس خلال فترة قرارات الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، وبعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ غادر إلى فرنسا.. يحمل وجعا بسبب مأساة اغتصاب فلسطين.. وأراد من خلال كتابه أن يبرز فصول هذه المأساة أمام قراء الفرنسية.. ونشرت الأهرام فقرات من الكتاب في ١٤ من سبتمبر ٢٠٠١ ، الكتاب صدر بباريس عن دار نشر (لارماتان) L'Harmttan في مايو ٢٠٠١.

عن صدور وعد بلفور يوم ٢ نوفمبر ١٩١٧، مع خلفية لأوضاع فلسطين والبلدان المحيطة بها في ظل الحكم العثماني ، حيث جرى تقسيم الإمبراطورية العثمانية تقسيما إداريا إلى ولايات (كل ولاية يحكمها وال) ، ثم قسمت كل ولاية إلى سناجق، كل سنجق يحكمه متصرف، وكذلك كان السنجق يسمى أيضا متصرفية، فالمنطقة الواقعة بين ساحل البحر الأبيض المتوسط وبلاد مما بين النهرين (العراق) ، كانت تقسم إلى ولاية حلب في الشمال ، وولاية بيروت التي كانت تمتد من اللاذقية إلى يافا، وولاية سوريا الممتدة من حماة إلى العقبة، وكانت ولاية سوريا مقسمة إلى سنجق جبل لبنان، أو متصرفية جبل لبنان ، وسنجق صيدا ، وسنجق عكا، وسنجق نابلس ، ثم سنجق القدس الذي كان يمتد من مدينة يافا جنوبا حتى الحدود المصرية، أما مدينة دمشق فكانت تتبع سنجق حوران ، وتتبع عمان سنجق معان حسب التقسيم الإداري العثماني.

وعلى ذلك فإن أرض فلسطين كانت تشمل سنجق القدس وسنجق نابلس وسنجق عكا، وهذه هي الأرض التي كان يعنيها وعد بلفور بخصوص إقامة وطن يهودي عليها.

وتشير الوثائق والمراجع ، إلى أنه في وقت صدور كتاب هيرتسل (الدولة اليهودية) عام ١٨٩٦ ، لم يكن تعداد اليهود في فلسطين يتجاوز ١٢ ألف نسمة ، معظمهم مركزون في أربع مدن، يرون أن لها ارتباطاً بالتاريخ اليهودي وهي القدس، طبريا، صفد، الخليل. كذلك كانت هذه الأقلية اليهودية في مجملها، إما رجال دين كانوا يبغون أن يموتوا ويدفنوا في الأرض المقدسة وليس لهم أي أطماع سياسية، وإما صغار تجار وصغار حرفيين (صياغ ، وساعاتية ، واسكافية ، وأصحاب مدابغ جلود ،.. إلخ) ، وهؤلاء أيضاً لم تكن لهم أطماع سياسية، ولا خطرت على بالهم فكرة إقامة وطن قومي لليهود ، وإنما كان مثلهم مثل سائر يهود الشتات في بلدان الشرق الأوسط وأوروبا والعالم.

وحسب الشهادة التي أدلى بها (تشارلز نيتر) ممثل جمعية (العهد اليهودي العالمي) في فلسطين عام ١٨٦٩ ، فإنه لم يكن بين يهود فلسطين سوى فرد واحد يشتغل بالزراعة ، وذلك بالرغم من أن أول مدرسة زراعية أقيمت على أرض فلسطين كانت في يافا عام ١٨٦٠ ، وكان الهدف منها إعداد الأفواج الأولى من المهاجرين الجدد للارتباط بالأرض .

وتقول بعض المراجع ، إن بداية موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، التي جاء معظمها من روسيا خلال حقبتي السبعينيات والثمانينيات من القرن التاسع عشر، كانت بسبب الاضطهاد الذي تعرض له اليهود الروس ، والمذابح التي جرت لهم عام ١٨٧١ في مدينة أوديسا (التي كانوا يتخذونها مركز تجمع ثقافي لهم) ، ثم تكررت هذه المذابح في معظم مدن روسيا ابتداء من عام ١٨٨١ ، إثر اغتيال القيصر الكسندر الثاني في مارس من ذلك العام واتهام اليهود باغتياله ، ويتردد أن هذه المذابح الأخيرة شملت ١٦٠ مدينة وقرية روسية من تلك التي يقطنها اليهود.

خلال تلك الفترة تحديداً ، ظهرت قصة : (اليهودي التائه) الشهيرة في روسيا، وأصبحت أكثر الكتب انتشارًا في الأوساط اليهودية ، وكان عنوانها في الأصل: (التائه في دروب الحياة)، وتصور حياة جيل كامل من اليهود أرادوا أن يخرجوا من الحارات الضيقة المغلقة عليهم وينطلقوا إلى العالم الفسيح، ثم اكتشفوا أن اندماج اليهودي في المجتمعات الأخرى غير ممكن عملياً، لأنه مهما سعى إلى هذا الاندماج فإن المجتمع لن يقبله.

ويلاحظ أنه رغم موجات الهجرة هذه ، التي جاءت من روسيا وأوروبا الشرقية منذ عام ١٨٧١، فإنه عند ظهور وعد بلفور عام ١٩١٧ (أي بعد حوالي نصف قرن) ، لم يكن تعداد اليهود في فلسطين (من مقيمين ومهاجرين جدد) يتعدى ٨٠ ألفاً ، ولم يكونوا يملكون أرضاً في فلسطين ، حيث كانت ملكية الأرض إجمالاً تعود إلى العرب، سواء كانوا من الفلسطينيين أو اللبنانيين أو السوريين أو العراقيين أو المصريين . ورغم أن اليهود المهاجرين كانوا قد أسسوا مدينة تل أبيب على ساحل

البحر المتوسط بجوار يافا، لكي تكون أول مدينة يهودية في (أرض الميعاد).. كما كانوا قد أنشأوا حوالي خمسين مستوطنة زراعية على مساحة إجمالية مجموعها حوالي ٦٠ ألف هكتار (٦٠٠ كيلومتر مربع)، فإن ملكيتهم للأرض لم تتجاوز ٢٪ من مجموع مساحة فلسطين .

وفى عام ١٩٠١ أنشأ المؤتمر الصهيوني الخامس صندوقاً خاصاً يحمل اسم (صندوق إسرائيل الأزلي) ، لشراء الأراضي من ملاكها العرب وتحويلها إلى أراض مملوكة للشعب اليهودي (ملكية أزلية)، وغير قابلة للانتزاع تحت أي ظرف في المستقبل. وقال مؤسسو الصندوق أنهم سيطبقون مبدأ (اشتراكيًا) هو (الأرض لمن يزرعها وليس لمن يملكها) ، وبالفعل تمكن الصندوق من الاستحواذ على الأراضي الفلسطينية دونماً بعد دونم بوسائل الترهيب والمذابح، حتى استطاع في عام ١٩٤٧ ، وهو عام صدور قرار التقسيم ، أن يضع يده على حوالي ١,٥ مليون دونم ، أو ما يعادل ستة في المائة من مجموع مساحة الأرض الفلسطينية .

ومع تصاعد الأزمة في فلسطين، أصدرت وزارة المستعمرات البريطانية، التي كان يتولاها ونستون تشرشل ، الكتاب الأبيض، وجاء فيه بشكل صريح: (تعلن حكومة جلالته ، أنها لم تفكر قط في إخضاع أو محو السكان العرب ، أو القضاء على لغتهم وآدابهم في فلسطين ، كما تلفت النظر إلى أن عبارات التصريح (تصريح بلفور) لا تشير إلى تحويل فلسطين بجملتها وجعلها وطنًا قوميًا لليهود ، وإنما تعني أن وطناً كهذا يؤسس في فلسطين. ومما يلاحظ بسرور أن المؤتمر الصهيوني الذي عقد في كارلسباد في سبتمبر ١٩٢١ ، اتخذ قرارًا أعرب فيه رسميًا عن الأهداف الصهيونية جاء فيه (إن الشعب اليهودي عقد النية على أن يعيش مع الشعب العربي في اتحاد واحترام متبادلين، وأن يسعيا معاً لجعل هذا الوطن المشترك زاهرًا يتحقق فيه الرقي القومي لكل من الشعبين في سلام) . ولا يوجد في هذا الكتاب الأبيض ما يشير إلى إقامة دولة يهودية، وإنما وطن يهودي، وأن هذا الوطن اليهودي لن يشمل فلسطين بجملتها).

وبالرغم من الثورة العارمة في فلسطين وسائر الأقطار العربية، جاء موضوع تقسيم فلسطين بمقتضى القرار رقم ١٨١ الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، والذي يوصي بتقسيم فلسطين إلى ثلاثة كيانات: دولة عربية، ودولة يهودية، ومنطقة القدس التي كان من المقرر أن تخضع للإشراف الدولي.

وكان هذا التقسيم يقضي بأن تكون الدولة العربية مكونة من ثلاثة أجزاء: في الشمال منطقة الجليل الغربي، وفي الوسط منطقة غرب نهر الأردن (التي تشكل الضفة الغربية الآن) وتطلق عليها إسرائيل اسم (يهودا والسامرة)، وفي الجنوب الشريط الساحلي الممتد من نقطة في منتصف المسافة بين يافا وغزة وحتى الحدود المصرية، وكان هذا الشريط يعادل ضعف قطاع غزة الحالي، حيث كان يضم أيضا جزءًا صغيرًا من صحراء النقب.

أما الدولة اليهودية المقترحة فكانت تتشكل أيضا من ثلاثة أجزاء: في الشمال منطقة الجليل الشرقي، وفي الوسط القطاع الساحلي الممتد من عكا حتى النقطة التي تقع في منتصف المسافة بين يافا وغزة، وفي الجنوب كل صحراء النقب تقريبا .

وقد جاء هذا القرار بعد صراع دبلوماسي شرس بين مندوبي الدول العربية في الجمعية العامة والمندوب اليهودي، إلى أن انتهى الأمر بالتصويت على تقسيم فلسطين بموافقة ٣٣ دولة ضد ١٣ وامتناع ١٠ دول عن التصويت وتغيب دولة واحدة.. حيث استطاعت الحركة الصهيونية بشبكة علاقاتها الدولية الواسعة.. أن تفرض وضعًا جديدًا على أرض فلسطين، بعدما واجهت المجتمع الدولي بأن هناك شعبًا يهوديًا يعيش جنبا إلى جنب مع شعب عربي على أرض واحدة.. وأن الكثير من القرى قد أفرغت من أهلها الأصليين وحل محلهم مهاجرون جدد.. وتغيرت أسماؤها العربية إلى أسماء عبرية .

وفي منتصف مايو ١٩٤٨ أعلن ديفيد بن جوريون تشكيل حكومة مؤقتة، وقيام دولة إسرائيل برئاسة حاييم فايتسمان أول رئيس لها، في حين كان موسى شاريت

أول وزير لخارجيتها. أما عصابة (هاجانا) [1] المسلحة فقد تحولت تلقائياً إلى (الجيش الوطني) للدولة .

وفور إعلان قيام دولة (إسرائيل) ، دخلت الجيوش العربية إلى أرض فلسطين للقيام بدورها الذي يمليه عليها ميثاق جامعة الدول العربية ، للمحافظة على أمن وسلامة الشعب الفلسطيني المجرد من السلاح ، وبدأت بالتالي حرب فلسطين الأولى التي انتهت إلى توقيع اتفاقات الهدنة .

وحتى بعد قيام إسرائيل ، وتوقيع اتفاقات الهدنة التي تضمنت حصول هذه الدولة على حدود جديدة ، تعطيها مساحة أكبر بنسبة الثلث من المساحة التي أقرها لها قرار التقسيم، ظلت ملكية الأرض فيها موزعة على النحو التالي:

٧ في المائة مملوكة لليهود .

٣٧ في المائة مملوكة للفلسطينيين .

١ في المائة مملوكة لأجانب .

٥٥ في المائة أراضي دولة (ملكية عامة) .

وسرعان ما وضعت الدولة العبرية يدها على الملكية العامة التي كانت تشكل أراضي دولة في النظام السابق، وهكذا استولت إسرائيل على ٥٥ في المائة من مساحة فلسطين ، بالإضافة إلى ٧ في المائة المملوكة سابقاً لليهود ، مما جعل إسرائيل مالكة لـ ٦٢٪ من أرض فلسطين .

ورغم ذلك فقد ظل الفلسطينيون مالكين لـ٣٧ في المائة من الأراضي.. إلا أن التشريعات العقارية التي أصدرتها الدولة اليهودية الجديدة ، خلال العامين الأولين لقيامها، استهدفت تجريد الفلسطينيين من نسبة الـ٣٧ في المائة التي كانت تبلغ ١,٥ مليون دونم .

---

(١) هاجانا : كلمة عبرية تعنى : الدفاع .

فقد أصدرت إسرائيل قانوناً في ١٥ أكتوبر ١٩٤٨ ، يبيح لوزير زراعتها أن يضع اليد على الأراضي الزراعية العربية (المهجورة)، أي التي تحول أصحابها إلى لاجئين، وتوزيعها على من يختاره من المزارعين اليهود .

وفي ١٢ ديسمبر من العام نفسه، صدر قانون ثان يبيح وضع اليد على الأملاك العربية (المهجورة) في المدن، وبذلك انتقل ٤٠ ألف مهاجر يهودي للإقامة في بيوت الفلسطينيين في حيفا، و٤٥ ألف مهاجر آخر للإقامة في بيوت الفلسطينيين في يافا، ومع نهاية عام ١٩٤٩ كانت جميع بيوت الفلسطينيين الشاغرة قد أصبح يسكنها نزلاء جدد من اليهود.

ولم يقف الأمر عند مصادرة المزارع والبساتين والبيارات فحسب، وإنما امتد أيضا إلى البيوت والمخازن والمستودعات ووسائل النقل والمصانع والورش، وأيضا الفنادق والمطاعم والمقاهي ودور السينما، إلا أنه حتى بعد الاستيلاء على هذه الأراضي والعقارات بقيت مسألة ملكيتها غير محسومة. لذلك، وحسب خطة الاغتصاب المتدرجة، أصدرت إسرائيل في ١٤ مارس ١٩٥٠ ما سمته (قانون ملكية الغائبين) الذي اعتبر أن (الغائب) هو كل فلسطيني أو عربي كان يقيم في فلسطين قبل أول سبتمبر ١٩٤٨، وترك أملاكه بعد هذا التاريخ. ونص القانون على أن أملاك هؤلاء الغائبين ستدار بواسطة ما سماه (هيئة حراسة أملاك الغائبين).. وبعد بضعة أسابيع من صدور قانون ابتلاع حقوق الفلسطينيين وممتلكاتهم، حصلت (هيئة التنمية الإسرائيلية) من حكومة إسرائيل، على حق المطالبة بأن تحول إليها، بلا أدنى تأجيل، ملكية أي عقار ترى فيه منفعة عامة.

وبهذه الكيفية ، تم تحويل ملايين الدونمات من أراضي وعقارات الفلسطينيين (الغائبين) إلى (ملكية للشعب اليهودي) ، وقد قدرت قيمتها الحقيقية عام ١٩٥٠ ، حسبما جاء بالوثائق الدولية، بنحو خمسة مليارات دولار. أما إذا حسبت بقيمتها الحالية فإنها تصل إلى أكثر من ١٨٠ مليار دولار .

لقد كان هناك صراع محموم لجلب اليهود من مختلف دول العالم للهجرة إلى إسرائيل.. وكان للمنظمات الصهيونية المتطرفة، التى تولدت من داخلها أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية وجيش الدفاع، الدور البارز في ذلك.. حيث جندت الإمكانيات البشرية والمادية لاستجلاب اليهود إلى الدولة الجديدة التي اغتصبت أرضا لا تملكها.. فعلى مدى الثلاثين عامًا الأولى لقيام إسرائيل تضاعف عدد اليهود المهاجرين ١١ ضعفًا.. في حين تقلص عدد عرب فلسطين إلى الربع، وفي الوقت نفسه تحول اليهود – بفعل الهجرة – إلى أغلبية بينما تحول الفلسطينيون – بسبب النزوح القسري – إلى أقلية .

ففي الوقت الذي تدفق فيه على فلسطين ٣٥٠ ألف مهاجر يهودي إضافي عام ١٩٤٩ ، ارتفع عدد النازحين من الفلسطينيين إلى ٩٠٠ ألف منهم ٤٨٥ ألفاً نزحوا إلى الأردن، و١٢٨ ألفاً إلى لبنان و٨٣ ألفاً إلى سوريا، فضلاً عن ٢٠٠ ألف نزحوا من مدنهم وقراهم الأصلية إلى قطاع غزة.

تضاعفت أيضاً هجرة اليهود إلى فلسطين بعد أن أصدرت إسرائيل قانون العودة في يوليو ١٩٥٠ ، بما يؤكد أن اغتصاب فلسطين كان ذا شقين رئيسيين ، الشق الأول هو تهجير الفلسطينيين من وطنهم مع مضاعفة هجرة اليهود إلى فلسطين، والشق الثاني هو الاستيلاء على أراضي الفلسطينيين وبيوتهم وممتلكاتهم وتحويلها إلى المهاجرين اليهود .

هكذا قامت إسرائيل بفضل إرهاب مخابراتها ومؤامرات الدول الاستعمارية الكبرى، وعلى رأسها بريطانيا. ولأن إسرائيل دولة ذات كيان سرطانى زُرعت قسرًا بجسد الوطن العربي، كان عليها ألا تنسى تاريخ ولادتها الغير شرعي. لذلك نشط النظام الاستخباراتي الإسرائيلي في المحافظة على كيان الدولة المغتصبة (بكسر الصاد) وأمنها.. متخذًا من العمليات الاستخباراتية الإرهابية درعاً واقيًا.. وذراعًا طويلة للتخويف والبطش لبسط سياسة الأمر الواقع على المنطقة العربية .

يقول عميرام ليفين رئيس الموساد في مقال نشرته صحيفة يديعوت أحرونوت أول مارس ١٩٩٨ : (منذ قيام إسرائيل وتحولها إلى دولة مستقلة ، وضعت الاستخبارات الخارجية كحجر أساس لنشاطها الرسمي. وقد اعتقد زعماؤها، وما زال هذا هو رأيهم، أن ضمان وجود مخابرات جيدة تتمكن من جمع معلومات متواصلة عن العدو، هو شرط ضروري لتضييق الفجوة الكبيرة بين إسرائيل وأعدائها. وفي غياب مثل هذه المخابرات ، لكان الأمر قد تطلب إقامة جيش نظامي بحجم لا يستطيع المجتمع ولا الاقتصاد الإسرائيلي الوفاء به).

أما ديفيد بن جوريون فقد وصف رجال مخابراته بأنهم (منبع القوة وحراس الهيكل) [(١)] .

والحقيقة التي لا يمكن تجاهلها أو إنكارها ، أن أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية تبنَّت أهدافًا وأغراضًا تفوق قدرة دولة صغيرة مثل إسرائيل.. فهي بمثابة عيون وآذان لها سواء في الخارج أو الداخل. إلى جانب ذلك فهي ذراع السلطة السري الذي يستطيع أن ينفذ أي مهمة تهدف إلى مصلحة الشعب اليهودى وأمنه وسياسة الحكومة.. والمخابرات الإسرائيلية أكثر من جهاز للبوليس السري.. أكثر

---

(١) حراس الهيكل : لقب يحمل صبغة دينية مقدسة ، أطلقه بن جوريون تحفيزا لرجاله في أجهزة المخابرات الإسرائيلية المختلفة، في إشارة إلى مشروعية عملهم الديني والوطني ، في التجسس. ومعنى العبارة أنهم حماة إسرائيل ودرع أمنها. أما الهيكل ، فهو هيكل سليمان الذى بدئ في بنائه عام ٩٥٩ ق.م واستغرق بناؤه سبع سنوات. فبعد أن كفل سليمان الرخاء والسلام لملكته.. قرر أن يبني هيكلاً كبيرا للرب. ولكن نظرا لعدم وجود غابات في مملكته أو نجارين بارعين لديه.. فقط طلب من (حيرام) ملك (صور) مساعدته.. حيث كانت بأرضه غابات شاسعة من الأرز Cedar وخشب التنوب Fir . وسخر سليمان ٣٠ ألف رجل أرسلهم إلى لبنان، و٧٠ ألفا لحمل الأحجار، و٨٠ ألفا يقطعون في الجبل. وكان طول الهيكل ٤١ مترا وكل من عرضه وارتفاعه ١٧ مترا، في قلب موقع كبير تحف به عدة صفوف من الأروقة المعدة Porticoes . لكن حدث عام ٥٨٦ ق. م. أن قهر نبوخذ نصر Nebuchadnezzar ملك بابل أورشليم ودمرها عن آخرها. وفي عام ٥٢٠ ق. م بنى هيكل ثان أقل اتقاناً بعد عودة اليهود من منفاهم في بابل، ودام الهيكل الجديد إلى ما بعد احتلال الرومان لمدينة أورشليم في القرن الأول ق.م. ثم أعاد هيرود بناء الهيكل الكبير عام ٢٠-١٩ ق. م واستمر العمل حتى عام ٦٤ بعد الميلاد. وبعد ذلك بست سنوات أحرق الرومان المعبد وكان ذلك في ذكرى تدمير هيكل سليمان بالضبط. وكان هذا التدمير الأخير إيذانا ببداية النفي الطويل لليهود خارج أرض فلسطين. ولا علاقة بين (حراس الهيكل) و(فرسان الهيكل).. فالثانية تتصل بالماسونية.. حيث تذهب بعض المراجع أن جماعة فرسان الهيكل هي الأصل الحقيقي للحركة الماسونية. وكانت هذه الجماعة تكون شبكة ضخمة في معظم أرجاء أوروبا بعدما بدأت نشاطها في فلسطين إبان الحروب الصليبية. وتعاظم نشاطها في اسكتلندا بغرض السيطرة على أوروبا، حيث كان يتبعها مجموعة من المحاربين والرهبان والمؤسسات المالية الضخمة.. إلى أن طوردت في فرنسا وكافة أوروبا وقدم رموزها لمحاكم التفتيش .

من جهاز استخبارات.. أكثر من جهاز للسرقات العلمية ومكافحة التجسس.. إنها جملة أداة لإثارة الانقلابات.. لأعمال العنف.. للتدخل السري في شئون الدول الأخرى ولا سيما العربية.. وهى إذا كانت تقدم لإسرائيل الخدمات في محاولاتها تنفيذ مشروعاتها العدوانية في المناطق العربية.. فإنها في يد قوى أخرى سيف مسلط على رقاب العرب .

لقد آمنت الحركة الصهيونية منذ أن قامت في مطلع القرن الماضي، بحاجتها إلى السرية والتكتم في أعمالها، إذ أن طبيعة هذه الأعمال وأهدافها الاستيطانية واللاشرعية، كانت تحتم على الصهيونية أن تلجأ إلى التآمر والالتفاف ، لكي تغتصب أرض فلسطين بالقوة من أهلها الشرعيين .

ففي سنة ١٩٠٧ اكتشفت السلطات التركية (التي كانت تسيطر على فلسطين) ، بعد ثلاث سنوات من المطاردة ، شبكة جاسوسية تعمل لصالح البريطانيين. وكانت هذه الشبكة تمارس عملها في المستعمرات اليهودية التي كانت الصهيونية قد أنشأتها في فلسطين.. واعتقل ثلاثة من زعماء هذه العصابة وهم من يهود أوربا الشرقية ، وبعد ضغوط دولية ووساطات مختلفة لأجل عدم محاكمتهم ، تم نفيهم من البلاد .

وفي سنة ١٩١٤ تكونت شبكة أقوى تضم أربعين رجلاً بزعامة آل أهرونسون ، سارة[١] وهارون[٢] وألكسى[٣]، وكان مقرها (زمارين) التي تعرف باسم (زخرون

---

(١) سارة أهرونسون : ابنة جاك أهرونسون الإنجليزى، وكان وكيلاً للبارون الصهيونى إدمون دى روتشيلد، وجاء إلى فلسطين عام ١٨٨٩ بالأموال الوفيرة كأحد الكوادر المؤسسة للوطن القومى اليهودى. إضافة إلى جمال ابنته الفتان ، كانت سارة تجيد سبع لغات منها العبرية والعربية، وولوعة بالنباتات والعلوم الزراعية، فقد عاونت شقيقها هارون فى أبحاثه الزراعية، إلى أن طلب منها البارون روتشيلد العمل من أجل مصلحة الصهيونية، فانخرطت فى العمل التجسسى، وأبدعت فيه إبداعًا منقطع النظير. فقد دربت الحمام الزاجل على نقل الرسائل إلى قاعدتها التجسسية فى عتليت، وتجولت فى البادية لدراسة مختلف الأمور العسكرية والنباتية، واقتحمت قلب وعقل الجيوش التركية بعلاقتها مع قائد قواتها، إلى أن حامت حولها الشكوك.. فاعتقلت عام ١٩١٧ لكنها خطفت مسدس حارسها، وأطلقت النار على رأسها فماتت بعد يومين. وبذلك أنقذت أغلب أعضاء شبكتها من السقوط، وفوتت الفرصة على قائد الجيش جمال باشا الذى كان قد توعدها بالإعدام.

(٢) هارون أهرونسون : أحد علماء النباتات النابغين، وله عدة مؤلفات تُرجمت ودُرِّست فى المعاهد الزراعية فى كثير من أنحاء العالم. وهو الذى اكتشف (القمح البرى) فى أعالى (جبل الشيخ) بسوريا، وسجل اسمه بذلك الاكتشاف فى الموسوعة البريطانية، كذلك سجل اسمه أيضًا كمكتشف لـ(اللوز البرى) فى أعالى (جبل قايسون) بسوريا. =

يعقوب) ووكرها السري في (عتليت)، وهي قلعة أثرية مهجورة على ساحل البحر. وكانت هذه العصابة تجمع المعلومات عن قوات تركيا وألمانيا.. وتنتظر في ليلة معينة غواصة بريطانية تجيء إلى قرب ساحل عتليت لتلقي المعلومات، وكانت الغواصة أحياناً كثيرة تأخذ رجالاً من أفراد العصابة وتنقلهم إلى الإسكندرية ليقدموا معلوماتهم إلى القوات البريطانية ثم تعيدهم ثانية إلى عتليت.. إلى أن اكتشف أمر العصابة عام ١٩١٧ فأعدم بعضهم ونفي البعض الآخر.. وهرب العديد منهم أو انتحر.. وكان اسم هذه الشبكة (نيلي) .

وشبكة (نيلي) هذه هي التي شجعت حاييم فايتسمان – أول رئيس لإسرائيل فيما بعد – على تطوير اختراعاته السامة بتوسع ، وسرقة أسرار غاز الخردل وبعض الأسلحة الألمانية لتقديمها إلى بريطانيا.. وكان لها دور حيوي فعال في تكشف أسرار الجيش التركي وتسليحه وخططه الإستراتيجية ..مما مكن الجيش البريطاني من هزيمته ودحره .

وفي عام ١٩٢٠ أنشأت الوكالة اليهودية فروعا لها في القدس ولندن ونيويورك وجنيف وباريس وبرلين والقاهرة.. وتولى المكتب السياسي بها الكولونيل (كيسي) . كان (كيسي) جاسوسًا بريطانيًا يهوديًا داهية ، قام ببناء منظومة الجاسوسية اليهودية العالمية.. واستغل فرصة حماس اليهود لإنشاء الوطن القومي.. فجند منهم أعدادًا كبيرة في فلسطين وغيرها.. وراحت فروع شبكاته تستتر وراء هيئات ومسميات مختلفة.. أشهر هذه الأسماء هي نوادي (المكابي) ، وهي نواد رياضية بعيدة عن الشبهة.. وكان الاسم الرسمي لهذه المنظومة هو (الهاجانا).. وضمت ثلاثة أقسام :

= كان هارون صهيونيًا متعصبًا ، استغل اختصاصه العلمي لخدمة الجاسوسية بالاشتراك مع أخته الصغرى سارة، وجعل من معمله البحثي في عتليت مركزًا للتجسس على الأتراك لصالح بريطانيا خدمة للصهيونية. وأدى مع سارة وألكسى خدمات كبيرة للقوات البريطانية، لكنه قتل على أثر سقوط الطائرة بينما كان في طريقه إلى مؤتمر الصلح في فرساي للدفاع عن القضية الصهيونية.

(٣) أليكسى أهرونسون : كان خطيبًا مفوهًا وداعية صهيونيًا من الطراز الأول.. عمل بالتدريس واستغل مهنته في إرساء دعائم الصهيونية وتلقينها لتلاميذه اليهود ، وكان يحاضر للشبيبة اليهودية عن الوطن اليهودي الذي يجب أن يجمع يهود العالم ، ويزرع فيهم مبادئ الصهيونية وأهدافها. اشترك أليكسى في العمل التجسسي مع هارون وسارة ضد تركيا ، لكن نشاطه كان أضعف من أن يقارن بنشاط أخويه .

قسم وحدات (الهاجانا) العسكرية للقتال، الذى تحول فيما بعد إلى (جيش الدفاع) ، وقسم وحدات (البالماخ) لأعمال التخريب والكوماندوز، وقسم وحدات (شاي) أي خدمة المخابرات.

ولما تولى ديفيد بن جوريون منصب رئيس الوكالة اليهودية.. وزع أعمال المخابرات والتجسس على عدة أقسام.. منها القسم العربي برئاسة موشى شاريت.. وكان يختص بجمع المعلومات عن العرب من خلال جيش ضخم من الجواسيس والمتخصصين في الحرب النفسية وفي نشر الدسائس والإشاعات.. وكان أمهر رجاله إلياهو إيلات[1] .

كان هناك أيضاً القسم السياسي برئاسة روبين شيلواح[2].. والقسم العسكري (شاي) برئاسة إيسير بعيري[3] ، الذي كان يتجسس على اليهود والبريطانيين على حد سواء مثل منظمتي (أرجون) وليحى (شتيرن) الإرهابيتين .

هذه الأقسام الثلاثة اشتركت أثناء الحرب العالمية الثانية في خدمة المجهود الحربي للحلفاء.. وتحريض اليهود في أوروبا على العمل ضد النازية.. كما اشترك عدد كبير من الجواسيس اليهود في عمليات سرية معقدة في العراق وسوريا ولبنان ومصر وإيران وغيرها..

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأ جهاز المخابرات الصهيوني في القيام بواجبين في وقت واحد.. ولهما هدف واحد.. هو إنشاء الدولة اليهودية على أرض فلسطين .

---

(١) إلياهو إيلات : اسمه الأصلي إلياهو إيشتين.. تولى منصب سفير إسرائيل في لندن ثم في واشنطن، وكان متخصصًا في شئون الأقليات التي منها الدروز والأكراد. وعمل مساعدًا لإلياهو ساسون الذي عمل بعد ذلك وزيرا للبريد .

(٢) روبين شيلواح (شيلواه) .. له تاريخ طويل في عمل المخابرات، وتولى بعد ذلك منصب أول رئيس لجهاز الموساد عام ١٩٥١ : ١٩٥٢.

(٣) إيسير بعيري.. أول رئيس للمخابرات العسكرية (أمان) ١٩٤٨ : ١٩٤٩ .

هذان الواجبان ينحصران في جلب الأسلحة وتهريبها من الخارج إلى فلسطين.. والقيام بعمليات إرهابية ضد البريطانيين وضد العرب في داخل البلاد.

ومن أكبر العمليات التي جرت في تلك الفترة إغتيال (اللورد موين) الوزير البريطاني المقيم في القاهرة.. وعملية السفينة (أكسودوس) التي جاءت من أوروبا تحمل عدة آلاف من المهاجرين اليهود إلى فلسطين.. وتأمين عملية تهريب السلاح والمهاجرين بشكل واسع ، تمهيدًا لإعلان قيام دولة إسرائيل بعد ذلك.

لكن.. من المستحسن أن نتتبع بإيجاز نشأة أهم أجهزة الأمن الإسرائيلية المعاصرة.. لنرى الأبعاد العميقة لدور هذا الجهاز سيئ السمعة – الموساد – في ترسيخ أمن إسرائيل وتقوية نفوذها.. والتسبب في أزمات دبلوماسية حادة بين العديد من دول العالم وإسرائيل على مدار تاريخه .

ففي عام ١٩٣٧ أنشئ جهاز الموساد عقب الانتهاء من المؤتمر المشترك لقيادة حركة العمال الاشتراكيين وقيادة الهاجانا، وأطلق عليه حينئذ (موساد ليلياه بيث.. Mossad Lealiyah Beth أي : منظمة الهجرة الثانية.. وتم تدشين أول مركز فعلي لقيادة الموساد في جنيف. ومع الفشل الذريع لنشاط الموساد في ألمانيا في بداية الحرب العالمية الثانية.. انتقل المركز الرئيسي للموساد إلى إستانبول بأمل مساعدة يهود البلقان على الهرب إلى فلسطين عبر تركيا، وكان ذلك قبل إعلان قيام دولة إسرائيل.. وازداد من هناك نشاط الموساد واتسع نطاق عملها في أوروبا.

وبعد قيام الدولة العبرية.. قرر بن جوريون رئيس الوزراء إعادة تنظيم أجهزة الأمن.. وكان أن حصلت الموساد على استقلالها الذاتي.. وعين (ايسيرهاريل) رئيسًا للجنة اتصال أجهزة الأمن.. وهي بمثابة مجلس لأجهزة الأمن.. وأصبح جهاز الموساد بذلك يقف على قمة جميع أجهزة المخابرات.. وتحددت مسئوليته أمام رئيس الوزراء مباشرة.. لكن الصداقة بين هاريل وبن جوريون تبدلت تدريجيًا.. ثم اشتدت الخلافات بينهما بسبب أزمة العلماء الألمان في مصر، والتي تعرف باسم العملية (داموكليس)، فاستقال هاريل ليجئ (مائير آميت) من بعده.

كان الاثنان ، هاريل وآميت[1] ، ثم (زيفي زامير) من بعدهما ، أشهر من تولوا رئاسة الموساد ، وأشهر من قادوا أهم عملياتها الناجحة.. وإخفاقاتها أيضا، على مدى ربع قرن تقريبا منذ قيام إسرائيل حتى عام ١٩٧٤ ، ليغطي خمسة رؤساء آخرين من بعدهم، سلسلة إنجازات الموساد وعملياتها الفاشلة على مدى ربع قرن آخر .

وخلال سنوات طويلة من البحث والكتابة التحليلية عن دور وعمليات أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية فى المنطقة العربية ، وكذا عن أشهر فضائحها وانتكاساتها في عواصم العالم ، تجمعت لدى مادة غزيرة عن ماهية مخابرات إسرائيل من الداخل، ومدى تخبطها الذى يعكس هشاشتها، بصورة مغايرة تماما لما يروج عنها من عبقرية في التخطيط ، وإعجاز في الأداء.

تلك الدعاية المكذوبة المدفوع لها مقدمًا في وسائل الإعلام الدولية، والتى تؤازرها وتتوازى معها في الوقت نفسه ، زَخَّات الكتب الصادرة عن جهاز الموساد ، بعناوين براقة منتقاة بعناية ، تحمل أسماء مؤلفيها الذين هم بالأصل من أبناء الجهاز وكوادره، حيث كان من الواضح حرصهم البالغ على إضفاء صفة الأعمال الأسطورية الخارقة على عمليات الموساد الخارجية، وتسليط الضوء على رجالها الذين ينزُّ الذكاء منهم بإفراط وغزارة.

لكن الحقيقة ، أن جملة هذه الكتب الموسادية الصادرة عن قصد ، والمصدرة إلى القارئ العربى فى المقام الأول تحمل رسالة التهويل واللا معقول ، بهدف ترسيخ

---

(١) ساعد رئيس الموساد الأسبق مائير عاميت على إقامة نصب تذكارى ، لإحياء ذكرى ٥٥٧ رجلاً وامرأة ، خدم ٧١ منهم فى الموساد ، ماتوا فى مهام أمنية وتجسسية خارج إسرائيل، ولحتت على النصب أسماء القتلى وتاريخ الوفاة فقط دون إشارة إلى ظروف الوفاة. ومن بين هذه الأسماء: إيلى كوهين الذى ما تزال رفاته بسوريا، وماكس بينيت ورفيقه فى فضيحة لافون بالقاهرة موشى مرزوق، وأضيف بعد ذلك اسم إبراهيم شاهين (زوج إنشراح موسى) الذى أعدم بالقاهرة، إضافة إلى عملاء إسرائيل فى سائر الأقطار العربية الذين لقوا حتفهم. والنصب التذكارى يقع فى منطقة جليلوت شمال تل ابيب. وصمم على هيئة دماغ بشرى. وقال عاميت أنه اختار هذا الشكل لأن الاستخبارات مسألة (عقلية) بحتة. ويعد هذا النصب أول نصب تذكارى فى العالم للعملاء والجواسيس.

فكرة الإعجاز ، ونشر تيارات الدهشة المصحوبة بالخوف ، تجيء أيضًا بالدلائل القطعية على كذب وتناقض تفاصيل العديد من عملياتها السرية ، واختلاف سيناريوهات تلك العمليات من كتاب وآخر .

ففي عملية اختطاف الميج ٢١ العراقية ، على سبيل المثال ، التي تجيء تفاصيلها في الجزء الأول من هذا الكتاب ، يكتشف القارئ المدقق للكتب المستهدفة المصدرة من إسرائيل ، مدى التخبط الذى حيكت به القصة ، ليكون الدليل الأمثل على الكذب الذى ساقوه إلينا ، ولنحكم بأنفسنا على تفاهة ومغزى أساليبهم الدعائية الموجهة. حيث جاءت القصة[١] بشكل مختلف في أكثر من كتاب إسرائيلي ترجم إلى العربية .

يتكرر هذا المشهد أيضًا في الكثير من عمليات الموساد السرية ، بما يعطي انطباعًا بأن هذا التناقض الفج في سرد التفاصيل ، يرجع إلى حتمية إخفاء الحقائق لتضليل القارئ والباحث والمختص، لكن ذلك أبعد ما يكون القصد. فالقصد المستتر هو الإيهام بأخطبوطية المخابرات الإسرائيلية وكفاءة رجالها الذين عمت فضائحهم وانتكاساتهم المعمورة، وكان من الضرورى، بتوسل الكذب والمغالطة والدعاية ، تزيين الصورة وتجميلها . لكن الحقيقة المثقبة يصعب رقتها بظلال الضلالات.

ولكي يدرك القارئ العربي ذلك بنفسه ، ويلم بكل عمليات المخابرات الإسرائيلية الخارجية على مدى نصف قرن ، اشتمل (حراس الهيكل) على ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : (الخطف) . ويتناول مجمل عمليات الاختطاف التي ارتكبتها الدولة الصهيونية في حق العرب وآخرين، اختطاف أشخاص وسفن وطائرات، إضافة إلى سرقات بأساليب النصب والتحايل، هي في مجملها صورة رديئة لمبادئ أولئك الذين اغتصبوا أرض فلسطين، وأقاموا عليها دولة إسرائيل بذات السلوك الذى اتبعوه في الخطف والتحايل .

---

(١) لمزيد من التفاصيل ، انظر كتابنا : (العملية 007) عن مكتبة مدبولي بالقاهرة .

الجزء الثانى : (الاغتيالات). ويشتمل على سرد واقعي لعمليات الاغتيالات التى نفذت بحق الزعامات الفلسطينية في عواصم العالم ، وبحق رجال المقاومة فى لبنان، وضد أبرياء لا صلة لهم بالسياسة كما حدث مع الجرسون المغربى فى النرويج، حيث طالت الاغتيالات كل هؤلاء على أراض أجنبية لدول ذات سيادة، دون احترام للشرعية الدولية ، مما أوقع إسرائيل فى مآزق دبلوماسية عديدة شوّهت وجه الحكم فى تل أبيب، وكشفت صراحة عن حقيقة دولة الإرهاب والمذابح والعنصرية ، التى تدعى الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان.

الجزء الثالث : (الفضائح). ويضم العمليات الاستخباراتية الإسرائيلية التى فشلت، وأخفق (حراس الهيكل) فى التخطيط لها وتنفيذها خارج إسرائيل. وما صاحب ذلك من انتكاسات وأزمات داخلية وفضائح دولية مُدَوِّية ، كانت لها آثار بعيدة المدى داخليًا من حيث الاهتزاز والاستقالات والإقالات، وخارجيًا طالت علاقات إسرائيل الدولية وأجبرتها على الاعتذار الرسمى كتابة في بعض الأحيان ، كما حدث مثلاً فى فضيحة محاولة اغتيال خالد مشعل فى عمان. هذه الفضائح أظهرت مدى استهتار إسرائيل بالأعراف الدولية وأحرجتها على الساحة الدبلوماسية ، وأكدت قطعًا على غباء (حراس الهيكل) ، وشططهم الأهوج نتيجة اغترارهم بقدراتهم الخارقة ، تلك الأكذوبة المضحكة التى رَوَّجُوها عن أنفسهم فآمنوا بها وصدقوها. ويضم الجزء الثالث أيضًا بعض العمليات الناجحة التى تشكل نسبة ضئيلة لا تذكر بجانب عمليات الإخفاق المتعددة التى زلزلت إسرائيل ، لعل القارئ العربى تتجمع لديه بهذا الكتاب الفكرة الحقيقية الكاملة ، عن ماهية عمليات المخابرات الإسرائيلية وأنشطتها منذ إعلان قيام الدولة العبرية حتى الآن. وكذا دور المخابرات العربية فى منظومة هذا الصراع الطويل المتواصل ، الذى لن يهدأ أو يستقر، طالما هناك أرض عربية مغتصبة ومقدسات تدنس، واستفزاز إسرائيلى تحميه راعية الإرهاب، أمريكا .

هذا – وأدعو الله أن أكون قد وفقت فى إيصال رسالتي.. وهو الموفق والمستعان..!

فريد الفالوجي

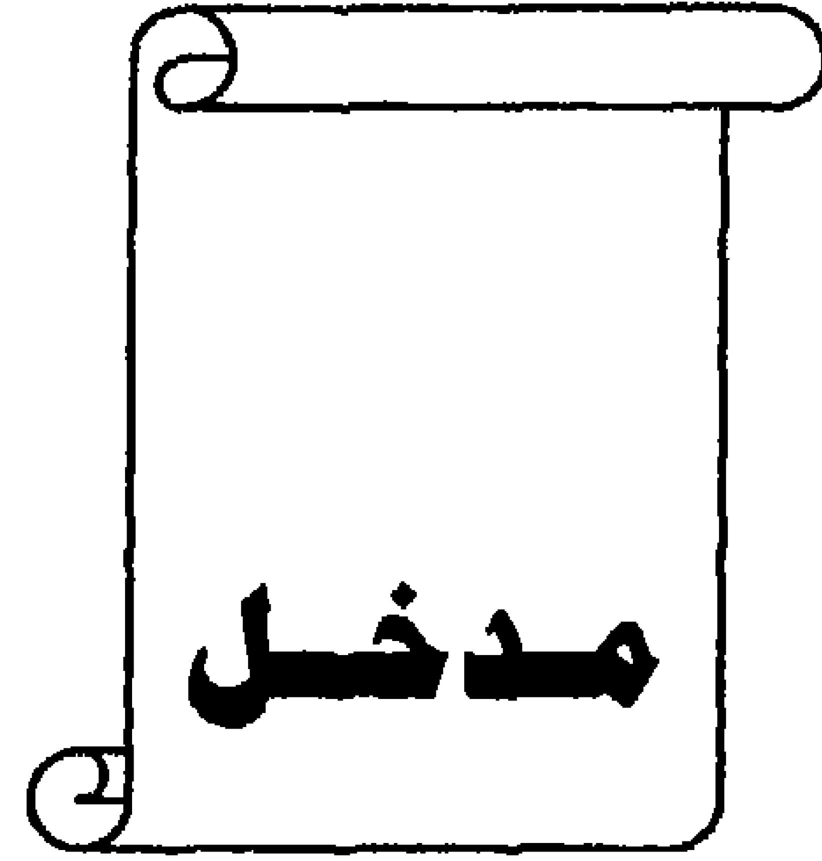
القاهرة . مدينة نصر



الخطف

(الخطـف في عمـل المخـابرات الإسرائيلية أحد أساليب الدهاء.. والقوة.. وهو يحقق لإسرائيل أعلى مراتب الجرأة والإبهار والسطوة والتفوق.. حتى وإن كانت هناك إخفاقات أحدثت هزات دبلوماسية مع العديد من الدول الصديقة.. ولوثت سمعة أجهزتنا الأمنية..!!)

(جولدا مائير)



يعد الخطف أحد الأساليب الإرهابية القذرة التي تلجأ إليها أجهزة المخابرات في تنفيذ عملياتها .. سواء كان خطف لأشخاص أو طائرات أو سفن.

وعلى مدى تاريخ أجهزة المخابرات العالمية.. لم تشتهر على الإطلاق حالة خطف واحدة.. قياسًا بإحدى عمليات الخطف المتعددة.. التي انتهجتها المخابرات الإسرائيلية أسلوبًا خلال رحلتها الطويلة مع الإرهاب والبربرية في الشرق الأوسط وخارجه .

وإذا كانت هناك حالات قليلة قامت فيها أجهزة الاستخبارات المختلفة باختطاف جواسيس أو منشقين منذ فترات بعيدة.. لمحاكمتهم[1] .. فهناك ملف ضخم متخم بعمليات اختطاف.. نفذتها مخابرات الدولة الصهيونية في عدة عواصم أجنبية.. دون اعتبار للمواثيق.. أو القوانين الدولية التي تحظر مثل هذا السلوك على أراضي الغير.. لما فيه من مساس بالسيادة.. يقترن بالتدخل في الشئون الأمنية والداخلية للدول.

---

(١) عام ١٩٦٤ ، هرب إلى إسرائيل الطيار المصرى المختل عقليًا النقيب عباس حلمى بطائرة تدريب سوفييتية قديمة، وهناك أجريت له عمليات تجميل غيرت ملامحه وأعطى وثيقة سفر مزورة وسافر ليعيش بالأرجنتين متقمصًا شخصية جديدة، لكنه لم يسلم من مطاردة المخابرات المصرية التى تعقبته ، وبعد عدة أشهر من هروبه برغم تغير ملامحه، جاءت به فى صندوق من هناك حيث جرت محاكمته فى القاهرة وإعدامه.. فى واحدة من أشهر عمليات البطولة لمخابراتنا ، التى فاقت عملية اختطاف آيتشمان إلى إسرائيل من الأرجنتين أيضًا. ولمزيد من التفاصيل انظر الفصل الأول من كتابنا (العملية 007) عن مكتبة مدبولى بالقاهرة .

بيد أن إسرائيل تجاوزت هذه (الشكليات) .. وتخطت كل القيود والبروتوكولات التي تعيق تحركات رجال مخابراتها لتحقيق أهدافها في مختلف العواصم .. وتمكنت من القيام بعدة عمليات مخابراتية.. تسببت غالبيتها في فضائح مدوية كشفت إرهاب الدولة العنصرية الصهيونية.. وتفجرت بسببها أزمات دبلوماسية كانت ذات وقع وأثر بالغين ..

أما داخل إسرائيل فكانت ردود الأفعال أكثر حدة.. إذ تنتهي في الغالب بطابور طويل من الإقالات والاستقالات، التي تطول الكبير والصغير على حد سواء، وفضيحة مدوية يلتصق عارها بتاريخهم في خدمة أمن إسرائيل، ونهاية مشبعة بالفشل والحسرة .

يقول داني ياتوم[1] بطل الفضائح الموسادية الشهيرة[2] لوزير الأمن الداخلي الإسرائيلي أفيغدور كالاهاني :

(لقد خدعني رجالي الذين وثقت بهم فكلفتهم بمهمة سهلة في سويسرا.. لكن الخطأ الذي ارتكبوه كان فادحًا.. وكان بسبب الثقة الزائدة في خبرة رجال الموساد.. وعلى ما يبدو فإن أسطورة رجالنا المحترفين كذبة كنا نروج لها كثيرًا حتى صدقناها)..!!

لقد كانت هذه العملية الفاشلة فصلاً في مسلسل طويل من المغامرات البائسة لجهاز أحيط بهالة من التضخيم.. رفعته إلى مستوى مُنَزَّه عن أي خطأ أو منزلق. فما بين اختطاف آيتشمان[3] من الأرجنتين عام ١٩٦٠ و(مخازى) الفشل في سويسرا.. سلسلة طويلة من الإخفاقات هزت الجهاز.. وفضحت ما يجري في سراديبه ودهاليزه من (حروب خناجر) صامتة أدت إلى استقالات وإقالات. لكن التبديل القيادي قد لا يكون إلا حقنة تخدير في جسم تآكل تحت وطأة الصراعات والدعاية الممجوجة لكفاءته . ذلك أن تركيبة هذا الجهاز وفضائحه .. وخط هزائمه طويل .. منذ

---

(١) داني ياتوم رئيس الموساد ١٩٩٦ - ١٩٩٨ .

(٢) فضيحة سويسرا : عملية تجسس في برن انتهت بالفشل وبفضيحة مدوية أحرجت إسرائيل دوليًا في فبراير ١٩٩٨ ، وعلى إثرها طرد رئيس الموساد دانى ياتوم من منصبه.. وستجيء التفاصيل بأحد فصول الجزء الثالث من الكتاب .

(٣) سنتناول فى الجزء الثالث من الكتاب التفاصيل باستفاضة .

اللحظة الأولى من تأسيسه انطلاقًا من الجمع في وعاء واحد بين تنظيمات الدم.. مثل عصابات الأرغون والهاجانا في إشراف مباشر من ديفيد بن جوريون حتى فضيحة سويسرا .

بسبب هذه الفضائح والانتكاسات تواترت الحرائق.. وتساقطت الرؤوس فيما يشبه المحرقة المفتوحة.. وشكلت لجان لتحديد المسئوليات.. والحد من النزيف المعنوي والسياسي .

فضيحة لافون[1].. وزير الدفاع في حكومة بن جوريون، عام ١٩٥٤، كانت المحرقة الأولى والكبرى في الموساد.. بعد فشل تحميل جمال عبد الناصر مسئولية ضرب المصالح الأمريكية والبريطانية في مصر.. ثم فشل الجهاز في توقعاته بالنسبة لحرب أكتوبر ١٩٧٣، وهو ما تمثل في اتهامات لجنة (اغرانات) عام ١٩٧٤ التي وصفته بالتقصير (المحدال).. لتجئ فضيحة خطف شابين ألمانيين من كينيا إلى إسرائيل عام ١٩٧٦ ومحاكمتهما بدون ذنب أو جريمة.. وفشلت شتى المساعى الألمانية الرسمية للإفراج عنهما، أو لمجرد الاطلاع على ملف أقوالهما والاتهامات التى وجهت إليهما. وقد تعرضت إسرائيل لحملة عداء إعلامية دولية بسبب جريمة الاختطاف اللا إنسانية هذه دون فائدة .

ومن بعدها جاءت كالصاعقة فضيحة خطف الوزير النيجيري من لندن عام ١٩٨٤.. وكانت محاكمة رجال الموساد الثلاثة أشبه ما تكون بالمسرحية الهزلية، لكن تدخل واشنطن كان إيجابيًا لصالح إسرائيل.

ثم تواصلت وقائع الفضائح لتلامس ذروة في (التراجيديا اليهودية) مع فضيحة (مردخاي فانونو) التقني في مفاعل ديمونة، الذي روى معلومات مذهلة عن قلب المفاعل وطبقات المبنى الخمس.. خارقًا بذلك صمتًا مثقلاً بالكارثة.. مما أدى إلى اختطافه من أوربا عام ١٩٨٦ ، وزجه في غياهب السجون بإسرائيل .

---

(١) فضيحة لافون : تفاصيلها تجيء بالجزء الثالث من (حراس الهيكل) .

هذا هو جهاز الموساد الذي طالما ردد رؤساء الدولة العبرية أنه مـن صنـع (يـهوه) وليس من صنع البشر.. ويصل الأمر أخيرًا.. لضبط إيقاعه.. لتعيين ثنائي[1] لرئاسته بالتناوب لمدة عامين ، في أول حالة من نوعها في تـاريخ أجـهزة الاسـتخبارات منـذ عُرفَتْ حتى اليوم ..!!



(١) هما : أفرايم هاليفي ، عميرام ليفين ، والأول أحاطته الشـكوك في قدرتـه علـى تحمـل أعبـاء الموسـاد ووقف التسيب الإداري به.. وإن كان إداريًا بالأصل حيث منع من الخدمة عشية تجنيـده عـام ١٩٥٢ لخلـل في قلبه. عمل هاليفي في الموساد منذ عام ١٩٦١ مع رفيقه الإنجليزي الأصل أيضًا (ديفيد كيمحي) وبقـى طـوال ٣٥ عامًا في شعبتي تيفل (الكون) وبيتسور (التحصين).. وكلتاهما مسئولتان عن العلاقات مع المخـابرات الأجنبيـة.. وعمل أيضًا رئيسًا لمحطتي الموساد في واشنطن وباريس. وكان له دور رئيسي فعال في تـهجير يـهود الفلاشـا مـن أثيوبيا عبر السودان عام ١٩٨٥ في إطار (عملية موسى)، وفي عـام ١٩٩٠ رقـى إلى منصـب نـائب رئيـس الموسـاد (شبتاي شافيت ١٩٩٠ - ١٩٩٦م). واحتوى مضاعفات أزمة (مشعل جيت) بين إسرائيل والأردن.. ونشر مؤخـرا كتابًا عنوانه (استخبارات السلام). هذا ويفتقر هاليفى إلى خبرة عالم المخـابرات السـري كـالخطف والاغتيـال .. عكس رفيقه ليفين الجامح والعنيد والذي يقول إن رأسه أشد صلابة من الجدار . . .



خطف الوزير النيجيري في لندن ..!!

... وفور أن حطم البوليس البريطاني الصندوق الدبلوماسي الأول.. وجد به الوزير النيجيري مكبلا فاقد الوعي.. يتنفس بصعوبة من خلال أنبوب مثبت في حلقه.. ويسبح في بركة من القيء.. وإلى جواره رجل إسرائيلى مسلح يحمل حقنة ومواد مخدرة.

أما الصندوق الثاني.. فكان به رجلان غير مقيدين.. تبين أنهما من جهاز الموساد الإسرائيلي أيضًا...!!

أكذوبة مختلقة

لم يكن حراس الهيكل.. رجال الموساد.. يعتقدون واحد بالمائة أن عملية خطف الوزير النيجيري الهارب (عمر ديكو) من لندن إلى لاجوس قد تفشل لأي سبب من الأسباب.. ذلك لأن الخطة كانت مدروسة بعناية ومحكمة.. بحيث لا توجد أدنى شكوك في كشفها.. إضافة إلى أنهم درسوا جيدًا شتى الاحتمالات والتوقعات.. وسدوا ثغراتهم الأمنية بعد قراءات متأنية للملف عملية سابقة في الأرجنتين عام ١٩٦٠.. عندما تم اختطاف النازي السابق أدولف آيتشمان ومحاكمته في إسرائيل وإعدامه .

كانت الثقة لدى حراس الهيكل تفوق كل وصف.. فقد روَّج عنهم جنون العمليات المخابراتية المستحيلة.. وجنوحهم إلى خوارق الحيل الذكية التى لا تعرفها أجهزة الاستخبارات العالمية الأخرى .. ووصفوا بأنهم أساطير تتحرك على الأرض كالأشباح.. تفوح رائحة عملياتهم السرية ويتشبع منها الكون كله.. في أزهى الصور وأبرعها .

هذا الغرور الزائد كانوا يتنفسونه كالهواء.. ويتحسسون جلودهم خوفًا من أن تكون علامات نبوغهم قد طفحت فوق السطح.. فترشد عنهم عيون الآخرين الأشد حقدًا ومرارة لنجاحاتهم المبهرة في عالم المخابرات والجاسوسية.. ذلك العالم السرى المثير الذي لا يباريهم فيه جهاز مخابرات آخر على سطح المعمورة.. لذلك فهم مميزون.. وخارقون لكل مواصفات الطبيعة البشرية.. والأعظم حرفية في هذا المجال.

التغلغل في أفريقيا

ولكي نوضح الأسباب التي دعت جهاز الموساد لترتيب عملية خطف الوزير النيجيري من لندن.. والذهاب به إلى نيجيريا لمحاكمته.. علينا أولاً أن نتطرق إلى أنشطة المخابرات الإسرائيلية في القارة السوداء.. وممارساتها المختلفة من أجل التغلغل داخل بلدان القارة .

فرغم نجاح الدول العربية في إقناع الكثير من الدول الإفريقية بعد ١٩٦٧ بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل.. وتخفيض حجم النفوذ الذي تمارسه حكومة تل أبيب وأجهزتها في إفريقيا.. فإن الإسرائيليين واصلوا ممارسة أنشطتهم المحمومة داخل بعض بلدان القارة.. وتمتين علاقات التعاون والعمل المشترك مع هذه الدول.

وتشير التقارير إلى أن أبرز ملامح هذا النشاط كان نتيجة للعديد من المصاعب الاقتصادية والسياسية التي تواجهها هذه البلدان.. وافتقار الكثير من حكوماتها لعوامل الدعم الفني في مجالات عديدة .

استغلت إسرائيل تلك الظروف وعملت على تعميق جذور نفوذها.. وإحكام الحصار حول حركات التحرر في دول القارة مع سلب زعمائها من عوامل الأمل في إحراز أي انتصارات ولو محدودة في الصراعات العرقية الدائرة.. واصطبغت أنشطة المخابرات الإسرائيلية بمسحة تقديم المساعدات الفنية في المجالات الزراعية.. وتدريب أجهزة الشرطة ووحدات القوات المسلحة.. ومبيعات السلاح مع دعم برامج التنمية .

وفي المقابل، تبلورت أنشطة الدول العربية تجاه القارة السوداء في ممارسة أنشطتها الدبلوماسية عبر منظمة الوحدة الإفريقية، والضغط على الحكومات بالقارة بتقليل اعتمادها على المساعدات الفنية الإسرائيلية وتحجيم علاقاتها مع حكومة تل أبيب.. ومحاولة كشف أهداف السياسة الإسرائيلية العنصرية .

لكن برزت علاقات تعاون وثيق بين الحكومة الكينية وإسرائيل.. وكان يرأس كينيا في ذلك الوقت دانيال أراب موى الذي وطد علاقاته بإسرائيل في مجالات التدريب التقنى وتبادل المعلومات وأنشطة المخابرات..

وفي وسط أفريقيا تغلغلت إسرائيل أيضًا وبرزت صور التعاون بين حكومة زائير وإسرائيل في المجالات نفسها. كذلك كان الحال في ليبيريا وحكومات غرب إفريقيا.. حيث قدمت حكومة تل أبيب الخبراء والدعم الفني لتدريب قوات الشرطة ووحدات الجيش.. وعاونت غانا على إعادة صياغة وتدريب مخابراتها العسكرية .

أما مع حكومة جنوب إفريقيا فقد كانت صور التعاون تتخذ أشكالاً مختلفة.. خاصة في مجالات أجهزة المخابرات وحرس الحدود للدولة الإفريقية العنصرية وقتذاك.. ثم في المجال النووي .

علاقات مشبوهة

وترجع العلاقة بين إسرائيل وجنوب إفريقيا في المجال النووي إلى أواخر خمسينيات القرن الماضي.. حيث تمت عمليات مقايضة الخامات المشعة في جنوب إفريقيا مقابل الحصول على التكنولوجيا النووية الإسرائيلية. ولقد قامت إسرائيل بمساعدة تلك الدولة في بناء مفاعل نووي تجريبي بدأ في الإنتاج الفعلي عام ١٩٦٧ وكان ذلك مقابل حصولها على اليورانيوم.

وكانت جنوب إفريقيا قد عرضت في عام ١٩٦٦ على إسرائيل.. أن تجري تجربة الانفجار النووي في أراضيها إلا أن رئيس الوزراء ليفي أشكول عارض ذلك.. إلى أن تمت التجربة بالفعل عام ١٩٦٧ بناء على ضغوط شديدة من وزارة الدفاع الإسرائيلية.

وأمام تطور هذه الأحداث وجهت مصر والعراق اتهامات علنية لإسرائيل وجنوب إفريقيا بالتعاون في مجال إنتاج القنبلة النووية.. وفي عام ١٩٧٨ أدان سعدون حمادي مندوب العراق الدائم لدى الأمم المتحدة في ذلك الوقت.. ما أسماه باتفاقية التعاون النووى بين هاتين الدولتين .

وفي عام ١٩٧٩ أعدت وكالة مخابرات الدفاع الأمريكية "DIA" دراسة جاء فيها أن علاقة إسرائيل وجنوب إفريقيا في المجال النووي علاقة حقيقية وقائمة وتهدف إلى صنع أسلحة نووية بجهد مشترك بين الدولتين .

ففي سبتمبر ١٩٧٩ اكتشفت أقمار التجسس الأمريكية انفجارًا نوويًا فوق المحيط الهندي على ارتفاع ٢٦ ألف قدم.. وجاء بالتقارير المخابراتية الأمريكية أن الانفجار نتج عن إطلاق قذيفة نووية من مدفع عيار ١٥٥ مم أنتجته شركة . أمريكية واشترته إسرائيل وجنوب إفريقيا.. بعد أن نجحتا في الإفلات من نظم المراقبة الأمريكية والبريطانية. وقدرت مصادر المخابرات أن الانفجار كان تجربة مشتركة بين إسرائيل

وجنوب إفريقيا تتعلق بأحد النظم التكتيكية النووية المتطورة جدًا.. وقد حظرت المخابرات الأمريكية إعلان هذا الأمر حتى لا تثار ردود فعل غاضبة في الدول العربية وإفريقيا.. ومن أجل عدم إحباط مفاوضات التسوية بين مصر وإسرائيل.. لذلك فرضت المخابرات الأمريكية ستارًا من التعتيم الإعلامي.. والتزمت الحكومة الأمريكية الصمت.. نظرًا لاستعدادات الرئيس الأمريكي جيمي كارتر للحملة الانتخابية عام ١٩٨٠ .

وكان من أبرز ثمار التعاون بين الموساد والأجهزة النظيرة في جوهانسبرج، ما أسفرت عنه عملية الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢.. والاستيلاء على كم هائل من الوثائق والمستندات من مقار قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت.. تكشف عمق العلاقة بين الفلسطينيين وحركة المجلس الوطني الإفريقي The African National Congress (ANC) العدو الرئيسي للحكومة العنصرية فى ذلك الوقت في جوهانسبرج.. حيث أرسلت هذه الوثائق إلى مكتب الأمن القومي الجنوب إفريقي (SABSS) .. كرد فعل من إسرائيل للجميل الذي بادرت به جنوب إفريقيا في حرب ١٩٦٧.. حيث تدفقت الأموال والأسلحة.. والجهود التي بذلها ٨٥٠٠ يهودي طاروا من جنوب إفريقيا وقدموا مساعداتهم الفنية والخدمية لدعم أجهزة الجيش الإسرائيلي.

انقلاب نيجيريا

وعقب انتصار العرب في حرب ١٩٧٣ وما صحب ذلك من استخدام سلاح النفط العربي كعامل مساعد لتكريس النصر.. واصلت الدول العربية مساعيها في الساحة الإفريقية.. الأمر الذي أسفر عن قطع حكومات خمسة وعشرين دولة إفريقية لعلاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل.. وكذا تجميد أنشطة أجهزتها ومساعداتها الفنية والعسكرية مقابل حصولها على النفط الرخيص والمعونات العربية.. فيما ظلت نيجيريا- سرًا- محتفظة بعلاقاتها بإسرائيل.. مستعينة بأكثر من ألفي خبير وفني إسرائيلي في مختلف المؤسسات والهيئات.. حتى جاءت حكومة (شاجاري) في

نيجيريا.. ومع تدفق البترول النيجيري بغـزارة والاستقرار الاقتصادي الذي بدأت تشهده البلاد.. عمل (شاجاري) على تقليص التواجد الإسرائيلي.. والتوجه بقوة إلى المشاريع التنموية مستعينًا بخبراء وفنيين وطنيين.

ومع حلول عام ١٩٨٤ قدمت الأوضاع السياسية في نيجيريا فرصة ذهبية لأجهزة المخابرات الإسرائيلية.. حيث أطاح الجنرال (محمد بوهاري) في الأول من يناير بنظام الرئيس (شاجاري) في انقلاب عسكري مفاجئ.. واستولى على السلطة في لاجوس معلنًا أن انقلاب الجيش جاء لإنقاذ البلاد من الفوضى السياسية السائدة.. واتبع هذا الإعلان بسلسلة متلاحقة من الاتهامات لـ: (شاجاري) ورموز حكومته .

وبينما اعتقل شاجاري وبعض وزراءه.. هرب وزراء آخرين كان منهم (عمر ديكو) وزير المواصلات الذي لاحقته اتهامات بالفساد والإثراء واستغلال النفوذ.. وتزويره الانتخابات لصالح صهره (شاجاري).. ليزداد سطوة ونفوذًا في ظل نظام حكم فاسد .

كان عمر ديكو (٥٦ عامًا) في العاصمة لاجوس[1] وقت الانقلاب.. لكنه تمكن من الاختباء والتخفي بعيدًا عن الأنظار داخل أحد الأكواخ بالأحراش.. وبرغم المطاردات الشرسة لاعتقاله استطاع بواسطة أعوانه الهرب إلى خارج البلاد.. وبعد رحلة طويلة شاقة في دول مختلفة.. استقر به المقام في لندن كلاجئ سياسي يحظي بالأمن والاستقرار .

منفى ثروات الشعوب

وبالرغم من أن وضعه في بريطانيا.. كلاجئ سياسي.. يمنعه من مزاولة أي نشاط سياسي.. لم يسكت عمر ديكو وهو يتابع عن بعد المحكمة العسكرية في لاجوس التي يمثل أمامها ٥٠٠ من زملائه بينهم شاجاري ورفاقه.. وهي تطالب برأسه بعد

---

(١) بعد سنوات قليلة من الانقلاب ، أصبحت مدينة Abuja عاصمة للبلاد. وبقيت لاجوس على خليج غانا أهم الموانئ وعاصمة التجارة .

تقديمه للمحاكمة ومحاسبته على الجرائم الاقتصادية التي ارتكبها في حق بلاده.. واستعادة مئات الملايين من الدولارات التي هرَّبها إلى إنجلترا .

وأيًا كانت الحقيقة في ادعاءات المحكمة العسكرية.. فإن النظام الجديد في نيجيريا سعى بكافة الصور لتقديم ديكو إلى المحاكمة.. وأدرجه ضمن قائمة المطلوبين في جرائم سياسية واقتصادية..

خرج صوت عمر ديكو من لندن منددًا بادعاءات المحكمة العسكرية فى بلاده، ومتهمًا الحكومة الجديدة بأنها تضلل الشعب النيجيري.. وأنها حكومة غير دستورية فرضت إرادتها وسلطتها بقوة السلاح والغدر.. وتسببت في مقتل عسكريين ومدنيين بغير حق .

لم يكتف عمر ديكو بما يفعله أمثاله في مثل تلك الظروف بالاستمتاع بالملايين التي هرب بها.. إنما نصَّب من نفسه سياسيًا يحارب في بريطانيا من أجل استعادة نظام الحكم السابق في بلاده.. معتمدًا على أن نيجيريا التي حصلت عام ١٩٦٠ على استقلالها من بريطانيا لم تخرج من عضوية (الكومنولث) البريطاني بعد.. إذ كان يعتبر بريطانيا– هو وأمثاله– الوطن الثاني لهم.. ففيها تلدهم أمهاتهم ويتلقون علومهم وثقافاتهم ليعودوا لبلادهم جاهزين للحكم.. وحين ينقلب عليهم غيرهم يعودون ثانية إليها كمنفى لهم.. بعد أن كانت منفى لأموالهم التي اكتنزوها أيام الحكم..

لذلك فإن بريطانيا كانت تقوم على حمايتهم ولا تسلم أحدًا منهم تحت أي ظروف.. حتى ولو قامت حكوماتهم بطلبهم بالطرق الرسمية أو القانونية المعمول بها.. بحجة المحافظة على التقاليد البريطانية العريقة.. إلى جانب الحصانة المعترف بها دوليًا للاجئين السياسيين .

استغل عمر ديكو هذا المناخ لصالحه في بريطانيا.. وتزعم حركة المعارضين للنظام الجديد في نيجيريا.. وبدأ اتصالات مكثفة لتأليب المعارضة في الداخل والخارج.. وسافر إلى المملكة العربية السعودية اعتمادًا على علاقته برئيس المخابرات هناك

لطلب المساعدة للإطاحة بحكم (بوهاري) في نيجيريا.. لكنـه غـادر السعودية خائبًا حانقًا..

مطلوب محاكمته

وفي مارس ١٩٨٤ كان عمر ديكو يترأس اجتماعًا في نيويورك يضم معارضين نيجيريين.. حيث تم رصد ٣٠٠ مليون دولار للخلاص من الحكومة النيجيرية التي اعترف العالم بها وتمارس سلطاتها الشرعية.. هذه الأموال خُصِّصَت لتنظيم جيش من المرتزقة من البلاد الإفريقية المجاورة ، يكون مستعدًا للتحرك في الوقت المناسب للاستيلاء على لاجوس ، وتنصيب (شاجارى) – الذي كان مسجونًا – رئيسًا للبلاد مرة أخرى.. وزيادة فى الثقة والاستفزاز ، صرح عمر ديكو لوسائل الإعلام.. أنه سوف يستعمل شتى الطرق.. للإطاحة بحكومة (بوهاري).. بما فيها العنف.. إذا لزم الأمر .

وردًا على كل ذلك.. أعلن (إبراهيم جمباري) وزير خارجية نيجيريا الجديد.. أثناء زيارته إلى لندن.. بأن المعارضين النيجيريين في المنفى– وعلى رأسهم عمر ديكو– يخططون في بريطانيا وأمريكا للقيام بعمليات إرهابية في بلاده.. مستعينين بملايين الدولارات التي نهبوها من أموال الشعب وهربوها إلى الخارج .

أثار تصريح (جمباري) الرأي العام في نيجيريا.. وارتفعت الأصوات تطالب بإعادة هؤلاء (اللصوص) الهاربين مع الأموال التي سرقوها لمحاكمتهم.. وبات الرأي الرسمي متفقًا مع صوت الشعب.. ومتطابقًا .

من هنا وضع (عمر ديكو) على رأس المطلوبين للمحاكمة فى لاجوس .. وفي إحدى خطبه الرسمية أعلن الرئيس (بوهاري) أنه لن يترك (ديكو) يفلت بأموال الشعب التى نهبها بغير حق ، مهما طال الوقت.

فلسفة اللصوص

وفي المحاكمة العسكرية غير العلنية في لاجوس.. اتهم الرئيس المخلوع (شاجاري) الذي نجح عن الحزب الوطني في انتخابات ١٩٧٩ ، بأنه قاد عملية استخراج مركزة للنفط النيجيري .. وقام بتبذير الأموال العامة بفساد فاق معدلات دول العالم الثالث الأخرى.. وفتح المجال أمام المحسوبية والرشاوى لكبار المسئولين.. مستوليًا هو و(عصابته) على ثروات البلاد دون وازع من ضمير.

ووجهت المحكمة الاتهامات المباشرة أيضًا لعمر ديكو ، حيث قالت إنه كان مسئولاً جشعًا وفاسدًا منذ أن كان مديرًا لبرنامج استيراد كبير للمواد الغذائية كلف الدولة ٧٥٠ مليون دولار عام ١٩٨٣ .. وقبض عمولات ضخمة عن هذه الصفقات لأنه سلمها لتجار بعينهم من قبله ، لتصل هذه المواد للشعب بعد عدة عمليات سمسرة.. كذلك قام متعمدًا بإخفاء وتخزين مواد غذائية رغم تذمر الشعب لرفع عملية المضاربات في الأسعار ، إلى جانب اختلاس ملايين الدولارات من أرباح مبيعات البترول من خزانة الدولة ، حتى بلغت حصيلة الأموال التي نهبها وهربها إلى خارج نيجيريا حوالي مليار دولار .

وحين سئل (عمر ديكو) عن هذه الأموال في أحد اللقاءات الصحفية بلندن.. أجاب بأن ثروته تقل كثيرا عن نصف المليار من الدولارات، وبأنها (أرباح الرجل السياسي التي تعود في النهاية إلى الشعب.. لأنه ينفقها مرة أخرى على الشعب لكسب الأصوات في الانتخابات..)..!!

كانت هذه الفلسفة الفريدة لعمر ديكو مثار سخرية وتهكم في الشارع البريطاني والنيجيري.. مما عجل بقرار توصلت إليه حكومة (بوهاري) بسرعة معاقبة هؤلاء الفارين بثروات نيجيريا إلى لخارج.. وتشكلت بناءً على ذلك فرقًا خاصة من رجال المخابرات وزعت على السفارات.. مهمتها تصفية أنصار الرئيس السابق (شاجاري) في المنفى.. على أن يكون (عمر ديكو) على رأس القائمة .

جاء هذا القرار بعد أن رأى (بوهاري) صعوبة موافقة الحكومة البريطانية بشأن تسليم (ديكو) رغم قوة العلاقات معها.. فقد كان يعرف سلفًا أن لندن سترفض طلبه بحجة أن (المطلوب) لاجئ سياسي أولاً.. ولأن المحاكمات في لاجوس لا تتم في العلن ثانيًا .

في الماء العكر

أيضًا كان (بوهاري) يدرك – وهو الذي درس العسكرية في بريطانيا والهند– أن بريطانيا لا تُقوّي علاقات على حساب علاقات أخرى.. وأنه في حالة نجاح عملية تصفية (عمر ديكو).. لن تتأثر العلاقات مع لندن كثيرًا.. ذلك لأن بريطانيا ستحرص في النهاية على استمرار العلاقات الطبيعية بين البلدين.. نظرًا لعظم صادرات بريطانيا لنيجيريا.. وضخامة حجم استثماراتها في قطاع النفط النيجيري الذي قد تؤممه الحكومة النيجيرية في حال غضبها من أي تصرف.. مما يؤدي إلى قصم ظهر الاقتصاد البريطاني .

في تلك الأثناء استغلت إسرائيل الأوضاع الجديدة في نيجيريا وعرضت مساعدتها الأمنية والعسكرية على حكومة (بوهاري).. وبالفعل زارت عدة وفود من الضباط النيجيريين إسرائيل للتعاقد على شراء بعض الأسلحة ، منها مسدسات ورشاشات وقنابل دخان ، وأخرى مسيلة للدموع وهراوات خاصة بفض المظاهرات.. وقام وفد إسرائيلي بزيارة نيجيريا بعد ذلك يضم خبراء في الاقتصاد والأمن.. وكانت إسرائيل تهدف من وراء زيارة وفدها تحقيق عدة مصالح منها تقوية الروابط مع النظام الجديد في نيجيريا.. ومد جسور العلاقات المختلفة معه.. إضافة إلى خلق رأي عام أفريقي يدفع حكومات أفريقية أخرى إلى تمتين أواصر العلاقات بإسرائيل.. التي بدت في صورة المهتم بشئون أفريقيا ومشكلاتها التنموية والاقتصادية والسياسية .

تعديل الخطة

وخلال هذه الزيارة إلى لاجوس ، اجتمع كبار رجال جهاز الاستخبارات النيجيري بالوفد الأمني الإسرائيلي[1]، وعرضت بعض المقترحات والتصورات الأمنية، كان من بينها أن تقوم المخابرات الإسرائيلية بخطف (عمر ديكو) من لندن إلى لاجوس بدلاً من تصفيته.. ففي خطفه تكمن عدة أهداف تمثل في جملتها مكسبًا لحكومة (بوهاري) ، وإنذار صريح المضمون كرسالة مقروءة للمناوئين والمعارضين في الخارج والداخل .

كانت الفكرة الإسرائيلية المطروحة غريبة بعض الشيء على عقول رجال المخابرات في نيجيريا.. وقد استحسنوها أخيرًا بعدما أفاض أحد رجال الموساد في خبرتهم الطويلة في التعامل مع الفلسطينيين (الإرهابيين) الذين يهددون أمن دولتهم.. وسابقة الخبرة لديهم في اختطاف النازى السابق (إدولف آيتشمان) من الأرجنتين عام ١٩٦٠ إلى إسرائيل لمحاكمته. وفي الحال تم الاتصال بضابط المخابرات النيجيري في لندن.. محمد جوسوفو (يوسفو).. وإبلاغه بأنه تم تعديل خطة (التصفية) للوزير الهارب ، إلى (خطف).

تعجب (جوسوفو) الذي كان قد أوشك على تصفية (ديكو) بالفعل .. حيث تخفى في شخصية مخرج تليفزيوني.. وقضى أيامًا طويلة في تعقب تحركات الهدف ومراقبة بيته ومنافذه، ورسم خطط الاغتيال والهرب، كما قام مع فريقه النيجيرى (الفني) بالتصوير في شوارع لندن .. مستخدمًا الكاميرا في تصوير الأماكن التي

---

(١) جاء بكتاب انحطاط الموساد الصادر فى أبريل ٢٠٠٠، للصحفي الإيرلندي جوردون توماس، أن رئيس الموساد ناحوم أدمونى (١٩٨٢ - ١٩٩٠) سافر بنفسه إلى لاجوس بجواز سفره الكندى، واستقبله الرئيس بوهاري في وقت متأخر من الليل، واستمع منه إلى عرض باختطاف عمر ديكو إلى نيجيريا لاسترداد الملايين التي استولى عليها، مقابل عدم قطع إمدادات النفط عن إسرائيل. ويصور الكاتب المنحاز للموساد، عبقرية رجال الموساد (حراس الهيكل) في التخطيط والعمل لمدة سبعة أشهر، في دول أوربا، للعثور على مقر إقامة عمر ديكو. ويلاحظ قارئ الكتاب مدى استخفاف المؤلف بعقول القراء ، ص ٢٨٣ من الكتاب، وكأن عشرات الآلاف من العملاء طاروا إلى أوربا، يجوبون فنادقها وشققها المفروشة ومطاعمها ومحلات الأحذية والملابس، بحثًا عن ديكو..!!!

يرتادها (ديكو) والشوارع القريبة من محل سكنه.. تخفي حقائب فريقه أسلحة القتل الكاتمة للصوت ، انتظارًا لتلك اللحظة المباغتة التي ينقض فيها على الوزير الهارب.

الاختطاف

كان (عمر ديكو) يقطن بوسط لندن.. حيث يقيم بفيلا مسورة تقع في شارع بورشستر Porchester St المحصور بين شارعي .Payswater St و .Edgware St ويطل على حديقة هايد بارك Hyde Park أروع وأشهر حدائق العالم ، كما يبعد منزله عن جامعة أوكسفورد الشهيرة بضع أمتار قليلة.. ولأن البيت لا يحرسه رجال أمن ولا يوجد به جراج لسيارته.. فكان ديكو يترك سيارته في موقف خاص مجاور للبيت ومخصص للسيارات الدبلوماسية.. فسفير دولة بيرو كان يقطن إلى جواره.. وأغلب سكان الشارع الصغير الهادئ سفراء في العاصمة البريطانية لندن..

وبرغم المسافة المحدودة جدًا بين البيت وموقف السيارات، والتي لا تزيد عن ستين مترًا.. كانت سكرتيرة ديكو الإنجليزية.. إليزابيث هيز.. تشيعه دائمًا بنظراتها من خلف زجاج نافذة مكتبه حتى يصل إلى سيارته وينطلق بها.. هكذا تحلت (هيز) بحس أمني زائد.. فقد كانت تعرف أن (ديكو) وزير نيجيري سابق تطارده مخابرات بلاده.. وفشلت مرارًا في إقناعه بأن يستعين بحارس خاص وسائق.. لكنه كان يبتسم لها دائمًا ويقول:

- (وما جدوى ذلك وشرطة بريطانيا تحرس الشارع بأكمله..؟) .

فكانت تتبرم من إجابته.. وتضطر لأن تضحك أمام ضحكاته الرنانة لاقتراحاتها.

لكنها لم تضحك أبدًا يوم الأربعاء الرابع من يوليو ١٩٨٤.. بل علا صراخها في هلع وهي خلف زجاج النافذة في تمام الساعة الثانية عشرة ونصف ظهرًا.. عندما رأت الوزير (ديكو) في مشهد لم ولن تنساه أبدًا..

كان (عمر ديكو) على موعد في تمـام السـاعة الواحـدة في (هـاي هلبـورن) لتنـاول الغداء مع أحد أصدقائه.. وكان من المفترض أن تركب معه سكرتيرته لأقرب محطـة باص لعطل مفاجئ أصاب سيارتها.. ولأنها لم تنه كتابة بعـض رسـائله علـى الآلـة الكاتبة لم تخرج معه.. وكان عدم خروجها معه في ذلك اليوم سببًا في كشـف عمليـة الاختطاف..

غادر (ديكو) البيت ومشى على الرصيف محاذيًا السور بشكل طبيعي متجـهًا إلى سيارته.

لمحته (إليزابيث) يبحث عن المفتاح في جيبه عندما اقـترب منـه شـخصان كانـا يقفان إلى جوار ميكروباص أصفـر يجلـس شـخص ثـالث علـى مقـوده. تحـدث معـه الشخصان ودققـت (إلـيزابيث) النظـر في قلـق عندمـا رأت الوزيـر يرجـع خطـوة إلى الخلف بينما يعالجه أحدهما بلكمة فجائية قوية تبعتها لكمة أخرى أقوى.. فيصرخ (ديكو) مترنحًا وقد ألجمته المفاجأة الصاعقـة. وأفقدتـه اللكمـة القـدرة علـى التفكـير والتصرف. لكنه يتمالك أخيرًا ويسترد توازنه ويحاول الفرار باتجـاه المـنزل.. تصـرخ سـكرتيرته مـن خلـف الزجـاج بـآخر صوتـها.. يـهجم عليـه الغريبـان مـن الخلـف ويمسكان بـه بقـوة.. الوزيـر يقـاوم باسـتماتة.. بنيانـه القـوي يمنحـه فرصـة ثمينـة للانقضاض عليهما.. إلا أنهما على ما يبدو كانا أكثر قوة ومرونة ودراية بالمصارعـة.. إذ ضغط أحدهما بيد من فولاذ على رقبته بينما ثنى ذراعه بقوة خلف ظهره،وعندمـا ارتخت أعصاب الوزير وقد كاد تنفسه أن يتوقف خنقًا.. يسحبانه متهالكًا مـأخوذاً في ثوان إلى داخل السيارة ، التي صرخت عجلاتها وهي تنطلق مسرعة .

أنقـذته سـكرتـيرتـه

خاب ظن (ديكو) في شرطة لندن التي اعتقد أنـها تمـلأ المكـان الهـام جـدًا وسـط العاصمة.. وأذهلته تمامًا المفاجأة الخاطفة فتوقـف عقلـه عـن التفكـير.. وأسـلم أمـره للمجهول الذي لا يعرف ماذا يخبئ له.

هرولت السكرتيرة إلى التليفون مستغيثة بشرطة النجدة.. كانت لا تعرف رقم السيارة التي خطفت المسئول السابق أو ماركتها.. مجرد بيانات قليلة قذفتها في سماعة الهاتف وهي تبكي بحرقة.. بعدما فزعت شرطة لندن وتحولت إلى خلية نحل.

وصل البلاغ إلى الكوماندور (وليام هاكلسبي) قائد فرقة مكافحة الإرهاب في شرطة سكوتلانديارد.. أسرع إلى منزل (عمر ديكو) بعد دقائق معدودة.. كانت السكرتيرة ما تزال تبكي في هستيريا.. مشت معه إلى موقع الحادث وشرحت له كل ما رأته على الطبيعة.. وكانت آثار العجلات الصارخة المنطلقة ما تزال ظاهرة للعيان على الأسفلت.

أدرك (هاكلسبي) بخبرته أن الحادث جريمة اختطاف للوزير اللاجئ، ومع صدور الأوامر لشتى المنافذ والمطارات على الأراضي البريطانية.. جدت الشرطة في البحث عن المختطفين ورهينتهم في أرجاء لندن ومحيطها، دون جدوى.

كانت الشكوك الأمنية قد توقفت عند رغبة الجناة في اختطاف (ديكو) لا تصفيته.. فقد كان بإمكان مختطفيه إسكاته إلى الأبد في الشارع، أو وهو بين أيديهم أو في سيارته. معنى ذلك أنه من المستحيل أن تكون عملية الاختطاف من أجل الاستجواب فى مكان ما على الأراضي البريطانية.. إنما سيتم ذلك في نيجيريا. لكن نظرًا لضعف الإمكانات الاستخباراتية النيجيرية.. وعدم قدرتها على القيام بمثل هذه العمليات، بدا الحادث يحتاج إلى معجزة من السماء لفك طلاسمه.

جاء هذا فى الوقت الذى أفادت فيه التحريات السريعة أن هناك طائرة تجارية نيجيرية ، طراز 707 ، تنتظر منذ اليوم السابق على أرض مطار ستانستد Stansted ، وهو مطار تجاري يقع على مسافة مائة وخمسون ميلاً شمالي لندن.. كان من المنتظر أن تحمل الطائرة شحنة من معدات المطبخ بزنة ٤,٥ طن وتعاود الإقلاع صباح الأربعاء ٤ يوليو (يوم الاختطاف).. لكنها تلقت أوامر من السفارة النيجيرية فى لندن بالانتظار ليتم شحن (حقيبة دبلوماسية) عليها إلى نيجيريا. وتم

إبلاغ سلطات المطار بذلك، وحصلت الطائرة على موافقة أمنية بتأجيل موعد إقلاعها عدة ساعات أخرى .

الرسالة الدبلوماسية

وبالبحث في خط سير الطائرة تبين أنها ستطير بالحمولة مباشرة إلى لاجوس.. فساورت الشرطة البريطانية الشكوك حيث إن الطائرة حمولة ٤٠ طنًا.. إذ لم يكن من المعقول والمنطقي أن تكتفي طائرة تجارية لدولة مثل نيجيريا بمثل هذه الحمولة الصغيرة ، التي كانت قد شحنت أصلاً بجوفها منذ الصباح لتطير بها مباشرة إلى نيجيريا، دون الهبوط بأي مطار آخر لتحميل بضائع جديدة. ففي الظروف العادية، لا يحدث هذا بالأصل مع طائرات النقل للدول الغنية التي تستثمر الرحلة الواحدة في أكثر من عملية نقل تجارية، فما الحال والطائرة تابعة لدولة أفريقية فقيرة وتعاني تصدعات اقتصادية؟ من هنا بالذات.. تضخمت احتمالات خطف الوزير النيجيري إلى لاجوس.. بسبب الشكوك في أمر هذه الطائرة اللغز .

وبناء على هذا التحليل المنطقي، وضعت الطائرة الرابضة على الممر تحت المراقبة السرية.. ولم يطل انتظار رجال الشرطة كثيرًا.. ففي الساعة الخامسة ونصف مساء وصلت سيارة نقل تحمل صندوقين كبيرين من الخشب.. برفقة دبلوماسي نيجيري أبرز للسلطات أوراق (حقيبة دبلوماسية نيجيرية) مرسلة من السفارة في لندن إلى وزارة الخارجية في لاجوس.

وبعيني فاحصة ارتاب (تشارلز مورو) مفتش شرطة الجمارك بالمطار في الصندوقين.. حيث لاحظ عدم وجود البطاقات الملصقة على الصندوقين (الإستيكر).. كما التقطت أذناه أثناء فحصهما حركة أصوات غريبة تنبعث من أحدهما.. برغم صوت محركات الطائرة التي تعمد الطيار تشغيلها قبل الإذن له بذلك استعدادًا للإقلاع. هذا إلى جانب كبر حجم الصندوقين بشكل مثير.. وهو ما لا يحدث عادة إلا لسفارات الدول الكبرى فقط. أما سفارات الدول الصغيرة الفقيرة، فحقائبها

الدبلوماسية كان من المألوف ألا تصل مطلقًا لهذا الحد من الضخامة.. أو حتى إلى نصفها. وكانت هذه الملاحظة لمفتش شرطة الجمارك.. تنم عن ذكاء حاد وتحليل سريع نتيجة الخبرة الطويلة .

إلى نهاية الذراع

بأدب شديد اقترب المفتش (مورو) من الدبلوماسي وسأله :

– أمتأكد سيدي أن هذين الصندوقين حقيبة دبلوماسية.؟

وبثقة زائدة أجاب الدبلوماسي :

– وهل هناك شك في ذلك.؟ إن أوراقهما المختومة بخاتم سفارة نيجيريا في لندن بين يديك.

سأله المفتش ثانية :

– أتسمح لي سيدي أن أطلع على جواز سفرك الدبلوماسي.؟

ارتبك النيجيري وتلعثم لسانه وهو يردد :

– أرجو أن تقدر موقفي سيدي المفتش.. لقد جئت بالحقيبة الدبلوماسية على عجل مما أوقعني في مأزق الآن..

مستفسرًا قال (مورو) وهو يقطب جبينه:

– أي مأزق تقصد.؟

كان العرق قد تفصد على جبين الدبلوماسي النيجيري وهو يجيب:

– لقد نسيت أوراقي الشخصية بمكتبي..

وأردف وهو يحاول أن يبدو متماسكًا :

– بإمكانك سيدي أن تتأكد من حقيقة شخصيتي بالاتصال بالسفارة النيجيرية الآن..

على عجل رد (مورو) وبلهجته تصميم على تنفيذ شيء ما[1]:

– سيتضح كل شيء الآن ..

وهو يربت على كتفه :

– لا تقلق ..

وملتفتًا إلى رجاله مصدرًا أمره :

– عَلِّقوا هذين الصندوقين في (الونش) وارفعوهما إلى أعلى.. إلى نهاية الذراع.

بهت الدبلوماسي الأفريقي وازداد اضطرابه الذى كان يخفيه باحتجاجه الغاضب وتذرعه بالحصانة الدبلوماسية ، في الوقت الذي صدرت فيه الأوامر للطيار بإيقاف محركات الطائرة ، كما فوجئ النيجيري المذعور بالمفتش يسأله من جديد :

– هل لي أن أعرف اسمك سيدي .؟

أجابه الدبلوماسي :

– محمد جوسوفو .. (!!)

تَبَرَّزَ هَلَعًا

علقت (الحقيبة الدبلوماسية) بالخطاطيف في الهواء.. وأمر المفتش بالتحرك بها بعيدًا عن الطائرة تجنبًا لاحتمالات عديدة راودته.. وما هي إلا فترة وجيزة ووصلت إلى المطار قوة كبيرة من شرطة سكوتلانديارد لفحص الصندوقين.

كان ضابط المخابرات النيجيري محمد جوسوفو يرتجف والأوناش تهبط بالصندوقين إلى الأرض ومرددًا :

---

(١) يقول مفتش الجمارك تشارلز : (تشككت في حجم الصندوقين.. وشعرت كأنني أزور حجرة العمليات بأحد المستشفيات، فرائحة (البنج) كانت تفوح من أحدهما، وهو ذات الصندوق الذي سمعت صوتًا يصدر عنه برغم ضجيج محركات الطائرة. فقلت لنفسي: ليحدث ما يحدث.. إن الحصانة الدبلوماسية لن تمنعني عن معرفة ما بداخله.) .

– هذا لا يصح أبدا.. إنها رسالة دبلوماسية يا سادة.. أرجوكم ألا تفعلوا هذا.. إنكم تعرضون علاقات نيجيريا ببلدكم لحرج بالغ.

وفور أن حطم البوليس الصندوق الأول حتى علت الوجوه علامات الذهول.. إذ كان بأحد أركانه الوزير النيجيري (عمر ديكو) مكبل اليدين والقدمين بشريط جلدي سميك وفاقد الوعي تمامًا.. وكان يتنفس بصعوبة من خلال أنبوب بلاستيكي حشر في القصبة الهوائية.. وبذراعه اليمنى أنبوب آخر ينتهي بزجاجة محاليل طبية ربطت باتقان بجدار الصندوق.. كان أيضًا يسبح في بركة من القيء.. ويقبع أمامه مباشرة رجل مسلح غير فاقد الوعي.. بحوزته حقنة معبأة بمادة مخدرة تكفي رحلة الساعات الطويلة بالوزير المختطف حتى يصل مخدرًا إلى نيجيريا.

أما الصندوق الآخر الذي كان ضمن طرد (الحقيبة الدبلوماسية) العجيبة، فكان بداخله شخصان آخران في حالة وعي كامل.. ينزف منهما العرق وترتجف أطرافهما من فرط التوتر والاضطراب .. وتنبعث من أحدهما رائحة كريهة جدًا أزكمت أنوف رجال الأمن.. وتبين عند سحبه من الصندوق أنه قد تَبَرَّز على نفسه من شدة الخوف والهلع[1] .

ألقى القبض في الحال على الدبلوماسي النيجيري الذى لا يحمل أوراقا ثبوتية (محمد جوسوفو) والمختطفين والثلاثة، ونقل (ديكو) فورا إلى المستشفى بين الحياة والموت.. واستمر إيقاع المفاجآت.

اعترف الدبلوماسي على الفور بأنه ضابط في جهاز الاستخبارات النيجيرية.. وجاء إلى بريطانيا بوثيقة دبلوماسية لتنفيذ عملية خطف (عمر ديكو) ، متسترًا وراء شخصية مخرج تليفزيوني تحسبًا لأية أخطاء قد تعوق مهمته.

اعترف أيضًا بأن أصدقائه الثلاثة إسرائيليون يتبعون جهاز الموساد الإسرائيلي.. وأنهم (تطوعوا) لمساعدته لإتمام عملية الخطف ، لسابق خبرتهم– في إسرائيل– في

---

(١) لاحظوا معي صفات رجال الموساد الحقيقية بلا أي زيف..!!

مثل هذه العمليات السرية.. وأنه مكث عدة شهور في لندن للتخطيط لاغتيال الوزير (المطلوب) إلى أن عُدّلت الخطة إلى (اختطاف). وأنه لذلك أعد الصندوقين الخشبيين، بمساعدة أصدقائه، داخل شعبة الخدمات بالسفارة النيجيرية بلندن، التي تقع بالقرب من منزل (عمر ديكو) في شارع بيزووتر Bayswater Rd .. وتكلفا ٥٥٠ جنيهًا إسترلينيًا صرفها من السفارة.

أما حراس الهيكل الثلاثة فقد أقروا بجنسيتهم الإسرائيلية.. وتبين أنهم:

ألكسندر باراك Alexander Barak – قائد المجموعة – ٣٨ عامًا . (وهو الذى كان قد تبرز على نفسه حال اعتقاله.) .

د. ليف أرى شابيرو Dr. Lev Arie Shapiro – طبيب تخدير– ٣٤ عامًا.

فليكس أبيثول Felix Abithol – ضابط بالموساد – ٣١ عامًا .

فضيحة على الملأ

وأمام محكمة الجنايات المركزية في لندن (الأولد بيلى) في فبراير عام ١٩٨٥، اعترف المتهمون الأربعة بالاتهامات التي وجهت إليهم.. وفسر (باراك) رئيس المجموعة الإسرائيلية إقدامهم على ارتكاب عملية الاختطاف للوزير النيجيري.. ضمن اتفاق مع مجموعة من رجال الأعمال النيجيريين.. الذين أمدوهم بالمال اللازم لإحضار (ديكو) إلى لاجوس.. لمواجهة الاتهامات الموجهة إليه بالفساد والرشوة وسرقة ملايين الدولارات أثناء توليه وزارة المواصلات في السابق.. وأنه رأى في تنفيذ العملية خدمة وطنية لبلده – إسرائيل – حيث ستتعمق علاقاتها التجارية مع نيجيريا بسبب هذه العملية التطوعية.

إلا أن ممثل الاتهام (جورج كورمان) كشف عن تورط الموساد في العملية برمتها، منذ التخطيط لها في (لاجوس)، إلى مراحل التنفيذ في (لندن).. انتهاءً بالإخفاق على أرض مطار (ستانستد). كما كشف عن الدور الذي قام به ضابط المخابرات الإسرائيلي (ألكسندر باراك) في إدارة العملية الفاشلة هو وزميليه بموافقة مباشرة من رؤسائه في

الموساد ، وأنهم تلقوا مبالغ مالية (تحت حساب) من ضابط المخابرات النيجيري (محمد جوسوفو).

وأشار (كورمان) أن الدكتور (شابيرو) رجل وطني بحق ومتحمس لمصالح وطنه — إسرائيل – حيث اعترف أمام المحكمة بأنه اختار العمل مع صديقه القديم (فيليكس) الذي يصفه بأنه صديق موثوق به.

كانت السلطات البريطانية قد تحفظت على الطائرة النيجيرية واعتقلت طاقمها المكون من ١٣ شخصًا.. مما أثار الغضب في نيجيريا لفشل العملية برمتها.. لذلك قامت حكومة لاجوس بالإيعاز إلى السلاح الجوي باعتراض طائرة شحن بريطانية تابعة لشركة (بريتش كاليدونيا) وإنزالها إلى إحدى القواعد الجوية واحتجازها، بدعوى أنها انحرفت عن مسارها المحدد، وحلقت على مقربة من منطقة عسكرية محظورة، دون الالتفات إلى أوامر برج المراقبة بتصحيح زاوية المسار .

تُضمُّ إلى الملف

أما في إسرائيل.. فقد أعلن رسميًا في تل أبيب أن هؤلاء الثلاثة الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية، لا ينتمون إلى أحد أجهزة مخابراتها.. ولا صفة شرعية وراء ما قاموا به من عمل إرهابي في بريطانيا، بدافع مساعدة صديقهم النيجيري وبشكل تطوعي، أبعد ما يكون عن التكليف الرسمي. وتبعا لذلك فلا علاقة لجهاز الموساد بعملية الاختطاف .

وعندما تفاقمت الأمور بين لندن ولاجوس.. ولحسابات المصالح.. أعلنت بريطانيا أنها لم تعلن رسميا أن الصناديق (حقائب دبلوماسية) وأن لندن – فى تراجع حاد عن موقفها الرسمي المعلن – لا ترى دلائل لمشاركة حكومة لاجوس في عملية اختطاف (عمر ديكو) ، ومن جانبها أكدت لاجوس مجددًا أن لا علاقة لها بعملية الاختطاف.. وصرح سفيرها في لندن – الجنرال حنانيه – في مؤتمر صحفي مع (السير جيفري هاو) وزير الخارجية البريطاني.. أن بلاده لا علاقة لها من قريب أو

بعيد بهذه العملية اللا أخلاقية، وأن نيجيريا تدين الإرهاب بشتى صوره. وعندما سأله صحفي عن مبرراته للحادث.. أجاب بأن الأمر مجرد تخطيط فردى بحت، نتيجة صداقة بين محمد جوسوفو القوية بالإسرائيليين الثلاثة الذين تطوعوا لعمل يرونه طيبًا لبلادنا.

وإثر هذه التصريحات الرسمية في البلدين.. (أثبتت) نيجيريا حسن النوايا وأطلقت الطائرة البريطانية.. فأطلقت بريطانيا أيضًا طائرة النقل النيجيرية بطاقمها كاملاً إلى لاجوس.. لكن وقائع المحاكمة فضحت الحقيقة.. ولأسباب سياسية وأمنية لم يشأ المدعي العام البريطاني (روى أملوث)، التوغل كثيرًا في ممارسات (الموساد) على الأراضي البريطانية.. تاركًا مهمة إصدار الحكم لقاضي المحكمة (ماك كوان).. الذي أبلغ المحلفين صراحة : (إن إصبع التورط يتجه بصورة مؤكدة إلى المخابرات الإسرائيلية في عملية الاختطاف) ، وذلك قبل إصداره الحكم بسجن ضباط الموساد الثلاثة: (إلكسندر باراك) أربعة عشر عامًا.. والدكتور (شابيرو) وزميله (أبيثول) عشرة أعوام لكل منهما.

أما ضابط المخابرات النيجيري (محمد جوسوفو) فقد حكم عليه بالسجن اثنى عشر عامًا بعد تجريده من حصانته الدبلوماسية .

الرئيس (بوهاري) في نيجيريا لم تعجبه أحكام المحكمة البريطانية.. وصرَّح بأنه لن يترك (عمر ديكو) يعيش آمنًا في لندن أو في مغارة فوق القمر.. فيما استنكرت حكومة إسرائيل تصريحات قاضي المحكمة.. متمسكة بما سبق وأن أعلنته من أن هؤلاء الثلاثة لا صلة لهم بأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية أو بوزارة الدفاع.. وأنهم مجرد متطوعون أرادوا تأدية (خدمة) لوطنهم. هكذا لدرأ الفضيحة..(!!)

أما (عمر ديكو) فقد صمَّم على ألا يبدل مسكنه في لندن.. وبرغم صمته حيال التهديدات النيجيرية بملاحقته.. وامتناعه عن الإدلاء بأية أحاديث صحفية يظهر فيها معارضته لحكومة بلاده.. فقد حول حديقة البيت إلى ثكنة عسكرية من عشرات

الحراس المسلحين.. ينفق عليهم بسخاء من عائد الملايين التي (هبشها) بغير حـق ، من قوت شعبه وثروة بلاده.

إلا أن عملية الاختطاف الفاشلة هذه، شكلت واحدة من أبـرز عمليـات الخطـف الإرهابية، التى يضمها ملف فضائح الموساد، ولولا التدخل الأمريكي لدى بريطانيا، للتغطية على اشتراك الموساد في العملية، لحدثت أزمة دبلوماسية حادة بين بريطانيا وإسرائيل، لكن التدخل الأمريكي والضغوط التي مورست، لم يحـولا دون فضـح دور المخابرات الإسرائيلية في ممارسة الإرهاب الدولي على أوسع نطاق.. حتى وإن جاءت بيانات الإنكار والاستنكار لنفي ذلك.. فقد بقيت حادثة اختطاف الوزيـر النيجـيري الفاشلة، نقطـة سـوداء في سـجل عمليـات الموسـاد الخرقـاء وإحـدى أهـم إخفاقـات (حراس الهيكل) بلا منازع..!





خطف إدولف آيتشمان من الأرجنتين..!!

(أيها الكلاب.. إن ما يؤلمني حقاً هو أنـني ساعدتكم على النجاة من أفران هتلر.. لقد كنت أكثر إنسانية معكم.. بينما أنتم أكثر خبثًا وقذارة.

إن أرض فلسطين ليست إرثكم ولا أرضكم.. فما أنتم إلا عصابة من الإرهابيين والقتلة ومصاصي دماء الشعوب.. وما كان لكم إلا الحرق في أفران هتلر.. لكن سيأتيكم ذات يوم هتلر عربي يجتث وجودكم اجتثاثًا.. ويحرق عقولكم وأبدانكم.. أيها الكلاب..!!)

(إدولف آيتشمان)

مشكلة نفسية

كانت عملية اختطاف النازي السابق (إدولف آيتشمان) [1] من الأرجنتين إلى إسرائيل.. إحدى أهم وأشهر عمليات الاستخبارات الإسرائيلية الناجحة.. التي طيرت شهرتها عالميًا إلى الآفاق.. وأضفت عليها هالات من الحرفية النادرة التي قلما اصطبغ بها جهاز استخبارات دولي آخر .

هذه العملية اتخذت منها الموساد فيما بعد قياسًا لعمليات أخرى كانت وبالاً على إسرائيل وأجهزة استخباراتها.. كعملية اختطاف الوزير النيجيري (عمر ديكو) من لندن التي فشلت فشلاً ذريعًا، وتسببت في أزمة دبلوماسية حادة بين لندن وتل أبيب.. إذ تصورت الموساد أن نجاح عملية اختطاف آيتشمان سيكون مدعاة لنجاحات أخرى ، باحتساب عوامل الخبرة والتخطيط الجيد والتنفيذ.. وكلها أمور تتباين في كل عملية وتختلف بالتالي ظروفها الخاصة ونسبة النجاح والإخفاق.

بيد أن عملية آيتشمان برغم إخفاقات عديدة بعد ذلك.. باتت تشكل منظومة عملياتية جريئة ناجحة.. غطت على أي فشل أصيبت به الموساد في عمليات لاحقة.. ورفعت من أسهم المخابرات الإسرائيلية إلى قدر لم تحلم به من قبل .. فقد كانت أكثر النواحي الفنية في عملية الاختطاف ليس التوصل إلى مكان آيتشمان في بوينس أيريس.. إنما في إدارة العملية دون أن تشعر السلطات الأرجنتينية بوجود رجال الموساد على أراضيها.

---

(١) إدولف آيتشمان كان أيام هتلر خبيرًا في الشئون الصهيونية قبل أن يصبح رئيسًا لقسم (اليهود) برتبة كولونيل في جهاز الأمن S.S عام ١٩٣٤.. كان أيضًا مستشارًا لسياسة النازيين التي قتلت اليهود في المجر.. والمسئول الأول عن معسكر أوستشفيتس بألمانيا أحد أكبر معسكرات اعتقال اليهود.. وبعد الحرب العالمية الثانية التي انتهت بهزيمة ألمانيا ، تشكلت محاكمات نورمبرج لمحاكمة مجرمي الحرب من الألمان، وقد نجا منها آيتشمان بمساعدة اليهودي (رودلف كاستنر) بإسقاط النازية عنه قبل المحاكمة، لأن آيتشمان عرض وقام بالفعل بعملية تهجير الآلاف من أثرياء يهود أوربا لإسرائيل عبر سويسرا بالاتفاق مع كاستنر، ثم هرب آيتشمان سرًا إلى عدة دول قبلما يستقر في الأرجنتين باسم جديد وشخصية جديدة ، مبتعدًا عن أية مظاهر قد تفضحه أو تكشف عن شخصيته الحقيقية .

عملية الاختطاف بحد ذاتها في تقييم بعض المحللين عملية لا أخلاقية، ارتكبت بحق رجل ألماني طاعن في السن وعلى أرض دولة أجنبية.. وتعد مثلاً رديئًا وصورة سيئة للفوضى والاستهتار بالقوانين.. فالرجل وإن كانت له مساوئ في حق اليهود، فقد كان ذلك قبل قيام دولة إسرائيل. وما كان لها إذن أية حقوق تكفل لها مطاردته واختطافه، لإجراء محاكمة غير شرعية على أراضيها لإدانته، إرضاء لنزعة الانتقام عند الشعب اليهودى الذي كان ما تزال تسيطر عليه عوامل الخوف لمجرد ذكر اسم هتلر.

لكن المسألة عند الإسرائيليين كانت أبعد كثيرًا عن تلك التحليلات الرومانسية، وضرورة التمسك بالنزاهة والأخلاق واحترام القوانين الدولية وسيادة الدول. فإسرائيل تنبذ كل هذه (الشكليات)، وتتطلع دائمًا إلى التفوق والتميز، وإبهار شعبها بالعمليات الاستخباراتية الجريئة حتى وإن أغضبت الأصدقاء والحلفاء. وعلى ذلك فعملية اختطاف آيتشمان تُقيّم على أنها من المآثر البارزة والأعمال البطولية للموساد.. ويقول عنها رئيس الموساد إيسير هاريل:

(كانت قضية آيتشمان أكثر بكثير من مجرد مشكلة فنية.. فقد كانت مشكلة نفسية بحتة.. فنحن اليهود كنا نريد آيتشمان حيًا ليقف أمام محكمة.. محكمة يهودية.. فقد كان يجب أن نحكم عليه.. نحن.. الذي ذبح منهم أعدادًا لا تحصى.. لهذا كان للمهمة معنى أخلاقي ونفسي.. معنى لدولة إسرائيل.. لم تضاهيها مهمة أخرى) ..!!

وحدها في الشرفة

جاءت بداية مطاردة آيتشمان الفعلية عندما تشكلت لجنة صهيونية في يوليو ١٩٤٥ مهمتها البحث عن النازيين الذين اختفوا[1] وعلى رأسهم إدولف آيتشمان..

(١) في نهاية الحرب العالمية الثانية دمر آيتشمان أوراقه وصوره واختفى بزوجته فيرونيكا وابنه الوحيد. وعندما اعتقلته القوات الأمريكية في مايو ١٩٤٥، ادعى بأنه كان ضابطا صغيرا في القوات الجوية، فنجا بذلك من تقديمه لمحكمة نورمبرج، وهرب بعدها إلى إيطاليا ثم طنجة، ومنحته الفاتيكان أوراق (لاجئ) باسم ريكاردو كليمنت، سافر بها إلى الأرجنتين. وعام ١٩٥٢ اختفت زوجته مع طفلها من بيتها في لينز بالنمسا.

وبعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ كانت مهمة البحث عن النازيين الهاربين تجيء على رأس قائمة المهام الموكولة لأجهزة استخباراتها.. ولهذا الغرض تم تشكيل مكتب أمني خاص في تل أبيب مهمته التحري وجمع المعلومات.. إلى أن تصادف وتعرف أحد عملاء الموساد على آيتشمان في بوينس أيرس عام ١٩٥٧ ، لكن آيتشمان استطاع الإفلات من مراقبته.. وفي الحال أرسلت تل أبيب فريقًا من رجال مخابراتها إلى الأرجنتين. وبعد بحث شاق في طول البلاد وعرضها ، لم يعثروا له على أثر.

وفي ألمانيا (الغربية) أنشئ عام ١٩٥٨ المكتب المركزي للإدعاء الخاص بجرائم النازية.. وكان الغرض من المكتب جمع الأدلة ضد النازيين السابقين المتهمين بجرائم الحرب ولم تجر محاكمتهم.

ومع البحث ، تلقت الموساد في بداية عام ١٩٦٠ معلومات بأن آيتشمان ما يزال بالأرجنتين تحت اسم مستعار هو (ريكاردو كليمنت) ، حيث يعيش بمنزل عادي بأحد أحياء العاصمة بوينس أيرس.. وعندما وصل بعض رجال الموساد للتحري وجدوا أن البيت يقع في شارع غاريبالدى بحي سان فرديناندو[١] .. وهو مبنى قديم من طابق واحد يقع بمنطقة شبه مهجورة وبدون سور أو بوابة أو كهرباء.

لأول وهلة، بدت الصورة الواضحة لرجال الموساد لا منطقية ومرفوضة تمامًا.. فعسكري كبير له تاريخ مثل آيتشمان لا يمكن له أن يقيم بهذا البيت شبه المهجور.. ولم يضعوا في اعتبارهم أن الرجل الذي ينشد حياة آمنة في نهايات عمره، ويعرف بأنه مطارد، لن يسكن فيلا فاخرة ويركب سيارة حديثة.. لكنهم على أي حال وكإجراء روتيني راقبوا المبنى من بعيد في حذر، وأدوا مهمتهم يخالجهم شعور بالفشل.

فبعد مراقبات طويلة لم يظهر النازى الهارب، وكل ما لمحوه بالبيت سيدة عجوز كانت في أغلب أوقات اليوم تجلس وحدها في الشرفة، لا يزورها أحد أو تغادر بيتها بأي حال. مما أوقعهم في حالة من اليأس.. إلا أن رئيس الموساد هاريل طلب منهم الاستمرار في المراقبة حتى ٢١ مارس (١٩٦٠) ، حيث يصادف هذا اليوم عيد زواج إدولف آيتشمان .

(١) جاء ببعض المصادر أنه كان يقيم بحي (أوليفوس) .

وحـوالي منتصـف النـهار يـوم ٢١ مـارس.. ظـهر رجـل عجـوز يكـاد يتعـثر في خطاه،وكان يحمل باقـة ورود ، تمكـن رجـال هـاريل مـن تصويـره بواسـطة كاميرا تلسكوبية دون أن يشعر بوجودهم مختبئين عن بعد.. وأرسلت الصور الملتقطة إلى تل أبيب، حيث عكف على دراستها وتحليل أبعادها خبراء مختصون ، كـانت لديـهم العديد من الصـور القديمـة لآيتشـمان، مسـتخدمين الطـرق الحديثـة في المقارنـة بـين الشبهين، إلى أن جاءت النتيجة النهائية الحاسمة ، بأن الرجل هو إدولف آيتشمان بشحمه ولحمه، لكـن معانـاة الغربـة والتخفـي والعمـل الشـاق كلـها عوامـل تركـت بصماتها على ملامحه.. وهو الذي كان يعيش بألمانيا في رخاء وسلطة.

وعلى وجه السرعة .. سافر رئيس الموساد إيسـير هـاريل بنفسـه إلى الأرجنتـين، يرافقه أحد عشر رجلاً من أمهر رجاله[1] ، ليكون على مقربة منهم لحظة بلحظة.

تبين لفريق الموساد أن ريكاردو كليمنت / آيتشـمان يعمـل كمراقـب عمـال بـأحد مصانع تجميع سيارات المرسيدس[2].. وباقتفاء أثره لحظة بلحظة على مـدار اليـوم، تكشـفت جميـع خطواتـه اليوميـة ومواعيـده. وكـان العسـكري السـابق الـذي اعتـاد الانضباط والالتزام، قد أخضع تحركاته لمواعيد دقيقة ثابتة.. وسهل هذا الأمر علـى فريق الموساد التحرك لمتابعته طبقًا للجـدول اليومـي المنتظـم الـذي وضعـه آيتشـمان لنفسه، ولم يغيره أبدًا .

(١) كان بينهم (رافائيل إيتان).. الذي عين في ١٩٧٨ مستشارًا لرئيس الوزراء (مناحم بيجن) لشـئون الإرهـاب.. وكان إيتان مشرفًا أيضًا على الجاسوس (جوناثان بولارد) الذي اكتشف أمره عام ١٩٨٥. وكان ضمن الفريق أيضًا المصور الرسام (شالوم فايس) الفائق المهارة في تزوير الوثائق ورسم الصور التقريبية لملامح آيتشمان بعد ١٥ سنة من اختفائه ، هذه الصور بمطابقتها بالصور الملتقطة وجد تشـابهًا مذهـلاً بينـها.. ومـات فـايس عـام ١٩٦٣ بمـرض السرطان . كذلك كان (إبراهام شالوم) أحد أفراد فريق الاختطاف..وهـو يـهودي ألمـاني هـاجر إلى فلسـطين عـام ١٩٣٧ ، والتحق بالشين بيت (جهاز الأمن الداخلي) ، وطوال ثلاثة عقود اشترك شالوم في العديد مـن العمليـات الخاصة ، إلى أن عين رئيسًا للجهاز (١٩٨١ - ١٩٨٦) .

(٢) مصنع مرسيدس - بنز بمنطقة سواريز .

لـكان مـات خـنـقـاً

وفي ١١ مايو ١٩٦٠ قبلما يصل آيتشمان إلى منزله بحوالي مائة متر.. كانت هنـاك سيارة تنتظره.. اندفع منها أحد العملاء وانقض عليه ، فسقط الرجـل العجـوز علـى الأرض وصرخ.. لكن الأيدي رفعته وجذبته بقوة(١) لداخل السيارة التي انطلقـت بـه إلى أحد البيوت الآمنة(٢).. وكانت فيلا قديمة تقع على أطراف العاصمة من الناحية المقابلة.

داخـل السـيارة سـئل الرجـل المذعـور عـن رقـم عضويتـه في الحـزب النـازي.. فأجاب.. ثم ارتجف وهو يجيبهم عـن اسمـه الحقيقـي وبعـض المعلومـات الأخـرى. وطلب منهم ألا يقتلوه لأنه رجل هرم لن يضرهم أن يتركوه لحال سبيله .

كان على الرجل المختطف أن ينتظر عدة أيام داخل الفيـلا في حراسـة مشـددة ، إلى أن تجيء طائرة العال من تل أبيب ، التي تصادف أنها ستنقل الوفد الإسرائيلي الرسمي، المشارك في الاحتفالات بالذكرى الـ١٥٠ لاسـتقلال الأرجنتـين.. ففـي تلـك الفترة لم تكن هناك رحلات طيران مباشرة بين تل أبيب وبوينس أيرس.

(١)يقول رافى ايتان : كنت فى السيارة خلف آيتشمان الذى كان يسير بسـرعة.. وسمعـت خلفـي صـوت بـاب السيارة يفتحه خبيرنا الذي سيخطف آيتشمان. لقد كنت أسمع صوت الخبـير وهـو يتنفس بعمق وانتظـام كمـا تدرب على ذلك. كان قد قدر مدة اختطافه باثنتى عشرة ثانية. يخرج من السيارة ويمسك به من رقبته ثم يجـره إلى داخل السيارة. يخرج، يمسك، يجر. كنا بمحاذاة آيتشمان ، فاستدار قليلاً. ثم تعـثر الخبـير بربـاط حذائـه المحلول وكاد أن يقع على الأرض. بدأ آيتشمان المذعور يبتعد بسرعة.. قفزت من السيارة وأمسكت به من رقبته بقوة جعلت عينيه تجحظان، ولو شددت أكثر قليلاً لكان مات خنقًا. كان الخبير قد نهض وفتح الباب. فقذفت بالرجل على المقعد الخلفى. قفز الخبير وراءه. لم يستغرق الأمر أكثر من خمس ثوان. لم يكلمه أحد طوال الطريق إلى البيت السري. وهناك أمرته بأن يخلع ملابسه. لم أندهش عندما اكتشفت أن آيتشـمان قـد أزال وشـم "S.S" عن جسده. فأمرت بربطه بسلسلة إلى السرير. ولعشر ساعات تركته في صمت تام لاستثارة شعور اليأس فيـه. ثـم سألته عن اسمه، فأعطى اسمًا إسبانيًا. قلت: لا لا لا ، أريد اسمك الألماني. فأعطى اسمه الألماني المستعار الذي استخدمه للهرب من ألمانيا. ومـرة أخـرى قلت: لا لا لا ، اسـمك الحقيقـي ، اسمـك في "S.S" . فتمـدد علـى السرير كما أنه يريد أن يتأهب، وقال بصوت عال وواضح : "إدولف آيتشـمان". وخـلال الأيـام التاليـة لم يكـن أحد يكلم آيتشمان. كان يأكل ويشرب ويستحم ويذهب إلى المرحـاض في صمـت تـام.. ولم نشـأ أن يـرى الرجـل الخائف مبلغ ذعرنا. كان هذا سيمنحه الأمل. والأمل يجعل اليائس أكثر خطرًا.

(٢) البيت الآمن : مصطلح مخابراتي المقصود به مكان لا يثير شكوك رجال الأمن في الدولـة الـتي تـدار العمليـة السرية على أراضيها . وعادة في مثل هذه العمليات التي تتسم بالخطورة القصوى ، يتم استئجار أكـثر مـن شـقة بعدة أماكن ، يسكنها للتمويه عميل وعميلة كزوجين في أعمار مختلفة ، أو عروسان في شهر العسل .

أما عن عائلة آيتشمان التي سيصيبها القلق لغيابه.. كانت لدى هاريل قناعة بأن هذا الأمر لن يسبب مشكلة البتة.. فالعائلة كلها تقيم في الأرجنتين بشكل تشوبه الشبهات.. وبأسماء مستعارة.. مما سيعرضها لمشكلات مع السلطات ليست بحاجة إليها.. وكل ما فعلته الأسرة أنها تحرت عن وقوع حوادث بالطريق الذي يسلكه آيتشمان من عدمه.. ثم اتجهت للسؤال عنه داخل مصحات المسنين باعتقاد أن يكون قد فقد الذاكرة فجأة نتيجة حادث خارج المصنع.. ولم تنس أيضا أن تزور العيادات العلاجية بالمنطقة للسؤال عن عائلها الغائب دون إثارة شبهات تلفت الأنظار.

لكن .. وتحسبًا لأية احتمالات بناء على الخطة التي وضعت، أمر هاريل أحد رجاله بدخول المستشفى بزعم تعرضه لحادث نتج عنه ارتجاج بالمخ.. وبعد خمسة أيام خرج العميل من المستشفى بتقرير طبي رسمي عن إصابته ، استغله الرسام شالوم فايس بعد ذلك في خروج آيتشمان من المطار دون أن ينتبه أحد من رجال الأمن لواقعة التزوير.

ومع انتهاء زيارة الوفد الرسمي الإسرائيلي وعودته إلى تل أبيب.. وصلت إلى المطار ثلاث سيارات كان آيتشمان مخدرًا في إحداها[1]، بشكل بدا طبيعيًا لمريض أخرج حالا من المستشفى وتقرر سفره على متن طائرة بلاده لاستكمال العلاج .

أقلعت الطائرة مساء ٢١ مايو ١٩٦٠ ووصلت إسرائيل بالكنز الثمين.. وأعلن رئيس الوزراء ديفيد بن جوريون في خطابه أمام الكنيسيت:

(١) يقول رافائيل إيتان : (لقد أجبرت آيتشمان على تجرع كمية هائلة من الويسكي أفقدته اتزانه، وكان كلما صرخ متضررًا كنت أسقيه غصبًا عنه بالضغط ما بين فكيه، ومهددًا في مرات كثيرة. وسكبنا على ملابسنا الكثير من الخمر، حتى بدت سيارتنا ونحن بطريقنا إلى المطار أشبه بخمارة متنقلة. وعند بوابة المطار حاول آيتشمان أن يستغيث. لكن ضحكاتنا العالية الصاخبة غطت على صرخاته، ولم يأبه رجال الأمن لنظراته المتوسلة.) .

أيـــها الكـــلاب

(يتعين عليَّ أن أعلن أنه في غضون فترة قصيرة قد خلت.. عثرت أجهزة الأمن الإسرائيلية على واحد من عتاة المجرمين النازيين.. وهو إدولف آيتشمان المسئول تضامنًا مع الزعماء النازيين عما أسموه (الحل النــهائي للمشـكلة اليهوديــة)، أي إبادة ستة ملايين يهودي هم يهود أوروبا.. لقد ألقي القبض على آيتشمان ولسوف يمثـل قريبًـا أمـام المحكمـة الإسرائيلية ليحـاكم وفقًـا لمقتضـى قـانون النــازيين والمتعاونين مع الأعداء لسنة ١٩٥٠).

بدأت المحاكمــة العلنيــة بعــد عــام تقريبًــا.. في ١١ أبريــل ١٩٦١، حيــث أنكــر آيتشمان طوال مراحل المحاكمة الاتــهامات الموجهــة إليــه.. وأعلــن مــرارًا في صــوت صارخ حاسم بأنه كان ينفذ أوامر الزعيم إدولف هتلر.. مؤكدا بتصميم على أنه ساعد اليهود على الإفلات من القتل في أوروبا.. طالبًــا شــهادة الدكتــور (رودلــف كاســتنر) رئيس الوكالة اليهودية بالمجر.. إلا أن طلبــه رفــض.. وأدانتــه المحكمــة (بارتكــاب جرائم بشعة بحق الإنسانية).. وحكم عليه بالإعدام شنقًا..

وبعد أن علم آيتشمان بمصيره المنتظر.. لم تطاوعه أنفته بتقديم التمــاس بتخفيــف الحكم ، ولم يقبل بالأصل بكتابة اعتذار إلى رئيس الحكومــة الإسـرائيلية، يقـر فيـه (بجرائمه) في حق اليهود، إنما تقدم بالتماس للسلطات يطلب فيه السماح له باعتناق اليهودية.. وأن يسجل ديانته الجديدة في الأوراق الرسمية قبل إعدامه.

كان الالتماس مثيرًا للدهشة، ونشرت الصحف الخبر وعلقت عليه (بأنه محاولــة لابتزاز مشاعر العطف والرحمة، لتخفيف الحكم عنه.. لكن مناورتــه لــن تنجــح لأن كل يهودي في إسرائيل، يحلم بأن يقتله بيديه ألف مرة). تشجع مســئول إســرائيلي واستفسر من آيتشمان عن الأسباب التي دفعته لذلك قبل إعدامه ، قــال لــه مبتسـمًا بأنه لن يجيب على السؤال إلا أمام ممثلي الصحافة ووكالات الأنبــاء.. وفــى المؤتمــر الصحفى الحاشد ، انتصب آيتشمان في وقفة عسكرية ثابتة أمــام عدســات المصوريــن وقال:

(أيها السادة.. لقد جئتم اليوم وأنتم متخمون بالدهشة.. وتتساءلون لماذا..؟ لماذا ينقلب هذا النازى السابق عن مسيحيته ويطلب اعتناق اليهودية..؟ هل تتصورون بأنني أطلب هذا الحق حبًا في اليهود..؟ وتحقيرًا لديانتي لِعِظَم الديانة اليهودية..؟

إنني يا سادة أردت اعتناق اليهودية ليس حبًا فيها.. ولا في إسرائيل.. إنما أردت بذلك أن أهتف لنفسي أن كلبًا يهوديًا قد أعدم ، ليدرك من سبقوه من الكلاب)

وأضاف بصوت جهوري حماسي :

(وإنه لكم يسعدني قبل أن أموت.. أن أوجه رسالة اعتذار إلى الإسرائيليين.. أشفعها بكل ندمي وحرقتي.. وأقول لهم:

إن أشد ما يحز في نفسي ويؤلمني أنني ساعدتكم على النجاة من معسكرات هتلر[1] . لقد كنت أكثر إنسانية معكم.. بينما كنتم تفيضون خبثًا وقذارة.

أيها الكلاب.. إن أرض فلسطين ليست إرثكم ولا أرضكم.. فما أنتم إلا عصابة من الإرهابيين والقتلة ومصاصي دماء الشعوب.. وما كان لكم إلا الصهر في أفران هتلر، لتنجو الأرض وتتطهر من خباثاتكم وفسقكم ، ويهنأ الكون بعيدًا عن رجسكم ورزائلكم..

أقول لكل اليهود الخنازير.. لا تغتروا بما سلبتموه اليوم بإجرامكم وفحشكم..واقرأوا التاريخ جيدًا . فذات يوم سيأتيكم هتلر عربي يجتث وجودكم اجتثاثًا.. ويحرق عقولكم وأبدانكم ويتخذكم عبيدًا أرقاء.

---

(١) في المجلد الرابع من محاكمة نورمبرج جاء على لسان (هوتل) ضابط الأمن النازي، أن آيتشمان اعترف له شخصيًا بشقته في بودابست، بأن هناك نحو ٤ مليون يهودي قتلوا في معسكرات الاعتقال. كما شهد زميله لويز ليسني، بأن آيتشمان قال له : إن قتل اليهود كان مصدرًا من مصادر سعادتي البالغة .

أقول لهم : أيها الكلاب.. يؤلمني أن أشبهكم بالكلاب.. فالكلاب تعرف الوفاء الذي لا تعرفونه.. لكن نجاسة الكلاب وحيوانيتها من ذات سلوككم.. اهنأوا ما شئتم بإجرامكم.. في فلسطين.. حتى تجيء اللحظة التي تولون فيها الأدبار.. وتعلو صراخاتكم تشق العنان.. فتذوقوا مذلة النهاية.. وعندها ستكون الكلاب الضالة أفضل مصيرًا منكم)..!!

النازيون الجدد

صريحة قوية نطقها آيتشمان في قلب إسرائيل.. وتناقلت كلماته وسائل الإعلام العالمية فتعاطفت بعض المنظمات الدولية معه وطالبت إسرائيل بالإفراج عنه.. أو بسجنه فقط رأفة بهرمه.. إلا أن إسرائيل صمت آذانها ورفضت تخفيف الحكم.. وواصل آيتشمان سبابه لليهود والصهيونية.. وقال نادمًا فى أسى أنه يتمنى أن يعود به العمر إلى الوراء، ليبيد كل اليهود ويسحقهم كالجرذان الموبوءة التي لا حل لها إلا بالسم الزعاف والحرق ، تخلصًا من وبائها .

كان الرجل قد فشل حتى آخر لحظة في إقناعهم بأنهم يحاكمونه ظلمًا.. وأنه أنقذ ملايين اليهود من أفران الغاز[1] ومعسكرات الموت.. لكن بلا فائدة.. ومع يأسه في كل مرة يتضاعف غضبه وسخطه ، وتنزل لعناته عليهم كالشلال الدافق بلا توقف.

وفي ٣١ مايو ١٩٦٢ قبل إعدامه بساعات كان قد تسرب إليه الخبر عن قصد.. فلم يبال الرجل.. وانشغل بصلاة طويلة .. ثم كتب بعض الرسائل القصيرة إلى أسرته وأخذ وعدًا بإرسالها إليهم..

---

(١) أفران الغاز ومعسكرات الموت والإبادة الجماعية دعاية يهودية لكسب عطف العالم. وأثناء محاكمة نورمبرج بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عُرفت هذه المسميات وعُدلت الأسماء الحقيقية بهذه الصيغة للابتزاز. ولمعرفة التفاصيل يمكن الرجوع إلى كتاب (جارودي) : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية .

وبشنق إدولف آيتشمان.. يكون ترتيبه الثاني في قائمة الذين أعدموا في إسرائيل منذ قيامها كدولة.. حيث جاء قبله في الترتيب اليهودى مائير توبيانسكي[1] الذي اتهم بالتجسس لصالح العرب.. وتم إعدامه رميًا بالرصاص بعد محاكمة سريعة عام ١٩٤٨.

لم يكتف الحقد الإسرائيلي الأسود بشنق النازي السابق. بل أحرق الرجل في فرن بني له خصيصًا.. في إشارة إلى أن العقاب من نوع جريمته.. وبعد حرقه طحنت عظامه ووضعت داخل علبة من الصفيح ألقى بها في عرض البحر.. كي لا تسكن رفاته أرض إسرائيل إلى الأبد.

وفي عام ١٩٦٧ تكشفت أسرار جديدة حاولت إسرائيل طمسها.. إذ ظهرت وثائق تبرئ ساحة آيتشمان من تهمة قتل اليهود الأوربيين.. وكان الشاهد الوحيد هو بعينه الدكتور رودلف كاستنر. الذي فشل في إنقاذ الرجل للمرة الثانية.. حيث أكدت هذه الوثائق وجود صفقة مبادلة أثرياء اليهود في أوربا، بسيارات ومواد تموينية وأموال قدرت بمليوني دولار ، قدمت إلى جيوش ألمانيا في روسيا.. وكانت الصفقة بين آيتشمان وكاستنر.. وبالفعل خرج قطار *بأغنياء اليهود*[2] *من المجر إلى* سويسرا بحراسة عسكرية ألمانية، ومن هناك تم نقلهم إلى فلسطين بواسطة الوكالة اليهودية.

---

(١)مائير توبيانسكي : يهودي كان يعمل مهندسًا في شركة لمد الكابلات الكهربائية، اتهم في ١ يوليو ١٩٤٨ بأنه يتجسس لصالح العرب، وأنه أرشدهم إلى مخازن الأسلحة اليهودية وخططهم العسكرية، وأقيمت له محكمة عسكرية سريعة، بأوامر من رئيس المخابرات العسكرية (عيزرا بعيري ١٩٤٨ - ١٩٤٩) ، حيث أدين بالخيانة وحكم عليه بالإعدام. ونفذ الحكم بالرصاص دون أن يسمح له بكتابة رسائل إلى أسرته قبل إعدامه. وفي محاولة لتجميل وجه إسرائيل، بناء على طلب من أسرته وافق رئيس الوزراء بن جوريون على إعادة محاكمة توبيانسكي.. وأصر بعيري على أنه كان جاسوسًا للعرب.. لكن المحكمة برأت الرجل الميت.. وأقيل بعيري من منصبه بعد اتهامه بالطيش وتزوير محاضر التحقيق..!!

(٢) لم تكن المنظمات الصهيونية في تلك الظروف تفكر في فقراء اليهود. بل تطلعت إلى الأغنياء منهم لإثراء أرض الميعاد بمشاريعهم وأموالهم، والاعتماد على علاقاتهم برجال الاقتصاد والسياسة في أوربا، بما يخدم الدولة الجديدة (إسرائيل) التي كانت على وشك الظهور ، ويدعم من مركزها .

تفاصيل هذه الصفقة ظلت طي الكتمان.. إلى أن أزيح الستار عنها واتـهم الدكتـور كاستنر الذي وقع الصفقة بأنه أفشـى أسـرارها .. ولأن إسـرائيل كـانت تلعـب مـع ألمانيا لعبة التهديد والتذكير المستمر بمذابح اليهود على أراضيها من أجل المسـاومات والتعويضات[1].. عملت إسرائيل على ألا يعلن هذا السر أبدًا.. وبـإعدام آيتشـمان تم التخلص من الشاهد الأول.. أما الشاهد الثاني والأخير.. الدكتور كاستنر.. فقد جرى اغتياله حال خروجه من منزله فى تـل أبيـب عـام ١٩٦٣ في محاولـة لطمـس معـالم الجريمة ، لكن الحقيقة أبدًا لا تعرف الظلام أو كهوف الصمت ..!!



(١) ادعت الصهيونية أن هتلر أباد ستة ملايين يهودي بوسائل مختلفة، وبقى هذا الرقم محل جدال حتى يومنا هذا، وفي عام ١٩٨٥ جاء في كتاب المؤرخ اليهودي راؤول هيلبرج (تدمـير يـهود أوربـا)، أن الرقـم الحقيقـي هـو مليونًا وربع. وحصلت إسرائيل على تعويضات ابتزازية من ألمانيا قدرت بعشرات المليارات مـن الـدولارات، ومـا زالت تبتزها بزعم إبادة اليهود منذ أكثر من نصف قرن .



خطف بن بركة وقتله في باريس..
وإذابة جثته في الرباط..!!

هو معلم الملك الحسن الثاني عندما كان وليًا للعهد.. درَّس له الرياضيات.. وعاش بقصره سنوات يسقيه العلم ويلقنه فنون الحساب.. وتحول المعلم إلى ثوري ثائر.. طالب الملك بالدستور والإصلاحات.. وعارض نظم حكمه.. فطارده الملك.. وحكم عليه بالإعدام غيابيًا مرتين.. ولم يهنأ له بال إلا بعدما سكت صوته إلى الأبد.. لكن ذكراه ما تزال تمثل أكبر هزيمة في تاريخ المغرب.. إلى اليوم ..!!

مُعَلِّم الملك

تعد قضية اختطاف المناضل المغربي المهدي بن بركة وقتله في باريس.. من أشهر القضايا التي سببت فضيحة دولية للموساد.. مازالت تعاني إسرائيل من نتائجها حتى اليوم تمامًا.. مثلما حدث من قبل إثر فضيحتي لافون في مصر، وليليهامر في النرويج.. وربما أكثر.. إذ أظهرت القضية الوجه الحقيقي لدولة إسرائيل وأجهزة مخابراتها.. وأحدثت صدعًا عميقًا في علاقات الدولة العبرية بفرنسا وداخل المجتمع الاستخباراتي في تل أبيب بين صنديدي الموساد إيسير هاريل ومائير عاميت .

والمهدي بن بركة مناضل مغربي ولد بالرباط عام ١٩٢٠.. وأتم دراسته الجامعية بالجزائر.. وفي عام ١٩٤٣ عمل مدرسًا لمادة الرياضيات.. ولنبوغه اختاره الملك محمد الخامس[1] لتدريس الرياضيات لابنه الحسن (ولي العهد) عندما كان صبيًا في الرابعة عشر من عمره .

بيد أن المُعَلِّم ، بن بركة ، وتلميذه لم يتحابا.. ولم يقدر أحدهما الآخر كثيرًا..

فمولاي الحسن ولي العهد والذي يصغر أستاذه بتسع سنوات كان عصبيًا خارق الذكاء شديد الطموح.. بدأ العمل السياسي منذ مطلع شبابه.. ويرغب في سلطة مطلقة.. بينما أستاذه ثوري بطبعه يحلم باستقلال المغرب وأن يشملها حكم ديمقراطي عادل.. ولثقافته السياسية العالية كان بن بركة يرى في تلميذه النقيض لمبادئه.. ومن هنا نشأ الخلاف بينهما.. إلا أن السلطان.. أو الملك محمد الخامس.. لم يحبذ فض الاشتباك بين ابنه ومعلمه.. إذ كان المهدي بن بركة واسع الثقافة والعلوم الرياضية.. ورآه الأب معلمًا مثاليًا لابنه.

(١) محمد الخامس : (١٩١١ — ١٩٦١) غدا سلطانًا للمغرب عام ١٩٢٧ تحت الحماية الفرنسية خلفًا لوالده السلطان يوسف بن الحسن. وفي عام ١٩٥٣ خلع محمد الخامس ونفي إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر إلى أن أعيد إلى المغرب عام ١٩٥٥ وتوج نفسه ملكًا عام ١٩٥٧ بعد استقلال بلاده.. ومات بحجرة العمليات خلال عملية جراحية بسيطة ليخلفه ابنه الأكبر الحسن الثاني. كان للملك محمد الخامس زوجتين، لالا عبلة ولالا فاطمة. رزق من الأولى مولاي الحسن ومولاي عبد الله، ولالا عائشة، ولالا مليكة، ولالا نهزة. ومن زوجته الثانية رزق بـ لالا أمينة.. وكانت له ابنة أخرى، لالا فاطمة ، من جارية لم يعترف بها أولاً.. لكن الأم مع ابنتها لحقتا به إلى المنفي في مدغشقر فتعلق بالابنة وعاملها كأميرة. ولقب (لالا) للمرأة أو (مولاي) للرجل لقبان يعطيان لأمراء وأفراد العائلة المالكة.. وللأشراف من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم في المغرب.

الإعــدام مــرتين؟

وفي عام ١٩٤٤ كان المهدي بن بركة قد آلمته محنة احتلال بلاده.. لذلــك شـارك في تأسيس جمعية الرباط الوطنية الثقافية.. وكـان علـى رأس مـن حـرروا وثيقـة ١١ يناير ١٩٤٤ الـتي تطـالب باسـتقلال المغـرب.. فاعتقلتـه السـلطات الفرنسـية لعـدة أشـهر.. وبعـد خروجـه مـن المعتقـل انضم إلى العمـال الوطنيـين وانخـرط في حـزب الاستقلال وكان عضوًا بالمكتب التنفيذي به.. ثم اعتقل عام ١٩٥١ وأبعده الفرنسيون إلى جنوب البلاد حيث بقي منفيًا قرابة أربع سـنوات. إلا أنـه شـارك بعـد ذلـك في مفاوضات الجلاء واستقلال المغرب.

بعد استقلال المغرب عام ١٩٥٧ مـرت البـلاد بأوقـات صعبـة.. وانقسـمت شـيعًا وأحزابًا.. وكانت الاتجاهات اليسـارية، وعلـى رأسـها المـهدي بـن بركـة، تطـالب بتعديلات في نظام الحكم لم يوافق عليـها القصـر.. وخـاض الاتحـاد الوطـني للقـوى الشعبية (UNFP) بزعامة بن بركة نضـالاً شرسًـا في الجنـوب حيـث تتمركـز قوتـه الشعبية.. للمطالبة بدستور للبـلاد.. ممـا أغضـب الملـك محمـد الخـامس وبطانتـه.. خاصة وأن بن بركة كان يرأس تحرير جريدة (الاستقلال) الأسبوعية.. والتي كـانت تمثل الجناح التقدمي لحزب الاستقلال.. وأثارت مقالاته الملك فطالب برأسه .

استطاع بن بركة الهـرب إلى خـارج المغـرب.. ومـارس بحريـة نشـاطه السياسـي المعارض موثقًا علاقاته – بصفته الناطق الرسمي للحزب – بـين الحـزب والحركـات الثورية في العالم.. وسلطت عليه الأضواء وطاردته وكالات الأنباء والصحف العالمية.

اعتبر الملك الحسن الثاني[1] ، تلميذ المهـدي بن بركة، أن أسـتاذه السـابق قد

---

(١) الملك الحسن الثاني : (يوليو ١٩٢٩– يوليو ١٩٩٩) اعتلى عـرش المغـرب في ٣ مـارس ١٩٦١. وهـو سـليل الجيل الخامس والثلاثين للعائلة النبوية الشريفة، والعاهل المغربي السابع عشـر مـن الأسـرة العلويـة. تـزوج لالا لطيفـة وأنجـب منـها لالا مريـم ١٩٦٣، ومـولاي محمـد (السـادس) ١٩٦٤، ولالا حشمة ١٩٦٥، ولالا عصمـة ١٩٦٧، ومولاي رشيد ١٩٧٠. كان على علاقات جيدة (سرية) بإسرائيل.. واستعان بخبراء عسكريين من جيـش الدفاع الإسرائيلي لتدريب حرسه الخاص.. وكانت قيادات الموساد علـى اتصـال دائـم بجـهاز مخابراتـه وكبـار ضباطه.. وحدث تعاون استخباراتي وأمني وثيق بينهم.. وقد ترك الملك الحسن الثاني الباب مفتوحًا أمام هجـرة يهود المغرب إلى إسرائيل دون عقبات.. وفعل والده ذلك أيضًا من قبل ..

جاوز حدود (الأدب) وأن تجاوزاته هــذه إهانـة شـخصية لـه.. وغيابيًا عـام ١٩٦٣ أصدرت إحدى المحاكم المغربية حكمًا بإعدام المهدي بن بركــة.. تـلاه حكـم غيـابي آخر بـالإعدام في مـارس ١٩٦٤ ، وصـاحب ذلـك اعتقـال رمـوز الحـزب في المغـرب وسجنهم وتشريد أسرهم..

عـامـيت وأوفـقـير

ومن منفاه الاختياري في سويسرا شن المهدي بن بركــة هجومًـا حـادًا علـى الملـك الحسن الثاني.. وتوالت الأخبار الصحفية بمختلف اللغات والتيارات في العالم على لسان المناضل المطارد.. تفضح الممارسات اللاشرعية في المغرب.. وتكشف عن جوانب شتى منـهـا وحدويـة القـرار ، وكبـح الحريـات ، والإعدامـات السياسـية المختلفـة، والسجن الأبدي في معتقـلات بصحاري المملكة.. ولما ضاق صـدر الملـك أخـيرًا أوعـز لوزيره محمد أوفقير[1] بإسكات المهدي بن بركة إلى الأبد.

(١) الجنرال محمد أوفقير.. ولد في سبتمبر ١٩٢٠ وينتمي إلى أكبر أسر الـبربر في الأطلـس الأعلـى المغربي.. درس في الكلية البربرية في أزور قرب مكناس ثم التحـق بمدرسـة الـدار البيضـاء العسـكرية.. وفي الحاديـة والعشرين التحق بالجيش الفرنسي برتبة ملازم أول أيام الانتداب الفرنسي.. ارتقى إلى رتبة نقيب وانتقـل إلى الهند الصينية وتزوج عام ١٩٥٣ من فاطمة شنّا البربريـة ذات الأصـول العريقـة. وفي العـام نفسـه عمـل رئيسًا للمراسم في مقر الحاكم العسكري الفرنسي بالمغرب.. وعندما خلـع السـلطان محمـد الخـامس لعـب أوفقير دورًا فعالاً في عودته مرة أخرى.. ويترك الخدمة بـالجيش الفرنسـي وهـو برتبـة مقـدم ليعمـل رئيسًـا لمرافقي الملك محمد الخامس.. ثم رئيسًا للشرطة في بلاطه عام ١٩٦٠ قبلما يموت الملك بعدة أشهر.

أنجب أوفقير من فاطمة : مليكة، ورءوف، ومريم، وسكينة، وعبد اللطيف، وماريان. وفي عـام ١٩٦٤ كـان وزيرًا للداخلية.. ومسيطرًا على الشرطة والمخابرات.. وكان على علاقات متينة بالموساد وزار إسـرائيل سـرًا عـدة مرات.. وزاره رئيس الموساد إيسير هـاريل بـالمغرب عـامي ١٩٥٨، ١٩٦٢. في ١٠ يوليـو ١٩٧١ حـدث انقـلاب (الصخيرات) وهو اسم لقصر ملكي.. حيث هاجم طلاب المدرسة العسكرية القصر عندما كان الملـك يحتفـل بعيـد ميلاده الثاني والأربعين.. وقتلوا العشرات من الحرس والضيوف العالميين.. واختبأ أوفقـير، وكـان بالمـايوه، مـع الملك وبعض الضيوف بحجرة المغسلة بالقصر.. لكن سيطرت قوات الملك على الموقـف بعـد سـاعات.. وتم إعـدام عشرة جنرالات من رفقاء أوفقير بعد تعذيب شديد ومصادرة ممتلكاتهم وتشريد أسرهم. وبعد الانقلاب تولى أوفقير منصب وزير الدفاع ورئيس أركان سلاح الجو.. إلى جـانب سـيطرته علـى الداخليـة والمخـابرات بمعاونـة أحمـد الدليمي رئيس المخابرات . وفي ١٦ أغسطس ١٩٧٢ دبر أوفقير انقلابًا للملك.. إذ قصفت الطائرة الملكيـة البوينـج ٧٢٧ بواسطة طائرات F5 أثناء عودة الملك من فرنسا.. وصرخ الطيار عبر اللاسلكي بـأن الملـك قـد قتـل فتوقـف القصف.. ولما تبين أن الملك لم يمت هرب الطيارون الجويون إلى إسبانيا.. ومن هناك أذاعوا بأن أوفقير هو الـذي رتب الهجوم ثأرًا لزملائه الجنرالات العشرة الذين أعدمهم الملك بلا محاكمة.. وتبين بعـد ذلـك أن أوفقـير كـان وراء الانقلاب الفاشل الأول (الصخيرات).. وفي القصر نفسـه– في ذات الليلـة– قتـل أوفقـير أمـام الملـك بخمـس رصاصات كانت القاتلة منها في عنقه.. وأعلن في بيان رسمي انتحاره . =

لم يكن أو فقير ليعجز عن تصفية المهدي بن بركة الخصم اللدود لأمير المؤمنين ملك المغرب.. خاصة وفي فرنسا أصدقاء أوفياء له.. كذلك في إسرائيل كان رجال الموساد على أهبة الاستعداد لخدمة الملك ووزيره المقرب.. أما في المغرب فكان هناك أيضًا العقيد أحمد الدليمي(١)- مدير الأمن الوطني الذي يحمل عرفانًا أبديًا لأوفقير.

ذهب أوفقير إلى إسرائيل سرًا.. وهناك أطلع رجال الموساد على رغبته في تصفية زعيم المعارضة الذي يقيم بسويسرا.. لإراحة أمير المؤمنين، الملك، من الحرج الدولي الذي يواجهه بسبب تصريحات بن بركة، ذلك العنيد الذي لم يكف عن انتقاد النظام الملكي في المغرب، بل تجرأ وهاجم الملك شخصيًا. ولأن الموساد تسعى دائمًا للتغلغل والشهرة ، وعرض خدماتها السرية على النظم وأجهزة الاستخبارات العالمية، وجدتها فرصة لتعميق علاقاتها بدولة عربية، إذ سرعان ما رحبت بالتعاون مع أوفقير، وتم وضع خطة اغتياله بمشاركة المخابرات الفرنسية.. حيث خططت الموساد لاستدراج الزعيم المغربي إلى باريس.. ليتمكن الرفقاء هناك من إكمال الخطة .

كان مائير عاميت رئيس الموساد متحمسًا لخدمة صديقه أوفقير، وتحت أية ظروف. فإسرائيل سبق لها أن ساعدت الملك الحسن بتأسيس وتدريب جهازه

= أما فاطمة أوفقير وأولادها الستة.. فقد انتقم الملك منهم دون ذنب.. حيث اعتقلهم لمدة عشرون عامًا في كهوف المغرب الجنوبية.. وكان بينهم الابن الأصغر وعمره عامان.. إلى أن تمكنوا من الهرب بشق نفق أسفل جدران قلعة قديمة.. وعرف العالم بمأساتهم بعد خمس سنوات أخرى من حبسهم بإحدى الفيلات بالرباط. وأصدرت الأم والابنة مليكة كتابين يفيضان بمرارة التجربة والقهر وانتقام ملك يلقب بـ (أمير المؤمنين) من أبرياء لا ذنب لهم.

(١) العقيد أحمد الدليمي: خادم أوفقير المطيع.. كان برتبة نقيب في بلاط الملك محمد الخامس.. خطب ابنة وزير الداخلية.. وقبل زواجهما وقع في حب فتاة من أسرة ثرية.. ولأنه يفكر في الثراء أراد أن يتخلص من ارتباطه بابنة الوزير.. لكنه لم يجد فرصة مناسبة لذلك.. فقرر الزواج منها.. وغداة يوم عرسه ادعى لوالدها أن ابنته ليست بكرًا.. وحدث الطلاق والعار للعروس البريئة.. والفضيحة لوالدها.. لذلك طرده الملك من بلاطه لنذالته.. فتزوج من الفتاة الأخرى.. التي ذهبت بعد وفاة الملك إلى زوجة أوفقير- فاطمة شنا- للتوسط لزوجها.. فأعيد إلى العمل.. وغدا ذراع أوفقير الأيمن. وعند تكشف فضيحة اغتيال بن بركة في باريس كان الدليمي يشغل منصب مدير الأمن الوطني في المغرب.. وبعد قتل أوفقير غدا قائدًا للجيش برتبة جنرال وقتل عام ١٩٨٣ في حادث طريق غامض .

السري، مقابل تأكيدات منه بحماية يهود المغرب وفتح باب الهجرة لهم إلى إسرائيل دون قيود لمن يرغب في ذلك. ولأن عاميت كان يأمل في استمرار العلاقات المغربية الإسرائيلية بشكل طبيعي، رحب بمساعدة الملك في التخلص من بركة، إذا كان أوفقير يسعى بشدة لتنفيذ حكم الإعدام على المناضل المغربي، أينما كان .

خططت الموساد لاستدراج المهدي بن بركة إلى باريس ، حيث جرى إقناعه بمغادرة سويسرا للاجتماع بمنتج سينمائي يفكر بإنتاج فيلمًا تسجيليًا عن قصة كفاحه.. وبعد تردد طويل خوفًا من أصدقاء أوفقير في باريس، وافق بن بركة على فكرة السفر بشكل سري .

وفي ٢٩ أكتوبر ١٩٦٥ وصل بن بركة إلى باريس، حسبما خططت الموساد، وتناول طعام الغداء بمقهى ليب Lipp (١) مع صديقه المغربي التهامي الأزموري المقيم بباريس، وعند خروجه اصطدم به ثلاثة عملاء ، فرنسيان ومغربي، أزاحوا صديقه الأزموري جانبًا في سرعة ، ودفعوه إلى داخل سيارة انطلقت بهم إلى (فيلا فونتيني لي فيكونت) حيث كان العقيد أحمد الدليمي بانتظاره.. ومساء اليوم نفسه وصل أوفقير من المغرب خصيصًا.. وجرى تعذيب المهدي بن بركة وهو مكبل.. ثم قتل ودفن بحديقة الفيلا.. لكن أعيد استخراج جثته بعدها بأسابيع ودفنت على ضفاف نهر السين .

كان التهامي الأزموري، الشاهد الرئيسي الوحيد في عملية الاختطاف، وهو مغربي من مواليد ١٩٣٧، كان يستعد لمناقشة رسالة الدكتوراه في جامعة السربون، وتربطه بالمهدي بن بركة صلة قرابة .

---

(١) يقع مقهى Lipp بشارع بوليفار (جرمين) على الناحية اليمنى من نهر السين، ويقابله على الناحية الأخرى من النهر ميدان الكونكورد، أشهر الميادين في العالم قاطبة. ذلك لأن هذا الميدان الذي يبلغ مساحته نحو ٨٠ ألف متر مربع، شهد أشهر الإعدامات بالمقصلة في التاريخ، التي أطاحت برؤوس ١٣٤٣ شخصًا، منهم لويس السادس عشر، وزوجته ماري انطوانيت، وروبسبير، وغيرهم. كما أن به المسلة المصرية أيضًا. ومن هذا الميدان يبدأ شارع الشانزليزيه وينتهي عند قوس النصر.

الغـــداء الأخـــير

كان الأزموري، المتزوج من سيدة نرويجية، يعرف أن بن بركة يخشى السفر إلى باريس لثقته بأنه مطارد من أوفقير ورجاله الذيـن ينتشرون في فرنسا. لذلك دهش الأزموري عندما اتصل به بن بركة يخبره بمجيئه إلى باريس سـرًا، ويطلب منه ألا يخبر أحدًا بذلك، خاصة من المغاربة ، على أن يقيم معه بشقته عدة أيام للاتفاق مع المنتج السينمائي الفرنسي .

حاول الأزموري تليفونيًا تحذيره ومنعه بـلا فائدة. ووصل بن بركة بالفعل إلى باريس ، حيث استضافه قريبه وخرج به إلى شارع الشانزليزيه، واتصل مـن تليفون عام بجورج فرانجو المنتج السينمائي، فأفاده الأخير بأنه سيلقاه بمقهى ليب Lipp بعد ساعتين ونصف. وخلال هذا الوقت أجرى فرانجو اتصالاته مع فيليب لومارشان المحامي، وعضو البرلمان الفرنسي، الذي قام بدوره باتصالات عديدة انتـهت باختطاف بن بركة.

يقول الأزموري :

تناولنا الغداء واتصل فرانجو يعتذر، راجيًا أن يتم اللقـاء في التاسعة مساء.. وعند خروجنا من المطعم في طريقنا إلى البيت اصطدم بي رجلاً بقوة فسقطت على الأرض، بينما كان هناك آخرون دفعوا بن بركة في حركة مباغتة إلى سيارة بيجو ٤٠٤ وانطلقوا بها في سرعة البرق.. وعندما حاولت الركض خلف السيارة اعترض طريقي شابان بشكل بدا عفويًا، فاتصلت من فوري بالشرطة .

تكشفت الفضيحة شيئًا فشيئًا .. ثم توالت فصولها وظهر تورط أكثر من ٢٥ شخصًا في عملية اغتيال بن بركة.. بينهم بعض ضباط المخابرات الفرنسية ومسئولون مغربيون.. وفي محاكمة تناقلت تفاصيلها كل وكالات الأنباء والصحافة العالمية.. أدين في باريس عدد كبير منهم.. كان من بينهم العقيد أحمد الدليمي والجنرال محمد أوفقير.. وصدرت بحقهما مذكرة إدانة مما دعا الدليمي لتسليم نفسه للعدالة الفرنسية.. وفي يونية ١٩٦٧ أخلي سبيله وعاد إلى المغرب..

أما الجنرال محمد أوفقير فقد كانت كل الشواهد والأدلة المادية ضده ، لذلك امتنع عن المثول أمام المحكمة الفرنسية التي أدانته غيابيًا بالحبس مدى الحياة.. وفي المغرب تسلم أوفقير[1] شهادة تقدير ملكية من جلالة الملك (لإخلاصه على الدوام لشخصنا) .

توعد الرئيس الفرنسي، الجنرال شارل ديجول، المتورطين في عملية بن بركة.. وفي الوقت الذي تبنّى فيه ديجول عملية تنظيم جهازه السري من جديد.. وجه غضبه العارم نحو إسرائيل التي تعاونت (بقذارة) للعمل من وراءه ظهره[2].. حيث أمر على الفور بنقل مقر الموساد في أوربا بعيدًا عن باريس.. ووقف التعاون الاستخباراتي مع الموساد . وشيئًا فشيئًا بدأت تطفو إلى السطح علامات الحقيقة المرة، حينما ألقى القبض على المتورطين في عملية الاختطاف، وشهدت محكمة باريس العليا تفاصيل خيوط الفساد التي تورط في نسجها ضباط ينتمون إلى الاستخبارات الفرنسية وجهاز الشرطة.. بالاشتراك مع مسئولين كبار في طابور طويل من نسيج المجتمع الفرنسي تعاونوا جميعًا في اختطاف بن بركة .

القتلة

إلى جانب اللواء محمد أوفقير والعقيد أحمد الدليمي ، ضمت قائمة المتهمين بخطف المناضل بن بركة ، من خلال السجلات الرسمية الفرنسية :

* **أنطوان لوبيز** : مواليد ١٩١٣ ، المتهم الأول في القضية ، وهو ضابط كبير بالمخابرات الفرنسية، سبق له أن شغل منصب مدير مطار طنجة، ثم مسئولاً بشركة

(١) بعد مقتل الجنرال محمد أوفقير .. نشر محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام في مقال له : (كان أوفقير كلبا .. ومات مثل كلب) .

(٢) في ١٩٦٥/١٢/١١ نشرت مجلة (بول) الأسبوعية الإسرائيلية مقالاً عن خلافات داخل أجهزة الدولة بشكل أزمة حادة بسبب ضلوع الموساد في اغتيال بن بركة في باريس.. وجرى اعتقال رئيس التحرير شويل مور ومساعده ماكسيم جيلان وبشكل سري حكم عليهما بالسجن لمدة عام وحظر نشر خبر سجنهما.. لكن صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية استطاعت الحصول على نسخة من المجلة قبل مصادرتها ونشرت خبر التورط الإسرائيلي بشكل مثير تداولته صحف العالم.. ثم عادت ونشرت تحقيقات أخرى حول الموضوع مما ساعد على نشر الفضيحة عالميًا.. وبرغم ذلك التزمت المغرب الصمت دون تعقيب مما أكد ما جاء عن تورط الموساد في عملية خطف بن بركة وقتله وإخفاء جثته .

Air France . وكان صديقًا لأوفقير والدليمي ، ونسّق معهما عملية الاختطاف، حيث اتصل بأوفقير في الرباط بعد إتمام العملية، قائلاً له (لقد وصل الضيف) وسجلت المخابرات الفرنسية المكالمة الشيفرية دون علم بمغزاها . كما أنه هو الذي استقبل أوفقير بنفسه مساء ٣٠ أكتوبر ١٩٦٥ بمطار أورلي وكان برفقة أوفقير إيلي ترجمان، اليهودي المغربي الإسرائيلي الجنسية، وقاد لوبيز السيارة بأوفقير وزميله إلى حيث يُحتجز بن بركة .

*السيد الحسيني : ضابط مخابرات مغربي يعمل مساعدًا للدليمي، حاصل على دورات طبية في التخدير، وهو من مواليد ١٩٣٨ ، اعترف أنطوان لوبيز بأنه – أي الحسيني – اشترك بنفسه في استجواب بن بركة مع الدليمي وتعذيبه .

*الماحي الغالي : عميل للمخابرات المغربية، ينتحل صفة طالب بكلية التجارة بجامعة السربون، وكان وسيطًا بين العقيد الدليمي وأنطوان لوبيز، واشترك مع آخرين في اختطاف بن بركة من شارع Boulevard أمام مقهى Brasserie Lipp .

*عشاشي عبد الحق : أحد عملاء المخابرات المغربية ، أقام مع السيد الحسيني عدة ليال بفندق هيلتون بباريس للمعاونة والتنسيق في عملية اختطاف بن بركة.

* العربي الشتوكي : يحتل منصبًا كبيرًا في المخابرات المغربية ، ساهم في عملية الاختطاف دون أن يثير حوله الشبهات في باريس، حيث كان يستخدم جوازات سفر بأسماء مستعارة، لكن عثر على اسمه في سجلات فندق الإليزيه[1] من ٣ إلى ٧ نوفمبر ١٩٦٥، واعترف لوبيز بأنه التقى والشتوكي والماحي بمطار أورلي، حيث كانا في استقبال الجنرال أوفقير أيضًا مساء ٣٠ أ كتوبر .

*إيلي ترجمان : يهودي مغربي يحمل الجنسية الإسرائيلية ، ويعمل مع أوفقير مشرفًا على وحدة العمليات السرية بوزارة الداخلية المغربية.. كان وسيطًا بين أوفقير

---

(١) جاء الاسم هكذا ببعض المصادر.. وبالبحث لم نجد فندقًا بهذا الاسم في باريس، حتى فنادق الدرجة الاقتصادية. وجاء بأحد المصادر أنه فندق (Hotel de Seze) ، وهو فندق صغير يقع في 16 rue de Seze, 9e .

ومائير عاميت رئيس الموساد، واتصل أيضًا بالمتهمين جورج فيغون وأنطوان لوبيز وفيليب لومارشان لبحث تفاصيل عملية الاختطاف. ألقي القبض عليه في فرنسا إثر تفجر فضيحة بن بركة، واعترف بأنه صاحب فكرة استدراج بن بركة إلى خارج سويسرا ، حيث يكون البوليس في فرنسا جاهزًا للمساعدة.

*السوطي العربي، والصقلي سعيد، مغربيان من عملاء المخابرات المغربية، عاونا في اختطاف بن بركة وتعذيبه في محبسه قبل قتله .

***جورج فيغون** : فرنسي من مواليد ١٩١٦ ، ينتمي إلى أسرة ثرية لكنه اتجه إلى السرقة والسطو المسلح، وبعد ١٢ عامًا في السجن بتهمة إطلاق النار على شرطي، تعرف بالمتهمين لوبيز والصحفي فيليب برنييه، وتعاون معهما في عملية اختطاف بن بركة، هرب فيغون من الشرطة الفرنسية إثر افتضاح العملية، إلى أن عثر عليه قتيلاً بشقته في ١٧ ديسمبر ١٩٦٥، ووجدت بأوراقه وثيقة عبارة عن مسودة سجلت بها بعض الأسئلة، التي طرحت على الشهيد بن بركة قبل الإجهاز عليه .

***جورج بوشيس** : صحفي فرنسي فاشل من مواليد ١٩١٤ ، اتجه إلى السرقة وعاون الجستابو أيام الاحتلال الألماني لفرنسا وتمت إدانته بعد ذلك . كان يمتلك فيلا (فونتيني لي فيكونت) التي شهدت تفاصيل تعذيب ومقتل بن بركة. وهو صديق مقرب للجنرال أوفقير، حيث كان يشغل مهام حقيرة في المغرب، ويمتلك فندق جراند أوتيل في الدار البيضاء، الذي كان يدار بعلم أوفقير للدعارة لتصيد المناوئين للحكم ، واللصوص. قام بوشيس بتعذيب بن بركة بنفسه قبل وصول أوفقير إلى باريس، ثم هرب من العدالة الفرنسية إلى المغرب حيث قتل هناك عام ١٩٧٢ على يد العقيد أحمد الدليمي بعد اعتقاله وتعذيبه بقسوة، وهذا ما أكدته بعد ذلك زوجته أندريو التي هربت من المغرب خوفًا من انتقام الدليمي .

***فيليب برنييه** : رئيس تحرير مجلة (أنتر) الفرنسية اليسارية، كان على علاقة وثيقة بالمهدي بن بركة وزاره في جنيف عدة مرات، وقام بنشر مقالات بن بركة الثورية المناهضة فاكتسب بذلك ثقته وصداقته.

كان فيليب برنييه أيضًا صديقًا لجورج فيغـون الـذي عرّفـه بالتـالي علـى العربـي الشتوكي المسئول الأمني المغربي، وأقنعه الشتوكي بالعمل على استدراج بن بركـة إلى باريس، فاتصل به برنييه في جنيف لإقناعه بالسفر إلى فرنسا لمقابلة المنتج السينمائي جورج فرانجو، ولولا ثقة بن بركة في برنييه لامتنع عن مغادرة سويسرا، لكن الأموال التي تسلمها صديقه فيغون من الشتوكي سهلت عملية الخداع والاختطاف.

*جورج فرانجو: منتج سـينمائي فرنسـي ومخـرج فيلـم عنوانـه (باسـتا) يصـور نضال الشعوب في دول العالم الثالث، اشترك في مؤامرة اختطـاف بـن بركـة بدعـوى إنتاج فيلم تسجيلي يصور قصـة كفاحـه مـن أجـل الحريـة والديمقراطيـة والعـدل في المغرب، وبالتواطؤ مع برنييه أقنعا بن بركة بالسفر إلى باريس، ويعـترف لوبـيز بـأن فرانجو كان أحد الذين حضروا حفل الغداء في اليوم التالي لاختطاف بـن بركـة، مـع باقي مجموعة الاختطاف.

*فيليب لومارشان : عضو البرلمان الفرنسي ، وهو محام لامـع مـتزوج مـن ابنـة وزير المالية الفرنسي لوبيرك ميران. كان لومارشان صديقًا للإسرائيلي إيلي ترجمـان، الذي عرض عليه المشاركة في استدراج المهدي بن بركة إلى باريس لاختطافه، حصـل لومارشان من أموال المخابرات المغربية على عشرة ملايين فرنك فرنسي كدفعـة أولى، وصل بعضها إلى جيب فيليب برنييه وجورج فرانجو، ثم تسلم عشرة ملايـين فرنـك أخرى مقابل الإنفاق والدفع لمجموعة الخطف الفرنسية ولمسئولين كبار.

وأثناء عملية الاختطاف أمام مقهى Lipp ، كان لومارشان يقـف بسيارته علـى الناحية الأخرى من شارع بوليفار يراقب المشهد المثير الذي قـام بـه لويـس شوشـون الضابط الفرنسـي بشـرطة المخـدرات ونائبـه ريمـون فواتـو، والضـابط المغربـي الغـالي الماحي.

*لويس شوشون: (عقيد) رئيس شعبة مكافحة المخدرات بباريس.. قبـض مبلغًـا كبيرًا من لومارشان لتنفيذ عملية الاختطاف في وضح النهار.. اعترف حال اعتقاله في ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ بأنه صديق شخصي للجنرال أوفقير، ولنائب البرلـان لومارشـان،

وأنطوان لوبيز. وانحصرت مهمته في الإشراف علـى عمليـة اختطـاف بـن بركـة مـن شارع بوليفار ، وأخذه إلى البيت المعد سـلفًا لاسـتجوابه، حيـث لم تكـن لديـه أيـة شكوك في نية تعذيبه وقتله .

اعترف أيضًا بأنه يديـر مـن البـاطن فندقًا في (مونبارنـاس) [1] للدعـارة، حيـث ينطلق منه عملاء أوفقير لتنفيذ عملياتهم السرية التي لا يعرفها.

***ريمون فواتو:** (عقيد) نائب رئيس شعبة مكافحة المخدرات، لويـس شوشـون. اشترك مع رئيسه في تنفيذ عملية الاختطاف مقابل مائتي ألف مارك لكل منهما.

***فانفيل لوروا** : رئيس شعبة مكافحة الجاسوسية بباريس، ورئيس المتـهم الأول أنطوان لوبيز، وقد أعفى من منصبه وقدم للمحاكمة حيث إنه كان قد تلقى معلومات عن خطة اختطاف بن بركة قبل تنفيذها .

***الجنرال جاكييه** : رئيـس إدارة مكافحـة الجاسـوسية بالمخـابرات الفرنسـية، والصديق الشخصي لرئيس الجمهورية الجـنرال شـارل ديجـول.. أعفـى مـن منصبـه بتهمة الإهمال في قضية اختطاف بن بركة .

*هناك أيضًا أسماء عديدة لأشخاص تورطوا في عملية بن بركة ، منهم: (جوليان ليناي) ، و(جان باليس) ، و(لوني بيير) والثلاثة رجال عصابات ولهم ملفات أمنيـة في الشرطة الجنائية الفرنسية ، استعان بهم لومارشان في المراقبات وتأمين المواقع.

***جان كاي** : مفوض في الشرطة الفرنسية ، ومساعد لوزير الداخلية .

***جان فينو**: صديق جورج فيغون، وكان فيغـون قـد أخـبره بأنـه رأى الجـنرال أوفقير يدخل إلى حجرة بن بركة وفي يده خنجرًا .

*وطالت الشبهات وزيـر الداخليـة الفرنسـي، روجيـه فـراي، صديـق لومارشـان وأوفقير.

---

(١) مونبارناس Montparnasse الحي الشعبي الشهير في باريس، الذي ظل لعقود طويلة بمثابة القطاع الأدبي في العاصمة الفرنسية، وشوارع الحي مليئة بالمقاهي والبارات وعلب الليل. أشهرها شارع لاجايتيه La Galete .

*بيتر كوفارشان : نائب في البرلمان الفرنسي، اتهمته الصحافة الفرنسية بالمشاركة في عملية الاختطاف، لأنه كان على علم بتفاصيلها قبل وبعد التنفيذ .

وعلى خلفية فضيحة اغتيال بن بركة.. كان بإسرائيل صدع متعاظم تثور أزمته داخل أروقة جهاز الموساد ومكتب رئيس الوزراء ليفي أشكول[1].

ففي الموساد كانت حلقات الفشل تجيء متعاقبة منذ مطلع عام ١٩٦٥.. حيث اعتقل الجاسوس الداهية (إيلي كوهين) في دمشق في ١٨ يناير ١٩٦٥ وأعدم شنقًا[2] بعد أربعة أشهر.. وفي القاهرة اعتقل جاسوس الموساد (يوهان وولفجانج سيجموند لوتز) في ٢٢ فبراير ١٩٦٥ هو وزوجته وحكم على لوتز بالسجن المؤبد.. أما الملازم أول طيار (حامد ضاحي) فقد قتل بأمريكا في مايو ١٩٦٥ لفشل الموساد في تجنيده لكي يفر لإسرائيل بطائرته ميج ٢١ العراقية.. وفي بغداد قتل زميله النقيب طيار (شاكر محمود يوسف) بعدها بأقل من شهرين للسبب نفسه .

وفي مكتب رئيس الوزراء.. عين ايسير هاريل رئيس الموساد السابق مستشارًا لليفي أشكول في سبتمبر ١٩٦٥.. للإشراف على أجهزة المخابرات.. مما أثار أزمة بسبب الكراهية المتبادلة بين هاريل وعاميت..

فعلى إثر فضيحة اشتراك الموساد في عملية بن بركة.. صعّد هاريل من هجومه لعاميت.. مطالبًا باستقالته من المخابرات وكذلك استقالة رئيس الوزراء أيضًا لموافقته على العملية من البداية.. لكن محاولاته باءت بالفشل.. وأمام تجاهل ليفي أشكول احتجاجات هاريل ورفض عاميت التعاون معه ، اضطر للاستقالة في يونيو ١٩٦٦ .

الشاهد الأخير

بالرصاص أعدم الجنرال محمد أوفقير أمام عرش الملك الحسن عام ١٩٧٢.. وقتل عام ١٩٨٣ الجنرال الدليمي في حادث طريق غامض.. ومات الملك الحسن الثاني عام

(١) ثاني رئيس وزراء في إسرائيل بعد ديفيد بن جوريون. تولى من ١٩٦٣ : ١٩٦٦. وكان قبلها وزيرًا للمالية .

(٢) أبقاه السوريون أربعة أيام معلقًا في حبل المشنقة ، التي نُصبت له بميدان المرجّة في دمشق، تشفيًا وانتقامًا، وعبرة .

١٩٩٩. وبرغم ذلك فمازالت قضية بن بركة تمثل إحدى أشهر الفضائح السياسية في المغرب وفرنسا وإسرائيل على الإطلاق.. وملف أسرارها المكتنز لم يغلق بعد .

ففي أغسطس ٢٠٠١ ، وبعد قرابة ستة وثلاثون عامًا من اغتيال بن بركة.. تكلم ضابط المخابرات المغربي المتقاعد، أحمد البخاري[1]، وكشف تفاصيل جديدة عن اغتيال بن بركة.. حيث كشف عن دور أوفقير والدليمي في التخطيط لتصفية بن بركة.. وأسلوب التعذيب الوحشي الذي لاقاه مُعلم الملك في الساعات الأخيرة من حياته.. حيث يعترف البخاري صراحة ، بأن بن بركة علق على حبل بعدما رفض الإجابة عن أسئلة الدليمي.. وأبقى متدليًا من السقف لساعات طويلة ، كان يضرب أثناءها ضربًا مبرحًا.. إلى أن قام أوفقير بتمزيق صدره بخنجر..

(لقد كنت متواجدًا بحجرة تعذيب بن بركة وكنت شاهدًا على نهايته المأساوية). لكن الجديد الذي صرح به ضابط المخابرات المغربي السابق وأثار ضجة لم تنته حتى صدور هذا الكتاب ، أن جثة بن بركة نقلت بطائرة عسكرية مغربية إلى الرباط.. حيث تمت إذابتها في حوض مليء بحامض كيميائي.. لتختفي بذلك ، وإلى الأبد ، معالم الاختطاف والاغتيال والجثة أيضًا.. وأن الإذابة تمت داخل أحد البيوت السرية بحي السويسي[2] بالرباط التي تخص جهاز المخابرات المغربية..!!

---

(١) أحمد البخاري : التحق بجهاز الشرطة بالمغرب عام ١٩٥٧ وفي آخر ١٩٥٨ التحق بجهاز المخابرات الذي يعرف باسم (كاب ١) وكان برتبة صف ضابط أثناء اغتيال بن بركة عام ١٩٦٥ ، وفي عام ١٩٧١ جرى فصله نهائيًا من الأجهزة الأمنية.. فأسس شركة تجارية وتلاحقه عدة أحكام بالسجن في قضايا بتهمة إصدار شيكات بدون رصيد . تصريحات البخاري الأخيرة نشرت بصحيفتين في يوم واحد في أغسطس ٢٠٠١ : صحيفة (لوموند) اليومية الفرنسية في حوار مع ستيفان سميث، وصحيفة (لوجورنال) الأسبوعية التي تصدر بالفرنسية أيضًا بالدار البيضاء في المغرب.. في حوار مع رئيس تحريرها أبو بكر الجامعي.. وبعد النشر بادر ثلاثة من ضباط المخابرات المتقاعدين الذين قال أن لهم علاقة باغتيال بن بركة برفع دعاوي قذف وتشهير ضده.. بعدها وجد البخاري نفسه معتقلاً في قضية شيكات بـ ١٨ ألف دولار.. والمثير أن محاميه يقول إن قضايا البخاري مجرد (تلفيق).. وتلاعب سياسي من جانب أجهزة المخابرات لا أكثر..!!

(٢) حي السويسي : من أرقى الأحياء السكنية بالرباط. حيث يضم القصور الملكية، وقصور الأمراء والأميرات وصفوة القوم بمنطقة زنقة الأميرات.. ويضم أيضًا ميدانا لسباق الخيل.. وكان يقيم بالحي الجنرال أوفقير، في أحد القصور الخيالية التي كان يمتلكها .



خطف أوجلان من كينيا ..!!

أغلقوا دونه كل الأبواب وفتحوا باب المصيدة الوحيد.. وطاردوه بوحشية ليدفعوه إليها. لكنه حاول أن يستحث أخلاق العالم المتحضر المنادي بحقوق الإنسان.. ووجود الإنسان.. وحريته ، بلا فائدة. ووحيداً هائماً حزيناً اقترب من المصيدة التي كم تَجَنَّبها.. حتى حَشَرُوه بها حشراً.. وتصيدوه ..!!

الزعيم (آبو)

نهار ١٥ فبراير ١٩٩٩ كان طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقى مجتمعًا مع رئيس الوزراء التركى، بولند أجاويد، في مقر الحكومة بأنقرة، عندما دخل أحد مساعدي أجاويد قاعة الاجتماع وسلمه ورقة مطوية، فسارع وفتحها .

وبينما عيناه كانت تقرأ السطور القليلة جدًا، تهلل وجهه وامتلأ غبطة وخيلاء.. ولم يدرك طارق عزيز معنى التبدل الفجائى لحال رئيس الوزراء، الذي كان يناقش معه مسائل استراتيجية هامة تتعلق بقاعدة أنشرليك العسكرية ، التي تستخدمها المقاتلات الأمريكية المكلفة بمراقبة منطقة الحظر الجوي في شمال العراق.

كانت الورقة التي قرأها أجاويد وأدخلت السرور إلى قلبه.. تفيد نبأ اعتقال (عبد الله أوجلان) وخطفه من كينيا.

لقد تأكد أجاويد لحظتئذ أنه الرجل السعيد الحظ بين رؤساء الحكومات التركية منذ الثمانينيات، لأن اسمه سوف يرتبط باعتقال العدو رقم واحد لتركيا، أكثر من ارتباطه من قبل في عملية اجتياح الشطر التركي من قبرص عام ١٩٧٤.

فمن يكون هذا الذي انتفخت أوداج رئيس الوزراء التركي بسبب اعتقاله في دولة إفريقية ..؟

إنه عبد الله أوجْلان.. زعيم حزب العمال الكردستاني.. الذي يعرف حركيًا باسم (آبو) وهي كلمة تعني (الخال) باللغة الكردية.

درس أوجلان (٥٠ عاما) الاقتصاد والعلوم السياسية فى تركيا.. وفي نوفمبر ١٩٧٨ أسس مع عدد من زملائه الطلاب حزب العمال الكردستاني. على أنقاض جيش التحرير الوطني الذي كان قد أسسه قبل ذلك بعدة أشهر .

ولد المناضل الكردي عام ١٩٤٩ لعائلة تعمل بالزراعة فى قرية (عمرلى) قرب الحدود التركية السورية، وبسبب نشاطاته الثورية اعتقل لأول مرة عام ١٩٧٢، وقبل

الانقلاب العسكري في تركيا في سبتمبر ١٩٨٠ هرب أوجلان إلى الخارج حيث أقام في المنفى منذ ذلك الحين، فأقام في دمشق وأحيانًا أخرى في معسكر لأتباعه في البقاع اللبناني، وقد تعرضت لبنان لضغوط شديدة من تركيا إلى أن أغلق المعسكر عام ١٩٩٢.

ومنذ عام ١٩٨٤ اعتمد أوجلان نهج الكفاح المسلح، عندما أسس خلايا حزبه العسكرية، وأصبح لديه رجال أكراد مُدَرَّبون، بهدف تشكيل الهوية الكردية التي قُمعت قرونًا طويلة على يد الأتراك.. وفيما اعتبره أكراد تركيا بطلاً وزعيمًا أسطوريًا، اعتبرته أنقرة إرهابيًا دمويًا، وعملت على التخلص منه وتصفيته مهما كان الثمن ..

أسطورة أزدهاك

بدأ أوجلان نشاطه الثوري المسلح بمهاجمة القرى الكردية المتعاونة مع الأتراك، وقتل مدرسي اللغة التركية في مدارس هذه القرى، ثم تطور كفاحه الثوري ليشمل بقية المنطقة الكردية في تركيا.. ليصل به النجاح إلى إعلان (مناطق كردية محررة) لا يجرؤ الجيش التركي على اقتحامها.. وكانت الهيمنة على هذه المناطق ليلاً لصالح أوجلان، ونهارًا للأتراك.. وأمام هذا الكابوس المزعج، كانت أنقرة ترد بقوة نيران عسكرية شرسة، اعتمدت أسلوب (الأرض المحروقة) لتحجيم تحركات قوات أوجلان وإفقادها القدرة على التحرك .

وبقي الرجل لغزًا مُرْبكًا.. فقد استطاع من خلال مخابئه المتعددة، خارج تركيا، قيادة بضعة آلاف من الثوريين الأكراد بنظام جيد، وتخطيط عسكري مدهش، كما نجح في إثارة حماس الشعب الكردي، الذي أقبل الآلاف من شبابه على الانضمام إلى حركته، بل والاستعداد للتضحية بحياتهم فداء للقضية الكردية.. وفي مجتمع هو الأكثر تقليدية ومحافظة في الشرق الأوسط، جذب أوجلان ألوف الفتيات الكرديات إلى حزبه، فتركن عائلاتهن وانخرطن في حرب العصابات.

لقد أيقظ أوجلان القضية الكردية في تركيا من مرقدها، واحتاط أمنيًا حتى يتجنب السقوط في قبضة الأتراك، واضعًا أمامه سيرة القادة الأكراد الذين سبقوه، والذين وقعوا ضحايا الخيانة، أو سقطوا في المصائد السياسية التي أودت بهم وبالقضية الكردية إلى غياهب النسيان.

ففي أواسط القرن التاسع عشر، وقع الملك غير المتوج لكردستان، بدير خان، ضحية أحد أحفاده، ونفى إلى خارج البلاد.

وفي عام ١٩٢٧ اعتقل الزعيم الكردي (سيد رضا)، زعيم الثورة الكردية في (درسيم) حيث جرى إعدامه شنقًا..

أما الزعيم الكردي الإيراني (سيمكو) فقد اغتيل عام ١٩٣٠ بعد استدراجه إلى فخ محكم.

وفي ١٣ يوليو ١٩٨٩ استدرج زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني إلى فخ في فيينا، نصبه له عملاء إيرانيون، بحجة مناقشة المسألة الكردية وتم قتله مع مساعدين كرديين له.

وبعد ثلاث سنوات اغتيل خليفته، سعيد شرفقندي، في مطعم ميكونوس(١) في برلين، ووجهت ألمانيا الاتهام إلى أعلى السلطات الإيرانية، وبينهم وزير الاستخبارات (علي فلاحيان).

وفي أعقاب اتفاق الجزائر بين شاه إيران وصدام حسين عام ١٩٧٥، تحول الملا مصطفى البرزاني إلى ضحية الشاه، عندما تخلى عنه بعد توقيع الاتفاق، فسحقت القوات العراقية الأكراد في الشمال، وسوّت بقراهم الأرض مما اضطر مئات الآلاف منهم إلى الهرب إلى إيران.

---

(١)ميكونوس Mykonos : جزيرة يونانية في بحر (إيجه) مساحتها حوالي ٤٠ كيلومترًا مربعًا. جمالها الأخاذ حمل عددًا من الأدباء والفنانين على اتخاذ بيوت لهم فيها، ومن أشهر هؤلاء الكاتبة الفرنسية فرانسوا ساجان، والأديب كلانفيل هيكس. والمدهش أن هذه الجزيرة الصغيرة تحوي ٣٦٥ كنيسة، زعمت الأقاويل أن المحاربين اليونانيين القدماء، كانوا كلما شنوا حربًا قدموا نذرًا ببناء كنيسة إذا ما عادوا منتصرين .

وبعد وقف إطلاق النار في حرب الخليج الأولى، عام ١٩٨٨، أوقف الخميني دعمه لأكراد العراق، فضربهم صدام بالأسلحة الكيماوية في (حلبجة) وغيرها، وأجبر الآلاف منهم على هجرة أرضهم إلى جنوب العراق، لتشتيتهم وتفريقهم بين عناصر الشعب العراقي .

لكل تلك الحوادث الدموية التي نُكب بها الأكراد في كل من تركيا والعراق وإيران، أدرك عبد الله أوجلان أن لا أمان للأتراك، وأنه بات العدو رقم واحد في أنقرة.. لذلك قال ذات مرة في حديث صحفي: (يقول الأتراك أن عليهم معاقبتي أينما كنت.. لكنهم لن يستطيعوا تنفيذ ذلك في أوربا.. وليس أمامهم إلا أن أخرج إلى أفريقيا.. عندئذ يستطيعون، وبمساعدة الإسرائيليين، الإمساك بي..) .

فهل كان أوجلان يقرأ الطالع عندما قال عبارته..؟ إن هذا ما حدث بالفعل ووقع بكامل تفاصيله عام ١٩٩٩.

فكيف تطورت الأوضاع والقضايا والأحداث الدرامية ، حتى يتم إجبار أوجلان أثناء مطاردته على السفر لإفريقيا..؟ وكيف وقع زعيم محنك في المصيدة التي كان يعرف مكانها مسبقاً ويتحاشى الاقتراب منها..؟

كان أوجلان يستثمر جهوده الثورية من أجل هدف واحد، وهو الاستقلال الكامل للأكراد عن تركيا. فالأكراد ليسوا مجرد أقلية في المثلث التركي- العراقي- الإيراني، إنما شعب بالملايين له لغته الخاصة، وتقاليده الإسلامية السُنِّية، وتراثه التاريخي، وطموحاته. شعب لم يعرف على مدى قرون بعيدة سوى الحروب في منطقة بالغة التعقيد .

وفي نضاله الثوري من أجل الانفصال عن تركيا وإقامة الدولة الكردية، أفتى عبد الله أوجلان بإهدار دم الأتراك أينما كانوا وفي أي موقع . واستمد فتواه هذه من أسطورة كردية قديمة وشهيرة .

تحكي الأسطورة بأنه كان هناك ملك ظالم مستبد يحكم الأكراد، اسمه (أزدهاك)، أصيب بمرض أقعده، وكان عبارة عن ورم ضخم نبت على كتفيه،

ويسبب له آلامًا مبرحــة تجعلـه يصرخ متوجعًـا فـترتج جـدران القصـر لصرخاتـه.. فأوصى الطبيب المعالج بأن (يدهن) الورم بمخي شخصين يوميًا.. إلى أن يـزول الـورم نهائيًا.

أمر الملك وزيره بتنفيذ وصية الطبيب فورًا.. ولأن الوزير كان عـادلاً ويعـرف بـأن علاج الملك أمر مستحيل بهذه الوسيلة، قرر الوزير قتل شخص واحد فقط من الإثنين اللذين يتم القبض عليهما يوميًا، على أن يتم تهريب الرجل الثاني والاسـتعانة بمـخ حيـوان بـدلاً منـه. وبمـرور الأيـام والسـنين، تجمـع الهـاربون خلـف جبـل يحيـط بالمدينة.. وعندما كثر عددهم قاموا بـالثورة علـى الملـك الظـالم وهـاجموا قصـره وهـم يحملون المشاعل، وقيـل إن عيـد النـيروز عنـد الأكـراد مسـتمد مـن هـذه الأسـطورة القديمة.

حسـنات أوجــلان

حَوَّل عبد الله أوجلان هذه الأسطورة التي تُعَبِّر عن أحلام الأكراد، وتُجسِّد، وفقًا لمفهوم قضيتهم العادلة، إلى مبررات لفتاوى إهدار الدم التي نصت على حمل المشاعل وقتل إثنين أو أكثر من الأتراك، أو كما قال أوجلان بالنص : (اقتـل الـتركي وكأنـه (أزدهاك)، اغرس في قلبه السكين.. أو اقذفه بالرصاص، من أجل أن تتفتح ورودنا.. وتشتعل الثورة الكردية ونحمل المشاعر..).

اتسعت أشكال الانتفاضة الكردية في تركيا، ومـع العنـف المضـاد اسـتعان الثـوار الأكراد بنوع جديد من الألغام الإيطاليــة المضـادة للأفـراد، لا تكتشـفها أجـهزة رصـد الألغام، فتقطعـت أرجـل وأطـراف الآلاف مـن الجنـود الأتـراك، وبـاتت الانتفاضـة تشتعل وتخمد بشكل يتناسب سلبًا وإيجابًا مع إجراءات الجيش القمعية ضدهم وضد قراهم ومناطقهم. وتعرضت منـاطق جنـوب شـرق الأنـاضول الكرديـة لعمليـات إبـادة جماعية لا يتصورها عقل أو منطق.

ففي الفترة الممتدة من عام ١٩٨٤ إلى عـام ١٩٩٧ دمـر الجيـش الـتركي أكـثر مـن ثلاثة آلاف قرية كردية، تمثل ثلث القرى الكردية البالغ عددها تسعة آلاف قريــة،

وأجبر ثلاثة ملايين كردي على الهجرة إلى المدن الكردية، مما شكل عبئًا إضافيًا على المحافظات الكردية التي تعرضت ست منها، من بين عشر، إلى مشكلات اقتصادية واجتماعية غاية في السوء.

وبرغم تصاعد الثورة الكردية وأعمالها العسكرية، حاول عبد الله أوجلان إيجاد لغة أخرى للحوار مع الحكومة التركية بديلاً عن لغة العنف والخسائر والضحايا.. إلا أن الحكومات التركية المتعاقبة كانت ترفض التفاوض معه لكي لا تخلق منه بطلاً.. استمر هذا الرفض حتى بعدما أعاد أوجلان النظر في مطالبه التي خففها، حيث طالب بالحكم الذاتي للأكراد بدلاً من الاستقلال التام.. متناسيًا بذلك حلم الدولة الكردية التي كان يحلم بها على أرض الواقع، لمجرد أنه اكتشف بوعي السياسي الثوري استحالة قيام دولته.

وتبعًا للعبة السياسة في التعامل مع الأتراك، وحفاظًا على أمن مواطنيه من مواصلة القمع التركي، استجاب أوجلان من قبل لعرض الرئيس التركي السابق، تورجوت أوزال، (بإيقاف العمليات العسكرية الكردية شهرًا واحدًا، لكي يتسنى لنا البحث في الخيار السلمي).. وبعد انتهاء المهلة المقررة تعامل أوجلان بمرونة، عندما استجاب للمرة الثانية لطلب الرئيس التركي بتمديد الهدنة التي استمرت حتى وفاة أوزال.

محللو السياسة تعجبوا كثيرًا أمام موقف أوجلان من الطلب التركي الرسمي.. وقالوا إن موقف هذا الثوري الناشط أحد أهم حسناته السياسية التي رفعت رصيده عند الشعب التركي نفسه، لأنه أوقف نزيف الدم لفترة طويلة. لكن الحكومة التركية لم تعترف بحسنات الرجل، وتصر على اعتباره إرهابيًا، دون شرح لماهية الإرهاب، أو الإجابة عن سؤال مباشر ومحدد: لأي سبب يسترخص أوجلان وثواره أرواحهم ويتدافعون إلى الموت..؟

لكن أوجلان، على كل حال، حظي ببعض المكاسب الهامة لشعبه، وهي إن كانت قليلة شحيحة، إلا أنها تمثل حصاد الثورة التي خاضها وتزعمها، حيث

أجبر الحكومة التركية، وهي سابقة خطيرة لم تحدث من قبل، على فسح المجال للأكراد لممارسة لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وإنشاء المدارس والجامعات الكردية، وجاء هذا التطور الكبير في السياسة التركية في مواجهة الانتفاضة الشرسة العارمة.. ومحاولة احتواء لهيبها المشتعل.

الخروج من دمشق

بيد أن الثائر الفدائي الذي تحول إلى أسطورة، لم تقنعه بعد هذه الإنجازات التي حققها، فواصل انتفاضته من خارج تركيا للحصول على ما هو أثمن وأكبر، ألا وهو الحكم الذاتي للأكراد، الذي يعقبه قيام دولة كردية مستقلة، وسواء كان أوجلان يحلم بتحقيق هذا الحلم على يديه، أو على يد الذين يجيئون من بعده، فإن حلم الدولة الكردية قد تحول إلى هاجس الأكراد وحلمهم الأكبر ، الذي كان يتوجب عليهم التضحية والفداء من أجله.. وعلى ذلك انقادوا خلف زعيمهم الذي لم يتزوج، واهبًا حياته للقضية، إلى أن تتحول القضية الكردية في تركيا إلى العالمية، وتتدخل الدول الكبرى لإيجاد حل عادل يتناسب وظروف المشكلة .

لم يكن التحالف الإسرائيلي التركي ، الذي وُقِّع عليه رسميًا في ٢١ فبراير ١٩٩٦، بداية للعلاقات القوية بين البلدين، بل ترجع هذه العلاقات إلى السبعينيات من القرن الماضي، عندما كانت تركيا في أوج صراعها مع الجيش الأرمني السري، واغتيال زعيمه (هاجوب أجوبيان) عام ١٩٨٦ في أثينا. وعندما قامت إسرائيل بغزو لبنان عام ١٩٨٢ ودمرت البنية التحتية لمنظمة التحرير الفلسطينية، استولت مع اقتحامها لمباني المنظمة ، على ملفات هامة تتعلق بنشاط الجيش الأرمني السري الذي تعاون مع فصائل فلسطينية، تدريبًا وتمويلاً، وقدمت إسرائيل هذه الملفات الثمينة إلى جهاز الاستخبارات التركي (ميت Mait) كعربون صداقة حميمة بينهما.

ومنذ ظهور حزب العمال الكردستاني عام ١٩٨٤، سعت الاستخبارات التركية إلى الاستفادة من حليفتها الإسرائيلية للقضاء عليه. وعرضت ثمنًا غاليًا ومغريًا يشمل تزويد إسرائيل بالمياه مجانًا، في مقابل السماح لطائرات تركية تقلع من شمال قبرص

حاملة قوات الكوماندوز، لضرب قواعد حزب العمال الكردستاني في البقاع اللبناني، وخطف زعيمه عبد الله أوجلان. إلا أن إسرائيل تهربت من المطلب التركي حتى عام ١٩٩٦، نتيجة لاستراتيجيتها القديمة، لكسب ثقة الأكراد، والظهور بمظهر الدولة الحامية للأقليات في الشرق الأوسط.

ومع الضغط التركي المتزايد على تل أبيب، أبدت إسرائيل مرونة إلى حد ما، خاصة وأن في مقدمة أولويات الحلف بينهما التخلص من هذا الداء المزمن، أوجلان، ولأن أوجلان كان يقيم في دمشق، كان من مصلحة إسرائيل فتح باب جديد للضغط على السوريين، وعلى هذا الأساس تم ترتيب اجتماعات في بروكسل بين المخابرات التركية (ميت)، والموساد، والمخابرات المركزية الأمريكية .

كان هدف الاجتماع الأساسي هو خطف أوجلان إما من دمشق، أو من مقر قيادته العامة في سهل البقاع اللبناني. لكن رغم انحياز إسرائيل أخيرًا لهذه الفكرة، إلا أن المندوب الأمريكي رفض، لأن الهدف الأمريكي في ذلك الحين، كان عدم خلق أجواء توتر جديدة في المنطقة.. مقترحًا أن يتم مطاردة أوجلان خارج السيطرة السورية، مع خلق الظروف السياسية المناسبة لتحقيق هذا الهدف.. وهذا ما حدث بالضبط عندما جرى تصعيد عسكرى تركي ، كاد يقود المنطقة إلى حرب مدمرة لولا تدخل الرئيس حسني مبارك .

وكسياسي أيضًا، تابع عبد الله أوجلان التوتر السوري التركي، والاستنفار العسكري والسياسي الذي تصاعد بينهما.. ففضل مغادرة سوريا إلى موسكو حتى لا يتسبب في حرج للسوريين الذين لم يطلبوا منه رسميًا مغادرة دمشق.. وبمساعدة أعوانه حصل على جواز سفر قبرصي باسم مغاير، يستطيع بواسطته التنقل دون أن يكتشف أحد هويته الجديدة .

لكن المخابرات المركزية C.I.A دخلت اللعبة بشكل أوسع.. عندما تمكنت من رصد تليفون أوجلان الذي يعمل بواسطة القمر الصناعي.. فأمدت الموساد بتفاصيل استلام أوجلان لجواز سفر قبرصي. وبواسطة أحد المتعاونين معها في أجهزة الأمن

القبرصية، حصلت الموساد على صورة من جواز السفر، وبات أمر اختطـاف أوجـلان مرهونًا بمغادرته دمشق، وهذا ما تحقق بالفعل مساء ١٩ أكتوبر ١٩٩٨ .

الـثائر الـمـطـارد

قامت تركيا بحملة دبلوماسية شرسة لمنع أية دولة – أوربية بالذات – مـن منـح حق اللجوء السياسي إلى عبد الله أوجـلان. واستعانت تركيـا في حملتـها بعشـرات الأفلام لمشاهد وضحايا العمليات الثورية (الإرهابية) التي قام بها أوجـلان في تركيـا. إضافة إلى ترجمة خطاباته السياسية وفتاواه بقتل الأتراك بشتى اللغات .

مارست أمريكا أيضا سياسة الضغط الدبلوماسى على الـدول الأوربيـة، مـن أجـل الوقوف إلى جانب تركيا في محاربة الإرهاب، وتعاونت مع أنقرة في متابعة تحركات أوجـلان والطـائرات الـتي يتنقـل بـها، مسـتعينة بـأحدث مـا لديـها مـن أجـهزة تكنولوجية متقدمة في الرصد والتنصت.. على أن تتولى المخابرات الإسرائيلية الترتيب مع الدولة الإفريقية التي سيتم اختطاف أوجلان منها إلى تركيـا.. وأطلـق علـى هـذه العملية منذ بداية التخطيط لها : العملية (آبـو Operation Abu) نسـبة إلى لقـب (آبو) – أو الخال في اللغة الكردية – الذي يعرف به أوجلان بين أنصاره.

غادر عبد الله أوجلان دمشق سرًا مساء ١٩ أكتوبر ١٩٩٨ ، ووصل إلى موسـكو في الساعات الأولى من صباح ٢٠ أكتوبـر.. ورصدتـه المخـابرات الأمريكيـة الـتي كـانت تتنصت على مكالماته الهاتفية أولاً بـأول.. وكـان هـذا الهـاتف النقـال أحـد أخطـاء أوجلان الاستراتيجية.. حيث لم يستبدل رقم هاتفه بـآخر جديـد ممـا يعيـق عمليـة تتبع خطواته واتصالاته.. ولم يفكر أحدًا ممن كانوا حوله في هذا الأمر، لثقتـهم بـأن تركيا لا تملك تكنولوجيا التجسس على هاتفه، لكنهم غفلوا عن إسـرائيل وأمريكـا، ورغبتهما في مساعدة تركيا تبعا للعبة المصالح التي تنـامت بـين الأطـراف الثلاثـة في المنطقة .

لعبة السياسة

وما إن وصل أوجلان إلى موسكو، حتى أعلن وزير الدفاع التركي آنذاك، عصمت سيزجين، وبناء على المعلومات المخابراتية الأمريكية المعطاة، أن عبد الله أوجلان موجود في روسيا.. وصعق الروس أمام المفاجأة.. وتدخلت أمريكا من جديد تنفيذًا للخطة المرسومة .. ومارست ضغوطها الدبلوماسية مما اضطر وزير الداخلية الروسي إلى إعلان رفض بلاده منح حق اللجوء السياسي للزعيم الكردي.. وفي حين انتظار خروجه من موسكو، كثفت تركيا وأمريكا من جهودهما لمحاصرة أوجلان، والدفع به إلى ناحية أفريقيا، حيث خططت إسرائيل لاختطافه حال وصوله إلى كينيا، بالاتفاق مع السلطات الكينية التي أعطت لها وعدًا بتحقيق مطلبها، نظرا للعلاقات القوية التي تربط بين البلدين منذ عاونت كينيا إسرائيل في عملية (عنتيبي) بأوغندا[1] التي جرت أحداثها الدرامية عام ١٩٧٦ .

بدا واضحًا أن هناك بلا أدنى شك ، ملامح صفقة أمريكية/ تركية سرية كانت وراء مطاردة أوجلان، وقامت هذه الصفقة على مقايضة خدمات المخابرات الأمريكية، في مقابل الاستمرار في استعمال قاعدة انشيرليك التركية الجوية، كحجر زاوية في المنظومة العسكرية الأمريكية لحصار واحتواء النظام العراقي من الشمال.

أما إسرائيل فكانت مصالحها من وراء مطاردة أوجلان أكثر من أن تحصى، كان من أهمها الحصول على المياه من تركيا، وتطويق سوريا لدفعها إلى الدخول في مفاوضات مباشرة معها.. وجر الأتراك في عملية الضغط على دمشق تبعًا لبنود اتفاقية الحلف والدفاع المشترك بين أنقرة وتل أبيب .

وفي تركيا، كان هناك عشرة صقور، وُضعوا في أجواء العملية السرية (آبو) التي تعهدت بها ثلاثة أجهزة استخباراتية لاختطاف أوجلان، هي الجهاز التركي المعروف باسم (ميت)، والموساد، والـ C.I.A . وهؤلاء العشرة الأتراك هم : رئيس

(١) انظر تفاصيل عملية عنتيبي في الجزء الثالث من (حراس الهيكل) .

الجمهورية سليمان ديميريل، ورئيس الوزراء بولند أجاويد، ورئيس الأركان الجنرال حسين كيفريك أوغلي، وقائد الجندرمة الجنرال راسم بيتير، ومساعد رئيس مجلس الوزراء حسام الدين أوزعان، ووزير الخارجية إسماعيل جيم، ورئيس الاستخبارات (ميت) شعكال عطا صاغون، ومعاونه مقداد الباي، وقائد العمليات العسكرية الجنرال يا شار بيوك أنشى ، ومستشار الخارجية كورك مازحق طائري. لكن القرار النهائي الحاسم كان من نصيب أربعة مسئولين كبارهم رئيس الوزراء، وقائد الجندرمة، وقائد العمليات العسكرية، ورئيس الاستخبارات.

أثمرت الجهود الدبلوماسية الأمريكية عن انصياع العديد من عواصم أوربا لرغبة واشنطن.. وباتت أوربا لا تملك سياسة خارجية واحدة، فهي أيضا متعددة السياسة حيال المسألة الكردية، والمأساة كانت في تصريح دبلوماسي أوربي حاول المستحيل ليجد ملجأ مؤقتًا لأوجلان، سواء في هولندا أو فى لوكسبورج أو النمسا وغيرها، لكنه يأس تمامًا، وقال بحزن: لم يعد لدينا رجال دولة ذوى جرأة وصلابة، مثل برونوكرايسكي أو أولف بالم أو فرانسوا ميتران. لقد غسلوا جميعهم أيديهم قائلين: (فليذهب هذا الكردي حيث يشاء.. لكن ليس عندي..).

المعتقل الحُر

غادر أوجلان موسكو آملاً في اللجوء لدولة أوربية.. لكن مطارات أوربا أغلقت أجوائها أمام طائرة أوجلان، التي كانت ملكا لرجل أعمال كردي يقيم في لندن، وهامت الطائرة فوق الغيوم الضبابية، وكانت الذروة الدرامية مع الحكومة البلجيكية، التي حلقت طائراتها الحربية ومنعت دخول طائرة أوجلان إلى مجالها الجوي، فيتجه الرجل المطارد إلى إيطاليا في ١٢ نوفمبر ١٩٩٨، ولدى هبوط طائرته بمطار روما يتم اعتقاله على الفور.

قال أوجلان للإيطاليين :

(ماذا فعلت بحقكم..؟ ليست لي أو لرجالي سابقة أضَرَّت بأمنكم أو ببلادكم، أو حتى ببلد أوربي آخر.. إنني أحارب من أجل قضية شعبي في تركيا.. نريد

حقوقنا الشرعية التي ينكرونها.. نريد أمنًا وسلامًا واستقلالاً.. فنحن أمة تكره القتل والدماء.. لكن الأتراك أرغمونا على أن نطالب بحقنا بالقوة .

الآن.. أنا مطارد في كل مكان.. وأكاد أكون الرجل الوحيد الذي يصعب أن يجد له مكانًا في العالم.. فثمة مؤامرة تركية تستهدفنا.. ونحن حاليًا نعيش وضعًا مأساويًا.. للغاية..) .!!

وبعد اعتقاله لعدة أيام، أعلنت السلطات الإيطالية أنه حر.. ولكن أية حرية تلك التي نالها أوجلان، بعد ما نقل إلى فيلا صغيرة ببلدة (أنفرنيتو)، التي يعني اسمها بالإيطالية (الجحيم الصغير)، حيث يحرسه رجال الكوماندوز (ديكوس) ويرصدون تحركاته في البيت، فقد كانوا يحتلون الطابق الأرضي الذي اكتظ بأجهزة الكمبيوتر والفاكس وبطاريات الهاتف والراديو، ويقومون بدوريات مستمرة فوق السّلم اللولبي الصغير الذي يؤدي إلى طابقي البيت، وفي الأروقة كانوا يشهرون أسلحتهم على مدار الساعة.

كان أوجلان يقيم بالطابق الأول ذو النوافذ الخشبية المغلقة ليل نهار، وبرغم شكوى أوجلان من الحبس الاختياري الذي يشبه الاختناق، لم يسمحوا له بالتنزه في الحديقة الخلفية للبيت، وكانوا يحصون عليه أنفاسه.. ويحرسون باب الصالون حيث يستقبل زائريه.. ولا يتركونه يتحرك بمفرده حتى وهو في طريقه إلى المرحاض(!!).

هكذا كان الضغط النفسي المستفحل شديد الوطأة على الثائر المناضل.. فالإيطاليون الذين لم يكن في وسعهم ، أخلاقيًا ، طرد أوجلان بصورة شرعية، مارسوا عليه ، من جهة أخرى ، كل الضغوط النفسية المكنة على أمل أن تنهار أعصابه، ويغادر الأراضى الإيطالية، بقرار ذاتي، وهو ما تم بالفعل بعدها بفترة وجيزة.. برغم نصيحة محاميه الإيطاليين الذين عرضوا عليه أن يحاكم في إيطاليا، وأن محاكمته قد تطول لسنوات وسنوات.. إلا أن السيدة (دانيال ميتران) قالت له : **(إذا كنت ثوريا بحق.. فعليك ألا تخاف الظلام في زنازين السجن.. وهذا ما فعله من قبل**

نلسون مانديللا الذي قضى في السجن ٢٥ عامًا، لأنه كان صاحب هدف.. ومبدأ.. ورسالة..).

وفي الوقت الذي أعلن فيه رئيس الوزراء الإيطالي (ماسيمو داليما) أثناء وجود أوجلان في روما، أنه قد تم فتح صفحة جديدة للمشكلة الكردية المتأزمة ، لتصبح مشكلة لأوروبا كلها، وصلت الحالة النفسية لأوجلان إلى الحضيض.. فقد طالبت تركيا إيطاليا رسميا بتسليمه إليها لمحاكمته، بل ورفعت دعوى قضائية مستعجلة أمام المحاكم الإيطالية، ضمنتها سجل أوجلان (الإرهابي) ، وعمليات حزبه الثورية.

وفي ٢٨ نوفمبر ١٩٩٨ رفض القضاء الإيطالي تسليم أوجلان إلى تركيا، برغم الجهود الأمريكية وتدخلها لدى روما.. مما أثار توترًا شديدًا في العلاقات بين تركيا وإيطاليا، لم يزل إلا بخروج أوجلان في ١٦ يناير ١٩٩٩ من الأراضي الإيطالية. ومن جديد، تابعت المخابرات الأمريكية تحركات طائرته عبر الأقمار الصناعية، إلى أن هبطت في موسكو.

توقع الثائر المطارد أن النخوة الروسية قد تحميه بعدما تخلى عنه الجميع ، فموسكو كانت إلى عهد قريب عاصمة دولة عظمى ذات ثقل ، وقد تزأر في وجه مطارديه فيتراجعوا . لكن يبدو أن روسيا التي نسيت الزئير وتعاني من مشكلات اقتصادية سيئة ، وُعدت بالمساعدة للخروج من أزمتها.. لذلك تحول أوجلان إلى ضيف غير مرغوب فيه فوق الأراضي الروسية.. فغادر موسكو مهمومًا في الأول من فبراير ١٩٩٩ متوجهًا إلى هولندا، لكن السلطات الهولندية رفضت أن يغادر طائرته التي زودتها بالوقود وأصدرت أوامرها إلى الطيار بالتحليق خارج أجوائها.

طائرة بلا مهبط

كان أوجلان في تلك اللحظات العصبية يشعر بأن أوربا كلها تخلت عنه.. حتى أن ألمانيا هددت باعتقاله، وجاء هذا من خلال تصريحات أدلى بها فيشر وزير

خارجية ألمانيا، في مطلع فبراير ١٩٩٩، وأكد فيها أن أوجلان (سيتعرض على الفور للاعتقال إذا وصل إلى ألمانيا، وسيحاكم بموجب مذكرة اعتقال دولية عن جرائم متعددة واختلاس أموال).

ولعل الحديث عن المواقف الأوربية من المأساة الكردية، ومطاردة أوجلان، يبدآن أساسًا من البوابة الألمانية، رغم بقائها موصدة في وجه الثائر الكردي، وربما قبولها لعب دور غير مباشر في خدمة الجهد التركي الإسرائيلي الأمريكي، ليس فقط بسبب وجود نصف مليون كردي تركي على أراضيها، معظمهم لاجئون هربًا من بطش العسكرية التركية، بل لأن الثقل المتنامي لألمانيا في الاتحاد الأوربي منح بون وزنًا مضافًا وعزز من كلمتها السياسية.

فليس خافيا موضوع الاضطرابات التي هزت ألمانيا بداية من ١٩٩٥، وحولتها إلى ساحة نزاع دموي بين الأتراك، وعددهم مليونان، وبين نصف مليون كردي، مما دفع السلطات الألمانية إلى اتخاذ مواقف متشددة، تراجعت حدتها عقب الاجتماع الذي عقده مسئولون أمنيون ألمان مع أوجلان في مقر إقامته السري بلبنان، أسفر ابتداء من عام ١٩٩٦ عن إصداره الأمر للأكراد في ألمانيا، بنبذ العنف، والركون إلى الهدوء، واحترام قوانين الدولة الألمانية ، التي تمنحهم الأمن والاستقرار فوق أراضيها.

هذا التطور الهام في العلاقات بين ألمانيا وحزب العمال الكردستاني، كان له أثره البالغ، إذ أعلن المدعي العام الألماني، عام ١٩٩٨، وفي سابقة هامة وخطيرة، أن الحزب الكردي المحظور لم يعد حزبًا إرهابيًا.. وبدأت الدوائر الألمانية المعنية تجري العديد من اللقاءات السياسية مع أوجلان ومساعديه، حتى فوجئ أوجلان بإعلان وزير الخارجية الألماني، فيشر، يتوعده بالقبض عليه لمحاكمته عن تهم بجرائم قتل واعتداء وتجاوزات كثيرة حدثت فوق الأراضي الألمانية.. وكان يوركا فيشر من قبل من أكثر النشطاء في أوربا دفاعًا عن حقوق الأكراد، والمتضامن العلني مع حزب العمال الكردستاني في مطالبه وحقوقه .

وبعد طيران طويل يتسول الحماية والعدل فوق عواصم أوربا، اعتقد أوجلان أن سويسرا الديمقراطية النزيهة ستقبله على أراضيها لاجئًا سياسيًا.. لكن الأجواء السويسرية أغلقت في وجهه، برغم استغاثة قائد الطائرة بأن وقوده أوشك على النفاذ.. وكان أقرب مطار أوربي وافق على إنقاذ الطائرة بركابها، هو مطار ميلانو في شمال إيطاليا.. ومن جديد هبطت طائرة الرجل المطارد اليائس البائس الذي ضاقت به الأرض، ولم يجد له مكانا على أرض الدول المتحضرة التي تطالب وتنادي بحقوق الإنسان، بينما تستقبل لصوص دول العالم الثالث الذين هربوا بثروات بلادهم.

إلى المصيدة

هكذا فقد أوجلان الأمل في عواصم أوربا التي انصاعت للضغوط الأمريكية، وأغلقت مطاراتها وآذانها دونه، ولم يبق أمامه سوى دولة واحدة اليونان، التي تصور أن خلافاتها الأزلية مع تركيا ستحميه وتنقذه من مصير مجهول يتربص به.. وعلى ذلك غادر إيطاليا بعد ساعات قليلة من التزود بالوقود، وناور قائد طائرته لكي لا تنكشف وجهته القادمة.. وما كان يتخيل لحظتئذ أن أقمار التجسس الأمريكية ترصد الطائرة لحظة بلحظة، إلى أن هبطت في اليونان في الساعات الأولى من صباح ٢ فبراير ١٩٩٩، وتعلن أنقرة كالعادة، نبأ وصول عدوها الأول إلى أثينا، بناء على المعلومات التي زودتها بها المخابرات الأمريكية، بينما ترد أثينا رسميًا بأن أوجلان غير متواجد على أراضيها، لكن تركيا أصرّت، لأنها كانت متأكدة من معلومات واشنطن، واتهمت اليونان بأنها تخفي مجرمًا تطارده العدالة التركية لمحاكمته.

كان رئيس الوزراء اليوناني (كوستاس سيميتس) متعاطفًا مع عبد الله أوجلان إلى أبعد الحدود، وسبق له الاتصال بالعواصم الغربية لإيواء (آبو) ولو مؤقتًا، وإعفائه من الحرج الذي قد يواجهه إذا ما أواه، لما بين بلاده وتركيا من خلافات وتوترات لم تنته بعد. لكن رؤساء الحكومات الأوربية، رفضوا بفعل الضغوط الأمريكية عليها وليس محبة أو إعجابًا بأنقرة. ولمدة يومين ترك سيميتس الزعيم الكردي يتنقل

بحرية مع رجل الأعمال اليوناني (أنطونيوس نيكساكيس) بطائرته الخاصة.. غير أن المأزق اليوناني بات أشد وعورة.. أمام الضغوط الأمريكية التي لا قبل لها بها .

هنا تدخلت المخابرات الإسرائيلية، بما لديها من علاقات ، تكشفت فيما بعد، بمسئولين كبار في وزارتي الخارجية والداخلية اليونانيتين، لإقناع أوجلان بالتوجه إلى نيروبي واللجوء إلى السفارة اليونانية هناك، بانتظار حصوله على حق اللجوء السياسي بهولندا أو إيطاليا التي كانت تتباحث بالفعل بخصوص هذا الإجراء.

اختارت الموساد نيروبي بالذات كمكان مثالي لتنفيذ خطة الاختطاف، لأنها قاعدة أساسية للمخابرات الإسرائيلية التي تقيم علاقات قوية متشعبة مع نظام الرئيس (دانيال آراب موي). وهكذا اتخذ أوجلان قراره في لحظة يأس بالذهاب إلى كينيا، دون أن يتبصر بالحقائق التي تحيط به، وهو الذي سبق له أن صرَّح بأن تركيا لن تستطيع الإمساك به في أية دولة أوربية، لكنها تستطيع ذلك في أفريقيا وبمساعدة إسرائيل .

وضع أوجلان هذه المرة خطة لتضليل المخابرات الأمريكية والإسرائيلية معًا، هكذا تصوَّر أنه قد يستطيع بذلك الإفلات من المراقبة والمطاردة، لذلك توجه بطائرته أولا إلى سويسرا التي رفضت دخوله، ثم إلى مطار قرب ميلانو الإيطالية، ثم إلى جزيرة كورفو اليونانية، حيث تزودت طائرته بالوقود ثم حلقت باتجاه الجنوب.. إلى المصيدة التي كان يُدفع إليها ، ومصيره المحتوم في نيروبي .

كان الكردي المُعَنَّى يظن بانه فعل الصواب بالتجائه إلى أفريقيا، كمحطة مؤقتة، حتى يتمكن من استعادة أنفاسه وترتيب انتقاله إلى هولندا، كلاجئ سياسي. وما كان يتخيل أنه خلال كل مرحلة من هذه المراحل، كانت عيون المخابرات الإسرائيلية والأمريكية تضعه تحت المراقبة الدقيقة، حتى لا يتخذ قرارًا مفاجئًا بتغيير وجهته في آخر لحظة فتفسد الخطة.

نَسَّقت الموساد بشكل جيد مع الأتراك الذين تأهَّبوا على أمل نجاح (العملية آبو).. حيث صدرت الأوامر إلى اثنتى عشر فردًا من الوحدات الخاصة التركية ، بالتحرك على متن طائرة خاصة لوزير تركي سابق، ولعدم إثارة الشبهات حملت الطائرة الألوان والشارات الماليزية، وجشمت طيلة عشرة أيام في مطار (عنتيبي) الجديد بأوغندا.. ثم توجهت بعد ذلك إلى مطار (جومو كينياتا) في نيروبي استعدادًا للحظة الحاسمة.

تلقى عبد الله أوجلان قبل تحركه إلى كينيا الوعود اليونانية الطيبة بحمايته، وترتيب أموره دوليًا بعدما يمكث لبعض الوقت في نيروبي.. ويبدو أن القرار اليوناني الرسمي كان يسانده، بينما كانت أطراف مؤثرة أخرى تعمل مع إسرائيل وأمريكا. وكان السفير اليوناني في كينيا ، جورج كوستولاس، مع القرار الرسمي .

مصادر استخباراتية دولية خَطَّأت أوجلان بموافقته على الانتقال إلى نيروبي.. واعتبرت أنه بوجوده هناك كان في فم الذئب الإسرائيلي.. فالعمليتان الأخيرتان ضد السفارتين الأمريكيتين في كل من دار السلام ونيروبي في أغسطس ١٩٩٨ ، كشفتا في حينه خصوصية العلاقة بين كينيا وإسرائيل.. فقد هرع وقتها مائة وخمسون من رجال الإسعاف والدفاع المدني الإسرائيلي إلى نيروبي للمساعدة في عملية إنقاذ الضحايا.

كان الحضور الإسرائيلي روتينيًا في أجهزة الأمن الكينية.. واتخذت العلاقات بين البلدين شكل الدعم الإسرائيلي لكينيا لدى صندوق النقد الدولي.. وهو دعم احتاجت إليه حكومة الرئيس آراب موي للخروج من مأزقها الاقتصادي المتدهور.

وعلى ذلك فقد أكدت التحليلات والمصادر أن الحكومة الكينية لم تكن بحاجة إلى ضغوط لإقناعها بالتعاون من أجل مساعدة إسرائيل في استدراج أوجلان.. وغض النظر عما يجري على أراضيها.

ولأن أوجلان كان قد حل ضيفًا رسميًا على السفارة اليونانية في نيروبي.. كان يجب إخراجه من السفارة لأي سبب، ثم اقتياده إلى المطار حيث ترابض الطائرة التركية وبداخلها اثنتى عشرة رجلا من قوات الكوماندوز الأتراك، مهمتهم استلام أوجلان من مختطفيه والعودة به إلى أنقرة.

نفذت السلطات الأمنية الكينية خطة الموساد التي اتفق عليها مسبقًا، حيث قام مسئول بوزارة الداخلية الكينية بإرسال مذكرة عبر وزارة خارجية بلاده، تطالب أوجلان بالذهاب إلى مكتب الجوازات والجنسية ، لترتيب أمر إقامته في كينيا لحين حصوله على حق اللجوء السياسي في مكان آخر. وحاول السفير اليوناني كوستولاس تأجيل أمر خروج أوجلان لدواعي أمنية ، لكن الإصرار الكيني كان متشددا. وعندها اتصل السفير بوزير خارجيته، لكن وزير الخارجية اليوناني (ثيودور بانالوس) اتصل بالسفير قائلاً: **(إن اتصالاتنا الدبلوماسية المكثفة أسفرت عن موافقة هولندا على استضافة أوجلان.. وبإمكانه الآن التوجه إلى هولندا..).**

وعلى ذلك استعد أوجلان لمغادرة السفارة إلى المطار.. وجاءت عربات الأمن الكينية لمرافقة الزعيم الكردي وحمايته حتى يصل إلى الطائرة.. وفي اللحظات الأخيرة قبل خروجه، أراد أوجلان تأكيدات من اليونان بصحة العرض .. وأنه بالفعل سيتجه إلى أمستردام لا إلى مكان آخر.. لكن اليونانيين قطعوا كل الاتصالات الهاتفية مع السفارة، وازداد أوجلان توترًا وغضبًا.. وقال لرفاقه الأربعة، ومنهم المحامية بريتا جويلر: **(إننا نتعرض لمؤامرة، وإن لم نغادر السفارة الآن ستكون نهايتنا التصفية الجسدية في كينيا).**

أما السفير اليوناني فقد امتقع وجهه غضبًا وتأثرًا.. وقال للثائر المحاصر:

(عليك أن تواجه الموقف وتتقبل مصيرك بذات الروح البطولية التي اشتهرت بها.. إنك رمز ثوري فاعل مؤثر.. لن يضيرك ما سوف تلقاه.. فقد نقشت اسمك في سجلات البطولة على صفحات التاريخ.. امض فالتاريخ يتعقب خطاك ولتكن صورتك ناصعة على الدوام..).

جاء رجال الامن الكينيون إلى السفارة.. وسال أوجلان قائد الفريق:

إلى أين ستأخذونني يا سيدي ..؟

أجابه :

إلى المطار.. فالطائرة تنتظر لتطير بك إلى هولندا .

السفير الباكي

كانت نظرات الرجل الكيني تكذب.. وحاول رفقاء أوجلان منعه من الخروج من باب السفارة.. لكنه كان قد أصيب بالإحباط واليأس .. ولم يتردد في الخروج قبلهم إلى السيارة التي استقلها وحده مع رجال الأمن.. أما رفقاؤه فقد توزعوا على سيارتين من سيارات الشرطة.. إلى جانب سيارة حماية رابعة تضم عددا من الجنود الذين يحملون الرشاشات.

جلس أوجلان صامتا زائغ العينين بعدما تعانق والسفير اليوناني المتقع الوجه، وشعر لحظتئذ بأن تلك هي اللحظات الأخيرة في حياته التي يتنسم فيها هواءً نقيًا.. وكلما قطعت به السيارة المنطلقة مسافة من الطريق.. ازداد شعوره بالاختناق.

وما إن غادر موكبه محيط المدينة وسلكوا طريق المطار.. حتى انقض عليه رجال الموساد الذين كانوا ينتظرون مقدمه.. لم يتدخل رجال الأمن الكينيون.. بل تركوا الأصدقاء الآخرين يكملون مهمة شد وثاق الثائر الكردي وعصب عينيه.. ودفعه إلى سيارة أخرى أسدلت ستائرها.. وقبلما تعصب عيني أوجلان.. لاحظ أن السيارات ألأخرى كانت قد ابتعدت مسرعة برفاقه الأربعة ، الذين نمت إلى مسامعه صراخاتهم المستنكرة المستغيثة.

استسلم أوجلان اليائس البائس لمصيره ولم ينطق بكلمة واحدة.. وأدرك بأن خطة تركيا لاصطياده نجحت في النهاية.. وبأن مستقبله بات رهن الأقدار.. وأسفل الطائرة التركية أنزل أوجلان ثم اقتيد إلى جوفها حيث استلمه رجال الكوماندوز

الأتراك.. وسرعان ما حلقت الطائرة باتجاه أنقرة، تحمل على متنها أثمن صيد يحلم به الأتراك.

اقتيد أوجلان أولا إلى سجن السلاطين في أنقرة، ثم نقل إلى جزيرة إيمرلي[1] في بحر مرمرة، المحصور بين مضيقي البوسفور والدردنيل، حيث تمت أولى جلسات محاكمته في ٢٤ مارس ١٩٩٩ ، التي انتهت بعد ذلك بحبسه مدى الحياة بدلاً من الإعدام الذي لم يطبق في تركيا منذ عام ١٩٨٤، نظرًا لتطلع أنقرة إلى الانضمام للاتحاد الأوربي الذي لا يقر هذه العقوبة.. وخوفًا من ثورة كردية شاملة تشعل فتيل حروب جديدة لا تريدها تركيا .

لكن ماذا حدث بعد اختطاف أوجلان من كينيا وترحيله إلى تركيا..؟ وكيف حدث الزلزال الذي ارتجت له اليونان ..؟

في البداية.. نقلت شبكة N.T.V التليفزيونية التركية في واشنطن، خبرًا.. عن مسئول أمريكي رفيع المستوى ، أن رئيس الوزراء التركي بولند أجاويد سيعقد بعد ١٠ دقائق مؤتمرًا صحفيًا يعلن فيه اعتقال زعيم حزب العمال الكردستاني عبد الله أوجلان. وبالفعل، عندما عقد أجاويد مؤتمره الصحفي بعد دقائق من الخبر، كان الأتراك قد عرفوا ما سيقوله رئيس حكومتهم، وأن أوجلان قد تم اعتقاله .

وفي نيروبي عقد السفير اليوناني هناك ، جورج كوستولاس، مؤتمرًا صحفيًا آخر، أكد فيه خبر اعتقال الزعيم الكردي الذي كان ضيفًا على سفارة بلاده.. لكن المشهد الذي تناقلته الفضائيات كان مؤثرًا.. إذ كان السفير يبكي بدموع غزيرة وهو يقول:

---

(١) اعتقل في جزيرة إيمرلي وأعدم من قبل مسئولون كبار في تركيا، مثل (عدنان مندريس) الذى لقى مصيرًا أسود بعد الانقلاب العسكري الأول في ٢٧ مايو ١٩٦٠ ، الذي قاده الجنرال جمال جورسيل رئيس لجنة الضباط الأحرار.. وبعده اعتقل المخرج السينمائي الشهير (بيلماز جوني) الذي تمكن بمعجزة من الهرب إلى فرنسا عام ١٩٨٣ ومات فيها. وجزيرة إيمرلي جزيرة صخرية صغيرة مغطاة بالصنوبر والدفلي.. وطوال محاكمة أوجلان كان الثائر التركي جالسًا داخل صندوق زجاجي واق من الرصاص، مزود بأجهزة صوتية ومكيف الهواء.. وتحرس الجزيرة قوات البحرية التركية سريعة الحركة .

(لقد خدعتني حكومتي.. إنها مؤامرة قذرة.. لقد كذب عليّ وزير الخارجية ثيودور بانالوس وطلب مني إقناع أوجلان بمغادرة السفارة للتوجه إلى هولندا.. وبعد اختطاف ضيفنا اتصلت بالوزير الذي طلب مني أن أنسى الموضوع كله وأهتم بأسرتي.. إن ما حدث يا سادة نقطة سوداء في تاريخ اليونان.. نقطة سوداء لا يمكن محوها.. وستظل آثارها باقية تشهد على الخداع والخيانة..).

أما الحدث على المستوى الرسمي في اليونان.. فقد تحول إلى زلزال عنيف.. سقطت فيه رؤوس وزراء الخارجية والداخلية والشئون الأمنية.. إضافة إلى رئيس المخابرات وعشرات المسئولين الآخرين الذين تورطوا في هذه العملية اللا أخلاقية.

إنه لم يقرأ

وبرغم الانتقادات الدولية التي وجهت إلى تركيا وأمريكا واليونان.. شنت الصحافة العالمية حملة هجومية شرسة ضد إسرائيل ، التي شاركت بمجهود كبير في اختطاف الثائر الكردي.. وظهر وجه إسرائيل الحقيقي التي دائمًا ما تروج لتعاطفها مع الأقليات في الشرق الأوسط.

وفي حين أنكرت إسرائيل علاقتها بحادث الاختطاف.. اعترف وزير العدل اليوناني (إيفانجيلوس يانوبولوس) بخرق جهاز الموساد للمخابرات اليونانية.. وفجر قنبلة مذهلة عندما قال:

(إن العميل السري اليوناني (سافاس كاليديريدس) الذي رافق أوجلان إلى كينيا، هو عميل للموساد.. حسبما صرح لي بذلك أحد المسئولين الكبار في جهاز الاستخبارات) مضيفًا : (إن عميل الموساد كاليديريدس قد احتجز في السفارة اليونانية في نيروبي مع ثلاث مساعدات لأوجلان.. وأن بلاده قد خانت الزعيم الكردي من دون علمه، وأنه – أي الوزير- كان كالزوج المخدوع في العملية..).

اختراق جهاز الموساد للمخابرات اليوانية، إضافة لما قاله وزير العدل، أحدثا إعصارًا في الأجهزة الأمنية والسياسية باليونان وتل أبيب.. لكن الأعجب حقًا أن العواصم الأوربية التي خذلت أوجلان وطردته، باتت تناشد تركيا من أجل محاكمة

عادلة له.. وإيجاد صيغة حل مقبول لمشكلة الأكـراد.. إلا أن تركيـا المنتصـرة، ردت بأن لا قوميات على أراضيها.. وأن الإرهابي الـذي سـفك دمـاء ثلاثـين ألـف تركـي سيلقى جزاء ما اقترفت يداه..!!

وفي النهاية.. كان باستطاعة عبد الله أوجلان أن يتأمل، قبـل رحلـة التيـه الـتي استغرقت أربعة أشهر، مجموعة مشاهد تساعده على التأكد من أن العالم قد تغـير.. وأن العواصم والتحالفات والسياسـات قد تغيرت.. فكارلوس يقيم في زنزانة حقـيرة في سجن فرنسي.. بعدما عانى كثيرا قبل سقوطه في العثور على ملجأ آمن.. وأبو نضـال أيضا تنصل أكثر من بلد منه برغم مرضه (حتى اغتيل في بغداد).. وأسـامة بـن لادن مـا يـزال مختبئًـا بـين المغـارات والجبـال الوعـرة في أفغانسـتان تطـارده المخـابرات الأمريكية وتتعقب آثاره.

لقد نجحت تركيا في إدراج اسم أوجلان على لائحة كبار المطلوبين.. وهي لائحـة أمريكية من الدرجة الأولى.. ولم تتردد واشنطن في مناشدة العالم والضغط علـى الـدول لمساعدة تركيا علـى اعتقالـه، وإخضاعـه للمحاكمـة بتهمـة قيـادة منظمـة إرهابيـة.. واعتـبرت أمريكـا أن اسـتضافة أوجـلان هـي نقطـة سـوداء في السـلوك الـدولي لمـن يستضيفه.

كان عليه أن يحلل التفاعلات السياسية الأخيرة التي بدلت الكثـير مـن المبـادئ القديمة، وأخلت التحالفات العسكرية بين تركيا وإسرائيل بميزان القوى في المنطقة.. وباتت أمريكا هي المسيطرة على مقدرات العالم.. ولها مصالحها مع تركيا وحليفتـها وإسرائيل.. لكن أوجلان لم يلتفت إلى كل هذه التحولات الجذريـة.. ظنًـا منـه بـأن أوربا تقف وراء مطالبه العادلة.. ولم يتذكر على ما يبدو أن العالم أصم أذنيه وأغمض عينيه وترك إسرائيل تلتهم فلسطين عدوانًا وظلمًا.. ومازالت تطمع بالمزيد..!!



خطف ألمانيين من كينيا لإسرائيل ..!!

وعندما حققوا معنا.. فوجئت بالغلظة والقسوة.. وكان المحقق الإسرائيلي فظاً كريه الرائحة.. وقاسيًا .. كلما وجَّه إلـَّي الكلام ونظرت في وجهه .. أتخيل أنني واقفة أمام كلب بري شرس.. يبحث عن فريسة..!!

(بريجيت شولتز)

بـين شـلالات أفـريقـيا ..!!

التغلغل الإسرائيلي في أفريقيا كتبت حوله دراسـات عديـدة.. متنوعـة.. تنـاولت علاقات إسرائيل المتشعبة بالقارة السمراء..

يقول (ناحوم جولدمان)[1] في كتابه: إسرائيل إلى أيـن..؟: (مـن المؤكـد أن دولـة إسرائيل لا يمكن أن تبقى ما لم تشكل ظاهرة لا مثيل لها في العالم..).

والظاهرة التي اتبعتها إسرائيل لتبقى هي الإرهاب والاستخفاف بالقوانين الدولية ولوي الحقائق بما يدعم سياساتها الصهيونية ويقويها.

وكان من ثمار علاقاتـها بكينيـا.. أن استعانت بـها حكومـة نـيروبي في تدريـب الجيش وإمداده بالسـلاح.. وتدريـب رجـال الشرطة والمخـابرات والزراعـة و..إلخ.. حتى بات التغلغل الإسرائيلي في نيروبي شبيه بالفيروس الذي يلتحم بخلايا الجسـد ويسيطر بقوة على تفاعلاتها الكيميائية. وكـانت آخـر دلائـل هـذا التعـاون الوثيـق، فضيحة اختطـاف الثـائر الكـردي عبـد الله أوجـلان، الـذي اشـتركت فيـه الموسـاد بالاتفاق مع الجهات الأمنية الكينية، في بدايـات عـام ١٩٩٩ ، وترحيلـه مكبـلاً إلى تركيا لمحاكمته .

وقبل ثلاثة وعشرون عاما من التعـاون الإسـرائيلي/ الكيـني لاختطـاف أوجـلان، كان هناك حـادث اختطـاف آخـر بـدأت أحداثـه في ١٨ ينـاير عـام ١٩٧٦.. حيـث تعاونت الجهات الأمنية الكينيـة مـع رجـال الموسـاد في اقتحـام مـنزل في نـيروبي، وفندقًا صغيرًا يقع على أطراف المدينة.. وكان بالفندق ألمـانيين همـا تومـاس رويـتر- ٢٦ عامًا.. وصديقته بريجيت شولتز التي تصغره بسـتة أعـوام . اسـتغرقتهما أحـلام اليقظـة طويلاً وباتا يحلمـان برحلة مدهشة إلى نيروبي ، حيث حـدائق الحيوانات

---

(١) ناحوم جولدمان : رئيس المنظمة الصهيونية العالمية بين عامي ١٩٥٦ و١٩٦٨ والكتاب صدر في يونيو ١٩٧٥.

المفتوحة ، والأكواخ الطينية في قرى الغابات الشاسعة، وتسلق الجبال والاستحمام قرب الشلالات في البحيرات الصافية . وأخيرًا تحققت أحلامهما بعد جهاد مضن وطارا تحفهما البهجة إلى نيروبي ، بعيدًا عن الجليد المتساقط في ألمانيا .

كانت الساعة نحو العاشرة صباحًا وقتئذ.. والشابين شبه عرايا متعانقين في فراشهما .. عندما اقتحم رجال الأمن خلوتهما وصاحوا بهما أن يرتديا ملابسهما ، ويجهزا حقائبهما لأنهما مطلوبان للتحقيق الأمني وتصورت بريجيت وتوماس أنهما ربما قد أغفلا إحدى خطوات الدخول والإقامة، وأن هناك خطأ ما غير مقصود في الإجراءات في بلد أفريقي دخلاه بطريق شرعي.. وعلى هذا انصرفا مع قوة الأمن بحقائبهما .

أما المنزل البسيط الذي تم اقتحامه بقوة ثانية.. فقد وجد به ثلاثة شبان فلسطينيين مسالمين ، صعقتهم المفاجأة وأصابهم الذهول عندما كسر باب البيت وأحاط بمائدة إفطارهم تسعة من الجنود المدججين بالرشاشات .

اغتصاب السائحات

فتش الجنود حجرتي الشقة فلم يعثروا على أسلحة أو رسوم كروكية لأية منشآت في كينيا.. وبالرغم من ذلك أخذوهم أيضًا للتحقيق في أحد المكاتب الأمنية.. وعوملوا منذ البداية كأنهم عصابة إجرام لها سوابق وتاريخ إرهابي حافل.. وهناك التقوا بالألماني وصديقته.. حيث قيدوا إلى جوارهما لعدة ساعات دون استجواب أو إيضاح لسبب الاعتقال(1) .

كان من بين الفلسطينيين الثلاثة شاب في العقد الثالث اسمه أبو حنيفة.. يحمل جواز سفر يمني جنوبي.. أدرجت المخابرات الإسرائيلية اسمه في كشف المطلوبين ،

---

(1) جاء بمصدر إسرائيلي، وهو كتاب (أمراء الموساد) الصادر عام ١٩٩١، أن السلطات الكينية اعتقلت ثلاثة فلسطينيين عند طرف مطار نيروبي مع قاذفتي صواريخ (سام ٧) ، وكانوا يخططون لإسقاط طائرة العال التي ستهبط صباح ١٨ يناير ١٩٧٦ . ونتيجة لاستجوابهم اعتقلت الشرطة السرية الكينية (زوجين) ألمانيين كل منهما في الثالثة والعشرين، وجرى نقلهم جميعًا إلى إسرائيل للاستجواب والمحاكمة. (لاحظ كذب ما يجيء بالمصادر الإسرائيلية بعد قراءة القصة بكتابنا.. وفي النهاية ستظهر مفاجآت مذهلة.!).

هكذا قيل له، لشبهة تدبير عملية إرهابية في نيروبي ضد المصالح الإسرائيلية.. وجاء بتقرير الموساد الذي تملك الأجهزة الأمنية في نيروبي نسخة منه ، أن أبو حنيفة هذا يعد من أقرب الأقربين إلى رئيس عمليات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وديع حداد، التي نفذت منظمته العديد من عمليات خطف الطائرات ضد إسرائيل ، حيث اعتمدت أسلوب الخطف كأحد أهم الدعايات للفت أنظار العالم للقضية الفلسطينية والاحتلال الصهيوني الغاصب لأرض لا يملكها.

أما الشابان الألمانيان.. فكانت تهمتهما الاشتراك مع المنظمات الفلسطينية (الإرهابية) في أوروبا التي تستهدف أمن إسرائيل ومصالحها.

وبرغم إنكار الجميع للتهم التي وجهت إليهم.. لم تفرج السلطات الكينية عنهم.. بل سهلت استجوابهم بواسطة ثلاثة من ضباط الموساد المقيمين في نيروبي.

استخدم هؤلاء الضباط شتى أساليب الضغط النفسي على الشبان الخمسة بلا فائدة.. وتعاون رجال الأمن الكيني في توفير أدوات التعذيب البشعة ليقوم ضباط الموساد بالتعامل مع هؤلاء (الإرهابيين) لاستنطاقهم.. ومعرفة خبايا الترتيبات الهجومية الفلسطينية التى يدبرونها ضدهم ، لتوافر معلومات تؤكد بأن تجمعهم في كينيا جاء لرصد أهداف محددة في نيروبي ، ستتم مهاجمتها بواسطة آخرين .

وبعدما يأسوا من الفلسطينيين الثلاثة.. ركزوا جهدهم على برجيت ذات العشرين عامًا.. فحبسوها في زنزانة انفرادية واستخدموا معها أسلوب الإجهاد العصبي بحرمانها من النوم لفترات طويلة.. وبرغم إصرارها على أن مجيئها إلى كينيا مع صديقها من أجل السياحة لم يصدقها أحد..

وفي اليوم الرابع أطلقوا عليها ذئبًا أفريقيًا كاسرًا طرحها أرضًا واغتصبها.. وكان صراخ المسكينة الضعيفة الواهنة مدعاة لأن يصرخ صديقها توماس إن عنده المعلومات التي يريدونها.. وكل ما قاله الشاب الملتاع أنه التقى في ألمانيا بشاب فلسطيني طلب منه، بعدما عرف أنه بصدد زيارة كينيا، أن يلقاه بأحد المقاهي في نيروبي.. ولم

يحدث أن قابله لأنه لم يهتم أصلاً بهذا الأمر.. فقد اعتقد أن الفلسطيني سيبتز منه بعض المال مستغلاً جهله بالمزارات السياحية في كينيا.

لم يقنع ضباط الموساد بما قاله توماس.. ولم يلتفت إلى طلبه باستدعاء محامي من السفارة الألمانية، ليطلع على التهم المنسوبة إليه وإلى صديقته، لكن العجيب في أمر التواطؤ الكيني مع إسرائيل، أنه تقرر سفر الشابين إلى تل أبيب لاستجوابهما هناك.. وسهلت لهم السلطات الأمنية الكينية، في سابقة خطيرة لم تحدث من قبل، اصطحاب الشابين، برغم انتفاء أي اتهام أو جريمة ارتكبها الألمانيين على الأراضي الكينية أو الإسرائيلية.

رحلة إلى إسرائيل(١)

وفي مساء الثالث من فبراير ١٩٧٦ نقلا إلى إحدى القواعد الجوية، وحلقت بهما طائرة حربية إسرائيلية في طريقها رأسًا إلى تل أبيب.

في مواجهة كلب

تصف بريجيت تفاصيل الرحلة بعد ذلك إلى المحامية (ليا تسيمبل) فتقول :

لقد جرجرونا ونحن معصوبي الأعين إلى إحدى السيارات.. ومشت بنا السيارة خلال طرق وعرة طوال معظم ساعات الليل. كان برفقتنا ضابط إسرائيلي واحد وأربعة من الكينيين.. حيث قذفوا بنا إلى أرض السيارة بلا رحمة ثم كبلوا أيدينا وأرجلنا بحبل واحد.. وكانت اهتزازات السيارة مؤلمة جدًا لرأسينا حتى أننا أصبنا بجروح مختلفة ولم يكن أحدٌ من المرافقين يهتم أو يسمع استغاثتنا.

كانوا وحوشا في صورة بشر وصل بهم الأمر أنهم رفضوا التوقف لأتبول.. كنت ألح باكية على الضابط الإسرائيلي الذي يتحدث معنا بالألمانية السليمة.. قلت

---

(١)مع الاعتذار لسرحي مصري كان يقود سيارته ذات يوم، وفجأة توجه بها إلى إسرائيل، حيث قوبل هناك بحفاوة، فأصدر كتابًا أسماه (رحلة إلى إسرائيل)، لكن مع الفرق .

له مرات إن (مثانتي ستنفجر.. أرجوك توقف دقيقتين.. أرجوك يا رجل إنني أكاد أموت.. أليست لك أخت؟.. ألا تعرف الرحمة.؟).. وبازدراء شديد قال بتهكم: فلتتبولي على نفسك.. حاولت كثيراً أن أتماسك لكن الأمر كان أكبر من أن أتحمله، وفقدت القدرة تماما على التحكم بعضلات مثانتي.. ولما اندفع بولي غصبًا عني وابتل سروالي.. ضحكوا وتصايحوا في سخرية.. وبكيت بحرقة بعدها بقليل عندما شعرت باحتقانات شديدة وآلام مرعبة، نتيجة اغتصابي أربع مرات بوحشية ، وحدوث تسلخات أزادها الابتلال آلامًا لا طاقة لي بها.

كان أنيني المتواصل يضايقهم.. وأمروني مرات ومرات أن أكف عن البكاء.. ولأنني لم أعد أتحمل لم أستطع أن أسكت.. فلكزني أحدهم بحذائه في رأسي بعنف فصرخت.. وتمنيت وقتئذ الموت العاجل فهو أرحم لي من آلامي ومعاناتي.. لكن همسات توماس لي بأن أتحمل كانت بلسمًا ودواء لمعاناتي ، حتى رموا بنا داخل إحدى الطائرات، وصفعني الضابط الإسرائيلي بقسوة عندما سألته عن المكان الذي سيأخذوننا إليه .

وعندما حلقت بنا الطائرة اعتقدت بأننا في الطريق إلى وطننا.. ألمانيا.. لكن صدمت بشدة عندما أدركت الحقيقة.. وبأنهم اختطفونا إلى إسرائيل.. وتساءلت:

لماذا..؟ لماذا يختطفوننا..؟ نحن لم نرتكب جرمًا لنعاقب عليه؟

كنت أحيانًا كثيرة أشعر بكراهية لتوماس.. حيث كان يراودني إحساس غامض بأنه ارتكب جريمة ما.. وأنه ضللني وأخذني إلى كينيا هربًا من مطاردته. أو أنه بالفعل كان متورطاً مع إحدى المنظمات الفلسطينية ،وكانت رحلتنا إلى كينيا من أجل التخطيط لإحدى العمليات كما زعموا ، إلا توماس كان يحدق في عيني بنظرات حزينة.. كأنه قرأ ما أفكر به.. وكان يقول لي بثقة في كل وقت بأنه بريء ولا علاقة له بالسياسة .

وعندما ابتدأ التحقيق معنا بأحد المعتقلات الرديئة.. كان المحقق الإسرائيلي فظًا كريهًا.. قاسيًا.. كلما وجه إليّ الكلام ونظرت في وجهه.. أتخيل أنني واقفة أمام كلب بري شرس.. يبحث عن فريسة .

كانت معاناتي النفسية أكبر من أن يتحملها بشر.. وذلك عندما أخذوني بعيدًا عن صديقي.. إذ حجزوا كل منا في زنزانة انفرادية.. وحرمت بذلك من كلمات توماس المشجعة، التي كانت هي سبيلي الوحيد لأشعر بالحياة، وبأنني مازلت حية أتنفس.

المحقق .. هذا الكلب القذر، كان دائمًا يناديني بألفاظ قذرة خارجة، أبسطها: (المومس الحقيرة.. إننا نعرف عنك كل شيء في ألمانيا.. كل شيء.. حتى علاقاتك بالفلسطينيين الأوغاد الذين ضاجعوكي.. وتعاملوا معك على أنك مومس تؤتجر). وعندما ييأس مني كان يقول مهددًا:

(سنعرف كيف نجبرك على الكلام).

وبعدها بأيام بدأ يواجهني بتفاصيل دقيقة عن حياتي ، وبالمعلومات التي جمعوها عني في ألمانيا ..

واجهني ضابط الموساد بانضمامي للمجموعة الاشتراكية اليسارية في هايدلبرج.. وبأمر اعتقالي لعدة أيام لتوزيع منشورات للمجموعة.. كما أخبرني بأسماء اثنين فرنسيين أصدقاء سافرت إليهما في رحلة للتجول في جنوب فرنسا.. أيضًا أطلعني على صور لي في ميلانو أثناء حضوري أحد المؤتمرات العالمية للطلبة اليساريين .

صرخت في وجه الضابط وقلت له :

(وماذا في ذلك؟ هل لانضمامي للطلبة اليساريين صلة بالإرهاب؟ إن مجموعتنا تعتنق بعض المبادئ التي لا تمس دولتكم، ولا تسبب خطرًا لكم أو لغيركم على الإطلاق.. إنني حتى لا أعرفُ على الخريطة أين تقع إسرائيل.. ولا أتذكر أنني اهتممت يومًا لأن أعرف اسم عاصمتها.. إنني يسارية نعم لكن لا صلة لي بسياساتكم ومشاكلكم.. ولم أصادق فلسطينيًا واحدًا من قبل..) .

يومها.. تذكرت أنني بعدما عدت من ميلانو.. استدعتني الشرطة الألمانية ووضعت اسمي ضمن قائمة المراقبة لمكتب الجريمة الألماني .

عندها ضحك الوغد الإسرائيلي وهو يقول إنهم بالفعل حصلوا على كل هذه المعلومات من جهاز الأمن الألماني(٥).. وضحكت في استهزاء ظنًا مني أنه يدعي ذلك.. ولا أعرف بالضبط كيف حصلوا على تفاصيل حياتي كلها بمثل هذه السرعة..

لا أحد يعرف

المثير في الأمر أن بريجيت وتوماس اعتبرا مفقودين في السجلات الأمنية الألمانية.. وبدلاً من سؤال الإسرائيليين عنهما.. زودوا تل أبيب بمادة تفصيلية عن حياتهما .

كانت أسرتي الشابين الألمانيين تطرقان كل الأبواب لمعرفة مصير ابنيهما.. مكاتب الأمن الألمانية بشتى فروعها.. منظمة الصليب الأحمر الدولية.. ونشرت الصحف الألمانية تحقيقات مطولة عنهما.. وتساءل الجميع عن سر فقدهما في أحراش كينيا بلا جدوى .

لم ييأس الأهل في ألمانيا.. التقوا بسفير كينيا.. وأرسلوا خطابات تفيض حسرة إلى سفير ألمانيا في نيروبي .. ورسائل إلى رئيس الجمهورية الكيني (كينياتا).. وكانت الإجابة الوحيدة على صراخاتهم وآلامهم هي الصمت المطبق.. فلا أحد كان يعرف أين ذهبا.. وأي مصير مهلك انتهيا إليه بين جبال أفريقيا وغاباتها .

وفي أغسطس ١٩٧٦ وصلت لأسرتي الشابين في ألمانيا رسالة مجهولة من كينيا.. تفيد بأن الشابين شحنا إلى إسرائيل بشكل سري للغاية، لتورطهما في إحدى العمليات الإرهابية ضد إسرائيل، بالاشتراك مع منظمة فلسطينية متطرفة .

تَعَلّق الأهل بالأمل الجديد.. وأرسلا لسفير ألمانيا في تل أبيب عدة رسائل متتالية..

---

(٥) (نفت بشدة مكاتب الأمن الألمانية ، بعد ذلك ، أنها تعاونت مع الموساد.. واعترف المكتب الاتحادي لحماية الدستور أنه رد على (أسئلة روتينية) عن مجرد معلومات بسيطة طلبتها الموساد).

انزعجت السفارة الألمانية لسيل الخطابات.. وردت على عجل بأن السلطات الإسرائيلية تنفي دخول الشابين إسرائيل.. لقد كذبت إسرائيل على السفارة الألمانية.. وعلى الصليب الأحمر.. وهذا يعد في القانون الدولي خرقاً واضحًا لمبدأ حقوق الإنسان . حتى كانت المفاجأة التي هزت الأهل والشعب في ألمانيا.. إذ تمكنت محامية إسرائيلية اسمها (ليا تسيمبل) من كشف أمر بريجيت وتوماس في إسرائيل..

كانت المحامية (ليا) متعاطفة مع العرب المعتقلين وتدافع عنهم بلا مقابل.. وتعاطفت أيضا مع توماس وبريجيت، فقد رأت أن اعتقالهما كان بلا سبب واضح.. لذلك أرسلت خطابًا لأسرة بريجيت في ١٣ فبراير عام ١٩٧٧.. وفي ٢٤ فبراير، ذهب موظف بالسفارة الإسرائيلية في ألمانيا لمنزل بريجيت.. وأخبر أهلها أن الابنة والشاب رهن الاعتقال في إسرائيل ، وأن بالإمكان السفر لتل أبيب على نفقة الحكومة الإسرائيلية لمقابلتهما.. مشترطًا أن يكون التفاوض مع الحكومة بعيدًا عن المحامية (ليا تسيمبل).. وأن يلتزموا الصمت أمام وسائل الإعلام في إسرائيل وفي ألمانيا.

تدخل الأمن الألماني أخيرًا.. وصرح الإسرائيليون بأنهم (انتصروا في الحرب ضد الإرهابيين الألمانيين).

وفي ١٤ مارس أبلغ وزير الخارجية الألمانية ، هانز ديتريش جينشر[(١)]، رسميًا من الحكومة الإسرائيلية.. وكان ذلك قبل زيارته لتل أبيب بيومين فقط.

احتج الوزير الألماني بشدة لمضي عام كامل على وجود مواطنين ألمانيين في المعتقلات الإسرائيلية دون أن يعرف.. واحتدم غضبه عندما علم من سفيره في تل أبيب بنفي إسرائيل وجود الشابين على أراضيها.

---

(١) تولى جينشر بعد ذلك منصب المستشار الألماني . وكان عام ١٩٧٢ أحد شهود مذبحة ميونيخ التي نفّذها (أيلول الأسود) ، وراح ضحيتها أحد عشر رياضياً صهيونياً.

قال جينشر للصحافة إن هذه الواقعة (فضيحة أخلاقية) وسُبَّة في جبين إسرائيل.. وعار على الألمان أن يتركوا شابين بريئين في سجون إسرائيل دون محاكمة.. لأنه لا جريمة أصلاً حسبما أُبلغ.

وجه آخر للصهيونية

لكن الفضيحة لم تكن قد انتهت بعد.. فقد رفضت تل أبيب عند زيارة جينشر الإفراج عن الشابين.. بل ورفضت أن يزورهما.. وغادر الوزير إسرائيل غاضبًا.. إلا أن الاحتجاجات والالتماسات الرسمية بدلت الوضع.. فقد أعلن الإسرائيليون عن عدم رغبتهم في تقديم الشابين للمحاكمة العلنية.. ولم يسمح للدفاع بالحضور.. حتى أن مراقب المحكمة الإسرائيلي صرح للصحافة بأنه لا يعرف شيئًا عن القضية حيث حجبت عنه أوراقها.

وبعد محاكمة غير عادلة وغير شرعية.. حكم على الشابين بالسجن لمدة عشر سنوات.. وكانت التهمة أغرب من الغرابة ذاتها (الإضرار بالاتصالات الإسرائيلية)..!!

رجال القانون في أغلب دول العالم لم يفهموا ماذا تعني العبارة.. وتحولت قضية بريجيت وتوماس إلى قضية عالمية تتناقلها الصحف ووكالات الأنباء يومًا بيوم.

وبالرغم من الضغوط الدولية المكثفة.. رفضت إسرائيل الإفراج عن الألمانيين.. وبتعنت شديد رفضت أيضًا أن تظهر أوراق القضية.. أو أن يتم الاطلاع على اعترافات (المتهمين).. أو حيثيات الحكم الذي كان يمثل سابقة فريدة من نوعها.

أما آخر المفاجآت.. وأغربها في ذات الوقت.. أن السلطات الإسرائيلية صرحت رسميًا بأن تل أبيب أخبرت المكتب الألماني للأمن القومي، بعد إلقاء القبض مباشرة على بريجيت وتوماس ، ملتمسة منه بأن يكون الأمر سريًا ولا يأخذ أهل الشابين به علماً ، حتى يكتمل ملف التحقيق.

معنى هذا أن مكتب الأمن الألماني كان على علم بتفاصيل عملية الاختطاف إلى إسرائيل منذ البداية، وأنه خدع السياسيين والأهالي والشعب لمدة تزيد عن عام.. وعلى إثر ذلك ، تفجرت فضيحة أخلاقية مدوية أثقلت كاهل الحكومة الألمانية، وكشفت بما لا يدع مجالا للشك ، مدى التغلغل السرطانى الإسرائيلي داخل نسيج أجهزتها الأمنية .

لكن القضية بأية حال.. كشفت استبداد الدولة الصهيونية.. وفضحت ادعاءات إسرائيل في المجتمعات الدولية بالديموقراطية.. كما أظهرت عملية الاختطاف والمحاكمة بربرية النظام المغلف بدعايات مكذوبة لا أساس لها ، في دولة عنصرية تفتقر إلى الصراحة والصدق.. ولا تحترم حقوق الإنسان وحريته وآدميته.

وكانت قضية خطف الشابين الألمانيين ، إحدى أشهر قذارات إسرائيل وهمجيتها.. إسرائيل التي تبحث عن الأمن والسلام وتحارب الإرهاب ..!!





خطف ضابط الموساد المنشق فى مدريد ..!!

حالة شاذة وفريدة.. تلك التى يوصف بها ضابط الموساد (دانى سعيل) ، الذى أرهقته العنصرية السائدة فى المجتمع الإسرائيلى.. فهرب من إسرائيل إلى وطنه الأصلى- العراق - إلا أن الموساد اقتفت آثاره، وعثرت عليه فى إسبانيا يحاول إقناع أسرته باللحاق به.. لكن النهاية السعيدة للضابط الهارب لم تكتمل.. إذ اختطفوه ودفنوه حيًا فى إسبانيا.. ولم يعثر له حتى الآن على قبر أو رفات ..!!

في عالم الجاسوسية الغامض المثير.. قلما يصحو ضمير العميل الخائن.. أو يؤرقه إحساس بالندم.. فالخائن فى العادة إنسان منزوع الضمير.. جهول المصير، لـه قلب ينبض بالخبث.. ومدامع لا تعمل.

وجاسوس هذا الفصل حالة شاذة بعينـها.. بـل هـى الحادثـة الأولى فـى تـاريخ الموساد التى يهرب فيها أحد ضباطها إلى وطنـه الأول ، العـراق، نادمًـا أشـد النـدم على هجرته إلى إسرائيل.. وعمله فى جهاز استخباراتها.. فيطارده زملاء العمل فـى كل بقعة من الأرض.. ثم يختطفونه إلى مكان مجهول .. ويدفنونه حيًا..

إنها أروع قصص الحب والحنين إلى الوطن.. نهايتها التراجيدية المؤلمة زادت من روعتها.. وفجرتها فى ديسمبر ١٩٩٧ صحيفة معاريف الإسرائيلية مبتورة الحقائق.. غامضة. أثارت فى الأذهان عشرات الأسئلة التي كانت بلا إجابات. لكن الأهـم مـن ذلك كله.. أنها كشفت عن عنصرية دولة إسرائيل المغطاة بالأكاذيب .. وعن إرهاب الدولة الذى هو سمة رئيسية وأحد أهم أسباب قيامها.

الـوهـم الكـبير

القصة تبـدأ مأسـاتها منـذ عـام ١٩٥١.. عندمـا هـاجر (دانـى سـعيل) اليـهودي العراقى مع أسرته إلى إسرائيل . ومنذ وطأت قدماه ميناء حيفـا، وكـان عمـره وقتـها ١٧ عاماً، تصادم بعنف مع الواقـع المـؤلم.. وتلـك الحقيقـة العاريـة التـى تجلـت . فالدعاية اليهوديـة التـى صورت إسـرائيل علـى أنـها أرض الحريـة والديمقراطيـة، كشرت عن أنيابها القبيحة وظهر لـه أن كـل مـا قيـل كـان مجـرد وهـم.. وخيـال. فالمجتمع الإسرائيلى من الداخل تسوده شتى أشكال التفرقة العنصرية بكل أبعادها.

ولما مرت به الشهور والأعوام فى إسرائيل ، صفعته حقيقة أخـرى أشـد مـرارة.. حقيقة إرهاب الدولة.. فالإرهاب هو دستور إسرائيل الأوحـد.. وسـلاحها.. لابتـلاع الأرض الفلسطينية وتهويد ملامحها وهويتها ، وكانت للمذابح البشعة التى ارتكبتها

عصابات الدولة الصهيونية فى حق السكان العزل ، الأثر الكبير فى تنامى فكرة دولة الإرهاب لدى سعيل..

لذلك لازمته أحزانه وأبت أن تفارقه.. وطاردته فكرة مجنونة كانت أغلى أمنياته، ألا وهى العودة إلى بغداد هربًا من بشاعة الحياة فى إسرائيل . ولما كانت أمنيته من المستحيل تحقيقها.. اضطر أن يعيش مجبرًا إلى أن تجيء الفرصة ذات يوم.. ويتحقق الأمل .

مجتمع الشتات

ولكى نتفهم لماذا تصادم دانى سعيل مع واقعه المؤلم ، دون تفاعل معه عن قناعة، علينا في البداية أن نتعرف على حقيقة المجتمع فى إسرائيل.. ومدى التفرقة العنصرية السائدة به..

فإسرائيل تنقسم إلى عدة مجتمعات تشكل بنيانها وهى:

أ – يهود الغرب (الأشكيناز) ، ومعظمهم يهود من أصل أوروبى. وهؤلاء، كانت لهم اليد الطولى فى إنشاء المجتمع الصهيونى قبل قيام الدولة عام ١٩٤٨ بالإرهاب والمذابح، ومن بينهم تَكَوَّن الجيل الأول من الزعامة الإسرائيلية ..

ب – يهود السفاراد (سفاراديم) ، وهم أحفاد اليهود الذين طردوا من إسبانيا والبرتغال فى نهاية القرن الخامس عشر، وقطنوا تركيا وهولندا وإيطاليا وبلغاريا واليونان، ثم هاجروا إلى فلسطين فرادى أو جماعات.

ج – اليهود الشرقيون ، ولهم جذور عريقة فى الأقطار العربية، هاجر بعضهم إلى فلسطين قبل قيام إسرائيل، وأكبر موجات هجرتهم كانت فى الخمسينيات من القرن الماضى.

وإلى جانب ذلك.. توجد فئات أخرى من شرائح المجتمع الإسرائيلى ، تشكل نسبة كبيرة من تعداد السكان به، فهناك العرب المسلمون (أصحاب الأرض) ، والعرب المسيحيون، والدروز، والشركس السنيون.

وسط هذا التباين فى الأنسجة والخضم غير المتناسق.. تصاعدت الاختلافات وعم الحقد بينهم .

لا يعرفون شيئاً

فى إحدى خطبه عن الصراع الداخلى في إسرائيل خطبه يقول بن جوريون[1] :

(إن السفاراديم ويهود العرب أميون..لا تؤهلهم عاداتهم المتخلفة لشيء.. ولكن فى مدى ثلاثة أجيال، قد يخرج منهم شيء ذو قيمة وإن كنت أستبعد ذلك مستقبلا.. فهم لا عهد لهم بالنظام الديمقراطى القائم، ولا خبرة لديهم فيما يتعلق بمتطلبات مجتمع صناعى وحضارى حديث) .

كما يؤكد ليفى أشكول بدوره :

(إن عدم منحهم الوظائف العليا ليس لأنهم لا يعرفون لغة (اليديش) ولكن لأنهم لا يعرفون شيئًا) .

هكذا لمس سعيل بنفسه مظاهر التفرقة العنصرية فى إسرائيل، متمثلة فى الدخل، والمستويات المعيشية، والتزاوج، والتعليم، والتوظيف. والمحاولات المستمرة (لتغريب) اليهود الشرقيين وإزالة هويتهم، خشية تكاثر عددهم فيسيطرون على إسرائيل ، ويخسر فيها الغربيون نفوذهم وسيطرتهم . ويبرز بن جوريون هذه المخاوف صراحة عندما يقول:

(إن اليهود الغربيين يشككون في ولاء اليهود الشرقيين لدولة إسرائيل.. ويقولون قد يأتى اليوم الذى ينحاز هؤلاء فيه إلى العرب، إذ ليس هناك فرق بينهم فى جميع النواحى).

---

(١) ديفيد بن جوريون : أول رئيس لحكومة إسرائيل. تولى رئاسة الحكومة المؤقتة من منتصف ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى ١٧ فبراير ١٩٤٩. ثم انتخب رئيسًا للوزراء في ١٧ فبراير ١٩٤٩ حتى عام ١٩٥٣ ، وانتخب رئيسًا للوزراء للمرة الثانية في ١٩٥٥ حتى عام ١٩٦٣.. ومات صريع المرض والشيخوخة عام ١٩٧٣ ليخلفه وزير المالية في وزارته الأخيرة ليفي أشكول. ويعود الفضل لبن جوريون في تنظيم أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، وتحديد مهامها واختصاصاتها. وفي عهده اختطفت الموساد النازي السابق إدولف آيتشمان من الأرجنتين حيث حوكم وأعدم في إسرائيل .

شاهد من أهلها

عايش داني سعيل المبدأ العنصرى الصهيوني بكل صوره واختلالاته.. وشاهد بنفسه حمامات الدم في الطيرة في يوليو ١٩٥٣، وفي أبو غوش في سبتمبر ١٩٥٣، وفي كفر قاسم في أكتوبر ١٩٥٦، وعكا في يونيو ١٩٥٦ ، وغيرها من الفظائع الدموية من غزة حتى طبريا.. رأى كل ذلك عندما كان يعمل أثناء عطلاته الدراسية في تجارة الجلود مع والده.. متنقلاً بين المدن والقرى العربية.. تؤلمه بشاعة المذابح والإرهاب.. وتبكيه الخدعة الكبرى التي جاءت به إلى إسرائيل.

أقامت الأسرة في مسكن ردىء، يقع خلف المستشفى الفرنسي بشارع (يافيت) في تل أبيب، وما أن أنهى سعيل دراسته في المعهد الصناعي حتى ألحق بوظيفة فني إلكترونيات بأحد المصانع في (بات يام) جنوبي تل أبيب، وهناك اصطفاه يهودي سامرى.. زاره سعيل ذات يوم بمنزله، فراعه جمال ابنته المراهقة (مازيل) وقد تعدت الرابعة عشرة من عمرها بقليل، وعرف الحب لأول مرة في حياته..

وبعد مرور أربع سنوات من العمل المتواصل ، تزوج داني سعيل من محبوبته الجميلة فغمرها حبًا.. وأسكرته حنانًا. وبالرغم من هدوء حياته واستقراره، لم ينس حلمه القديم بالعودة إلى بغداد.. فلازالت ذكريات طفولته هناك تطارده.. ووجوه أصحابه ورفاقه لحظة لم تغب عن خياله.. وضحكت مازيل ساخرة ذات يوم عندما حدثها بهواجسه، فآلمته سخريتها.. وأخفى الحلم بأعماقه إلى حين.

في الموساد

عام ١٩٧١ زاره بالمصنع ثلاثة رجال لا يعرفهم.. تحدثوا معه طويلا في أمور شتى عن تخصصه في الإلكترونيات، وعن الحاسب الآلي الذى استحدثته إسرائيل في مؤسساتها.. وعن ظروفه المعيشية وأحواله المادية. . فتعجب داني سعيل مندهشًا ولم يخمن سبب هذه الزيارة الغريبة.. حتى عندما تحدث إلى زوجته بشأنها لم يجد

عندها أيضًا إجابة مقنعة.. فحاول نسيان الأمر والانتباه إلى عمله.. لكن على غير توقع عاد إليه أحدهم بعد أيام يطلب منه مرافقته إلى تل أبيب.

هناك.. وفى أحد المبانى، عرف بعد ذلك أنه مبنى المخابرات الإسرائيلية، عمل داني سعيل فى تخصصه الدقيق، وأظهر كفاءته وبراعته فى التعامل مع الأجهزة الحديثة.. بل إنه قام بإجراء بعض التعديلات الفنية الدقيقة ، التى ساعدت على تقوية كفاءة الأجهزة وسرعة التخزين والاستجابة، فارتفع شأنه كثيرًا بين أقرانه فى الجهاز.. وعند مرءوسيه.

لقد وفروا له في الموساد سبل الحياة والمعيشة باطمئنان.. ومنحوه مسكنا مريحا فى شارع (ميكور حاييم).. وانغمس حتى النخاع يبحث في أسرار الحاسب الآلى.. ويطور العديد من خطوات عمل أجهزة الموساد الإلكترونية.. ولم تقف طموحاته العلمية عند حد ما.. فقد تفتحت أمامه أوسع الطرق ليبتكر.. ويطلع بذلك على أدق أسرار الموساد البالغة السرية التى لا يعرفها إلا نفر قليل من رؤساء الأفرع. وكان من أهم ما اطلع عليه داني سعيل.. الملف السرى لجواسيس الموساد فى العراق بما يشتمل من أرقام كودية، وأسماء حقيقية ، ومهام، وتكليفات، وكذا ضباط الحالات.. وسائر النفقات والتفاصيل التي تمس جواسيس وشبكات التجسس المنتشرة في وطنه الأول.

لقد أخذته الدهشة وهو يفتح الملف.. وارتعد بدنه كمدا لوجود هذا الجيش الضخم من الخونة اليهود فى العراق.. وعندما سأل نفسه لماذا؟ قفزت فى الحال إلى خاطره رغبته المجنونة.. وحلمه المتواصل فى (الهجرة) إلى الوطن. نعم.. وكأن (العودة) ربما تكون محددة المدة.. أما (الهجرة) فهى رحلة أبدية.. يجد فيها الإنسان ذاته.. وآماله.. وطموحات أحلامه. كان قد افتقد الكثير من الأمن والراحة فى إسرائيل، مستشعرًا الفارق الشاسع بين اليهود الشرقيين والغربيين ، فكانت مشاعره المتعاظمة بالدونية تأكل عقله وتحطم أعصابه.. وتقتله بالبطئ.

اليهودى الثائر

وفى عام ١٩٧٣ نجح فى الانتخابات.. ودخل الكنيست الإسرائيلي.. وانضم إلى أعضاء البرلمان المدافعين عن حقوق اليهود الشرقيين.. لكن الصراخات الحادة المتوالية لم تسفر عن جديد، فيهود الأشكيناز أغلقوا دونهم الأبواب.. وجعلوا منهم مجرد ديكور لديمقراطية زائفة في مجتمع عنصري. وبعد انقضاء دورته البرلمانية.. فقد دانى سعيل ثقته فى حكومة الشتات.. وتمنى لو أن العرب فى أكتوبر ١٩٧٣ تمكنوا من هدم إسرائيل والوصول إلى تل أبيب.. إلا أن الحرب أفرزت كراهية متزايدة لليهود العرب، حيث ينظر إليهم على أنهم أعداء إسرائيل فى الداخل..

اكتشف سعيل أيضا أن الآلاف غيره من يهود الشرق الأوسط.. تراودهم ذات أحلامه فى (الهجرة) ثانية إلى الوطن الأم، وما كان يقلقه ويؤرق مضجعه.. ذلك القرار الذي اتخذته الحكومة العراقية ، بإسقاط جنسيتها عن اليهود العراقيين المهاجرين لإسرائيل.. فتصارعت بداخله عند ذلك نوازع شتى.. لذلك انضم إلى الجماعات الثورية المناوئة.. وخطط معها للقيام بأعمال إرهابية لإجبار الحكومة الدكتاتورية على منحهم حقوقهم.. وإنهاء التفرقة العنصرية التى أزكت نار الثورة لدى اليهود العرب والأقليات الأخرى ، وكان مما خُطِّطَ له ، احتلال مبنى الراديو والتليفزيون وبعض مبانى الوزارات، والإعلان من خلالهما عن مطالبهم الشرعية فى الحقوق والامتيازات والحرية. يأتي هذا فى ذات الوقت الذى يحتجز فيه آخرون بعض الوزراء وأعضاء الكنيست.

ولما كان ذلك من المستحيل حدوثه بسهولة في دولة مثل إسرائيل ، وزعت الجماعات المناوئة المنشورات التى تطالب بحقوق اليهود الشرقيين ومساواتهم بالأشكيناز.. ويبدو أن أحد تلك المنشورات وصل بشكل ما إلى بغداد.. تبعه تقرير صحفى مستفيض نشرته جريدة (النيويورك تايمز) اليومية، يؤكد فيه كاتبه على رغبة عشرات الآلاف من اليهود العراقيين فى العودة إلى العراق، وكانت صورة سعيل

تتصدر التقرير، كتب تحتها نداء منه إلى العراق بالسماح لهم (بـالهجرة الأبديـة) إلى الوطن الأم .

وكم كانت مفاجأة.. إذ أذاع راديـو بغـداد موافقـة الحكومـة العراقيـة علـى نـداء سعيل.. ورحبت باليـهود العراقيـين في إسـرائيل وبعودتـهم ثانيـة إلى وطنـهم.. مـع استعادة جنسيتهم وحفظ جميـع حقوقـهم ، وكـذا ضمـان وظـائف ملائمـة لهـم فـى العراق.

لم يصدق سعيل أن حلمه الكبير قارب نهايته.. وتغمره الفرحة سعى مـن جديـد محاولاً إقناع زوجته بالسفر معه إلى روما ومنها إلى بغداد.. فسعت هي إلى استرضائه في محاولـة لأن تنسيه فكرتـه المجنونـة.. وأحاطتـه وأبنـاؤه الأربعـة يبكـون علـى صدره.. يلحون ألا يغامر فيضيع ويُضَيِّعهم من بعده.

فى تلك الأثناء.. تبوأ أحد أصدقاء سعيل القدامى مركزًا حساساً فى بغداد. فقوي لديه الأمل في الرجوع بأسرته إلى العراق. وبات يحلم ليل نهار في تلك اللحظـة الـتي تطأ فيها قدماه أرض الأجداد والمولد والذكريات.. لا يشغله سوى هاجس الهرب من إسرائيل وعنصريتها.. ونسيان تلك السنوات التي ضاعت مـن عمـره في أرض ليسـت أرضه.. وبلد لا يعرف حكامه سوى لغة الإجرام والكذب.. وكان صمته الطويل يقلـق زوجته ، التي كانت على اطلاع بأفكار زوجها.. ويقينها بأنه لن يهدأ حتـى يحقـق ما يرجوه.. مهما كانت المصاعب والتضحيات .

مهمة فى بغداد

ولما استدعوه فى الموساد لسؤاله والتـأكد مـن المعلومـة الـتي ترددت.. أقـر دانـي سـعيل بصداقتـه القديمـة للمسـئول العراقـى الكبـير.. فـأغروه بـآلاف الـدولارات.. وبمنصب كبير فى إسرائيل إن قبل المهمة.. وكانت المهمة غاية فى الخطورة.. مهمة لم يكشف عنها حتى الآن . وكل ما عرف أنها مهمة سـرية كلـف بـها سـعيل فـى بغداد.

كانوا على دراية برغبة سعيل فى مغـادرة إسـرائيل والعـودة إلى العـراق.. وبرغـم ذلك.. يالغباءهم..! اعتقدوا بأنهم يشترونه بالمال والمنصب.. ولم يدركوا لحظتئـذ أن بطلبهم منه خيانة وطنه الأول.. ضغطـوا علـى مفـاتيح مشـاعره الثـائرة كلـها دفعـة واحدة، ففجروا مكنون كراهيته لإسرائيل.. ورسَّـخوا لديـه بعمـق أكـثر فكـرة الـولاء للوطن الأم..!!

وافق سعيل مشترطًا عليهم، للتمويه، منصب رئيس بلدية، فوعدوه برئاسة بلدية الرملة.. وعندما أخبر زوجته بمهمته السرية خـارج البـلاد.. استشـفت علـى الفـور مدى فرحه.. فها هي فرصته التي كان ينتظرها قد جاءت.. وبعينين سكنهما الحزن والخوف سألته هل ينوي اللجوء إلى إحدى سـفارات العـراق؟.. أجابـها بـأن هنـاك اتصالات ستتم بينهما.. وعليها أن تكون مُؤهَّلة لتوقُّع الاحتمـالات، طالبـاً منـها أن تكون مستعدة بشجاعة لأي طارئ.. وألا تضعف إرادتها أمام أية ظروف.. ولأنه كان على يقين بأن الأجهزة الأمنيـة ستسـتدعيها لاستجوابها في حالـة هروبـه.. أملاهـا إجابات محددة.. حتى لا تتعرض مع الأبناء لمضايقات يعـرف سـلفًا بأنـها سـتكون مرهقة ومؤلمة.

وَدَّع أسرته وداعًا حارًا.. وحمـل حقيبتـه إلى تركيـا فـى رحلـة لـن يعـود بعدهـا لإسرائيل.. وهناك.. في أنقرة، طرق باب السـفارة العراقيـة كرجـل أعمـال يحمـل جواز سفر قبرصي، ولم تمض عدة أيام إلا وكـان ببغـداد. استقبلوه بترحـاب عظيـم أدهشـه.. وأطلعـهم علـى مـا لديـه مـن أسرار عـن جواسـيس الموسـاد فـى العـراق، والعمليات القذرة التى تقوم بها الموساد على أراضيه وعن المهمة السـرية التـى كلـف بها.

وبعد تحليل طويل للمعلومـات.. تـأكد للمخـابرات العراقيـة صدق روايـة رجـل الموساد ومهمته.. بل إنه وافق عن طيب خاطر علـى العمـل معـهم لفـترة كجاسـوس مزدوج.. هكذا بقى داني سعيل ببغداد يتنسم هواء الحرية، ويتذوق طعم الحياة التي

كان يحلم بـها، منشـغلاً بـأمر زوجتـه مـازيل وأولاده الأربعـة.. ويحلـم مـن جديـد بانضمامهم إليه ، لكن ليس في إسرائيل .

المـنشق الـحائر

تواصلت رسائله بعلم المخابرات العراقيـة إلى إسـرائيل.. تحمـل معلومـات وفيرة ومثيرة أدارت رؤوس رؤسائه.. فالعميل الـذي زرع في بغـداد منـذ فـترة وجـيزة كـان نشيطًا أكثر من المتوقع.. وناجحًا إلى درجة تثير الشك.. فمـن عـادة الموسـاد أنـها لا تتأكد من صدق معلومة ما إلا إذا جاءتها من أكثر من مصدر في البلـد الواحـد. لكـن داني سعيل كـان متفـردًا في معلوماتـه.. لذلـك أخضعـت رسـائله وتقـاريره المغلوطـة للتحليل الدقيق.

ويبدو أنهم بعد فوات الأوان ، أدركوا في إسرائيل خطـأ تكليـف يـهودى عربـى بمهمة سرية فى وطنه الأصلى . لذلك ، عندما تضخمت شكوكهم في معلوماته أمـروه بالعودة فورًا فلم يمتثل ، ولأنه يعرف أساليب الموساد في العمل السري، وحلل الأمر الذي أصدروه بعودته، استشعر شيئًا ما يجري الإعداد لـه. لذلـك ، رأى فـى بقائـه ببغداد كل الخطر على حياته، فعملاء الموساد فى العـراق سيلاحقونه أينمـا كـان ، وعند ذلك فضّل مغادرة وطنه إلى روما ليتمكن من الاتصال بزوجته وإقناعها باللحـاق به ، حيث يستطيع اللجوء لإحدى الـدول، وإغـلاق فمـه مقـابل عـدم المسـاس بـه. وبالفعل سافرت إليه سرًا فى يناير ١٩٨٣ وتـلا ذلـك لقـاءات أخـرى . فشـل دانـي سعيل خلالها فى إقناعها بالهرب معـه إلى العـراق لأنـها كـانت يهوديـة سـامرية، واليهود السامريون فئة من اليهود يدينون بالإيمان بالتوراة فقط، ويعتقدون بأنهم مـن نسل سبط سيدنا يوسف عليه السلام، والمكـان المقـدس عندهـم هـو جبـل (جريزيـم) حيث يؤمنون إيمانًا راسخًا بأنه مقر الهيكل الحقيقى. ولما يـأس سـعيل أمـام رفـض زوجته المتدينة المتزمتة.. صارحها، وهي التي كانت تجـهل طبيعـة عملـه، بأنـه لا يعمل في وزارة الدفاع كما أخبرها من قبـل، بـل يعمـل لـدى جهـة أمنيـة سـرية لم

يحددها لها بالضبط. حيث انتهز فرصة تكليفه بمهمة سرية فى بغداد وآثر ألا يعود ثانية إلى إسرائيل.

ألجمت المفاجأة مازيل، فطوال سنوات الزواج لم يكشف لها أبدًا حقيقته.. وما كانت تعرف عنه سوى أنه خبير إليكترونيات بوزارة الدفاع. وبالرغم من إدراكها لطبيعة عمله السري الذي يقتضي الكتمان الشديد، غضبت وخافت في الوقت نفسه.. غضبت لأنه افترض عدم الثقة بها طوال سنوات عمله السري. واستشعرت بأنه يعمل في الموساد لأن الأجهزة الأمنية الأخرى لا ترسل رجالها غالبًا في عمليات بالخارج. وخافت لأن الموساد لن تتركه لحاله.. وستلاحقه أينما كان كما لاحقت النازي السابق إدولف آيتشمان، والقيادات الفلسطينية.. وكان انتقامها في الحالين بشعًا. ومذهولة عادت إلى إسرائيل تكتم سرها.. وتخفي نيتها فى البقاء إلى جوار زوجها بعد انقضاء العام الدراسي.. حيث يكون سعيل قد استقر فى برشلونة بإسبانيا.. فى مصنع اللحوم يخطط لإقامته هناك .

لا نريده .. اقتلوه

فى تلك الأثناء كانت الموساد تسعى وراءه.. فهو خدع إسرائيل كلها.. وأفشى بأدق الأسرار التي أتيح له أن يعرفها إلى العراقيين.. وانقلب جاسوسًا مزدوجًا ضد أمن إسرائيل.. تسبب فى إعدام العديد من الجواسيس فى بغداد، وشجع على هروب جماعي ليهود عراقيين إلى أوروبا ورأسا إلى بغداد. لكل ذلك.. كان لابد من الانتقام منه.. وإسكاته إلى الأبد.. !!

فريق من القتلة رصده فى روما مع زوجته وهو يغادر أحد المطاعم، فرق أخرى تعقبته ولم يجدوا مشكلة فى متابعته إلى فندقه، لقد أصبح من السهل عليهم ملازمة سعيل كظله في انتظار الأمر النهائي الذي يحدد مصيره. وفى إسرائيل رفض

إسحق شامير[1] رئيس الوزراء الموافقة على التصالح معه أو خطفه من روما، ذلك لأن فضيحة الموساد فى لندن كانت مازالت في أوجها. إذ انكشفت عملية خطف وزير المواصلات النيجيري الهارب، عمر ديكو، لترحيله إلى بلاده لمحاكمته، عندما تمكنت سلطات مطار ستانستيد Stansted البريطاني في الرابع من يوليو ١٩٨٤ من ضبط صندوقين مشتبه فيهما.. وبفتح أولهما وجد فيه عمر ديكو فاقد الوعى وبجواره ضابط مخابرات إسرائيلى بكامل وعيه، ومعه حقيبة مليئة بالحقن والمهدئات.. وفى الصندوق الثانى وجد إسرائيليان آخران وهما بكامل الوعى. لأجل ذلك.. ولم تكن الموساد على ثقة بنجاح عملية خطف سعيل، مما كان سيضر في حالة الفشل بسمعة الجهاز الإسرائيلي فائق الشهرة. وأمام رفض رابين عملية الخطف لم يكن هناك مفر من التخلص من الضابط المنشق فى أوروبا.

بعدما تقدم بطلب حق اللجوء السياسي ، سافر سعيل فجأة إلى برشلونة فى يناير ١٩٨٥ لافتتاح مصنع للحوم وافقت السلطات على تشغيله ومُنح رخصة رسمية بذلك.. لكن السلطات عادت فجأة وعدلت عن قرارها ، وحاول سعيل أن يتدارك السبب فلم يقدر.. لكنه لاحظ بعيني خبير أنه مراقب.

أدرك في الوقت الضائع أنه أخطأ بفظاعة عندما غادر العراق لإقناع زوجته.. فكان معنى خروجه من بغداد دخوله عرين الأسد الغاضب المتربص.. وندم ندمًا شديدًا لإهماله نصائح المخابرات العراقية بألا يغادر بغداد.. وفي محاولة لإصلاح الخطأ سارع بحجز تذكرة طيران إلى العراق .. لكن فريق القتل الذى كان يتبعه.. انتهز الفرصة الثمينة التى أتيحت.. وخطف سعيل قبيل سفره حيث لم يظهر له أثر بعد ذلك وإلى اليوم..!! . ولشهرة الموساد في استحداث أساليب القتل لضحاياها، يرجح أن يكون العميل المنشق قد قتل وأذيب جثمانه كما حدث مع بن بركة، أو أنه دفن حيًا لتدفن معه أسراره.!!

---

(١) إسحق شامير : تولى منصب رئيس الوزراء في إسرائيل من عام ١٩٨٣ إلى عام ١٩٨٥ ، ثم خلف شيمون بيريز وتولى المنصب ذاته مرة ثانية في عام ١٩٨٧ إلى عام ١٩٩٢، وجاء من بعده إسحق رابين حتى مقتله في نوفمبر ١٩٩٥ .

القبر المجهول

هذه هى القصة الحقيقية لدانى سعيل.. إلا أن الموساد سعت بكل ما لديها من حيل لاتهام العراق بقتل (اليهودي) العائد إلى مسقط رأسه، بغرض إخافة يهود العراق وردعهم ، بعد فرار أعداد كبيرة منهم إلى خارج إسرائيل، ولكى تكون خطة الموساد محكمة.. نشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية عن مقابلة تمت فى الأردن بين (مردخاي بن بورات) ضابط المخابرات السابق، والحاخام (ناجى إلياس) رئيس الطائفة اليهودية فى بغداد، والذى هرب من بغداد إلى عمان فى طريقه إلى هولندا للحاق ببقية أسرته هناك. وأكد إلياس لبن بورات خلال هذا اللقاء ، أن داني سعيل عمل لدى المخابرات العراقية ثم تخلصت منه بعد ذلك .

أما مازيل زوجة سعيل ، فقد اتهمت الموساد بأنها حجبت عنها المعلومات الخاصة جدًا عن زوجها ، أو عن المكان الذى دفن فيه لتطالب بجثمانه، كما تفعل ناديا زوجة إيلى كوهين جاسوس الموساد الشهير فى سوريا ، الذي شنق فى دمشق عام ١٩٦٥ . فجرت مازيل أيضًا قنبلة مدوية عندما اتهمت الموساد بقتل زوجها سرًا، وأفردت لها معاريف ثلاث صفحات سردت من خلالها اعترافاتها واتهاماتها للموساد ، وحكت تفاصيل زواجها من داني سعيل، وكيف جهلت عمله بالموساد لسنوات طويلة، إلى أن صارحها بحقيقته بعد هروبه.

وتؤكد مازيل بأنها سافرت للقاء زوجها فى روما عدة مرات ، حيث اكتشفت فى آخر لقاء بينهما عام ١٩٨٥ ، أن السفارة العراقية فى روما تقوم بالإنفاق عليه بسخاء وإمداده بكل احتياجاته ، وأن سعيل بدا على غير العادة في اللقاء الأخيرة عصبيًا إلى درجة خطيرة ، وقال لها فيما يشبه اليأس إنه لن يهدأ حتى يغادر روما إلى برشلونة لافتتاح مصنع للحوم.

وتضيف مازيل على صفحات الجريدة ، بأنه بعد عودتها إلى تل أبيب.. حيث تعيش فى ضاحية يفنى ، تسلمت منه رسالة يعترف فيها بأن أجهزة الأمن

الإسرائيلية تطارده وتسعى وراءه ، وأنه سيضطر للسفر إلى بغداد بعدما ضغطت إسرائيل على السلطات الإسبانية لغلق المصنع وعدم الموافقة على منحه حق اللجوء إليها . ويعلق سعيل فى آخر رسالته بقوله : (إنهم لن يتركوني أهنأ بحياتي معكم في أي بقعة من العالم. فهم مصاصو دماء لن يهنأوا حتى أُغَيَّب إلى الأبد.. وحتى قبلما يمسكوا بي لمعاقبتي، دفنونى حيًا) .

واعترف ديفيد وين على صفحات الجريدة ، وهو ضابط سابق بالمخابرات الإسرائيلية (بأن سعيل كان هدفًا للموساد).

أما المخرج الإسرائيلي ديفيد فيشر.. فقد استعد لإنتاج فيلم بعنوان (دفنوه حيًا) يصور قصة الأسابيع الأخيرة فى حياة اليهودى الثائر.. واختطافه وإعدامه فى أسبانيا، وأنه اختار الجملة الأخيرة التي قالها سعيل لزوجته (دفنوني حياً) عنوانا للفيلم بعد تعديلها قليلاً ليصبح: (دفنوه حياً).

هكذا تحاول الموساد إخفاء الحقيقة.. وهكذا هى دائمًا . فكيف لدولة قامت على الإرهاب والمذابح والكذب والتضليل، أن يكون جهاز مخابراتها أمينًا فى ادعاءاته؟!!!





خطف مردخاي فانونو من روما ..!!

حتى يومنا هذا .. لا أحد يعرف حقيقة القصة.. قصة اختطاف فانونو من روما إلى تل أبيب.. وهل فانونو هذا عميل محترف للموساد أدى مهمته المرسومة.؟ أم أنه يهودي ثائر وناقم على إسرائيل..؟

ربما تظهر المفاجآت بعد أشهر معدودة.. عندما يغادر فانونو سجنه.. أو يلقى حتفه ليُصَان السر الأعظم..!!

المطرود..!

قصة اختطاف التقني الإسرائيلي من روما إلى تل أبيب لمحاكمته.. إحدى أشهر قصص الاختطاف المثيرة للجدل في الأوساط العالمية.. ويشوبها الكثير من الشك في مصداقية أحداثها التي ربما نسجتها الموساد لهدف ما أرادت إيصاله إلى العالم العربي بالذات.. لكن العملية بحد ذاتها سطرت حادثة تضاف إلى تاريخ أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، وعكست قذارة مسلكها في اختطاف الأشخاص من عواصم العالم دون احترام لسيادة الدول أو للقوانين الدولية المرعية.. وتحول بطل القصة، فانونو، إلى شخصية غامضة شهيرة، لن يكشف النقاب عن حقيقة ما حدث له في القريب لارتباط الأمر بأحد أهم أسرار الدولة الصهيونية، ألا وهو مفاعل ديمونة النووي ونشاطه في تصنيع السلاح النووي المحظور دوليًا .

ولد مردخاي سالومون فانونو[1] بالملكة المغربية عام ١٩٥٤ ، هاجرت أسرته في أوائل الستينيات من مراكش إلى إسرائيل، وأقامت في أحد أحياء بئر سبع الفقيرة.. حيث عمل والده سالومون في تجارة الأدوات المنزلية للإنفاق على الأسرة كبيرة العدد[2] .

اتجه فانونو إلى دراسة الفيزياء التي كان يعشقها.. لكنه أمام ظروف الحياة المعيشية الصعبة اضطر في كثير من الأحوال إلى مساعدة أبيه في تجارته بأسواق بئر سبع.. مما أدى إلى رسوبه في السنة الدراسية الأولى بكلية العلوم في جامعة (رامات أبيب) بتل أبيب.. وعندما قرأ إعلانًا لمركز البحوث الذرية في الصحف، يطلب فنيين، تقدم على الفور بأوراقه على أمل أن يجد وظيفة فيخفف الحمل عن كاهل أبيه.. وسرعان ما أخضع لاختبارات نجح فيها بجدارة. وفي يناير ١٩٧٧ تسلم عمله بعد تحريات أمنية في مفاعل ديمونا الذري في صحراء النقب.

(١) مردخاي سالومون فانونو Vanunu : جاء اسمه بالعديد من المصادر هكذا: (فعنونو)، و(زعنونو)، و(فانانو)، و(فاعنونو) .

(٢) كان لسالومون سبعة أبناء، فانونو الثاني بينهم.

تغيرت أفكار فانونو تجاه الدولة الصهيونية بعد غزو لبنان عام ١٩٨٢.. حيث تكشفت له دموية الدولة التي تدعى الديمقراطية، وتحول الشاب الصهيوني المتحمس إلى علماني نافر، يقرأ كثيرًا عن الشيوعية والفلسفة، نائيًا بنفسه عن حياة الصخب التي يحياها الشباب من أمثاله بحرية في إسرائيل.. حتى ذكر عنه أنه لم يرتبط بأية علاقة نسائية طوال تلك الحقبة من حياته .

تنازل عن يهوديته

شيئًا فشيئًا تبلورت قراءات فانونو في الفلسفة والتاريخ.. والتحق أخيرًا بقسم الفلسفة في جامعة بئر سبع.. حيث انخرط في الجماعات اليسارية التي تموج بها الجامعة، وتصادق مع العديد من الطلاب الفلسطينيين، دون أن يفصح لأحدهم عن حقيقة عمله في مفاعل ديمونا الذري.. حتى أنه اشترك في المظاهرات الطلابية التي نادت بإطلاق سراح أحد أساتذته الذي اعتقل لرفضه الخدمة في الجيش الإسرائيلي. وفيما بعد قيل عن فانونو على لسان أحد أساتذته أنه كان طالبًا غريب الأطوار.. ينتقد بشدة سياسات إسرائيل.. ويظهر تعاطفًا قويًا مع الفلسطينيين وحقوقهم المشروعة في الأرض التي استولى عليها اليهود بالمؤامرات والمذابح .

لكن يبدو أن ملفه الأمني تضمن الكثير عن تحولات اليهودي المهاجر من المغرب.. لذلك فُصل فانونو من عمله بالمفاعل في نوفمبر ١٩٨٥، وتسلم مكافأة مادية معقولة عن فترة عمله القصيرة، لكنه لم يهتم لأنه ربما كان يخطط لحياة جديدة في الخارج.. إذ امتنع عن إكمال دراسته الجامعية للمرة الثانية.. وباع فجأة سيارته وشقته الصغيرة، وحمل أمواله ومدخراته في رحلة طويلة إلى أبعد مكان عن إسرائيل.. إلى أستراليا.. حيث استقر في سيدني وبدأ يبحث عن ذاته هناك .

اندمج اليهودي التائه في المجتمع الجديد.. ولفتت انتباهه كنيسة سانت جون الانجليكانية ذات النقوش والزخارف الرائعة.. فدخلها متأملاً مأخوذًا بالرسوم والسكون ووجه الأسقف جون ماكنايت المريح.. وبعد شهرين خلع فانونو جلدته معتنقًا المسيحية.. قاذفًا بيهوديته إلى غير رجعة..

ذات يوم أثناء تردده على الكنيسة.. التقى فانونو بـالصحفي الكولومبي أوسكار جاريرو.. الذي كان يهوي الرسم واشترك في زخرفة سور الكنيسة.. فأثنى على فنه وموهبته.. وجمعتهما منذ تلك اللحظة صداقة تطورت بشكل سريع.. مما حفز فانونو على مصارحة صديقه بسره كإسرائيلي كان يعمل كفنّي بمفاعل ديمونا الذري.. ويحمل عدة صور التقطها بما يشبه المعجزة للمفاعل من الداخل، تصور برنامج إسرائيل لإنتاج السلاح النووي .

مائة قنبلة نووية..؟!

وكصحفي يعرف قيمة المعلومات التي أدلى بها صديقه، دهش جاريرو المدفوع بغريزته المهنية للبحث عن المثير.. وأقنع فانونو بأن يبيع الصور لإحدى الصحف الكبرى مقابل مبلغ مالي كبير.. فلم يمانع بل وأوكل إليه مهمة إجراء الاتصالات التي يراها، بل والاتفاق على المبلغ الذي يراه مناسبًا.

اتصل جاريرو بالعديد من الصحف الكبرى في الولايات المتحدة .. لكن لم يقتنع مسئولو هذه الصحف بقصة صور مفاعل ديمونا.. واعتقدوا بأن الأمر مجرد مزحة من هاو لا أكثر.. فاتجه جاريرو إلى بريطانيا.. حيث اتصل بصحيفة الصنداي تايمز وحكى قصة الإسرائيلي الهارب الموثقة بالصور.. فقامت الصحيفة بإرسال أحد محرريها، بيتر هومان، إلى سيدني.. حيث التقى بفانونو وجاريرو. ولأنه يحمل شهادة في الفيزياء، أخضع فانونو لاستجواب مطول عن مفاعل ديمونا ومعامله ومعداته.. ومع اطلاعه على الصور[1] الملتقطة اقتنع هومان بحقيقة القصة.. وتوقع زلزالاً مدويًا مع نشر تحقيق مصور من عدة حلقات في صحيفته.. لذلك أقنع فانونو بالسفر معه إلى لندن مقابل خمسين ألف دولار، مستبعدًا جاريرو من الصفقة ومن السفر معهما.

---

(١) جاء بمصادر مختلفة أن عدد الصور التي التقطها فانونو داخل المفاعل ٦٠ صورة، وبعضها ذكر أن عددها ٥٧ فقط. وقيل أيضًا إنها ٥٢ صورة ملونة.

كان جاريرو يحمل نسخة أخرى من بعض الصور.. فدفعه الغضب إلى السفر خلف فانونو وهومان إلى لندن.. حيث فكر بعقد صفقة مربحة مع الصحيفة المنافسة، الصنداي ميرور، التي يملكها روبرت ماكسويل[1]، وهو صديق شخصي لرئيس الموساد ناعوم أدموني (١٩٨٢ : ١٩٨٩) .

عرض أدموني على رئيس الوزراء شيمون بيريز (١٩٨٥ : ١٩٨٧) فكرة اغتيال فانونو في لندن.. لكن رئيس الوزراء رفض الفكرة رفضًا باتًا لكي لا يدخل في خلافات مع المرأة الحديدية مارجريت تاتشر، ويتسبب ذلك في أزمات دبلوماسية مع بريطانيا.. طالبًا من أدموني وضع خطة مضادة تفشل ماسوف تنشره الصنداي تايمز، وتظهر عدم مصداقيته، والبحث عن وسيلة لاختطاف فانونو إلى إسرائيل لمعاقبته.

لجأت صحيفة الصنداي تايمز إلى الدكتور فرانك بارنبي، العالم النووي البريطاني، لاستجواب مردخاي فانونو، واستبيان مدى صدقه من عدمه. فتحدث معه فانونو عن أقسام ومكونات مفاعل ديمونا، و(ماخون٢)[2]، وشرح له بالصور المرات والمعامل ولوحات التحكم والعدادات ، وأظهرت الصور لوحات تحذر من الإشعاع، وأجسامًا معدنية قال عنها فانونو أنها نماذج قنابل بسيطة وألغام تنوي إسرائيل ذرعها في الجولان. كما شرح للعالم البريطاني الكثير عن عمليات فصل البلوتونيوم، ونسب التدفق والبيانات العلمية الأخرى، مما دعا العالم الفيزيائي إلى تصديق فانونو، والتصريح بأن إسرائيل ربما تملك بسهولة ما لا يقل عن مائة قنبلة نووية ، خلال العشر سنوات الأخيرة فقط.

كيف يجرؤ..؟

نشر ماكسويل في صدر صحيفته الصنداي ميرور ، صورة مردخاي فانونو، وقصته مع الصحفي الكولومبي أوسكار جاريرو، ووصفت فانونو بأنه شاب مهووس، زعم

(١) روبرت ماكسويل عميل الموساد الذي اغتيل داخل يخته الخاص، وجاءت قصته بكتابنا في فصل (سرقة الصاروخ أكسوسيت من تشيلي) .

(٢) ماخون في اللغة العبرية تعني : مرفق أو مركز .

أن إسرائيل أنتجت القنبلة النووية. بينما صديقه جاريرو المخادع يسعى لترويج معلومات مضللة بقصد الحصول على المال .

ذعر فانونو عندما شاهد صورته في الصنداي ميرور، وحملة التضليل التي اشتعلت ضده، بينما سعت الصنداي تايمز إلى السفارة الإسرائيلية في لندن، للاستفسار عن صحة المعلومات التي أدلى بها فانونو وأكدها الخبير النووي البريطاني.. وفيما إذا كان فانونو قد عمل بالفعل في مفاعل ديمونا[1] النووي أم لا.

فعلت الصنداي تايمز ذلك في ٢٣ سبتمبر ١٩٨٦ لتوثيق التحقيق الصحفي المثير من شتى جوانبه.. لكن السفير الإسرائيلي (يهودا آفنر) الذي أقر بأن فانونو كان يعمل فنيًا صغيرًا في المفاعل، نفى بشدة مزاعم فانونو من أن إسرائيل تصنع السلاح النووي .. وشكك في الصور قائلاً :(كيف يجرؤ هذا الفني على التقاط صوره داخل

---

(١) مفاعل ديمونا Reactor of Dimona : في ١٢ سبتمبر ١٩٥٧ تقرر بناء المفاعل. وفي ١ فبراير ١٩٥٨ بدأ الحفر والبناء على طريق سدوم Sadoum قرب بئر سبع شمال صحراء النقب، وأشيع وقتها أن المبنى لمصنع كبير للنسيج، وأقيمت إلى جواره المدينة السكنية. ويقع المبنى أسفل جبل ديمونا، وشمال غرب بلدة ديمونا. وتحيط بالمفاعل غابة من الأشجار غرست وتسمى (غابة بن جوريون). وكان البناء حسب تصميمات فرنسية حيث بدأ تشغيله الفعلي في أواخر ١٩٦٣ بتكلفة ١٣٠ مليون دولار. وبلغ طاقته الكاملة عام ١٩٦٥ مستخدمًا اليورانيوم الطبيعي كوقود نووي. بدأ المفاعل بقدرة عمل قدرها ٢٦ ميجاوات ثم ارتفعت إلى ٧٠ ميجا وات طبقًا لمعلومات الأمم المتحدة. ثم أفاد فانونو Vanunu أن قدرة المفاعل ارتفعت إلى ١٥٠ ميجا وات. بني المفاعل بموجب اتفاقية سرية بين فرنسا وإسرائيل لم يتم إعلان نصوصها الرسمية.. ويعتقد أن فرنسا حصلت مقابل بناء المفاعل على بعض الأسرار العلمية في مجال النشاط النووي.. خاصة وأن الولايات المتحدة كانت قد حجبت تلك الأسرار الفنية عن فرنسا . وقد أسهم عدد من علماء الذرة الفرنسيين في الإشراف على بناء المفاعل، الذي يشبه في تصميماته المفاعل الفرنسي G-3 ، الذي بني في ميركول. وقد مانعت إسرائيل بادئ الأمر بالسماح للعلماء الأمريكيين بزيارة المفاعل، لكنها عادت تحت الضغط فسمحت بزيارتهم برفقة هاريمان المبعوث الخاص للرئيس الأمريكي ليندون جونسون.

ونظرًا لسرية المفاعل تفرض إسرائيل جدارًا من الأمن حوله، حتى أنها أسقطت إحدى طائراتها الحربية عندما اقتربت بطريق الخطأ من المفاعل، كما ترفض وبشدة إخضاع مفاعل ديمونا لرقابة الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

هذا وتمتلك إسرائيل ثلاثة مفاعلات نووية أخرى، تعمل في المجالات العلمية، هي مفاعل (ريشون لتسيون) Rishon Le Ziyyon جنوبي تل أبيب، ومفاعل (النبي روبين) Nebi Rubin شمالي المفاعل السابق، ومفاعل (ناحال سوريك) Nahal Soreq جنوب مدينة ريشون لتسيون وغربي مدينة يافن Yavne ، الذي يعتبر أهم مفاعلات إسرائيل بعد مفاعل ديمونا .

مفاعل نووي يضج برجال الأمن..؟ إن وميض الفلاش كان سيقودهم إليه.. بالإضافة إلى أن الصور بدت لمكان مهجور لا يعمل به أحد).

وقال السفير أيضًا : (من المستحيل أن يتمكن أحد العمال من تصوير مواقع سرية داخل مصنع صغير للتصنيع الحربي.. فكيف الحال مع مفاعل ذري..؟ إن رجال الأمن يفتشون عمال المفاعل تفتيشًا ذاتيًا، قبل المرور أمام البوابات المزودة بالأجهزة الكاشفة. فكيف تواتيه الشجاعة ليحمل كاميرا وفلاش ويدخل بهما إلى المفاعل متجاوزًا كل خطوط الأمن والتفتيش..؟ إن هذا التقني طرد من عمله لأنه مهووس.. والصور الملتقطة ليست لمفاعل ديمونا.. وربما ادعى ذلك لأجل الابتزاز لا أكثر) .

حالة جوع

في تلك الأثناء كان فانونو المذعور يتنقل مع مرافقه من جريدة الصنداي تايمز من بيت إلى بيت.. ومن فندق إلى آخر باسم مستعار.. في انتظار رد الفعل الإسرائيلي الرسمي من تل أبيب ، بناء على ما نشر بصحيفة الصنداي ميرور.. ومن ثم يتحدد مضمون ما سيتم نشره بالصنداي تايمز على ضوء ذلك. لكن الموساد كانت قد تحركت قبل النشر.. لاصطياد فانونو مختطفًا إلى إسرائيل.

فعقب ورود الأنباء عن وصول فانونو إلى لندن في ضيافة الصنداي تايمز، اختار رئيس الموساد ناعوم أدموني عميلته المدربة الأمريكية الأصل (تشيريل هانين)، التي ستقوم بإغواء اليهودي (الخائن)، واختطافه إلى إسرائيل لمحاكمته في مسرحية هزلية لم يصدقها العالم.

كانت تشيريل امرأة حسناء مثيرة ، ولدت عام ١٩٥٩ في ولاية فلوريدا وهاجرت إلى إسرائيل عام ١٩٦٨، وتزوجت من (أوفر بن طوف) محلل المعلومات في المخابرات العسكرية الإسرائيلية (أمان) ، وأصبح اسمها الجديد (تشيريل بن طوف). أرسلت تشيريل إلى لندن تحمل جواز سفر إسرائيلي باسم (سيندي جونسون)، بعدما

توافرت معلومات عن وجود فانونو بفندق ستراند بالاس[1] وسط العاصمة البريطانية، حيث تركزت مهمتها في استخدام مواهبها الأنثوية لإقناعه بمصاحبتها إلى خارج بريطانيا، متخفية وراء شخصية سائحة أمريكية تعيش أزمة تجربة طلاق مؤلمة، وتنوي السفر إلى أختها في روما لقضاء فترة من الوقت هناك .

وفي انتظار رد الفعل الرسمي الإسرائيلي عما نشر في الصنداي ميرور، اتبعت صحيفة الصنداي تايمز إجراءات أمنية مشددة حول فانونو المذعور، الذي ضاق بالحبس الاختياري داخل حجرته بالفندق.. ورفض مرافقيه السماح له بالخروج بمفرده للتنزه بين حدائق وبارات لندن ومسارح عروض الاستريب[2] (Strip Shows). لكنهم أمام حالته النفسية السيئة، رفضوا رغبته في الذهاب إلى مسارح العرى، وسمحوا له بالخروج إلى ميدان (ليستر) لبعض الوقت.. وهو أقرب الميادين إلى محل إقامته .

وعندما شوهد فانونو يغادر فندقه إلى الميدان، استدعى فريق الموساد العميلة الطُعم، التي اتجهت من فورها إلى الميدان على أمل النجاح في مهمتها دون إثارة أية مشاكل قد تعترضها.. لكن الإسرائيلي الخائف كان بحاجة ماسة إلى امرأة تذيب جمود حياته، وتذهب بمنغصاته إلى حيث يهدأ وينتعش. لذلك استجابت مشاعره للمرأة الطاغية الأنوثة التي كانت قد اقتربت منه، تحمل الكاميرا وتلتقط الصور للحدائق والزهور ونافورات الميدان البديعة.. وما هي إلا بضع لحظات حتى وقفا معًا يتكلمان .

---

(١)يقع الفندق بأرقى مناطق لندن، بالقرب من مرسى نهر التيمس The Thames وميدان بيكاديللي وترافلجار، ويوجد به ٨٠٠ غرفة وعدة مطاعم شهيرة، كما يوجد مقهى الجايتي Gaiety الذي صممه الفنان سول ستينبرج Saul Steinberg .

(٢) تفوق كمية (العرى) التي تعرض في لندن أي مكان آخر من العالم. وتتجاوز مسارح العرى في شوارع: فريث Frith، وأولد كومبتون Old Compton ، ويندميل Windmil، ووردور Wardour ، وبريور Brewer، والعشرات غيرها، وكلها تعرض لافتات ضخمة، ومناظر مغرية. وهي بالأصوات الضخمة التي تنبعث من داخلها تجذب الانتباه وتغري بالدخول. إنه عالم الانتقام من دكتاتورية التقاليد القديمة كما يقولون في لندن ..!

الوعد في روما

لا أحد يدري ، ولم ينشر على الإطلاق ما دار من حديث بين عميلة الموساد و فانونو.. لكن من المؤكد أن (سيندي) أبرزت مواهبها بمهارة.. ووعدت الشاب الذي لم يسبق له الزواج بلحظات لا نهائية من المتعة، لكن ليس في لندن، لارتباطها بالسفر إلى روما لزيارة شقيقتها الوحيدة.

ومدفوعًا وراء غريزته التي ثارت كالبركان في أعماقه، استقل الطائرة معها إلى روما ممنيًا نفسه بثلاثة أيام من النعيم السرمدي، بين أحضان الأمريكية الحسناء اللاسعة.. بعدما صارح أحد مرافقيه بأنه تعرف على فتاة أمريكية تدعى سيندي.. وكان هناك أربعة من ضباط الموساد على ذات الطائرة البريطانية.

ما إن غادرا مطار روما في ٣٠ سبتمبر ١٩٨٦ ، حتى استقلا تاكسيا إلى شقة في الحي القديم، وهناك كان ثلاثة ضباط آخرين بالانتظار. شلوا حركة فانونو وتولت سيندي (تشيريل) بنفسها تخديره بحقنة مخدر.. فككت إدراكه ووعيه.. ثم جرى نقله بسرعة إلى نقطة محددة على الساحل.. وبواسطة زورق سريع كان بالانتظار، نقل فانونو إلى سفينة شحن إسرائيلية وصلت به بعد ثلاثة أيام إلى ميناء حيفا.

اختفاء مردخاي فانونو الطويل المفاجئ أصاب إدارة الصنداي تايمز بالدهشة.. وتقرر على الفور نشر التحقيق الصحفي المثير المزود بالصور والوثائق وتقارير خبراء الذرة.. وأشارت الصحيفة إلى اختفاء التقني الإسرائيلي من بريطانيا، مشيرة إلى أنه ربما كان قد خُطف إلى إسرائيل كما حدث من قبل مع آيتشمان(*) في الأرجنتين. وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٨٦ أعلن المتحدث باسم رئيس الوزراء الإسرائيلي (إيليا كيم روبنشتاين) أن مردخاي فانونو رهن الاعتقال في إسرائيل بناء على قرار من المحكمة الإسرائيلية العليا .

ثارت الصحافة البريطانية ، وأكدت غالبية الصحف أن فانونو قد اختطف على الأرض البريطانية.. وتحركت سكوتلانديارد للتحري والتحقيق.. وأعادت الصحف

(*) تفاصيل اختطاف آيتشمان وعمر ديكو جاءت في فصلين بالكتاب .

نشر قصة اختطاف الوزير النيجيري عمر ديكو في لندن(*) بواسطة رجال الموساد عام ١٩٨٤.. مما أضفى مصداقية تقبلها الشعب الإنجليزي بغضب على ممارسات إسرائيل فوق أراضيه. ولكي تحمي إسرائيل علاقاتها ببريطانيا، تسربت روايات مختلفة اشتركت كلها في عنصر واحد، أن فانونو اختطف بالفعل لكن ليس على الأرض البريطانية.

في إسرائيل

فإحدى الروايات ذكرت بأن فانونو شوهد على سطح يخت مع عميلة الموساد في جنوب فرنسا، وبعد أن غادر اليخت المياه الإقليمية لفرنسا جرى اعتقاله وأخذه إلى إسرائيل.

وفي رواية أخرى قيل بأن فانونو طار إلى باريس لقضاء بعض الوقت، حيث تم رصده وخطفه، ونقل مخدرًا على طائرة العال الإسرائيلية، إلى تل أبيب.

وفي اتصال مع رئيسة الوزراء البريطانية مارجريت تاتشر، أكد لها رئيس الوزراء الإسرائيلي شيمون بيريز بأن أجهزة مخابراته لم تنتهك القوانين البريطانية ، ولن تسعى إلى ذلك مستقبلاً مهما كانت الظروف.

هكذا ظلت الحقيقة في قصة (مسرحية) الاختطاف غامضة.. إلى أن كشفها فانونو بنفسه، عندما اقتيد ذات مرة إلى المحكمة.. وأمام عدسات المصورين رفع كف يده اليسرى عبر شباك عربة الأمن التي أحيطت بحراسة مشددة، وكان قد كتب على كفه بالإنجليزية : (لقد اختطفت من مطار روما ٣٠ سبتمبر التاسعة مساء.. بعد وصولي على الطائرة البريطانية الرحلة رقم ٥٠٤).

انتقل الضجيج الإعلامي القوي هذه المرة إلى إيطاليا.. ووصل إلى ذروة الاحتجاج عندما صرح رئيس الوزراء الإيطالي وقتها (بنيتو كراكسي) أن اختطاف فانونو من روما إلى إسرائيل بالقوة، يعد خرقاً للسيادة الوطنية ، واستهتارًا بالقوانين الدولية المرعية .

وفي الوقت الذي تشكلت فيه محكمة إسرائيلية خاصة لمحاكمة فـانونو، برئاسة القاضي (تسيفي تال)، وعضوية (إلياهو نوان) ، و(شالوم بيرين)، حيث عوقب فانونو على جريمة (الخيانة العظمى) بالسجن ثمانية عشر عامًا، انشغل النائب العام الإيطالي (دومينشيو سيكا) بقضية الاختطاف.. واستمع إلى مائير فانونو، أحد أشقاء مردخاي فانونو، ويعمل نجارًا، وخلص إلى أن القصة ما هي إلا مسرحية مفبركة من نسج الخيال. فقد أخبره مائير أن شقيقه نقل إلى الطابق الثالث بمنزل يقع في منطقة سكنية مزدحمة بروما، حيث تم تخديره واختطافه إلى إسرائيل.

وقال النائب العام في تقريره المفصل ، إن المنطقة التي أشار إليها مائير فانونو، تعتبر أمنيا غير ملائمة إطلاقًا لنقل شخص غائب عن الوعي، وما من رجال مخابرات يفترض فيهم الذكاء يمكن أن يرتكبوا مثل هذا الخطأ .

تمثيلية لتخويف العرب

أشار (سيكا) أيضًا ، أنه لم ينخدع بتمثيلية الكتابة على كف يد فانونو، لأنه تأكد بنفسه أن كتابة فانونو باللغة الإنجليزية مليئة بالأخطاء ، مما يعني أن رسالته كتبت بفعل فاعل. وقد سافر خصيصًا إلى إسرائيل للتوصل إلى حقيقة الأمر بنفسه.. حيث استند (سيكا) على أدلة الاتهام في الدعوى التي أقامها ضد إسرائيل من ثلاثة مصادر: الصحف الإسرائيلية التي نشرت تحقيقات مطولة عن حادث الاختطاف من روما، وما قدمه شقيق فانونو من معلومات تؤكد الاختطاف، ثم رسالة فانونو التي كانت الدليل القوي لدعواه.

استعان القاضي الإيطالي أيضًا بالصور التي نشرتها صنداي تايمز، حيث استعارها رسميًا من الصحيفة للاطلاع عليها.. وعرضها على الخبير الفيزيائي الإيطالي (فابيو ستيلا) الذي أعد تقريرًا وافيًا عنها قال فيه :

(تؤكد الصور بما لا يدع مجالاً للشك ، أنها لمفاعل ديمونا الذري من الخارج،وكذلك معمل المعالجة وإعادة المعالجة، ويصف بعضها عملية تصنيع العبوات النووية. وأن تسلسل هذه الصور يعكس عملية منطقية لعملية إنتاجية، بدءاً

من إنتاج المادة، مرورًا بعملية الانشطار وتصنيع العبوات المتفجرة لكـي تصنـع منـها القنبلة النووية في النهاية) .

ويضيف الخبير الذري الإيطالي (إن العمليـة التصويريـة كـانت مخرجـة إخراجًـا دقيقًا متقنًا.. حيث لم يظهر في الصور الإثنتين والخمسين أي كائن حي.. على الرغم من أن هذا يعد أمرًا مستحيلاً.. لأن التقاط الصور بهذا الشكل، كاللقطات السـياحية المسلسلة، مناف تمامًا لنظام الأمن في منشـأة بالغـة الحساسية كمفـاعل ديمونـا. ولا أعتقد أنه من الممكن لأي شخص، حتى ولو كان من العاملين بالمفاعل، أن يدخـل أي كاميرا إلى المبنى ويخرجها. فكيف إذن أدخل فانونو الكاميرا والتقط بثبات هـذه الصور الواضحة الغزيرة..؟ لقد زعم أنه صور فيلمين داخل المفـاعل، وقـام بـالتصوير صورة تلو أخرى وكأن المفاعل (مهجورًا) من البشر ، خاصة وأن جميـع هـذه الصـور التقطت بواسطة الفلاش الضوئي، مما يؤدي إلى مشاهدة ومضته الضوئيـة القويـة مـن مسافات طويلة، لكن يبدو أن عملية التصوير تمت، كما قـال المدعـي العـام الإيطـالي (دو مينشيو سيكا)، بموافقة واطلاع المسئولين.) .

بذلك.. فند القاضي الإيطـالي مسرحية إسرائيل الهزلية.. الـتي كـانت محـض اختـلاق لتخويـف العـرب مـن السـلاح النـووي الإسرائيلي.. وقـرر حفـظ القضيـة وأرشفتها، حيث أكد أن فانونو ومرافقيه مـروا بـالفعل بالعاصمـة الإيطاليـة[1] ، وأن التقني اليهودي عميل اختارته الموساد لأداء دور الممثل الرئيسي في المسـرحية، الـتي هي إحدى أدوات الحرب النفسية ضد العرب .

واستكمالاً لفصول المسرحية، أعلنت إسرائيل في مارس ١٩٩٨، أنه تحت الضغوط الدولية ، تمت الموافقة على السماح لفانونو بـالتحرك داخـل فنـاء السـجن منفـردًا، ونقله إلى ظروف أخف وطأة.. بينما طالب مائير فانونو صحيفة صنداي تايمز بصرف مستحقات شقيقه، حيث إنه لم يتلق أيـة مبـالغ مـن المـال مقـابل السـبق الصحفـي العالمي الذي قدمه.

---

(١) في إشارة إلى خروج فانونو من إيطاليا باسم آخر ، حيث لم يعـثر علـى اسمـه ضمـن قوائم المسـافرين الذيـن غادروا إيطاليا بحرًا أو جوًا .



خطف الشيخ عبيد في بيروت

(أحمد الحلاق لبناني عابث.. هجر أسرته سعيًا وراء فتاة حسناء تدعى حنان الياسين.. ولأنها حديثة العهد بالجاسوسية صارحته بحقيقتها.. لكنه أمام عاطفة الحب لم يبال وعرض عليها الزواج. بيد أنه اعتقل من قبل قوات أنطوان لحد الجنوبية.. خشية أن يكون أحد رجال حزب الله.. وفي المعتقل جرى تعذيبه بشدة.. إلى أن انتهى به الأمر إلى انضمامه للموساد..) .!!

إخـلاص الخـونـة

بتوسع شديد.. استغلت المخابرات الإسرائيلية نظريات علم الأمـراض النفسـية – Psychopathology – كوسيلة فعالة للإيقـاع بـالعديد مـن الخونـة العـرب.. مـن خلال السيطرة على أعصابـهم أثنـاء كونـهم في أسوأ لحظـات الضعـف الإنسـاني.. كحـالات الخـور Asthenia الناشئ عـن التعذيـب الشـديد.. وحـالات الإنـهيار Breakdown القصـوى للأشـخاص المرضـى جنسيًا.. نتيجـة الصدمـة Trauma الفجائية المباغتة.

ومن أشهر الجواسيس الذين طبقت معهم النظرية الثانية.. المصري الأرمني جـان ليون توماس[١] عام ١٩٥٨ .. الذي انهار مستسلمًا عندما اقتحم رجال الموساد مسكنه في برلين وهو عار تمامًا.. ويمارس شذوذه مع طفلة يهودية دون العاشرة من عمرهـا.. إلى جانب عشرات العملاء في العراق[٢] الذيـن سـقطوا بـذات النظريـة خـاضعين بـلا حول ولا قوة للشرك المحكم.

أما النظرية الأولى.. فأشهر حالاتها على الإطلاق الملازم أول عبد الفتاح عـوض[٣] وهو مصري أيضًا– أسـر عـام ١٩٦٧ في العريـش.. وتم تجنيـده بعـد تعذيـب مميـت داخل معسكرات الأسرى في عسقلان .

وأساس نظرية الخور يعتمد على إرهاق الشخص المراد تجنيده بدنيًـا.. ونفسيًا.. وأيديولوجيًا.. بالتجويع الطويل والحرمان من الماء والنـوم لمـدد متفاوتـة.. ويصـاحب ذلك تعذيب بدني شديد يقترب إلى درجة الموت.. وقهر للآدميـة بمختلف الأساليب

(١)جاءت تفاصيل قصة خيانة وسقوط توماس بكتابنا : (جواسيس الموساد العرب.. أشهر ٢٥ جاسوسًا.) .

(٢)بالفصل الثاني من كتابنا : (جواسيس الموساد العرب) ، نماذج متنوعة لعملاء الموساد في العراق، الذين أمكن السيطرة عليهم من خلال نظرية الصدمة الفجائية المباغتـة، وبـالفصل الثـالث أيضًـا تفصيـل لحـالات أخـرى في لبنان.

(٣)جاءت قصته بكتابنا : (جواسيس الموساد العرب – الفصل الأول) .

الوحشية اللاإنسانية.. لكي تتشكل لدى الضحية القناعة التامة بتفاهته ورخص حياته.. وبقوة لا يستطيع ردها تتسلط على عقله، بشكل متنامي سريع، فكرة الموت القادم في أية لحظة .

عندها.. وإنقاذًا لحياته من المصير المهلك.. يستجيب تلقائيًا تحت الضغوط النفسية المعقدة لأية حلول.. قد تنقذه فيظل حيًا. إنها تفاعلات شائكة قاسية تصيب الخائر وتتمكن منه.. وتدفعه طائعًا للطريق الذي يقودونه إليه.

وهكذا كان الحال مع أحمد عبد البديع الحلاق، الذي عرف بميوله اللاسوية.. وبضعفه الإنساني المتراكم أمام شهوة الثراء.. فبرغم ثقتهم الأكيدة في قدرتهم على تجنيده لصالحهم بإغراءات المال.. دون اللجوء لنظريات علم الأمراض النفسية ودراسة السلوك.. إلا أنهم رأوا في قهره وتعذيبه إحكام لقبضتهم ولسيطرتهم عليه.. ذلك لأنه مسلم شيعي.. سيندس بين رجال حزب الله، أولئك الشيعة المتعصبون للإسلام، الذين يحملون أكفانهم ويسترخصون أرواحهم في سبيل الجهاد ضد إسرائيل.. وخوفًا من أن ينقلب عليهم الحلاق ، متأثرًا بخطب رجال الدين وقصص الشهداء ، كان في تطبيق النظرية عمليًا ضرورة تضمن لهم الولاء والإخلاص.. خاصة وأن هناك حالات عديدة لعملاء جنوبيين موالين لإسرائيل .. أفاقوا إلى رشدهم وتحولوا إلى جواسيس مزدوجين.. وعند كشفهم تبين مدى الخسائر البشرية الفادحة التي وقعت لجنود إسرائيليين ولحديين بسبب ازدواجهم التجسسي .

هذا الرجل.. أحبه

وفي مارس عام ١٩٨٨ خرج أحمد الحلاق من البيت الآمن الذي تلقى فيه تدريباته ودوراته في فن التجسس.. واتجه أول ما اتجه إلى الناقورة حيث التقى (بحبيبته) حنان الياسين، التي تعمل ممرضة بمستشفى الناقورة. وبدلاً من أن تشغلهما أحاديث العشق واللهفة.. انكبا معًا في التخطيط لمهام العمل المكلفان به.. واستأثر الوصال بينهما بأقل القليل من الوقت والاهتمام.

وبينما كانت حنان مهتمة بمراقبة المرضى المترددين على المستشفى من ذوي الصفات والطبقات الخاصة، اهتم أحمد الحلاق بمسألة هامة تؤرق الإسرائيليين وتحيرهم.. وهي قصة اختفاء الطيار الإسرائيلي (رون أراد)[1] الذي أسقطت طائرته فوق تلال صيدا في ١٦ أكتوبر ١٩٨٦.. واختفت آثاره منذ ذلك الوقت .

وفي أول نوفمبر ١٩٨٨ زفت حنان الياسين إلى أحمد الحلاق في حفل متواضع بالناقورة.. وسافرا إلى بيروت لقضاء شهر العسل.. حيث أقاما بإحدى الشقق المفروشة بضاحية بيروت الجنوبية.. وكانت بالصدفة البحتة تجاور شقة ابنة الشيخ عبد الكريم عبيد.. أحد مسئولي حزب الله في جناحه العسكري.. فوطدا علاقتهما بها وبزوجها.. وتزاوروا وتلاقوا في مناسبات اجتماعية مختلفة.. من خلالها استطاع أحمد الحلاق أن يكسب ثقة الشيخ عبيد.. ويحظى باهتمامه.. ذلك لأنه أجاب الشيخ عن العديد من الاستفسارات عن الجنوبيين .. ووجدها الأخير فرصة ذهبية للحصول على معلومات مجانية من شيعي أظهر ورعًا وإعجابًا شديدين بحزب الله.

فكر الشيخ عبيد مليًا في استقطابه.. وكان الحلاق في الوقت نفسه لا يفكر في مجرد الحصول على أتفه معلومة منه.. إنما انشغل فكره بخطة جهنمية تقذف به إلى العلياء في سرعة البرق.. ألا وهي اختطاف الشيخ عبيد.. نعم.. استدراجه إلى الجنوب واختطافه بشحمه ولحمه.. وتسليمه لقمة سائغة لقائده الرائد (رجاء ورد)، ليقوم بنفسه باستخلاص ما يريده من معلومات وأسرار خافية تهمه.. فترتفع بذلك مكانته لديه.. ولدى الموساد على خد سواء.

رسم الحلاق أولى خطوط خطته.. بأن بدا أمام الشيخ في صورة المسلم التقي الورع.. فواظب على الصلاة في المسجد الكبير القريب من مسكنه والذي يرتاده رجال حزب الله.. كما ارتفع ميكروفون الكاسيت في شقته بصوت الأمين العام للحزب (الشيخ حسن نصر الله) وهو يلقي خطبه الحماسية الثورية.. وأعلن الحلاق مرارًا عن

---

(١) تفاصيل قصة (رون أراد) جاءت بالجزء الثالث من كتابنا : (حراس الهيكل) .

رغبته في الشهادة جهادًا في سبيل الله.. بل وجهر بالنقد لبعض سياسات الحزب ليبدو شيعيًا طبيعيًا لا يثير أية شبهة من حوله.. فأزادته كل تلك الأفعال والتصرفات مكانة لدى الشيخ عبيد.. ورفقائه.. مما دفع الشيخ لأن يصحبه معه لحضور إحدى خطب الأمين العام في الضاحية.. وهناك التقى الحلاق بالعديد من رموز الحزب.. وأبرز رجالاته.. وقدمه الشيخ إلى حسن نصر الله الذي صافحه بوجهه النوراني البشوش بحرارة مرحبًا.. مستقبلاً.

كانت رعشة اللقاء بالرجل الأول والزعيم الأمهر تضج بالانفعالات المتباينة.. فالجاسوس الخائف الهلوع تملكته مشاعر الفرحة.. وتوجته رهبة الموقف وهو يقف مذهولاً أمام عدو إسرائيل المبين.. وبعبعها المخيف.. تتشابك يداهما ، يد نظيفة نقية ورعة.. ويد نجسة قذرة خائنة.. في تناقض حاد لا يوصف.

وما إن اختلى الحلاق بعروسه حتى غاصت بأعماقه لسعات اللقاء الحميم.. فقد الجسد الأفروديتي البديع سحره الذي كان يسكره حتى الثمالة.. وطغت في ثورة بسمة رحيمة ملائكية تهلل بها وجه الرجل العظيم الفدائي ، حسن نصر الله، وعندما انتشت حنان الجميلة تحتضنه في شوق.. كان يردد في نفسه: ليتني احتضنته.. وقبلت جبينه.!

التشادور والحسية

لم تكن إذن رحلة العروسين من الجنوب إلى بيروت من أجل شهر العسل فقط. إنما كانت في المقام الأول رحلة استطلاع وتكشف.. استطلاع لتجمعات حزب الله المكثفة في ضاحية بيروت الجنوبية.. وتكشف سبل اقتجام ذلك العالم المثير الغامض الذي تسعى إسرائيل لاختراقه.

فالضاحية هي عاصمة حقيقية للتيار الإسلامي عمومًا في لبنان.. ولحزب الله على وجه الخصوص.. حيث يمارس الحزب في هذه المنطقة.. وفي المناطق الشيعية في البقاع وبعض الجنوب.. دورًا أبعد ما يكون عن فرض نمط حياة إسلامية على

السكان.. ففي شوارع الضاحية تتقابل التعاونيات الدينية مع محلات تجارية تحمل تسميات أجنبية .. وتتجاور رموز حزب الله في شارع معوض (حمراء الضاحية) مع محلات الجواهر والتجميل والملابس الأوربية الحديثة.. بما يوحي ببراجماتية حزبية، يفرضها ميزان القوى المحيط بمناطق عمل الحزب الذي يظل حزبًا غير انتحاري.. وهو بالتالي قد لا يكون ظاهرة مؤقتة تنتهي بانسحاب إسرائيل من الجنوب اللبناني.

فجهاز الدعاية والإعلام في الحزب ناشط جدًا في رسم الصورة المضيئة للحياة الإسلامية المثالية لأعضائه.. ولأسر الشهداء الذين يوليهم الحزب رعاية عالية تضمن لهم حياة اجتماعية مستقرة آمنة.. حيث يكفل الحزب الأولاد حتى التخرج من الجامعة والأم مدى الحياة.. مما شجع الآلاف من الشباب على الانخراط بالعمل الفدائي.. وبالكثافة التي أربكت ماكينة أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية.. وحدت من محاولات اختراقاتها المستمرة لهيكل الحزب وتنظيماته .

وبينما كان أحمد الحلاق منهمكًا في توطيد علاقته بالشيخ عبد الكريم عبيد.. وبكوادر وشخصيات حزبية أخرى مهمة.. كانت عروسه حنان الياسين تتسلل كالفيروس إلى عقل ابنة الشيخ.. وإلى حياة نساء حزب الله من خلالها.. ولكي تحكم عميلة الموساد خطة التسلل بمهارة.. تحولت خلال أيام إلى تلميذة نجيبة تنصت باهتمام وخشوع إلى شروح قواعد الدين .. وأصول تلاوة القرآن بطريقة الشهروردي ، القارئ العراقي المشهور.. كما ارتدت (التشادور)[1] الأسود الفضفاض عند الخروج مع ابنة الشيخ عبيد إلى المسجد، أو إلى الهيئات النسائية في حزب الله.

ولأنها دربت بشكل جيد وتسعى إلى هدف تنشده.. استطاعت العميلة أن تقيم صداقات مختلفة مع العديد من النسوة. كانت من بينهن سيدة في الثلاثين من عمرها.. وهي أرملة أحد الشهداء.. استدرجتها حنان بإعجاب مصطنع للحديث عن

(١) وهو زي يغطي المرأة من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها.. وارتبط بالتراث الشيعي في إيران والعراق لما فيه من دلالة حزن على أهل البيت.

بطولات زوجها.. وبفخر زائد أخذت الأرملة تسرد الكثير عن عملياته الفدائية وإقدامه الجسور طمعًا في الشهادة. ومن بين ما قالته الأرملة عن زوجها الشهيد، أنه كان قائد سرية في حركة (أمل) – إحدى خلايا حزب الله – وهو أول من أسر طيارًا إسرائيليًا أسقطت طائرته في صيدا.. وسلمه حيًا إلى قائده (مصطفى الديراني).

وما إن علم الحلاق بذلك من زوجته.. حتى تهلل فرحًا وطلب منها أن توطد علاقتها بتلك المرأة.. وألا تسعى لمعرفة المزيد عن الطيار الأسير لكي لا تثير الشكوك من حولها .

مربوطًا بسلاسله

بعد رحلة شهر العسل في بيروت عاد العروسان إلى الناقورة.. وأسرع الحلاق لمقابلة قائده (رجاء ورد) بمكتبه الجديد ببلدة الخيام الجنوبية، التي تحولت إلى مقر دائم للوحدة (٥٠٤) المختصة بالتعامل مباشرة مع الجواسيس.. فقصَّ عليه تفاصيل لقاءه بالشيخ عبد الكريم عبيد.. وبأمين عام حزب الله.. وحدثه عن هاجسه المجنون في اختطاف عبيد إلى إسرائيل بعد استدراجه إلى الجنوب..

أما حنان الياسين فلم تستطع الذهاب معه لضابط الارتباط.. حيث داهمتها أعراض الحمل ولازمت الفراش لعدة أيام.. مما اضطر قائدها رينيه البياضي إلى زيارتها بشكل سري، ليتعرف منها بنفسه على قصة أسر الطيار الإسرائيلي المختفي.. والحياة اليومية لنساء حزب الله..

وبعد أيام استدعى الحلاق إلى الوحدة (٥٠٤).. حيث عهد به إلى ثلاثة من خبراء الموساد في فنون الجاسوسية.. عملوا على تلقينه أساليب التحاور.. وسيكولوجية التعامل المتقن لاختراق نظم جماعات حزب الله وأدمغة رموزه.. خاصة وأن رجال أمن الحزب يدققون بشدة تصل إلى درجة التشكك في كل من يتعامل مع الحزب أو يعمل لديه.. أي (يغلي تفلاية) كما جاء على لسان أمين عام الحزب.

وبعد اثنى عشر يومًا اجتاز الحلاق الـدورة التدريبيـة بنجـاح مذهـل.. ممـا أهلـه للانتقال إلى وضعية حياتية وجاسوسية جديدة.. حيث وضع خبراء الموساد الخطوط الرئيسية لعملية اختراق حزب الله بواسطته.. وهي خطة ترمـي إلى التعـامل المباشر مع كوادر الحزب ورموزه.. من خلال نشـاط تجـاري يستتر وراءه.. بمـا يضمـن لـه التحرك بحرية ما بين الناقورة وبيروت.. ويكـون هـذا النشـاط أيضًـا مصدرًا لحيـاة معيشية مريحة.. تكفل له الاستقرار النفسي لكي يعمل بكفاءة تحت أعينهم.

تلك هي إحدى حيل الموساد المعروفة، ويطلق عليها اسم Cover – أي الغطاء – وهي ذات الوسـيلة الـتي يستخدمها عمـلاء الموسـاد في التخفـي والانتشـار في طـول القارات وعرضها ، طوال حقبة الصراع المرير المستمر مع المخابرات العربية. وإحـدى البدائل الناجحة التي اعتمدتها أجهزة المخابرات العالميـة والعربيـة كغطـاء لرجالهـا ولعملائها في عواصم الدول.

هكذا أمدت الموساد عميلها أحمد الحلاق بالمال الوفـير لاسـتئجار محـل تجـاري بسوق الناقورة.. يقوم نشاطه على بيع المشغولات اليدوية وأدوات البيـت العصـري.. وأطلقت يده في التنقل إلى بيروت لتوسيع تجارته وتعاملاته مع حـزب الله.. في ذات الوقت الذي كانت تجري فيه في تل أبيب ، الترتيبـات اللازمـة والخطـط البديلـة، لاختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد بالاشتراك مـع المخـابرات الأمريكيـة "C.I.A" .. نظرًا لتشابك المصـالح والأهـداف لاخـتراق حـزب الله بتسمياته المختلفـة ، (حركـة المقاومـة المؤمنـة.. أمـل.. الجـهاد الإسلامي.. العدالـة الثوريـة..). وكـان الهـدف الإسرائيلي من وراء عمليـة الاختطـاف هـو معرفـة مصير الطيـار اليـهودي رون أراد المختفي في لبنان، وهيكلية حزب الله وقواعده..

أما هدف الـ C.I.A فكان أبعـد مـن ذلـك بكثـير.. ألا وهـو فـك ألغـاز الحـرب السرية التي أعلنها حزب الله ضد عملائها في لبنان.. إلى جـانب البحـث عمـن وراء عملية تفجير السفارة الأمريكية في بيروت عام ١٩٨٣.. واختطاف مدير الـ C.I.A في لبنان وليام باكلي في مارس ١٩٨٤.. وأحد كبار خبراء المخابرات الأمريكية في شـئون

الشرق الأوسط على مدى ثلاثين عامًا.. حيث كانت نقمة الأمريكان زائدة وتتملكهم الرغبة في الانتقام ، بعدما تبين أن باكلي قد تعرض للتعذيب الشديد طوال ١٥ شهرًا.. قبل أن يموت مربوطًا بسلاسله..

من بين أسباب الغضب الأمريكي أيضًا ورغبتها في اختطاف عبيد.. معرفة الدولة التي نقل إليها حزب الله اعترافات باكلي.. وهي اعترافات خطيرة جدًا عن الـ C.I.A تجاوزت الأربعمائة صفحة عن تركيبة المخابرات الأمريكية .. وأسماء عملائها في الشرق الأوسط وخارجه..

ليس هذا فحسب.. وإنما هناك هزة عنيفة ارتجت لها أمريكا في فبراير ١٩٨٨.. عندما اختطف رجال حزب الله الضابط الأمريكي روبرت هيجنز .. العامل في صفوف القوات الدولية في بيروت.. وتبين فيما بعد أنه ضابط في المخابرات العسكرية الأمريكية . فمن إذن كان وراء كشف شخصية هيجنز الحقيقية..؟..

لكل ذلك.. سعت أمريكا لتكشف كيفية نجاح حزب الله في شن حرب سرية ضدها.. وكانت على قناعة بأن تلك الانتصارات ليست من تخطيط حزب الله وحده.. وإنما هناك جهات أخرى خارجية وإقليمية وراءها.. لهذه الأسباب مجتمعة.. أعطت أمريكا الضوء الأخضر لإسرائيل لاختطاف الشيخ عبيد.. مهما تكلف ذلك من خسائر وأموال..!!

الجاسوس الباكي

انشغل أحمد الحلاق بمهامه الجديدة.. واستحوذت عليه أعماله التجارية التي تستر خلفها.. أما زوجته الحسناء حنان الياسين فقد ألمها الحمل الأول الذي جاءها يحمل الإرهاق والنوم الطويل.. وكانت بالرغم من ذلك تزداد جمالاً فوق جمال.. وفتنة طاغية تحير عقول المحيطين بها إلا زوجها.. ذلك أنه انهمك لآخره في الخيانة والتخفي وجمع المال.. فنضب لديه بالتالي معين الاهتمام بها.. وقلت كلماته المعسولة التي سلبت عقلها قبل الزواج..

ولأنها كانت تعرف جيدًا طبيعة مهامه الصعبة.. ومدى خطورة الواقع الذي يعيشه.. كانت تستميحه الأعذار.. بل وتشفق عليه أرقه الدائم وانفعالاته.. وتعمل جاهدة على الالتصاق به.. والتقرب إليه.. ببثه أعذب عبارات الغزل طيلة أوقات يقظتها القليلة.. فحبها المجنون له كان يتضاعف يومًا بعد يوم .. للدرجة التي تكاد معها أن توشك أحيانًا كثيرة على إعلان ندمها الشديد له لتورطه في حبها.. ومن ثم سقوطه في مصيدة الجاسوسية بسببها..

هي نفسها – حنان الياسين – كانت تضعف كثيرًا ويغشاها ندم كالشلال المتساقط.. ينحر فيها الوجه البريء ويعريها.. فتشمئز من كونها عميلة خائنة حقيرة.. وتكره الاستغراق في التفكير الذي لا يقودها إلا لحقيقة واحدة.. ثابتة وموجعة، وهي أنها جاسوسة خائنة وزوجة لجاسوس خائن تحبه، لذلك كرهت الحمل الذي حبسها وحيدة مع أفكارها.. ولعنت ظروف نشأتها في الناقورة بين جيش من الخونة الجنوبيين قوامه ثلاثة آلاف جاسوس لحدي[1].. كلهم مخلصون في خدمة إسرائيل.. لكنها كانت تلوذ بالنوم لتنسى.. أو لتتناسى.. ثم سريعًا ما تنعطف وهي بين أحضان الحبيب إلى الشق الآخر من حياتها.. فتسخر جم جهدها لأجل أن يحظى عمل زوجها بقبول الإسرائيليين.. ورضائهم.. فيغدقوا عليه بالأموال التي تؤمن لهما حياة مطمئنة ومعاشًا أفضل . تلك هي شخصية حنان الياسين الازدواجية.. المتناقضة.. القلوقة.. المتآكلة..

وفي غمرة انشغالاته وتنقلاته.. تذكر الحلاق على حين فجأة زوجته الأولى فاطمة وابنيه هيثم ووهيبة.. كان يومها في صيدا في طريقه إلى بيروت.. وتفصله عن أسرته في قرية (برجا) عشرون كيلومترًا.. عندها توقف بسيارته بالقرب من جامع (الزعتري) شمالي المدينة.. ومع حلقات دخان سجائره المتشابكة سبح في فكر عميق.. عميق.. استغرق منابع مشاعره وخلجاته لوقت ليس بقصير.. لم يفق منه إلا عندما

---

(١) اللواء أنطوان لحد، قائد جيش لبنان الجنوبي ، عميل إسرائيل .

توقفت إلى جواره فجأة سيارة جاكوار.. ترجل منها الشيخ عبد الكريم عبيد.. فبهت.. وأسرع هو الآخر بمغادرة سيارته مادًا ذراعيه مصافحًا.. ومعانقًا.

كان الرجل الوقور المهذب يتمتع بوجه نوراني يشع بهاء وطمأنينة.. اكتسى بمسحة من أبوة غير مفتعلة وهو يسأله بشوشًا.. مبتسمًا :

– ابني أحمد؟ ماذا يبكيك يابني؟

انتبه الحلاق إلى دموعه المنسابة في غفلة منه.. فمسحها بسبابتيه لا يدري أدموع الحنين إلى أهله في برجا هي.. أم دموع عصرتها قتامة الوحدة.. والخوف.. والندم.. أجاب الشيخ في نبرة مفعمة بالصدق:

– تذكرت أهلي في برجا.. أبواي وزوجتي الأولى وولديّ.. فقد مر عام ونيف ولم أرهم.

قال الشيخ وقد ارتفع صوت المؤذن:

– لنصلي أولاً ثم نتكلم.. ولا تنس وأنت بين يدي ربك أن تستغفره.. وترجوه الرحمة والهداية.

وفي المسجد إلى جوار الشيخ عبيد صلى الجاسوس الباكي.. دون خشوع.. فقد انحصر كل فكره في كيفية استدراج الرجل.. واختطافه إلى إسرائيل.

عملية زوار الفجر

أتاحت للحلاق تلك الصدفة غير المتوقعة أن يتعرف على الكثير والكثير من أسرار الشيخ عبيد.. وكذا.. من خلال لقاءات أخرى بينهما.. فالرجل كان دائم التردد على جامع الزعتري.. ويتخذ منه وكرًا آمنًا، لتمتعه بموقع استراتيجي بطريق بوليفار على المدخل الشمالي للمدينة.. مما يمكنه بسهولة من الالتقاء بأعوانه ومساعديه.. حيث يسلمهم التكليفات والأوامر في مظاريف مقفلة.. ويتسلم التقارير والمعلومات مكتوبة أيضاً..

اكتشف الحلاق أيضاً الحس الأمني العالي الذي يتمتع به الرجـل.. فـهو ينتحـل أسماء حركية.. إلى جانب تنويعة مختلفة من السيارات القويـة كالجـاكوار والجيـب المتسوبيشـي والروفـر.. إضافـة إلى مسـدس أوتومـاتيكي سريع الطلقـات ذي خزينـة إضافية.. مع احتفاظه بمدفع كلاشينكوف أسفل مقعد سـيارته.. متجنبًـا اصطحـاب حراسة شخصية في تنقلاته إمعانًا في التمويه وسرية التحركات.

استطاع الحلاق أن يحصد تلك المعلومات وهو يرتدي ثـوب الـورع خـلال لقاءاتـه بالرجل الهام في حزب الله.. فـالدورات التدريبيـة المكثفـة الـتي تلقاهـا علـى أيـدي خبراء الموساد.. مكنته من فـهم أبعـاد اللعبـة.. لعبـة التجسـس.. وقـراءة خريطتـها الأمنية المعقدة.. ذلك أن ثمة خطأ بسيط قد يتسقط من بين حروفه، كفيل بأن يقذف به إلى حافة الموت. إنها إذن لعبة الجنون والذكاء والدهاء والمصير.. والموت القابع في الحروف وانفلات اللسان.

لقد بدا الحلاق في صورة زاهية مثالية للمسلم الشيعي المحافظ. مسلكًا وسـلوكًا.. مبديًا أحيانًا رأيه في حزب الله ناقدًا لبعض سياساته.. متبرعًا – من أموال الموساد – بأضعاف (الخمس) المطلـوب منـه كزكـاة.. فأزادتـه تصرفاتـه المحبكـة مكانـة لـدى الشيخ.. دفعته لأن يطلب منـه معاونـة حـزب الله في الحصـول علـى معلومـات عـن تحركات قوات لحد في الجنوب.. ونقاط التفتيـش الأمنيـة بـالقرب مـن (مفـرق ديـر قانون البحر) شمالي النـاقورة.. فأظـهر الحـلاق انزعاجـه في تمثيليـة بارعـة.. وأخـذ يشرح للشيخ كيف يتشكك الجيش اللحدي في كل سكان الجنـوب .. خاصـة أولئـك الذين يتنقلون منهم ما بين الجنوب والشمال.. حيـث تلاحـق الجميـع اسـتجوابات أمنية مرهقة..

وفي ركن قصي بالمسـجد أخـذ الشـيخ عبيـد – وكـان يشير بإصبعـه لأعوانـه أن ابتعدوا – يحاول تهدئة الشاب الخائف قائلاً له إن لحزب الله أعوانًا وعيونًـا حتـى بالقرى المتاخمة لحـدود إسرائيل.. لكـن يلزمـهم أحيانـاً أمـاكن لتخزيـن الأسـلحة بالناقورة ورأس العين.. تصلح في الوقت نفسه كقاعدة للانطلاق للعمليات الفدائية.

وكان للخوف المصطنع الذي تمثله الحلاق أثره المرجو.. فلسابق خبرة الشيخ الطويلة في التعامل مع الجنوبيين.. أوصلته فراسته إلى تبين العديد من الخونة وكشفهم.. لكنه أمام جاسوس مدرب كالحلاق.. لم تسعفه الفراسة في استنطاق حقيقته.. واستبيان شخصيته المزورة.. وأرجع سبب ذعره إلى تخوفه على عروسه الجميلة وتجارته النامية في الجنوب . لكن الرجل لم ييأس، فقد كان عنده يقين من أن الحلاق لا بد وأن يجرب.. ويتجرأ.. ويصير يومًا ما أحد رجال حزب الله الناشطين في الناقورة .

وفي نهاية يوليو ١٩٨٩ ، كانت حنان الياسين على موعد مع مولودها الأول.. وكانت الموساد في الوقت نفسه قد وضعت الترتيبات النهائية – بمعاونة عميلها أحمد الحلاق – لاختطاف الشيخ عبيد من منزله في قرية جبشيت.. بواسطة وحدة كوماندوز إسرائيلية في عملية أطلق عليها اسم (زوار الفجر) .

الجاسوس المجاهد

كانت المخابرات الإسرائيلية قد استعدت تمامًا لعملية زوار الفجر لاختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد إلى إسرائيل، واعتمدت خطة اختطافه على عدة خطوات وقائية وتمويهية محكمة. ففي صباح ١٧ يوليو ١٩٨٩ ذهب أحمد الحلاق إلى صيدا للقاء عبيد بمسجد الزعتري، وهناك أطلعه على معلومات حقيقية أمدته بها الموساد عن تفتيشات أمنية صارمة ستقوم بها القوات الإسرائيلية في الجنوب، وبالأخص في قضاء (بنت جبيل) الذي يضم سبعة وثلاثون قرية، للبحث عن ثلاثة من عناصر حزب الله تمكنوا من الفرار، بعدما نفذوا عملية فدائية بالقرب من عيترون ، ودلت آثارهم على أنهم اتجهوا غربًا للاختباء .

وخلال هذا اللقاء أيضًا ، أفضى الحلاق للشيخ عبيد بنية قوات لحد، بمساعدة قوات من النخبة الإسرائيلية، في محاصرة المنطقة بكاملها مع غروب الشمس لتمشيطها ، ولما سأله عبيد عن مصدر معلوماته أجاب بثقة بأن مخبرًا لحديًا دائم

التردد على محله أنبأه بذلك ، وبأن هنـاك ترتيبـات مخابراتيـة بالغـة السـرية تتـم داخل الوحدة (٥٠٤) في بلـدة الخيـام ، بشـأن اختطـاف الشـيخ مصطفـى الديرانـي المسئول عن حركة المقاومة المؤمنة، أحد تنظيمات حزب الله ، لمعرفـة مصـير الطيـار الإسرائيلي رون أراد.

كان الشيخ عبيد يعلم تمام العلم بأن هناك عملية فدائية نفذت بالفعل مساء اليوم الأسبق.. وتكتمت إسرائيل الأمر فلم تعلن رسميًا عنـها ، لكنـه كـان يجـهل مصـير الفدائيين الثلاثة ، وعما إذا كانوا قد أفلتوا من الإسـرائيليين واللحديـين أم لا ؟!!. كان يعلم أيضًا بأن عيون المخابرات الإسرائيلية ترصد وتـتربص برمـوز حـزب الله في البقاع والجنوب ، وأن الشيخ مصطفى الديراني تحديدًا على رأس القائمة ، ذلـك أن قواته الباسلة هي التي أسـرت الطيـار الإسـرائيلي رون أراد حيًـا ، وسـلمته لجـهاز مخابرات حزب الله قبلما تتمكن المقاومة الفلسطينية أو اللبنانية من اصطياده.

رحلة الخوف

وفي ٢٩ يوليو ١٩٨٩ ، وبينما كانت حنان الياسين تضع مولودهـا الأول.. كـانت القيادة الإسرائيلية قد انتهت من اعتماد خطة عمليـة زوار الفجـر لاختطـاف الشـيخ عبد الكريم عبيد، مساء ٣١ يوليو ، بواسطة فريق من الكومـاندوز قوامـه أحـد عشـر جنديًا وضابطًا..

يومها ، ترك الحـلاق زوجتـه بمستشـفى النـاقورة تعـاني آلام المخـاض، واتجـه لمسجد الزعتري بصيدا لوضع اللمسات الأخيرة لساعة الصفـر.. حيـث التقـى هنـاك بالشيخ عبيد وعرض عليه أن يتوسط لدى أسرته في برجا ليلتئم الشـمل العـائلي مـن جديد، مقترحًا أن يتم ذلك مساء اليوم بعد التالي، فوافق الرجل في الحال لكنه طلب منه تأجيل الأمر إلى اليوم الذي يليه، أي الأول من أغسطس ، نظرًا لارتباطاته الـتي ستضطره للبقاء بقريته ، جبشيت ، ليومين قادمين.. هكذا استوثق الحلاق من موقع الرجل ومكانه لحظة الصفر ، فعاد من فـوره إلى النـاقورة.. ليتصل بضـابط الارتبـاط

النقيب رينيه البياضي ويزف إليه بالشيفرة النبأ السار ، الذي لم يكن ينتظره وحده بل تنتظره كل إسرائيل .

في ذلك اليوم ، كانت الأمور بمنزله تبدو غير طبيعية بمقدم وليده الأول من حنان.. والذي أسمياه (داني) تيمنًا بضابط المخابرات الإسرائيلي الداهية (داني ياتوم[1]) ، الذي طارد واغتال العديد من أبرز الشخصيات الفلسطينية وبلغت شهرته الآفاق في إسرائيل .

صبيحة ٣١ من يوليو ١٩٨٩ ، على بعد عشرة كيلومترات من (قلعة الشقيف) ، ربض فريق الكوماندوز الإسرائيلي بأحد معسكرات (الطيبة) في انتظار الإذن بالتحرك..

كانت الوجوه تبدو قلقة برغم الأسلحة المتقدمة التي بحوزتهم.. وهامش الأمان العالي الذي توفره القيادة المخابراتية والعسكرية لهم، من خلال أسطح التغطية وأساليب التمويه والتنكر المعتمدة ، وفي التاسعة مساءً اتصل الحلاق تليفونيًا من بيروت بالشيخ عبيد في جبشيت ، بحجة تأكيد ميعادهما في اليوم التالي.. ثم أجرى الحلاق بعدها مباشرة مكالمة تليفونية لشخص ما ، تبدو عادية جدا.. لكنها استدعت بقاء كبار رجال الدولة والمخابرات والجيش بتل أبيب في مكاتبهم.. يغالبهم الإحساس بالقلق والتوتر لخطورة المغامرة المخطط لها.

هكذا طار فريق الكوماندوز الإسرائيلي بواسطة الهليوكبتر إلى جبشيت الجنوبية ، بمعاونة أحد العملاء المحليين ، يرتدي أفراده الملابس المدنية.. ويتحدثون جميعًا بلغة لبنانية سليمة.. ويحملون هويات لبنانية وأسلحة مختلفة.. إضافة إلى أجهزة اللاسلكي وعدة صور فوتوغرافية للشيخ عبد الكريم عبيد ولبعض رموز حزب الله.. وعلى ارتفاع عدة كيلومترات في السماء كانت هناك إحدى الطائرات تقوم بمهام التشويش الإلكتروني، لإرشاد الطائرة الهليوكبتر التي تقل فريق الاختطاف، إلى

(١) داني ياتوم : تولى رئاسة الموساد لمدة عامين إلى أن اضطر للاستقالة من منصبه في مارس ١٩٩٨ إثر فضيحة خالد مشعل في الأردن.

موقع غير مأهول بالقرب من القرية.. وعلى الأرض ربضت عـدة أسـراب إسـرائيلية، من طائرات الفانتوم والميراج ، على أتم الاستعداد للطيران والتدخل في الحال.

أشباح الليل

هبطت الطائرة على مسافة ستة كيلومترات من قريـة جبشـيت ، وأختبـأ فريـق الكوماندوز الإسرائيلي بين الأعشاب في انتظار الإذن بالهجوم، مرت الدقـائق كأنـها الدهر.. وقبلما تفلت الأعصاب المضطربـة صـدر الإذن. في مجموعـات ثلاثيـة باتجـاه القرية تحرك الفريق.. وما هي إلا بضع خطوات حتى وقعت مفاجأة لا تخطر ببال.. إذ انهار فجأة العميل المحلي الذي سيرشدهم إلى منزل عبيد.. وانتابته حالة حرجة من التشنج اصطكت لها أسنانه ، وتيبست أطرافه.. وأخذ يقول في هلع:

– أولادي.. أولادي وأهلي.. سيقتلونهم انتقامًا مني.

فقال له أحد الضباط في حسم:

– أنت تعرف حزب الله أكثر منا.. إنهم لا يقتلون الأبرياء..!!

وأردف آخر:

– وكيف لهم أن يكشفوك بيننا أيـها الرجـل؟.. إن مـهمتك أن تدلنـا إلى المـنزل وتنصرف لحال سبيلك..

أضاف الضابط الأول:

– لا عليك.. فبإمكانك مصاحبتنا إلى إسرائيل ولسوف يرحبون بك هناك.

أجهش العميل بالبكاء وهو يقول:

– كيف ذلك وأنا من جبشيت نفسها..؟ سأعطيهم إذن الدليل علـى أنـني أحـد عملائكم.

اكفهر الموقف.. وساد الاضطراب الجميع.. وتحولت الدقائق العصيبة إلى رصاصات تخترق أبدانهم وعقولهم.. وعلى حين فجأة تقدم أحد الضباط من العميل المذعور.. وهوى على وجهه بصفعة قوية ألقته أرضًا وهو يقول:

– أتأخذ ألف دولار لنتنزه معك هنا أيها القذر..؟ خذنا إلى جبشيت.. هيا.. وإلا ذبحتك وقطعتك إربًا..

وامتثل الرجل.. تقدمهم منحنيًا عبر الدروب المهجورة باتجاه القرية الآمنة.. حيث كان الشيخ عبيد قد أوى إلى فراشه.. بعد يوم طويل من العمل، ودراسة إحدى العمليات الفدائية داخل الشريط الحدودي.

وعلى مشارف القرية ، توقف فريق الكوماندوز الإسرائيلي للاستطلاع بنظارات الميدان الليلية.. تحسبًا لوجود قوات أمنية مسلحة أو نقاط حراسة.. لكن شوارع القرية المضاءة بدت خالية تماما في ذلك الوقت المتأخر من الليل.. فتحرك العميل الخائف برفقة ثلاثة جنود إلى حيث يوجد المحول الكهربي الرئيسي لفصل التيار عن القرية.. بعدها تحرك بقية الفريق على هيئة رأس وجناحين.. مخترقين شوارع القرية المظلمة وأزقاتها دون أن يصادفهم أحد.

وأمام منزل الشيخ عبيد استتر الفريق بين شجيرات الأرز لتوزيع الأدوار.. تحركت الأشباح في الظلام الدامس ، فتسلق بعضها سور المنزل إلى السطح ثم إلى الصحن.. وعولج الباب الداخلي بهدوء شديد.. شديد.. تحركت الأقدام متلصصة تجوب الردهة.. وبعد ثوان قليلة انقضت أشباح الليل على الجسد النائم في شراسة.. همس صوت كأنه فحيح أفعى:

– أية حركة تصدر منك فيها هلاك لك ولأهلك.

وبشريط لاصق كمموا فمه وكبلوا يديه.. بينما كانت هناك أشباح أخرى تعبئ في عدة أكياس ، كل ما وجد بمكتبه من أوراق وخرائط وصور ، حدث كل ذلك دون أن يفطن أحد ممن بالمنزل إلى ما يجرى، على بعد سنتيمترات قليلة خارج حجراتهم.

هكذا نجحت خطة الاقتحام والاختطاف.. وبقيت عدة خطوات أخرى قبل الرجوع إلى إسرائيل بالكنز الثمين.. إذ اتخذ فريق الكوماندوز الطريق نفسه الذي سلكوه إلى القرية.. بعدما نجح بعض أفراده في إتلاف كابل التليفون الرئيسي والداخلي.. وزرع عدة ألغام مضادة للأفراد ببداية طريق الانسحاب لإعاقة المطاردة إن وجدت..

وبينما كان العميل الإسرائيلي يرتجف هلعًا داخل بيته بالقرية.. كان أفراد فريق الكوماندوز يتناوبون على جذب الشيخ الكبير ودفعه.. لاجتياز المسافة في أقصر زمن ممكن.. وبواسطة أجهزة اللاسلكي كانت الاتصالات لا تنقطع بالطائرة التي كانت تحلق في الفضاء الشاهق فوق المنطقة.. حتى إذا ما اقتربوا من المكان المحدد، هبطت الطائرة الهليوكبتر التي أقلتهم من قبل.. فقفزوا إليها قفزًا لتعود بهم إلى إسرائيل.

استغرقت عملية (زوار الفجر) منذ لحظة الهبوط.. حتى صعود الطائرة سبعة وخمسين دقيقة.. عاشتها قيادات إسرائيل في توتر متصاعد.. خشية فشل العملية ووقوع رجال الكوماندوز في الأسر.. فيضيف حزب الله إلى انتصاراته انتصارًا جديدًا ساحقًا.. ترتج له إسرائيل ويتقاعد بسببه العديد من ضباطها.

المصير الحالك

كان أول من صعد إلى الطائرة الرائد رجاء ورد أشرس عملاء إسرائيلي على الإطلاق في الوحدة (٥٠٤).. فتفحص وجهه الشيخ عبد الكريم عبيد ثم جذبه من ذقنه في تهكم وهو يقول:

– أكنت تبحث عن خصمك ورد..؟ هاأنذا.. لكنك محظوظ جدًا أيها الشيخ لأنني لن أقوم باستجوابك بنفسي.. حيث لن تظل حيًا بين يدي أكثر من أيام..

لم يرد عليه الشيخ سوى بنظرة تحد جامدة.

كان الشيخ عبيد لا يصدق على الإطلاق أنه وقع أسيرًا بين أيدي الإسرائيليين.. إذ صدمته مفاجأة الانقضاض المباغت.. وطحنته في تساؤلات متشعبة:

- كيف تمت مراقبته ورصده هكذا بسهولة..؟ كيف وثقوا بوجوده داخل منزله بجبشيت.؟ وكيف تصرف بحماقة عندما صرف حارسيه الملتصقين به ليل نهار..؟ أيعقل أن تكون هناك خيانة..؟؟ وهل الاختراق الإسرائيلي لحزب الله يصل إلى درجة اختطافه من حجرة نومه في بيته على مسافة أربعين كيلومترًا من حدود إسرائيل..؟ ترى.. من ذلك الخائن الذي يتلون كالحرباء بيننا..؟ هل سيتمكن رجاله من الإمساك به..؟ وهل هناك ضحايا من أبناء قريته أو من أسرته..؟ كم يا ترى دفعوا ثمنًا لرأسه.؟ وماذا وراء عملية اختطافه..؟

تساؤلات حيرت عقل الرجل وأنهكته.. واستقر في وجدانه أنهم حتمًا سيتعاملون معه بمنتهى الوحشية بغية الوصول إلى إجابات حاسمة ومعلومات أكيدة.. وقد يلجأون في تعذيبه إلى شتى الوسائل من صدمات مخية وعصبية إذا لم يحصلوا على مبتغاهم..

لذلك.. أغمض الرجل عينيه وأخذ يدعو ربه أن يمنحه القوة لكي يتجلد ويتحمل قسوة إيلامهم.. وانشغل عن المحيطين به في صلاة وتضرع.. إلى أن غشاه خشوع الدعاء ولبسته السكينة.. فلم يدر بنفسه إلا وهم يقتادونه إلى خارج الطائرة.. لتصطدم عيناه بجمع غفير من العسكريين اليهود يتصايحون في نشوة ظفر وانتصار قبلما يدفعون إلى داخل العربة العسكرية.. حيث وضع مكبلاً تحت حراسة مشددة بإحدى الغرف الانفرادية الضيقة ، بذات القاعدة الجوية التي حطت بها الطائرة في شمالي إسرائيل.

لقد كان هناك خوف كبير من مهادنته فينتهز أدنى فرصة للقضاء على حياته.. فشخصية قيادية مثله تحمل قدرًا هائلاً من الأسرار لا تقر الهزيمة بسهولة.. لذلك فالانتحار إحدى وسائل الحماية.. حماية الأسرار والمعلومات من الوصول للعدو.. وحماية النفس من الأسر والإيذاء..

في اليوم التالي نقل الشيخ عبيد إلى أحد مقار المخابرات الإسرائيلية.. حيث عومل بتجاهل تام لستة أيام متواصلة دون تحقيق.. وكان الغرض من ذلك - كما تقول

الدراسات النفسية – لوم النفس وتوقيع العقاب على الذات Selfinflict أولاً.. تمهيدًا لمرحلة الإجهاد العصبي Collapse ثم الانهيار الناتج عن تسلط فكرة الحياة أو الموت Live-or-die بعقله.

هكذا اعتمدت المخابرات الإسرائيلية نظريات علم النفس لاستجواب الأسرى.. وتعذيبهم معنويًا بشتى أساليب الصراع الداخلي ، والتوجس خيفة Apperhension من المصير المنتظر.. ودفعها حب الانتقام من الرجل إلى استغلال الطب العقلي Psychiatry في أبشع صورة لانتزاع المعلومات منه انتزاعًا.. ولم يكن ليتسنى لها ذلك إلا بسحق آدميته بشكل تدريجي متعاظم.. يبدأ بحرمانه من النوم لأيام طويلة.. وكذا الطعام والشراب والضوء والنظافة.. بعدها يحدث ما يسمى بانحدار Decline الإرادة.. فالمقاومة.. نتيجة الإحساس المهين بالإذلال Abasement الذي تعقبه مرحلة الوهن.. وعندها.. فالأمر أكثر سهولة في حالة التحقيق معه واستجوابه.. إذ سيكون أكثر ليونة.. وتجاوبًا.. مبتعدًا قدر الإمكان عن الكذب والمراوغة..

ولأن هذا الأسلوب يستغرق وقتًا طويلاً قد لا يقل عن ثلاثة أشهر.. حدث خلاف كبير بين خبراء المخابرات الإسرائيلية بعد مرور شهر ونصف من اختطاف الشيخ عبيد.. فقد رأى فريق منهم أن ضربات حزب الله الموجعة قد ازدادت كثافة برغم أسر أحد قواده.. ومن ثم ضرورة التعجيل باستجوابه بأساليب التعذيب المعتادة.. للوصول إلى حل لتفكيك مفاصل هيكلية الحزب الأمنية بأقصى سرعة ممكنة..

أما الفريق الآخر فقد رأى أن تطبيق النظريات النفسية أسرع الطرق للوصول إلى الحقائق بلا مواربة.. والكشف عن حقيقة مخبأ الطيار الإسرائيليُ رون أراد المختفي في لبنان.. واشتعل الخلاف بين الفريقين حتى وصل إلى القيادات العليا.. وجاء القرار الحاسم : (يتم التعامل مع عبيد بشتى السبل حتى تتمزق إرادته وتنهار مقاومته فيتكلم..).

وعلى ذلك.. علق مصير الرجـل بـين فكـي كماشـة.. وصخرتـي رحـى.. وهـو في الحالين هالك..!!

التحضير النفسي

وفي السابع والعشرين من أكتوبر ١٩٨٩ كـان الشيخ عبد الكريم عبيد في حالـة يرثى لها، عندما جيء به ثانية إلى غرفة التحقيق. فقد كان وجهه شاحبًا، ونظراته الزائغة تنطق بأساليب التعذيب الوحشية التي مورست معه. وفى هـذه المـرة أدخـل علي عدد كبير من الضباط قاموا علـى اسـتجوابه وليـس ضابطًـا واحـدًا كمـا في المـرة الأولى.

وحقيقة ذلك أن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية "C.I.A" .. أرسلت بعدد من خبرائها سرًا إلى إسرائيل في تعتيـم كـامل.. وفي مهمـة عاجلـة لم يعـرف بـها في إسرائيل نفسها سوى المستشار الأمني لرئيس الحكومة.. وبعض كبار رجال الموساد..

كانت مهمة الوفد المخابراتي الأمريكي مثار مفاوضات شاقة وطويلة مع الحكومـة الإسرائيلية.. كادت أن تتحول إلى أزمة بين الحليفين.. والسـبب في ذلـك يرجـع إلى أن المخابرات الأمريكية أبدت تحفظات على التقرير الذي قدمه لها الإسرائيليون عن نتائج التحقيق التي أجروها مع الشيخ عبد الكريـم عبيـد.. ويبـدو أن الأمريكيـين لم يجدوا ما يشفي غليلـهم في اعترافـات عبيـد كمـا وردت في التقريـر الـذي نقلـه لهـم الإسرائيليون.. فألحوا على أن تقوم عنـاصر مـن الــ "C.I.A" بلقـاء الشـيخ عبيـد في سجنه.. وإجراء تحقيق أمريكي خاص معه..

لقد أخذ الجانب الأمريكي على الإسـرائيليين أنـهم لا يركـزون في تحقيقاتـهم إلا على معرفة مصير الطيار الإسرائيلي (رون أراد).. إضافة إلى مصادر التمويل والكشـف عن تفاصيل خلايا (حزب الله).. وأسماء قياداته الأمنية.. والجماعات الـتي تتعـاون معه في نشاطات تنفذ خارج لبنان.. والمعلومات الأخرى التي يمكن أن تسـتفيد منـها الموساد في مطاردة عناصر الحزب .

لقد كانت عملية اختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد إلى إسرائيل تمثل صيدًا ثمينًا للـ "C.I.A" .. من شأنه أن يوفر لها ما ينقصها من معلومات قد تستخدمها كأوراق ضغط في مشروعها لإعادة صياغة خريطة المنطقة.. أو كأدلة ثبوتية لتبرير مخططات قد أعدتها لإعلان الحرب على الإرهاب.. والانتقام من كل من سبق له التعرض لمواطنين أمريكيين.. وكذا معرفة المسئولين الكبار عن الاغتيالات والتصفيات والعمليات العسكرية التي تعرض لها الأمريكان فى بيروت .

لكل هذه الأسباب.. كانت واشنطن قد أعطت الضوء الأخضر للإسرائيليين للقيام بخطف الشيخ عبيد[1] ، للكشف عن أجهزة المخابرات التي تختفي وراء (حزب الله).. والتي تتجاوز الشيخ (محمد حسين فضل الله) الزعيم الروحي للحزب.. الذي ورد اسمه في تقرير استخباري أمريكي يتهمه بالمسئولية عن تفجير السفارة الأمريكية في بيروت في أبريل ١٩٨٣..

ففي ذلك اليوم كانت السفارة الأمريكية تضم اجتماعًا خطيرًا جدًا يضم كل عملاء الـ "C.I.A" في المنطقة.. وهو أمر لا يمكن لأجهزة (حزب الله) الأمنية أن تعلم به وحدها، بدون مساعدة أطراف أخرى وأجهزة أكثر منها خبرة وانتشارًا.

ومن بين ما جاء عملاء الـ "C.I.A" لمعرفته من عبيد.. هو لأية جهة نقل (حزب الله) اعترافات (وليام باكلي) مدير الـ "C.I.A" في لبنان.. والذي تعرض للتعذيب قبل قتله مربوطًا بسلاسله في يونيه ١٩٨٥..

وقبل وفاة باكلي بدون علاج.. كانت أجهزة (حزب الله) قد فجرت مبنى المارينز ومقر الجنود الفرنسيين فى بيروت.. بعد ذلك نظمت عمليات اغتيال وخطف منظمة، طالت أجانب يعمل بعضهم سرًا ، لصالح أجهزة استخبارية غربية يعجز

(١) في نوفمبر ٢٠٠٣ ، قبل صدور هذا الكتاب بأيام قلائل، كانت هناك مفاوضات من أجل مبادلة الشيخ عبد الكريم عبيد، ورفيقه مصطفى الديراني وآخرين، بضابط إسرائيلي وثلاثة جنود إسرائيليين أسرى لدى حزب الله منذ عام ٢٠٠٠ ، وكانت المفاوضات جارية بوساطة ألمانية لإتمام عملية المبادلة، التي كان من المنتظر أن تتم في غضون أيام .

الحزب عن كشفهم.. منهم الكولونيل الأمريكي (روبرت هيجنز) الذي جرى تعذيبه ثم شنقه في أغسطس سنة ١٩٨٩.. انتقامًا لاختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد.. وكذا اغتيال العديد من العملاء السريين أبرزهم (ريتشارد جامبل) و(جاك ميران) في عامي ١٩٨٧، ١٩٨٨ .

بهذه الخلفية جاء فريق المحققين الأمريكي إلى إسرائيل.. وعقدت ست جلسات مع الشيخ عبيد استغرقت من ٣٠ : ٣٦ ساعة.. ويقول الأمريكيون أنهم لم يجدوا صعوبة كبيرة في انتزاع اعترافات الشيخ عبيد.. لأن الإسرائيليين كانوا قد أنجزوا مرحلة (التحضير النفسي)له ، واستخدموا في ذلك أساليب متطورة ومعروفة بفعاليتها في مجال (تدمير الشخصية) وإضعاف المقاومة إلى درجة تقترب من (غسل الدماغ).

لكن بالرغم من كل ذلك.. لم يفصح الشيخ عبيد عن معلومة واحدة، وبقى أمر الطيار الإسرائيلي المختفي غامضًا ، وتدور مفاوضات تقودها ألمانيا بين حزب الله وإسرائيل، من أجل مبادلة عبيد والديراني وآخرين من لبنان والأردن، بثلاثة أسرى إسرائيليين، ثلاثة جنود اختطفهم رجال حزب الله في عملية عسكرية بارعة، وضابط مخابرات إسرائيلي (الحنان تانينبوم) الذي استدرجه مصدر أمني في حزب الله إلى بيروت .

الجاسوس الخائف

في ذلك الوقت كان أحمد الحلاق كالفأر المذعور في الناقورة.. يتوجه الخوف الجاثم على عقله ويدمر أعصابه.. أما زوجته حنان الياسين فقد اختنقت فرحتها بمولودهما الأول (داني).. وسعت قدر استطاعتها لتخليص زوجها من حبال الرعب التي تكبله.. ودفعه لأن يخرج من سجن الخوف إلى العمل من جديد.. خاصة وأن تحريات رجال الموساد السرية أكدت بأن جهاز أمن (حزب الله) لا يشك في إخلاصه.. ووطنيته..

كان أحمد الحلاق أجبن من أن يصدق ذلك.. أو يثق فيما يقال.. لكنه.. وتحت ضغوط شديدة.. اضطر لأن يغادر الناقورة إلى قريته (برجا) شمالاً.. بعد غياب طويل عن أسرته..

وفي (برجا) كان اللقاء مثيرًا مع زوجته الأولى فاطمة.. وابنته وهيبة التي بلغت العاشرة من عمرها.. وابنه هيثم الذي يصغرها بعامين.. لقد غشيهم عناق طويل مؤثر.. اختلط بمشاعر الشوق والدفء.. وبدا الحلاق خجلاً آسفًا أمام اللقاء الحميم.. وكلمات زوجته التي ما أظهرت إلا طيب معدنها وأصالتها.. وتسامحها إزاء هجره البعيد.. وزواجه من أخرى .

فلقد انبرت تلاطفه في بشاشة.. معتذرة.. تطلب رضاه وعطفه.. فتملكته أحاسيس الندم.. وثارت بنفسه أوجاعه فاستسلم غصبًا عنه لدمعات جرت.. وعاهد أسرته على ألا يغيب عنها أبدًا.. وما إن غادر برجا إلى بيروت بعدما أنقد فاطمة بعض المال.. حتى غرق في بحر من الخوف والهلع.. لكنه رأى بنفسه ما طمئنه في بيروت وأشعره بالأمن.. فرجال (حزب الله) رحبوا به.. بل وطلبوا منه موافاتهم بتحركات أعوان إسرائيل في الجنوب.. ولما سألهم عن كيفية اختطاف الشيخ عبيد إلى إسرائيل.. أجابوه بأن ثمة خونة كانوا يقودون فريق الكوماندوز.. وهم بصدد التوصل إليهم.. ولما سألوه عن السبب في تغيبه كل تلك الشهور أنبأهم بأنه رزق بمولود جديد ولد مريضًا.. فاستلزم ذلك منه البقاء في الناقورة..

وبعد تلك الرحلة إلى بيروت.. عاد الحلاق ثانية إلى الناقورة في ثوب جديد.. مغاير.. واسرع بمقابلة رئيسه رجاء ورد.. يلح في إعفاءه من العمل.. حيث أنه لن يستطيع أن يتعامل معهم وكل خلية في جسده ترتعد خوفًا من اكتشاف أمره.. لكن ضابط الموساد الشرس لم ينصت إلى حديثه.. وقذف إليه ببعض الدولارات لتسكن خوفه.. وما كانت أموال الدنيا في تلك اللحظة أهم عنده من حياته.. وأمنه.. لكن الرائد رينيه البياضي أشفق أخيرًا على الفأر المذعور.. المتهالك.. ومنحه أجازة طويلة من العمل.

فالعميل الخائف في عرف أجهزة المخابرات من السهل كشفه وسقوطه.. فالحالة النفسية المستقرة ، والبعيدة عن أحاسيس الخوف ، واجبة ومهمة جدًا للعملاء والخونة، لكي يقوموا بمهامهم في مناخ صحي آمن.. يمكنهم من التغلغل والعمل والإنتاج في سهولة..

لكن في حال تمكن الذعر منهم ، يكونوا في تلك الظروف الغير طبيعية أكثر عرضة للخطأ فالسقوط. من هنا يتم احتواء أمثال هؤلاء.. وتهدئتهم بواسطة خبراء نفسيون ينأون بهم عن جو الإحساس بذنب الخيانة.. ينزعون عنهم الخوف بتصوير بطولاتهم وأعمالهم على أنها خارقة وبعيدة عن الخيانة.. وإنما لأجل السلام والأمن لشتى الأطراف..

هكذا أخضع الحلاق للفحص النفسي والتحليل العميق.. وجاء بالتقرير النهائي أنه (يعاني حالة ذعر Panic متأخرة.. قد تصل به إلى مرحلة الهذيان Delirium، وبعد عرضه على أحدث أجهزة (اختبار تداعي الكلمات Word association test.. جاء التقرير لصالحه : (ينصح بتوقفه عن العمل مؤقتًا لفترة لا تقل عن عام).

بناء على ذلك ، قبع أحمد الحلاق بالناقورة منشغلاً بمحله التجاري.. وبزوجته حنان الياسين التي حملت للمرة الثانية.. وفي أكتوبر ١٩٩٢ وضعت ابنتهما باسكال.. وبدأ العد التنازلي لنهاية جاسوس الموساد[1] في لبنان .

---

(١) فجر ٢١ سبتمبر ١٩٩٦ ، نفذ حكم الإعدام بالرصاص في أحمد الحلاق، بعد حوالي سبعة أشهر من اعتقاله في جنوب لبنان هو وزوجته التي حُكم عليها بـ ١٥ عامًا أشغالاً شاقة . نفذت عملية الإعدام في باحة سجن رومية الداخلية ببيروت، ودفن بقريته .

لمزيد من التفاصيل ، انظر كتابنا : (أحمد الحلاق : أول جاسوس أعدم في لبنان. مكتبة مدبولي الصغير – القاهرة.) .



اختطاف الديراني من لبنان .. !!

(اغتصبوه.. وألبسوه حفاضة كالأطفال.. صوروه في أبشع مظاهر سحق آدمية الإنسان.. وأجبروه على مشاهدة لقطات تصور اغتصابه.. مقابل رغيف خبز ورشفة ماء.. لكنه لم يتكلم.. منذ مارس ١٩٩٤ حتى الآن..

إنها إحدى صور الديمقراطية في إسرائيل..!!)

واستكمالاً لرحلة البحث عن الطيار الأسير (رون أراد) في لبنان.. بعدما فشل استجواب الشيخ الأسير عبد الكريم عبيد في التوصل إلى مكانه.. أو أية أخبار تفيد في استعادته.. كانت خطة اختطاف الشيخ مصطفى الديراني إلى إسرائيل قد تبلورت.. خاصة وقد أكدت المعلومات الاستخباراتية أن الديراني وقت سقوط طائرة رون أراد عام ١٩٨٦، كان يشغل مهام المسئول الأمني في حركة (أمل)[١] التي تردد أن رجالها كانوا يطاردون رون أراد وزميله ، عند سقوط طائرتهما الفانتوم المزدوجة القيادة فوق جبال صيدا..

إلا أن الحقائق التي خفيت على الإسرائيليين أن مصطفى الديراني[٢] كان قد انفصل عن (أمل)[٣] عام ١٩٨٧ .. بعد توقف طويل عن مزاولة مهامه الجهادية فترة سقوط طائرة رون أراد.. خفي عليهم أيضًا أن القوات المقاومة يومها التي كانت تطارد الطيارين بغية أسرهما.. كانت متعددة.. بعضها لحركة (أمل).. وبعضها من قوات حزب الله.. وبعضها أيضًا من القوات النظامية اللبنانية.. وجميعهم اشتركوا في عملية المطاردة..

لكن أنباء تناثرت أن قوات المقاومة التابعة لحزب الله ، أسرت الطيار الإسرائيلي وسلمته لقوات مصطفى الديراني ، الذي سارع بنقله إلى الخلف تحسبًا لهجمات إسرائيلية لإنقاذه.

---

(١) حركة أمل : نشأت في بعلبك بالبقاع اللبناني في مطلع الثمانينيات.. وهي حركة إسلامية كان يرأسها نبيه برى والشيخ حسين الموسوي الذي انشق عنها وأسس (حزب الله) احتجاجًا على اشتراك نبيه بري في (هيئة الإنقاذ الوطني) التي كانت تضم وليد جنبلاط وبشير الجميل .

(٢) كان الديراني قد اعتزل العمل الجهادي تقريبًا عام ١٩٩٢ بسبب إصابته السابقة في إحدى العمليات.. وتزاحم بعض الأمراض الأخرى عليه.. وأنه لذلك آثر الركون إلى الاستقرار للعلاج من علله التي كانت ترهقه وتصيبه بأزمات حادة.

(٣) أمل : اختصار لـ : (أفواج المقاومة اللبنانية).. وشارك ياسر عرفات في اختيار هذا الاسم .

ومهما كانت الآراء والتحليلات.. فإن عزم الإسرائيليين على اختطاف الشيخ الديراني كان أكيدًا.. خاصة وأنهم أصيبوا بما يشبه اليأس مع الشيخ عبد الكريم عبيد.. فالرجل آثر ألا يتكلم بما يضر بأمن حزب الله.. وفضل تحمل شتى أنواع التعذيب البدني والمعنوي على أن يفيدهم بشيء.

لهذا كله.. خطط إيهود باراك(1).. الذي أشرف على العملية.. ورسم خطوطها التفصيلية لما له من سابق خبرة في مثل هذه العمليات المفاجئة الخاطفة.. ولضمان نجاح عملية الاختطاف كانت الاستخبارات الإسرائيلية بحاجة إلى جاسوس لبناني في قرية الشيخ الديراني، كفر نبًا، ليكون على علم تام بتحركات الرجل وحراسته ويرسم صورة متطابقة لبيته من الداخل والخارج.. ولشوارع القرية المؤدية إليه.. وكذا مداخل القرية وأكشاك الكهرباء والتليفون.

ولم يطل البحث كثيرًا.. إذ عثروا على ضالتهم في ابن عم الشيخ الديراني نفسه.. وهو شاب مستهتر عابث اسمه محمد أحمد الديراني.. فشل في تجارته وطاردته الديون وكان وقتئذ يبحث عن حلول لإصلاح حاله.. وكانت أموال الموساد أكثر إغراء لأمثاله.. لذلك وافق على العمل لمرة واحدة فقط في خدمة الموساد.. وهي المعاونة على اختطاف ابن عمه وتسليمه حيًا للإسرائيليين .

رسم محمد الديراني كل الخرائط المطلوبة للقرية والمواقع الاستراتيجية بها، وحدد عليها المنافذ المؤدية إلى بيت ابن عمه. ومن أجل إنجاح العملية تم بناء

---

(1) إيهود باراك : ولد عام ١٩٤٢ بمستوطنة مشمار هشارون بالقرب من طولكرم. خدم في الجيش الإسرائيلي بداية من ١٩٥٩ ،وتدرج في مواقعه إلى أن تولى رئاسة الأركان عام ١٩٩٥ ،وترأس جهاز المخابرات العسكرية (أمان) ١٩٨٣ : ١٩٨٥ . وبعد تقاعده عام ١٩٩٥ ، عين وزيرًا للداخلية، ثم وزيرًا للخارجية، فرئيس للوزراء عام ١٩٩٩ : ٢٠٠١ . اشترك باراك بنفسه في اغتيال القيادات الفلسطينية الثلاثة ببيروت عام ١٩٧٣ (عملية فردان) التي جاءت بالجزء الثاني من (حراس الهيكل). كما شارك أيضًا في عملية اغتيال أبو جهاد في تونس عام ١٩٨٨ . وهو حاصل على بكالوريوس في الفيزياء والرياضيات من الجامعة العبرية بالقدس عام ١٩٦٨ ،و ماجستير في الأنظمة الاقتصادية من أمريكا عام ١٩٧٨ .

حي مشابه وبيت نسخة متطابقة مع بيت الشيخ الديراني.. وتم التدريب على نموذج القرية بإحدى القواعد العسكرية الإسرائيلية في النقب بإشراف أيهود باراك.

وفي ليلة ٢١ مارس ١٩٩٤ كان عميل الموساد محمد أحمد الديراني ينتظر رجال الكوماندوز الإسرائيليين بمنطقة محددة تسمى (تلال الغزال) وهي نقطة الهبوط المحددة التي تبعد أحد عشر كيلومترًا عن القرية. حيث طارت طائرتا هليوكبتر طراز سيكورسكي تحملان عربتي جيب طليتا بلون الجيب العسكري اللبناني.. إضافة إلى عدد ضخم من جنود الكوماندوز ، بعضهم للهجوم وبعضهم للمراقبة والحماية وتأمين عملية الانسحاب . وكانوا جميعهم يرتدون الزي العسكري اللبناني، ويحملون رشاشات وأسلحة مطابقة لما يستخدمه اللبنانيون، فضلاً عن إجادة العديد منهم للهجة اللبنانية .

وقبل الفجر بحوالي الساعة كانت الطائرتان تهبطان بنقطة الهبوط المحددة، حيث ينتظر العميل منذ أول الليل.. فقاد الفريق إلى القرية وهو ملثم الوجه وقادهم إلى منزل الشيخ الديراني بينما قام فريق آخر بفصل التيار الكهربائي وقطع خطوط التليفون.

فتح رجال الكوماندوز باب البيت بمفتاح مصطنع.. وقادهم العميل لحجرة نوم ابن عمه الذي كان مستغرقًا في نومه.. فأيقظوه وعلى ضوء الكشافات اليدوية أمروه بألا يستغيث وإلا قتلوه وقتلوا أسرته.. لكن الابن (علي)، أحد أبناء مصطفى الديراني الخمسة، كان قد استيقظ بالصدفة فصرخ فى هلع وهو يشاهد الأشباح المتحركة بالليل.. فاستيقظ كل من بالمنزل.. حيث ضربوا جميعًا ثم قاموا بتبنيجهم بمادة مخدرة.. بما فيهم الأب.. وفتشوا كل غرف المنزل حتى عثروا على ملفات كثيرة وأشرطة فيديو فأخذوها.. وحملوا الرجل إلى إحدى السيارتين وانطلقوا.

أما العميل الملثم فقد حصل على باقي مستحقاته المالية وتوارى كالشبح يتلمس الطريق إلى بيته في غبش الفجر .

قبل ذلك.. ومع تحـرك الطـائرتين داخـل الحـدود اللبنانيـة.. كـانت الطـائرات الحربية بإحدى القواعد الإسرائيلية جاهزة للانطلاق في الحال إذا ما وقع حادث مـا يفشـل العمليـة.. أو تعرضـت الطـائرتين للاعـتراض أو القصـف. برغـم أنـهما كانتـا مزودتين بأحدث أجهزة الاتصال والتشـويش علـى الـرادارات اللبنانيـة.. إضافـة إلى أجهزة ملاحية متقدمة تضمن رؤية ليلة آمنة .

سارة ابنة الشيخ الديراني الصغرى (٦ سنوات) قالت بعـد ذلـك أن الإسـرائيليين ضربوها بقسوة لكي تكف عن الصراخ.. فقد كان المشهد مرعبًـا ومأسـاويًا لم تسـتطع الطفلة تحمله.. أما الابن (علي) فقال إن جنديًا إسرائيليًا ضربه بشدة بقاعدة مسدسه على مؤخرة رأسه فأغمي عليه.. وقالت الأم إنهم تحدثوا معها بالعربية قائلين:

(سنضطر لقتل أولادك إذا لم يكفوا عن الصراخ).

فجاهدت لإسكاتهم وتهدئتهم كي لا أخسر واحدًا منهم.. وأضافت :

(كانوا ينادون الأولاد بأسمائهم الصحيحة مما يدل على أنهم يعرفـون كـل شـيء عنا.. لقد كبلونا بشرائط بلاستيكية إلى الخلف ، ولصقوا البلاسـتر علـى أفواهنـا ثـم بنجونا. وكانوا برغم كثرتهم والسلاح المشهر الجاهز لقتلنا، أكثر خوفًـا واضطرابًـا، إذ كانوا يتصببون عرقاً بالرغم مـن الـبرد الشـديد في تلـك الليلـة، ولمحـت أطرافـهم ترتجف عندما كانوا يكبلوننا، إنهم جبنـاء تحـت كـل الظـروف، حتـى ولـو كـانوا داخل بيوتهم..) .

أخذ الشيخ مصطفى الديراني إلى إسرائيل حيث أخضع لاستجواب شرس تخللـه تعذيب بدني مرير..

صحيفة (دير شـبيجل) الألمانيـة نشـرت بعـد ذلـك أن الشـيخ الديرانـي اعـترف للإسرائيليين بأن الطيار الأسير (رون أراد) كان ما يزال حيًا حتى عـام ١٩٩٤.. وأن وحدة من (الحرس الثوري) تسلمته ونقلته سرًا إلى جهة لا يعرفها إلى خارج لبنان .

جهاز الأمن في حزب الله كانت لديه شكوك قوية في محمد أحمد الديراني، الذى بدت على ملامحه علامات الذعر، لا علامات التأثر باختطاف ابن عمه. استجوب كسائر أفراد العائلة، لكنه فشل في إثبات مكان تواجده ليلة الحادث، قالت زوجته بأنه غاب طوال الليل وعاد عند الفجر مضطرباً يرتجف، وبملابس متسخة، عيناه كانتا زائغتان، وبجيبه لفافة من الورق حاول إخفاء ما بداخلها عنها .

فتشوا بيته وعثروا على ملابسه وحذائه، أثبت الخبير أن ماعلق بالحذاء يماثل تربة المنطقة التي هبطت بها الطائرات. في الحال جرى اعتقاله واستجوابه.. أنكر بشدة أي صلة له بالحادث، وأخذ يلطم خديه قائلاً إن أموال الدنيا لا تغريه ليسلم ابن عمه إلى الأعداء.. كيف..؟ واجهوه بأقوال الخبير الذي قام بتحليل التربة وبقايا ما علق بحذائه ، وواجهته زوجته بتصرفاته ليلة الحادث، فانهار في بكاء نادم وهو يضرب رأسه بيديه ويلطم خديه خجلا وخزيا.. وأعلن زكريا حمزة ، المعروف بأبو يحيى ، رفيق الديراني في الجهاد:

(أننا.. أهالي قصر نبًا وآل الديراني.. نعلن أمام شعبنا في البقاع.. وأمام جماهير المقاومة.. أننا لم نعد أهلاً للشخص الذي باع نفسه وأهله للشيطان الإسرائيلي بثمن بخس.. فقد اعترف محمد الديراني بجريمته وعمالته للصهاينة.. وبأنه قاد فريق الكوماندوز الإسرائيلي إلى سرير ابن عمه.. كان ملثم الوجه.. لقد سلم ابن عمه لهم من أجل المال.. وأننا نطالب الشرفاء والمقاومين بهدر دمه ودم كل من يظهره التحقيق، أمام منزل أخينا وقائدنا مصطفى الديراني، تطبيقًا لأحكام الشريعة الإسلامية.) .

وصرح والده أحمد الديراني بأنه تبرأ من ابنه الخائن إلى الأبد.. وأنه يوافق على هدر دمه.

وبعد ست سنوات من اختطاف الديراني.. عاد اسمه من جديد عندما أقام المحامي الإسرائيلي (تسفي ريتش) دعوى ضد الحكومة أمام محكمة تل أبيب.. بصفته محامي الديراني.. يطلب تعويض مالي لموكله من جراء ما تعرض له من

اغتصاب، واعتداء جنسي متكرر، وتعذيب لا إنساني طوال مدة استجوابه واعتقاله. مضيفًا بأن الديراني تعرض لشتى أنواع القهر النفسي والبدني بوحشية لا حدود لها.. وأنه فرض عليه أن يبقى عاريًا تمامًا أمام المستجوبين وهو مكبل اليدين في وضع القرفصاء.. ولمحاولة سحق إرادته لاستخلاص المعلومات منه جرى اغتصابه عدة مرات أمام المحققين وبداخل زنزانته أيضا.. كما أجبر على شرب الخمر والزيت والماء المالح بالضغط على فكيه بالقوة ، وإمعانًا في سحق آدميته ألبس حفاضة أطفال لأيام طويلة دون أن يوافقوا على ذهابه إلى الحمام ..

قال المحامي أن المحققين كانوا يتعمدون هدر آدميته بشتى الصور، وسؤاله بإلحاح عن إحساسه لحظة اغتصابه.. وأي الأوضاع تريحه وتعجبه.. وكانوا يضحكون في استهزاء أثناء عمليات الاغتصاب وهو يصرخ مستغيثا ، حتى أنهم صوروه بكاميرات الفيديو وكانوا يجبرونه على مشاهدة لقطات تصور عملية اغتصابه، وتسليط زووم الكاميرا على مواضع معينة في لقطات مشينة ، تصل إلى قمة المهانة والإذلال والتحقير لآدمية الإنسان. حتى أنهم كانوا يمنعون عنه الطعام والشراب ويحرمونه من النوم لفترات طويلة، ما لم يوافق على مشاهدة الأفلام المخجلة التي التقطوها له. وكان الجنود الذين ينفذون عملية الاغتصاب، واحد في كل مرة، ينادونه بأسماء نساء يجلهن المسلمون.. ويطلبون منه، بالإكراه، ترديدها أثناء عملية المشاهدة .

محكمة تل أبيب رفضت القضية لعدم الاختصاص.. ونشرت وكالات الأنباء العالمية الخبر.. وتناثرت بعدها أنباء عن تدخل المخابرات الأمريكية لاستجواب الديراني بعد (غسله) على أيدي الإسرائيليين.. وأن الأمريكان وعدوه بحياة آمنة في أمريكا بأوراق شخصية تحمل اسمًا جديدًا.. فى حالة إذا ما تعاون معهم. وأمدهم بمعلومات عن الجهات الأجنبية التي وراء حزب الله .

لكن الديراني حتى هذه اللحظة ما يزال بإسرائيل.. تجرى له عمليات غسيل مخ.. كما حدث قبل ذلك مع أحد اليابانيين[1] الذي اشترك في عملية فدائية بمطار

اللد الإسرائيلي.. واعتقل في تل أبيب لمدة ١٣ عامًا.. ثم أفرجوا عنه.. وحتـــى الآن مازالت تنتابـــه (الكوابيـس) ويعـوي أحيانًا كالكلب ثـم يفيق إلى نفســه .. واتضح أن الإسـرائيليين كانوا لا يطعموه إلا بعدما كان يعوي كما تعوي الكلاب وهو يتحرك على يديه وركبتيه..

إنها إسرائيل واحة الديمقراطية التي زرعت بفلسطين ليتعلم منــها العـرب حريـة الإنسان.. وديمقراطية الحكم..(!!!)



---

(١) قتل الياباني كوزو أوكاموتو ٢٧ مسافرًا في مطار اللد في ٣٠ مايــو ١٩٧٢ تعاطفًـا مـع الفلسـطينيين وانتقامًـا لفشل العملية (سابينا) في أبريل ١٩٧٢ بالمطار نفسه.. وبقى الياباني ١٣ عامًا داخل السجون الإسرائيلية.



اختطاف الضباط السوريين الثلاثة في لبنان..!!

وأمام هذا المشهد بكى الإسرائيليون في الشوارع.. وتحركت الجموع كالأمواج الصاخبة في تظاهرات حاشدة إلى الكنيست.. تطالب الحكومة بعدم التعنت.. والموافقة على المطالب السورية لتحرير أسراهم الثلاثة.. وعلى استحياء.. أعلنت إسرائيل موافقتها.. ورضوخها بدون تأجيل لشروط دمشق ..!!

أبطـال مـن ورق

عام ١٩٧١.. في ظل أزمة الطيارين الإسرائيليين الثلاثة الذين أسرتهم سوريا[١].. وطلبت مقابل إطلاق سراحهم أن تفرج إسرائيل عن أعداد كبيرة من المعتقلين العـرب لديها.. أصرت إسرائيل على أن يكون التبادل بسـوريين فقـط في معتقلاتـها.. إلا أن سوريا رفضت العرض وبشدة.. رغم محاولات المنظمات الدولية وضغوطها المتزايدة .

صعق الإسرائيليون للتعنت السوري، ولم يروا أسلوبًا لكسـر جمـود الموقـف سـوى القيام بعملية مخابراتية جريئة تنقذ ماء وجوههم..

على الفور اجتمـع (أهـارون يـاريف) رئيـس المخـابرات العسـكرية مـع مسـاعده الجنرال (يوئيل بن بورات) قائد وحدات التنصت وكبار ضباطه المنوطـين بالعمليـات الخاصة، وعرض عليهم الموقف بشكل عام ورغبة القيادة العليا، بمباركة جولدا مائير نفسها، على القيام بعملية خاصة تكسر جمود السوريين وتشددهم ، وتجـبرهم علـى الرضوخ للشروط الإسرائيلية، ودون خسائر في الأرواح.

وبعد اجتماعات مطولـة بـين قيـادات أجـهزة الاسـتخبارات.. نوقشـت خلالهـا تصورات مختلفة، انتهوا إلى الموافقة بالإجماع على خطف ضباط سوريين ذوي شـأن بواسطة (أصدقائهم) في الجنوب اللبناني، على أن يوكل للوحدة ٢٦٩ تنفيذ العملية.

وحسبما تقول المراجع ، تعد هذه الوحدة من أشـرس فـرق العمليـات الخاصـة في الجيـش الإسـرائيلي، وتتبـع قسـمًا في المخـابرات العسـكرية اسمـه : (سـايريت[٢] ماتاكال) Sayeret Mathekal . ولكل قطـاع تقريبًا من قـوات الدفاع الإسـرائيلية وحدة سايريت خاصة به، إلا أن (سـايريت ماتاكـال) هـذه تعـني: نخبـة النخبـة، وتخضع رسميًا تحت القيادة المباشرة لرئيس الأركان، وتعـــرف أيضًا باسم (وحـــدة

---

(١) تفاصيل (فضيحة الطيارين الإسرائيليين الأسرى في سوريا) جاءت بالجزء الثالث من (حراس الهيكل) .

(٢) (سايريت) : كلمة مشتقة من اللغة العبرية تعني (استطلاع) .

الكوماندوز العليا) التي تأسست لتمكين الاستخبارات العسكرية من وضع خططها في حيز التنفيذ، خصوصًا خلف خطوط الجيوش العربية.

ويعد وجود فريق سايريت ماتاكال أمرًا سريًا رسميًا، قام على تأسيسه عام ١٩٦٠ ضابط كبير يدعى (إبراهام آرنان) ، الذي التقط أشجع وأذكى الجنود من كل وحدات قوات الدفاع ،ودربهم تدريبًا خاصًا على حرب رجال العصابات والقتال الليلي والهبوط بالمظلات ، واستخدام تشكيلة متنوعة من شتى الأسلحة النارية والمعدات، وعادة ما يتم تنفيذ مهامهم السرية من خلال فرق صغيرة[1] لا تتعدى الواحدة منها خمسة أفراد .

وفي آخر أبريل ١٩٧٢ ، استدعى (جوناثان نتانياهو) – الشقيق الأكبر لرئيس الوزراء الإسرائيلي السابق – وأوكل إليه (أهارون ياريف) قيادة فريق الكوماندوز الذي سيتولى مهمة خطف الضباط السوريين، أحياء، من الجنوب اللبناني إلى إسرائيل.

كان جوناثان نتانياهو مجرم عتيد فظ بلا قلب، جده مراب جشع عاش مدهوسًا في ليتوانيا، أورث أولاده دماء المكر والخبث والإجرام وهاجر بهم إلى فلسطين عام ١٩٢٠. اختار ابنه ،بن زيون (بن صهيون) والد جوناثان ، اسمًا عبريًا هو (نتانياهو) أي: (هبة الله) وهو أول من صنف ونشر قاموسًا عبريًا شاملاً عام ١٩٤٨.

الفقر والخيانة

بسبب الظروف المعيشية الصعبة ، هاجر نتانياهو بأسرته إلى أمريكا عام ١٩٦٢، ولم يرق الحال لابنه جوناثان هناك ، فعاد في ١٩٦٤ إلى تل أبيب ليتزوج من مجندة يهودية تدعى (توتي) عام ١٩٦٧ بعدما انضم لسايريت ماتاكال، وفي ١٩٧١ أصبح

(١) كل هذه الروايات كاذبة ولا أساس لها من الصحة ، الغرض منها التضخيم والدعاية لا أكثر. فأحد هذه الفرق وهو فريق الرمح Lance وبالعبرية Kidon صاحب فضيحة ليليهامر الشهيرة عام ١٩٧٣ بالنرويج ، (التي جاءت تفاصيلها بالجزء الثالث من حراس الهيكل) ، كان أفراده مجموعة رعاع جيء بهم من دول مختلفة ولا صلة لهم بأعمال المخابرات .

قائدًا لفرقة خاصة، فانشغل بعمله وأعطاه جل وقته، بعدما هزته خيانة زوجته مع يهودي مغربي يعمل سائقا لسيارة نظافة تتبع بلدية تل أبيب.

تكتم جوناثان المخدوع على الأمر وحبس آلامه ومعاناته في صدره.. وانشغل بتدريب فرقته للحفاظ على لياقة جنوده بدنيًا وذهنيًا.. تحسبًا لأية مهام قد يكلف بها فجأة. ولما استدعوه ليستعد لمهمة الجنوب اللبناني، جمع فريقه وعسكر به في إحدى الوحدات إلى أن أعطي أمرًا بالتحرك.

الخنزير الدموي

حرصت المخابرات الإسرائيلية على التخطيط المستمر من أجل المستقبل، وكانت بيروت في ذلك الوقت مكانًا خصبًا لعملياتها وساحة آمنة لعملائها الذين يحملون جوازات سفر مختلفة الجنسيات المزيفة . ولأن العقيدة اليهودية تعتبر الجنس في عمل أجهزة استخباراتها أمرًا مشروعًا.. ويحمل الصبغة الدينية في كتبهم المقدسة، عبر التاريخ السحيق، استغلت الموساد أجمل نسائها حيث تم زرعهن في لبنان، لعمل علاقات حميمة بموظفين ومسئولين صغار، وتصويرهم في شتى حالات الضعف الإنساني، حتى إذا ما تبوأوا مناصب رفيعة في الدولة، تتم مواجهتهم بالماضي القديم، وإخضاعهم لمآرب إسرائيل في لبنان، وهو ما يطلق عليه مخابراتيًا لقب (الجواسيس النائمون)، ويتم إيقاظ هؤلاء حين الحاجة إليهم للقيام بمهام سرية لصالحها.

وقد حدث أن اطلع الإسرائيليون من خلال بعض هؤلاء الخونة في مواقعهم الحساسة، على تحركات العسكريين السوريين في سهل البقاع، نظرا لرغبة اللبنانيين في المساعدة السورية لتقوية تسليحهم ، وتدريب كوادر متخصصة على الأجهزة الفنية بالتنسيق مع دمشق، وتقرر لذلك إيفاد ثلاثة خبراء عسكريين سوريين للاطلاع على المواقع اللبنانية الاستراتيجية في الجنوب، لوضع الخطط الدفاعية المناسبة.

طلب الإسرائيليون من العملاء في لبنان استدراج الضباط السوريين الثلاثة إلى منطقة تم الاتفاق عليها في الجنوب حتى يتسنى لهم خطفهم أحياء، وتم التنسيق اللازم بين الطرفين لإنجاح العملية دون أية خسائر في الأرواح، واتفق فيما بينهما على خط سير الموكب، وموقع السيارات التي سيركبها السوريون، وكذا سيارات المرافقين وعربات الحراسة المسلحة.

كان هؤلاء الخونة ، أمثال اللواءين سعد حداد[١] وأنطوان لحد[٢] وميليشيات الكتائب المسيحية، تحت السيطرة الاستخباراتية الإسرائيلية الكاملة.. ونظرًا لما كانوا يتحصلون عليه من أموال الموساد، في شكل مرتبات شهرية وهدايا ونساء، فقد أبدوا إخلاصًا لإسرائيل أكثر من أي صهيوني متعصب. وبسبب هذا الولاء الكامل لم تكن عملية تسليم العسكريين السوريين بالأمر الشاق أو المستحيل . فتاريخ الخونة في لبنان يطول ويتسع ليملأ مجلدات.

وفي موعد الزيارة المقرر، اتجه الضباط اللبنانيون بزملائهم السوريين الثلاثة صوب الجنوب. وقبل النقطة المحددة بكيلومترين تقريبًا، تمهل الخونة بسياراتهم تاركين ضيوفهم يتقدمون ترافقهم سيارات الحراسة.

وعندما ظهرت السيارات عند المنحنى المتفق عليه والمحدد سلفًا، دهش الحراس الثمانية لما رأوه أمامهم فجأة. وقبل أن يتمكنوا من استخدام رشاشاتهم، انطلق وابل من طلقات فريق جوناثان نتانياهو الذي كان مختبئًا خلف بعض الأشجار الجبلية الكثيفة، وقُتل الحراس الثمانية على الفور.. أما الضباط السوريون فلم يصب أحد منهم بسوء.. ولم يتمكنوا من استخدام سلاحهم لأنهم لم يشكّوا للحظة في زملائهم.

(١)اللواء سعد حداد : لبناني عميل لإسرائيل. كان ضابطًا في الجيش اللبناني ثم انشق عنه وأسس جيش لبنان الجنوبي الموالي لإسرائيل، ثم أعلن قيام جمهورية لبنان الجنوبي. لكنه ما لبث أن ترك لبنان وغادر إلى فرنسا كلاجئ سياسي وترك الجمل بما حمل لأنطوان لحد .

(٢)أنطوان لحد : اعتبر منطقة نفوذه في الجنوب جزءاً من إسرائيل. وبرغم خدماته وتضحياته في سبيلها، خذلته إسرائيل بانسحابها المفاجئ في مايو ٢٠٠٠ من جنوب لبنان، فهرب بجلده ليعيش ذليلاً بأحد فنادق تل أبيب. أما جيشه المؤلف من ثلاثة آلاف مقاتل، فالبعض حذا حذوه، والبعض الآخر يحاكم بلبنان بتهمة الخيانة.

واقتيدوا وهم غارقون في ذهولهم إلى داخل المنطقة الإسرائيلية على وجه السرعة ، في الساعة الواحدة ظهر ١٥ يونيو ١٩٧٢ .

(إننا بحاجة إلى عمليات عبقرية نافذة من هذا النوع). هكذا علّق جوناثان مضيفًا: (يجب أن نقاتل أعداءنا في كل مكان، وليس في إسرائيل فقط) (١) .

الحرب النفسية

غضب السوريون لخيانة جواسيس العدو الإسرائيلي في الجنوب اللبناني. وبرغم ثقتهم في أن وراء هذه العملية مؤامرة خيانية مرتبة، لم يصعّدوا المشاكل مع اللبنانيين، وتعاملوا مع حادث الاختطاف ببرود أقلق اليهود الذين اعتقدوا بأن دمشق ستقبل بالأمر الواقع: (ثلاثة أسرى) مقابل (ثلاثة مختطفين) .

إلا أن القنوات الدبلوماسية الدولية الوسيطة ، فشلت في التوصل إلى حل مرضٍ يوافق عليه الطرفان لإنهاء مشكلة الأسرى والمختطفين، واعترفت بأن السوريين غاضبون ويرفضون بشدة مبدأ مبادلة أسرى حرب بمختطفين ، ولو كانوا عسكريين.

وبينما يحاول اليهود في دأب وإصرار ، كعادتهم ، ألا يخسروا أو يتنازلوا عن شرطهم مرغمين، أعلنت سوريا رسميًا قرارها واضحًا.. صريحًا:

(إن الموقف السوري لن يتغير، فلا تنازل مطلقًا عن الشروط السابق طرحها، مقابل تحرير الطيارين الإسرائيليين الأسرى الثلاثة).

ليس هذا فقط.. إنما فوجئ الإسرائيليون بما لم يخطر ببال، فعبر الإذاعة السورية وجه الطيارون الأسرى نداءات متكررة للحكومة الإسرائيلية تطالبها بالتدخل، وكذا رسائل صوتية لذويهم ملأى شجون تحرق الأعصاب وترتج لها المشاعر. وشاهد الإسرائيليون فجأة على شاشات تليفزيون دمشق ولعدة مرات على

---

(١) قُتل جوناثان نتانياهو في عملية (عنتيبي) عام ١٩٧٦ ، وكان ضمن فريق الكوماندوز الإسرائيلي، الذي قام بعملية إنقاذ لرهائن الطائرة الفرنسية المختطفة، حيث أطلق عليه قناص أوغندي أكثر من ثماني رصاصات اخترقت جميعها جسده، وظل ينزف على أسفلت المطار وهو ينتفض لمدة خمس دقائق حتى مات دون أن يتمكن رفاقه من إنقاذه وإسعافه.!!

مدار يومين ، وجوه أسـراهم المرهقـة الشـاحبة، تفيض عيونـهم بنظـرات الانكسـار والأسر والأسى، مع هالات الحزن (التي أجاد رسمها خبير الماكياج).

وأمام هذا المشهد الكئيب بكت الناس في الشوارع.. وتحركت كالأمواج الصاخبة، في تظاهرات شعبية وحزبية إلى مبنى الكنيسيت تـهدر بصيحـات الغضـب مطالبـة الحكومـة بعـدم التعنـت، والسعي بـإخلاص لتحريـر أسـراهم الثلاثـة مـن قبضـة السوريين.

تحولت القضية بذلك إلى قضية رأي عـام، وغضـب شعبي كاسح أزعـج رئيسـة الوزراء جولدا مائير وحكومتها، خاصـة بعدمـا تظـاهرت جماعـات السـلام وأعلنـت حملتها ضد الحكومة، معلنة انضمامها إلى الرأي السوري الذي يصر على عدم مبادلة مختطفين بأسرى حرب. وبالكثافة ذاتها نشطت الصحافة كلها تصرخ بلا هوادة.

وأمام التشدد السوري.. وثورة الرأي العام في أنحاء إسرائيل، خاصة بعد ازديـاد ضربات العمليات الفدائية ضد شركة طيران (العال) بقيـادة الدكتـور جـورج حبـش، وآخرها وقتذاك عمليـة مطـار رومـا الـدولي في ١٩ أغسـطس ١٩٧٢ ، ركعـت عندئـذ إسرائيل في ٢٢ أغسطس وأعلنت ، على استحياء ، قبولها الكامل للشروط السورية .

تمت المبادلة بواسطة منظمة الصليب الأحمر الدولية، وبينما اعترف طيارو سـلاح الجو الإسرائيلي الأسرى لوسائل الإعلام العالمية في إسـرائيل بمـدى المعاملـة المثاليـة والإنسانية التي عوملوا بها في دمشق، أقر الضباط السـوريون الثلاثـة بأنـهم تعرضـوا للتعذيب الشديد طوال (١٣٠) يومًا في إسرائيل. وعرف العالم الفرق الشاسع مـا بـين المدنية والتحضر والأصالة، ودولة قامت على جثث الأبرياء دستورها الذبح والإجـرام والخداع.

هكذا انتصرت سوريا.. وانفضح ضباط جيش لبنان الجنوبي الذين باعوا عروبتـهم لحماية أمن إسرائيل، مقابل ثمن بخس، فأضـافوا بفعلتـهم سـطورًا جديـدة للتـاريخ الأسود الذي ينـوء بخياناتـهم حتـى ذاقـوا مـرارة الضيـاع والتشـرد والقـهر، عندمـا انسـحبت إسـرائيل فجـأة مـن الجنـوب اللبنـاني أمـام ضربـات المقاومـة، وتركتـهم يواجـهون مصـيرًا كـالح السـواد سـواء في لبنـان، أو داخـل حـدود الدولـة العبريـة العنصرية، وتلك قصة أخرى أفردنا لها فصلاً في الجزء الثالث من الكتاب .



خطف الطائرة ميج ٢١ العراقية ..!!

فشلت الموساد مرارًا في العثور على طيار عربي خائن.. يقبل الهرب بطائرته الحربية ميج ٢١ إلى إسرائيل.. لكن فعلها عاميت هذه المرة بذكاء.. عندما اختار فتاة الموساد الرقيقة الناعمة.. ذات الوجه الطفولي البرىء .. الذي جمع الوداعة والأنوثة معًا.. فامتزجا بالدلال والإثارة والذكاء الخارق.. ولعبت الحية الإسرائيلية بعقل الشاب المتيم.. وأذابته تمامًا.. تمامًا .. فسقط فى براثنها بلا أدنى مقاومة..!!

فينوس التي جاءت

لسنوات طويلة.. خيم على عقول زعماء إسرائيل حلم اختطاف طائرة عربية مقاتلة، طراز (ميج ٢١) السوفييتية الصنع، التي تمثل لغز الألغاز، وأسطورة الطائرات الانقضاضية التي فاقت شهرتها الآفاق، وتفوقت بها التكنولوجيا العسكرية السوفييتية على الغرب قاطبة .

ففي منتصف عام ١٩٦٣ ، تسلمت مصر وسوريا والعراق دفعات من طائرات (الميج ٢١) ، في ذات الوقت الذي تسلمت فيه إسرائيل طائرة (الميراج ٣) الفرنسية الأقل كفاءة.. ونظراً لأهمية (الميج ٢١) وشراستها، والتعتيم الذي يخيم على أسرار قوتها وفعاليتها في القتال والمناورة والانقضاض، سعت إسرائيل، تدفعها أمريكا، لكشف أسرار قدرات هذه الطائرة الخرافة، التي يتباهى بها العرب ويتفاخرون بامتلاكها.. وبتفوقها المذهل على الطائرات التي يمد بها الغرب إسرائيل .

ظل هذا الحلم الكبير.. حلم اختطاف طائرة (ميج ٢١) عربية، يراود الإسرائيليون لسنوات طويلة، ومع مرور الوقت كان الحلم يكبر، ويكبر، ويرصدون لتحقيقه أي مقابل، وبعد ثلاث محاولات فاشلة لتجنيد ثلاثة طيارين عراقيين، انتهت بقتلهم جميعا على التوالي في بغداد، وأمريكا، وألمانيا الغربية، نجحت المحاولة الرابعة مع طيار عراقي أيضًا.. وأطلق على العملية الاسم الكودي (٠٠٧) .

.. (أيها الزملاء.. برغم الجهود التي بذلت، علينا جميعًا أن نواجه الحقيقة، ونعترف بأننا فشلنا.. ليس نتيجة خطأ تكتيكي في خططنا.. وإنما لكون هؤلاء الطيارين العرب.. أشد إخلاصًا ووطنية).

بهذه العبارة استهل رئيس الموساد مائير عاميت كلمته في اجتماعه بضباطه، وقد علت الوجوه علامات اقتضاب ووجوم، وأكمل عاميت:

(إن أمن إسرائيل لن يكتمل.. طالما امتلك العرب هذه الطائرة التي يتفوقون بها علينا.. ويتهددون أجوائنا.. وسنبقى هكذا، مهددون بالموت والتشتت.. لو لم نحصل على واحدة منها .. وعندما يتحقق لنا ذلك.. أستطيع أن أؤكد أن إسرائيل قد ولدت من جديد لتبقى.. وأن أذرعها الطويلة ستخنق رقاب العرب.. وتدفن أمنهم إلى الأبد في الرمال.

أيها السادة.. على عاتقنا تقع المهام الكبرى التي تخدم وجود الدولة.. ومصالحها.. وأهدافها.. وبدون تخطيط ذكي سليم ستكون العواقب وخيمة.. وسنتلقى الفواجع واحدة تلو الأخرى.. ونحن نبكي كالنساء.. ونولول في حسرة.

وأمامنا اليوم تقرير هام من بغداد.. عن طيار عراقي.. يجب إخضاعه للتحليل الدقيق.. لنتمكن من خلاله من وضع خططنا.. والعمل بإصرار على إنجاح عملية اختطاف طائرة ميج ٢١ ، بواسطته ، مقابل أي رقم من المال يطلبه).

كان عاميت يتكلم وقد غلف صوته رنين الثقة.. فالأنباء السارة التي جاءته من بغداد، زرعت بداخله مجددًا الأمل في النجاح بعد ثلاث محاولات فاشلة من قبل ، وزاد من تفاؤله أن رقم (٤) يمثل في حياته رموزًا هامة، فقد ولد في شهر (٤) وكان ترتيبه الرابع بين أخوته، وقاد المجموعة (الرابعة) في منظمة الهاجانا الإرهابية عام ١٩٤٨، وكان (الرابع والأربعين) على دفعته أثناء دراسته للاقتصاد في نيويورك عام (١٩٥٤)، وكانت زوجته هي الأخرى من مواليد شهر (٤)، وهي الفتاة رقم (٤) التي أحبها، ويبدأ رقمه العسكري برقم (٤)، ونجا من الموت (أربع) مرات خلال خدمته العسكرية .

المعلومات السرية الأخيرة التي بثها عملاء الموساد في بغداد، أوضحت بأن الطيار العراقي منير روفا على علاقة بفتاة أرثوذكسية عراقية، وأنه دائم الالتقاء بها بمنزل صديقه يوسف منشو، وهو تاجر يهودي مفلس، يطالبه الدائنون بمبالغ كبيرة. وقد ارتبط هو الآخر بعلاقة قوية بالشقيقة الكبرى لصديقة روفا.

وضعت – على أساس المعلومات المعطاة – خطة أولية لاصطياد منير روفا، بواسطة صديقه المفلس، عن طريق إغراؤه بالمال. وفي محاولة (جس النبض) أظهر يوسف منشو يهوديته التقليدية، عندما وافق على التعاون مع الموساد مقابل تسديد ديونه، ومساعدته على الهجرة إلى إسرائيل.

لم يكن هناك أدنى مشكلة إذن، فالتاجر اليهودي الذي حصل على المال، كتب تقريرًا وافيًا عن صديقه روفا، كشف فيه تفصيليًا عن جوانب شخصيته، ونشأته، وظروفه، وهذه كلها معلومات قيمة، ساعدت على تحليل الطيار الشاب نفسيًا، ودراسة أفضل الطرق للتسلل إليه، لاجتذابه أولاً، ثم الانقضاض عليه.

وبناء على هذه المعلومات ، طُلب من يوسف منشو الظهور بمظهر التاجر الثري، الذي تمكن من عقد صفقة تجارية مربحة، وأن يتولى الإنفاق بسخاء على صديقه، وإقراضه للإنفاق على صديقته ومغامراته النسائية المتعددة .

كان للمال فعل السحر عند التاجر اليهودي، لذلك فقد انصاع لأوامر الموساد بصدق وإخلاص، وعمل جاهدًا على تأكيد ولائه، عندما ساعد على الدفع بفتاة يهودية حسناء، في طريق الشاب الباحث عن المتعة، فسعى للفوز بها بلا فائدة. ومن أجل التغلغل إلى عقلها أغدق عليها بالهدايا، وكانت هداياه الثمينة قد أرهقته ماديًا، لكن يوسف ، بأموال الموساد ، كان لا يبخل عليه بشيء، ويمده بين حين وآخر باحتياجاته منها. وسرعان ما تحول التاجر المفلس إلى صياد ماهر، أجاد اقتناص الفرصة للإيقاع بفريسته، طمعًا في المزيد من المال .

إن صناعة الخونة والجواسيس عملية معقدة جدًا، تتداخل فيها عوامل كثيرة وأحداث عجيبة، يقوم عليها خبراء مدربون، عندهم الصبر والحنكة وأعلى درجات المهارة والذكاء، بحيث يجدُّون في إثر ضعاف النفوس، أولئك الذين يسعون وراء أوهام المجد والثراء، أو ممن اعتقدوا بضآلتهم في أوطانهم. وعندما يقع هؤلاء في براثن صائدو الخونة، فهم يُحَاصَرُون من كل صوب، وتُغلق دونهم أبواب النجاة.

ففي الوقت الذي كان فيه الطيار الشاب، غارقًا في مطاردة الفتاة اليهودية الحسناء – الطُعم – وفي ديونه ليوسف، كان الأخير قد استعاد نشاطه التجاري بتوسع، وبمعاونة الموساد، قام بتصدير صفقة تمور إلى إيران، في باطنها عملية تمويهية لإظهار الثراء، والالتقاء بأحد خبراء الموساد هناك. حيث أطلعه يوسف على تطورات أحوال روفا، ونقاط ضعفه، ولتدارس خطة محبكة وُضعت خطوطها العريضة في إسرائيل، تقضي بأن يسافر روفا إلى باريس، وهناك يتولى آخرون أمره.

وما إن عاد يوسف منشو إلى بغداد، حتى أخبر روفا، حسب الخطة، بأنه بصدد عقد صفقة تمور ضخمة مع شركة إنجليزية، سيصل مندوبها قريبًا إلى بغداد للتفاوض وتوقيع العقد. طالبًا منه أ، يقوم بالترجمة بينهما.

كانت الموساد تبذل كل ما في وسعها لإنجاح العملية هذه المرة، واستعدت لها بكامل إمكانياتها البشرية والمادية، وفي سبيل تحقيق ذلك أعدت دراسة مستفيضة شملت كل جوانب حياة منير روفا، اعتقاداته، وأحلامه، ومبادئه، ونقاط ضعفه، وأحواله المادية والأسرية والمهنية، وخلصت إلى نتيجة مفادها أن خير سبل الإيقاع به، يكمن في فتاة أسطورية الجمال والأنوثة، يقف عاجزًا أمام مقاومتها، فلأنه عاشق مغرم بالنساء، ومتعدد العلاقات، لن تصلح للمهمة سوى فتاة طاغية الفتنة والإثارة، لم يصادف مثلها من قبل .

وجرى البحث بين فتيات الموساد عن تلك الفتاة، التي اشترط عاميت أن تكون ملمة باللغة العربية، على ألا تستعملها، وأن تكون ذات تدريب جيد، وخبرة سابقة في عمليات (مصائد العسل)، وتم اختيار إحداهن لتلقينها خطوات العملية التي ستتم في بغداد، لاستدراج الطيار العراقي إلى باريس، حيث ستقوم بتمثيل دور مندوب شركة إنجليزية، سُجِّلَت بالفعل في لندن لهذا الغرض .

وفي الثلث الأخير من مارس عام ١٩٦٦، وصلت (ليزا برات) إلى مطار بغداد الدولي، تحمل جواز سفر بريطاني، وتفويضًا من الشركة بالتوقيع على عقود تصدير التمر العراقي إلى لندن.

أنهى ضباط الجوازات والجمارك إجراءات الفاتنة الإنجليزية، وهم في دهشة أمام جمالها الطاغي، وكان بانتظارها يوسف منشو، الذي كان ممسكًا بيافطة تحمل اسمها، وإلى جواره وقف منير روفا، يتأمل فينوس الساحرة التي جاءت، وقد جفت عروقه عطشًا لرواء أنوثة أشلت عقله، وسلبت إرادته منذ النظرة الأولى..!!

الطيار التائه

في عام ١٩٣٤ ولد منير حبيب روفا ببغداد، لأسرة مسيحية أرثوذوكسية فقيرة، أقامت بحي المستنصرية الشعبي الفقير، وكان ترتيبه الثاني ضمن تسعة أبناء لموظف بسيط، يعمل بأرشيف وزارة الزراعة، عانى كثيرًا بسبب كثرة الأولاد وقلة الدخل، ودفعته مشاكل المعيشة إلى إدمان الخمر العراقي (العَرق) ومطاردة النساء، لذلك استغل عمله في الحصول على الرشوة من جمهور المترددين، وكانت نهايته الفصل من الوظيفة، والحبس لعدة أشهر.

وبعدما انتهت مدة حبسه واجهته المحن كالطوفان، فتعاظمت معاناته إلى حد اليأس، وذاقت أسرته الكبيرة صنوف الجوع والفقر والحاجة، ولجأ إلى الهرب من دائنيه إلى أقصى الخليج العربي، حيث إمارة دبي، التي كانت واقعة آنذاك تحت السيادة البريطانية، حيث عمل بالتدريس لأبناء البدو، وكانت إلى القرب منه هناك أسرة هندوسية، سرعان ما غرق في حب إحدى فتياتها، فأنسته زوجته وأبناءه التسعة، ولم يتصور للحظة مدى معاناتهم وحاجتهم إليه، وإلى الجنيهات الإسترلينية القليلة التي كان يحولها لهم.

إلا أن الزوجة ، لم تقف مكتوفة الأيدي أمام سلبية الأب الغافل، فخرجت إلى سوق العمل، وكافحت في استماتة، وذاقت من الذل ما لا يتحمله بشر، كي تنجو بأبنائها من براثن التشرد، وتنأى بهم عن مصير مظلم يتربص بهم، ودفعت بابنها الثاني، منير، للالتحاق بكلية الطيران .

وبرغم حجم الكراهية التي كان منير يكنها لوالده، كانت أمه تحاول دائمًا تنقية صورة الأب الملوثة المهترئة، وتعلل أسباب اغترابه الطويل بعيدًا عنهم، مكذبة ما يأتي به العائدون من عنده من أخبار علاقته بالهندوسية وإنفاق مدخراته عليها في بذخ، مع مداومته على شرب الخمور.

وفي كفاح مرير من أجل أن يحيا آمنًا، تفوق منير تفوقًا ملموسًا في الكلية الجوية، وتخرج منها طيارًا ليخدم في سلاح الجو العراقي. ومن الراتب الضخم الذي تمنحه الدولة لطياريها، استطاع أن يساعد إخوته، ويدخر بعضه ليتزوج من حبيبته (مريم) ابنة الأسرة الثرية، التي تعلق قلبه بها.

كانت مريم فتاة خمرية مليحة، درست الأدب الإنجليزي بجامعة بغداد، وأثناء دراستها تعرفت بشقيقة منير، رُفَيْدَة، زميلة الدراسة، ومن خلالها ارتبطت عاطفيًا بمنير روفا، وعلى استحياء، اتفقا على الزواج. وبعد عودته من الدورة التدريبية الأولى في موسكو عام ١٩٥٧ تزوجا في حفل عرس جميل، وأقاما بإحدى شقق حي الديوانية، وأنجبا يوسف وناجي عامي ١٩٥٩ ، ١٩٦١ على التوالي .

بيد أن منير روفا أوفد في بعثة طويلة إلى الاتحاد السوفيتي، للحصول على دورة تدريبية لقيادة الطائرة ميج ٢١، الانقضاضية الشرسة، واعتقد روفا أنه سينتقل أخيرًا من القاعدة الجوية بالقرب من كركوك، لكنه أبقى مكانه على مسافة ثلاثمائة وخمسة عشر كيلومترا شمالي بغداد، برغم الطلبات العديدة التي تقدم بها لقيادته، لنقله إلى قاعدة الرشيد الجوية القريبة من العاصمة. لكنه أبقى كما هو حتى بعد عودته من دورة تكساس فى مايو ١٩٦٥ .

لم تكن رغبة روفا في الانتقال إلى بغداد، نابعة من حبه لبيته ولأولاده، بقدر ما كانت مطلبًا حيويًا له، حيث يستطيع ممارسة هوايته المفضلة في العاصمة المزدحمة، ألا وهي مطاردة الحسناوات الفاتنات، اللائي يبهرهن زيه العسكري كطيار، فيداعب أحلامهن بوسامته وشبابه، ينتقي من بينهن من تروق له، متخذًا من شقة صديقه اليهودي يوسف منشو، مرتعًا أكثر أمنًا.

عندما حلل خبراء الموساد شخصية الطيار الشاب، اكتشفوا أن هوايته في مصاحبة النساء ، كانت نوعًا من الهرب من معاناته النفسية، اتخذت منذ بدايتها – وكان وقتها طالبًا بكلية الطيران – طابع التعدد والتباين، ويبدو أن مسلكه هذا كان يعود في الأساس إلى نشأته بحي المستنصرية، حيث تكثر به الكوليات[١] إلى جانب حي الديوانية أيضًا، الذي أقام به عش الزوجية.

ومن خلال تحليل شخصيته وتشريحها بدقة، كان المسمى العلمي لهوايته هو إصابته بانحراف جنسي، يطلق عليه في علم الطب العقلي والنفسي "Psychiatry" هوس الجنس[٢] .

لذلك.. ما إن تقابل مع ليزا برات في المطار، حتى أوشك على الانهيار أمام جبروت جمالها، الذي لم يصادفه من قبل في موسكو أو تكساس. ووقف حائرًا يتأمل تلك المخلوقة الرائعة المثيرة، ممنيًا نفسه باغتراف فورانها البركاني المدهش .

رحلة الجنون

لم يكن يوسف منشو يعرف جملة إنجليزية واحدة، وكان على منير روفا مهمة ملازمته بمكتبه، للاتفاق مع المندوبة الإنجليزية الحسناء وتوقيع العقد. ووجدها روفا فرصة رائعة للتقرب إليها، خاصة وقد كانت تتعامل معه بدلال أنثوي محبب، أضفي الثقة الزائدة بشبابه وبوسامته.. ومواهبه.

لقد كان من الصعب ، بل من المخاطرة، أن يصطحب طيار حربي عراقي ، فتاة أجنبية في نزهة خلوية ببغداد. لذلك .. فقد حرص روفا على إفهامها حقيقة وظيفته، والسبب في عدم قدرته على الخروج معها. فأبدت تفهمها للأمر، وأهدته

(١) الكولية : منزل تمارس فيه الدعارة بأجر .

(٢) هوس الجنس عند الذكور Satyriastic – أو شره الجماع Satyriasis فهو ما نعرفه في دون جوان وكازانوفا وغيرهما، وسيكولوجيا هو نوع من الهرب من مشاكل أو متاعب حياتية، فتغيير شريك الحب شبيه بمواعيد المراهق الغرامية الكثيرة، والمريض بهذا المرض يجد لذة في تنوع علاقاته وتعددها، لإثبات قيمته الإغرائية Seductive والبرهنة على ذكورته.

ساعة يد ثمينة وهي تشكره على اهتمامه بـها، ومساعدتها في إنجاز عملها خلال زمن قياسي. ففي اليوم التالي لوصولها كان قد تم الاتفاق، وقع على العقد، وعندما أراد يوسف الاحتفال بالمناسبة السعيدة بأحد الفنادق الكبرى، كانت عميلة الموساد هي الأسبق في الرد. إذ رفضت أن يتم ذلك خارج المكتب، لكي لا يتعرض روفا لأية مشاكل .

وفي المساء.. أقيم بالمكتب حفل عشاء، وتأخر روفا بمنزله قليلاً بسبب مرض صغيره ناجي، ولما طرق باب المكتب، صاحت ليزا برات من الداخل وهي تهرول :

– إنه روفا.. لا شيء هنا رائع بدونه.

كان روفا يقف بالباب مبهوتًا، وكأنه يراها لأول مرة، فقد ارتدت ثوبًا عاريًا ذو لون أزرق، فضح أنوثتها المتوثبة، ولفحه عطرها الناعم الشذى المثير.

جذبته إلى الداخل بأصابع حانية رقيقة، وأرسلت لعينيه شعاعات عينيها الناعستين، فسرت ببدنه رجفة متوثبة يعرف كنهها، ودون أن يشعر سحب يده من يديها، وضمها في لهفة مجنونة مشبعة بالرغبة، وانقض كالظامئ بشفتيه يحسو عبير رضابها، ويمتص وهج حريق شفتيها نهمًا، في حين تجوب يداه ذراعيها وكتفيها، تحرثان اللحم اللاهب الدافق بالرغبة، والموشي بالأنوثة الفتاكة المجنونة.

في دهشة مصطنعة، أبدت ليزا استسلاما ناعما لأحضانه وقبلاته الملتهبة المتسارعة، وعندما أفاق قليلاً، حاول أن يعتذر بكلمات خجلى متعثرة، لكنها بدلال آسر اقتربت منه، وأذاقته الجحيم السرمدي في قبلة لهفى لامرأة خبيرة مدربة، فأججت لسعة جوعه وفجرت براكينه، وندت عنها آهة متحسرة وهي ترتجف ملتاعة وتردد:

– مونير.. أنت.. أنا.. لا أعرف ماذا أقول .

– لكنني أعرف أيتها الفاتنة الدفيئة..

– تعرف ماذا ..؟

– كل خلاياي وحواسي تحبك .

– مونير..

– لم تهزني قبلك امرأة بمثل هذه السرعة.. ولم تهزمني مشاعري قبلما أراك أبدًا.

– أنت عاطفي أكثر من اللازم .

– أنا عابد من عبدة الجمال في حسنك.

– أنت تفتت إرادتي.

– وأنت أجمل نساء الكون.. أحبك ..

– أخشى ألا تكون صادقًا فيما تقول..

– لم أكن صادقًا إلا معك..

– أتحبني كل هذا الحب ..؟

– أحببتك مذ رأيتك بالمطار.. وتشوقت اللحظة التي أكاشفك فيها بحبي.. أحبك .

(وهي تجهش بالبكاء وتحتضنه بقوة) :

– لكني سأغادر بغداد ظهر الغد..

– سأطير ورائك إلى أقصى بلاد الأرض..

– مونير.. أنت.. تكاد تكسر ضلوعي ..

– ليز حبيبتي .. إبق معي أربعة أيام حتى تنتهي إجازتي.. سأجن إن رحلت غدًا..

– أنا التي سأجن لو لم تجيئني بباريس.. أتشوق لأن نخرج معًا إلى الشانزليزيه تطوق يداك خصري.

– فقط ..؟

– أنام على صدرك وتعبث أناملك بشعري.

– أوه أيتها الفاتنة .

– سأظل أحلم وأحلم حتى نلتقي بباريس ..

– سأتقدم بطلب ليسمحوا لي بإجازة ..

– وهل هناك صعوبة في ذلك ..؟

– الأمر يستغرق بعض الوقت لا أكثر ..

– سأنتظرك ..

كان يوسف منشو قد غادر المكتب قبل مجئ روفا، مهيئًا المناخ المناسب للصياد والفريسة، فأثمر اللقاء المنفرد بينهما خطوة هامة، ولأول مرة يهجر منير روفا بيته في أحد أيام إجازاته، ليبيت بالمكتب مع ليزا برات، بدعوى أنه في مأمورية عمل .

في تلك الليلة العاطفية ، أظهرت عميلة الموساد براعة تفوق التخيل، في إظهار عواطفها تجاه الطيار العاشق، لم تمنحه سوى القبلات، لكنها أسبغت عليه سحرًا فكَّكَ مفاصل عقله، وجذور مقاومته، وبات يلهث طائعًا يبغى رضاها، على وعد بالجد في إثرها لاقتحام محيط حُسنٍ أسكرته قطراته، وهو لم يزل واقفًا على شاطئه.

هكذا كبَّلته عميلة الموساد المدربة، وأحالته إلى دُمية بين يديها بلا إرادة. إذ بدا يفكر بعقل عشيقته، ويرى بعينيها، ويمشي حسبما تسحبه أو تقوده.

فعلها عاميت هذه المرة بذكاء، عندما اختار فتاة الموساد الرقيقة الناعمة، ذات الوجه الطفولي البريء، الذي جمع الوداعة والأنوثة معًا، فامتزجا بالدلال والسحر والإثارة والذكاء الخارق. كل هذه الصفات نادرًا ما تجتمع في امرأة واحدة، لكنها اجتمعت في الحية الإسرائيلية بدقة، حيث أجادت استخدامها بحرفية مدربة، لإذابة مقاومة الطيار العاشق، دونما اغتنام سوى قطرات ضئيلة من قطوف النشوة، تركته بعدها يلهث محمومًا ثائر الرغبة، على وعد بإغراقه في منابع فيضاناتها،

وإذاقته لذائذ جسدها اللاسع، بهضابه، وسهوله، وأغواره، وهـذا لـن يكـون أبـدًا، ولن يتحقق إلا خارج العراق.. في باريس .

وظهر اليوم التالي ، عندما غادرت عميلة الموساد مطار بغداد، أجزمت بـأن روفا لن يهنأ له بال، حتى يلحق بها ، فمذاقـات النشـوة الـتي أذاقتـه بعـض قطوفـها، كفيلة بأن تغيِّب عقله وتشتته، وتقذف بـه إلى عـوالم أكـثر متعـة، لم يألفـها طـوال حياته، ولا وجود لها سوى بين أحضان ابنة الموساد الخبيرة المحنكة .

وما إن عاد منير روفا إلى عمله، حتى تقدم طلـب صحـي لعرضـه علـى الأطبـاء، بدعوى أن الصداع النصفي يفتك برأسـه، ويكـاد يصـرخ منـه ألمًـا.. وفشـل الفحـص الطبي في علاج الصداع المزعوم أو تحديد أسبابه، مما عجل بالموافقـة علـى التصريـح لروفا، حسب رغبته، بالسفر إلى باريس لمدة أسبوعين طلبًا للراحة والعلاج .

وفي ١٩ أبريل ١٩٦٦ طار منـير روفـا إلى بـاريس، في رحلـة مثـيرة كـانت بدايـة لرحلة أخرى أكثر إثارة.. وجنونا..!!

الحنـان الزائـف

لم يصدق مائير عاميت ذلك الخبر القادم من بغداد، عن حجز منـير روفـا تذكـرة طائرة إلى باريس على الخطوط الجوية العراقية. وقال في دهشة:

- (هؤلاء الأغبياء يفركون أعصابي.. سحقًا لهم).

ولما خُبِّر بميعاد مغادرته، ورقم الرحلة، توسم خيرًا ونطق وجهه بالبهجة، وعقد اجتماعًا طارئًا ضم كبار رجال الموساد، لتداول الخطة الـتي وضعـت بعنايـة فائقـة، لمكاشفة روفا ومحاصرته، وإغراؤه بالهرب إلى إسرائيل بطائرته الميج ٢١ .

قال مساعد عاميت ياكوف كاروز :

- سيدي.. نحن بحاجة إلى خبراء في الطيران والملاحة الجوية للتعامل مع روفا.

أجاب عاميت :

- بالفعل نحن بحاجة إليهم.. لكن ليس قبل إتمام السيطرة على الطيار العراقي والاتفاق معه .

كاروز :

- ماذا لو أن روفا طلب مبلغًا كبيرًا ليس بخطتنا ..؟

عاميت :

- علينا في البداية أن نقنعه بمبلغ مليون دولار فقط، ولا مانع إذا زيد إلى النصف، أو الضعف، فصديقنا هلمز[1] سيكون إلى جانبنا على أية حال.

أحد الخبراء :

- كحل افتراضي.. ماذا سنفعل إزاء رفض الطيار العراقي الاتفاق معنا..؟

عاميت :

- برغم ثقتي في نجاح العملية 007 هذه المرة.. فإن الطيران إلى السحاب في صمت[2]، متعة مريحة .

غادرت عميلة الموساد - ليزا برات - تل أبيب إلى باريس، بانتظار العاشق الذائب، يحدوها الأمل في السيطرة عليه، وتطويعه للقيام بتنفيذ عملية الهرب إلى إسرائيل، بدون إثارة أية مشكلات في فرنسا.

لم تكن ليزا وحدها في تلك الرحلة المثيرة، فقد صحبها ستة ضباط من الموساد، بينهم أحد خبراء الاستخبارات الجوية الإسرائيلية.

وعند تقاطع شارعي جيرمان وميشيل، في منتصف المسافة ما بين حديقة لوكسمبورج الشهيرة ونهر السين، يقع فندق ديكلوني ، المواجه لجامعة السربون، حيث أعد جناح بالطابق السابع لاستقبال الضيف العزيز، تم زرعه بكافة أجهزة

---

(١) ريتشارد هُلمز : المدير الجديد للمخابرات المركزية الأمريكية C.I.A . (١٩٦٦ - ١٩٧٢) .

(٢) إشارة تعني أنه من الضرورة تصفيته بهدوء.. أي قتله .

التنصت والتصوير، وجُـهِّزت الغرفة الملاصقة لتكون مركـزًا للمراقبة والتسجيل، بإشراف فريق من ثلاثة فنيين، بينما نزل ضباط الموساد الآخرين بعدة بيـوت آمنـة، لا تبعد كثيرًا عن الفندق.

كان اللقاء بالمطار حارًا مدهشًا، إذ تناثرت صرخات ليزا الصاخبة عندما فوجئت بروفا أمامها.

هو أيضًا كان يحتضنها في شوق مجنـون. وكـان الأكثر لهفة لذلك اللقاء الذي تحايل لأجله، يغشاه حنين ممتزج بالعشق لفتاته الحسـناء المثيرة، وروعـة المغـامرة معها في باريس، بعيدًا عن أعين المخابرات العراقيـة، وضجيج العمـل الرتيـب في القاعدة الجوية .

أخذته ليز – كما كان يناديها – إلى الفندق، ومكث معها اليوم الأول يلعق فـورة حمم الرغبات، ويصل معها إلى آفاق اللذاذات منتشيا.

ولأنها العميلة الماهرة المختارة بعناية، استدرجته للحديث عن حياتـه، ونشـأته، وأسرته، وعمله، وقادته، وحكومته، فأفـاض في سـرد تفـاصيل قصتـه منـذ الصغـر، والفقر الذي لازم أهله طويلاً، وكيف عاد أبوه من دبي مريضًـا لا يقـو علـى العمـل، حتى إذا ما تطـرق إلى الحديـث عـن أمـه ، بكـى منـير روفـا بحرقـة، وهـو يصـف معاناتها في تربيتهم وتعليمهم، فبكت ليزا لأجله، وأحاطتـه بحنـان زائـف خـادع، وسألته عن الحكومة العراقية، وكيف لا توفر حياة كريمة للمواطنين، فانطلق الطيـار المُعنَّى في سُباب لاذع لحكومته ولعن حظه التعس لكونه عراقيًا.

انتهزت عميلة الموساد الفرصة، وعرضت عليه أن يظل إلى جانبها، فهي لا تطيق فراقه مرة ثانية، مع وعد بتوفير عمل مجز له، وحياة معيشية واجتماعية أفضل لـه ولأسرته.

مارست ضغوطها المتواصلة على أعصابه، مستغلة عشقه لها، وهي تؤكد لـه بـأن حياتها بدونه ستكون مقفرة، موحشـة، قـالت لـه: (لا يـهمني أنـك زوج وأب، لا

يهمني أنك طيار حربي في بلد تستعد للحرب، كل المنى أن نكون معًا في أي بلـد، نعيش الحياة الهانئة التي حُرمنا منها. فكم عامًا سنعيش حتى نموت؟ إننا نحيا مرة واحـدة فقـط.. بعدهـا نتحـول إلى عـالم الأمـوات.. إلى مجـرد ذكـرى. فلمـاذا نتعذب في الحياة..؟

لنكـن أكـثر واقعيـة وصدقًـا.. أنـا أحبـك وأنـت تحبـني.. لا يسـتطيع أحدنـا الاستغناء عن الآخر. لم لا نجرب المغامرة ونخوض معًا تجربة حلوة جديدة؟ أنت شرقي مطحون في بلدك.. وأنا يتيمة منكسـرة بعثـك الـرب إلي. إنـني أرجـوك يـا حبيبي أن تظل معي.. وألا تتركني . إن الحياة بعيدًا عن العـراق سـتكون أفضـل، وأجدى. فقل لي صراحة هل توافقني..؟) .

فسألها الشاب الغارق المغيب العقل عن ظروف العمل الحـر في فرنسـا، والدخـل الشهري التقريبي الذي يكفل له حياة كريمة .

دهشت الفتاة، وسألته عما إذا كان يفكر حقيقة بالهرب من العـراق مـن أجلـها، إذا ما أتيحت له فرصة عمل مناسبة.؟ أجابها وهو يعانقها بنعم.

عند ذلك سألته بصوت ناعم هادئ مغر :

– إذن لنذهب إلى إسرائيل..

أجاب في دهشة وقد بوغت :

– إسرائيل.؟ (!!) .

قالت في نبرة يشوبها الهدوء :

– لقد سمعت أنهم في إسرائيل يعرضون مليون دولار، على أي طيار عربي يلجـأ إليهم ..

وكأنه لا يصدق :

– مليون دولار.. ؟ يا لها من ثروة .. أهذا خبر أكيد..؟

أردفت :

– أكيد جدًا.. فلي أصدقاء إسرائيليون هنا في باريس، تطرقوا إلى الحديث أمامي منذ أيام عن هذا الأمر .

قال مجاريًا :

– وهل ستكونين معي في إسرائيل إن وافقت..؟

ارتمت بين أحضانه تقبله بحرارة وهي تهمس :

– سأكون معك في إسرائيل وفي أي مكان تحب.. هل تريد مني استدعاء أحدهم ليتكلم معك..؟!

ضمها بقوة وتاه في قبلة طويلة منحتها له، وكانت أحمى من قرص الشمس.. ثم نظرت بحنان إلى عينيه وهي تقول:

– مونير.. تعلم إنني يتيمة الأبوين، وأختي الوحيدة تعيش بعيدًا في استراليا، وليس لي الآن إلاك، فأنت الحبيب والأهل.. وأريد أن أكون معك.. في أي مكان.. ولو كان في إسرائيل.

ضغط فكيه في غضب وتحد وهو يقول:

– لكن.. لماذا يدفعون في إسرائيل مليون دولار من أجل طيار عربي..؟

قالت متغابية :

– أنا لا أعرف بالضبط.. وإن كنت أعتقد بأنهم يبحثون عن طيارين أكفاء.. هل تفكر جديًا بالأمر يا حبيبي.؟

لسعة الخوف

كاد أن يصرخ فرحًا، أن يخترق الجدار الفاصل بينهما ليعانق ليز، ويسجد ضارعًا متوسلاً أمام روفا، هاتفًا: **(هلم.. هلم أيها الطيار البائس إلى إسرائيل، ولك مليونا دولار لا مليون.. قل فقط.. نعم.. أوافق..(!!)).**

إنه مائير عاميت، رئيس الموساد بشحمه ولحمه، نهشه غول الخوف من الفشل فطار إلى باريس، ليسمع بنفسه ما يقوله منير روفا، وما تصنعه به العميلة البارعة الذكية، ابنة الموساد المخلصة .

كان بالحجرة المجاورة معروقًا يرتجف، واضعًا السماعات على أذنيه، ويشاهد روفا وعميلته بدون ملابسهما ، يتعاطيان الحنان، بعد جرعة الجنس العنيفة التي أسكرت الصيد الثمين .

لحظتها.. طلب من فريق الفنيين تغطية الشاشة، وتثبيت زووم الكاميرات بعيدًا عنهما، والاكتفاء بسماع الصوت فقط، ومخاطبًا رجاله :

(إن فتاتنا تؤدي عملاً مقدسًا واجب علينا احترامه، والنظر إليها بكل تقدير ممكن. فهي تهب الوطن — إسرائيل — الأمن، وتبذل جسدها رخيصًا برضا في سبيله. هكذا تفعل فتياتنا بلا خجل لكي نحيا آمنين، وتبقى أرض الميعاد أبدًا زاخرة بالرخاء).

لقد تحول رئيس الموساد أمام مشهد (التضحية)، إلى رجل دين ينثر وصاياه ويلقي مواعظه، وطاف بالغرفة يستطلع وجوه رجاله، وقد تسمروا كالأصنام أمام تحوله الفجائي إلى حاخام، فقد كانت تلك هي المرة الأولى، التي يشاهد فيها عاميت مصيدة العسل، وهي تطبق أذرعها الفولاذية الناعمة فتعتصر الفريسة بلا رحمة، أو شفقة، وتمتص فيها قوتها ومقاومتها، حتى تحيلها في النهاية إلى قطعة عجين، يستطيع طفل وليد أن يُشكِّلها، ويصنع بها ما يشاء .

كان روفا بين أحضان ليز لا حول له ولا قوة، إذ أجهزت عليه تماما وأسبغت حوله جوا صافيا من المتعة، وهيأت له بخبرتها، دون أن يدرك، فكرة الهرب من العراق. فكان تارة ينصت إليها راضيًا، وسرعان ما يتراجع تارة أخرى. هكذا دواليك لخمسة أيام متعاقبة، لم يغب منها عاميت يومًا واحدًا، فكان ينتشي مع رضاه وموافقته، ويكبو عقله متحسرًا عند تراجعه.

وأعطيت الأوامر لابنة الموساد، أن تبذل قصارى جهدها لمواجهته، والضغط عليه بقوة في دون أن تترك له فرصة ليفكر. فالطيار العراقي تعلق بها تعلق الطفل بأمه، ولم يعد بإمكانه الإفلات من قبضتها المطبقة .

وعندما كان يُجَدِّف منتشيًا، يعبّ لذائذ النَشاوَى في ارتجاف حلو يعشقه، ويمارس هوسه في شراهة الجائع سألته:

– ألم تفكر بعد في مستقبلنا معًا..؟ ألا تريد المليون دولار..؟

هتف الغارق الثمل :

– لن أدعك تبتعدين عني بعد اليوم ..

وهي تدفن وجهها بصدره :

– أتعدني..؟ حتى وإن كنت بإسرائيل..؟

ضمها في لهفة وهو يقول :

– سأحبك في إسرائيل.. وسأحب إسرائيل.. وهواء إسرائيل ..

كانت مازالت تتقلب بحضنه:

– أخاف أن تنسى ليز وأنت تملك المليون دولار ..

في نبرة مشحونة بالصدق :

– سأثبت لك أنني أحبك.. ولو كانت أموال العالم ملكي .

وهي تقصد استثارته :

– إذن.. هل أدعوهم الآن لمقابلتك..؟ أم أنك ما زلت تشعر بالخوف..؟

أجاب دون تردد :

– أنا أخاف..؟ ممن ..؟

لم تتغير نبرتها بل أزادتها استثارة:

– من مواجهتهم.

في تحد :

- من..؟

وهي تنظر في عينيه في جدية وقد غلفت صوتها بالحنان:

- أصدقاء من إسرائيل .. سيؤكدون لك ما قلت.

اعتصرها بشدة وهو يقول :

- سأحبك وإن كنت إسرائيلية.. وسأحب أصدقائك أيضًا..

إنهم يطرقون الباب.. لقد جاءوا .

كان عاميت يستمع إلى الحوار الدائر بينهما، وأعطى إشارته بالدخول عليهما. فتأخرت ليز قليلاً ريثما يرتديان ملابسهما، وفتحت الباب.

بدا منير يرتجف فرقًا عندما أطل رجلان، أنس قليلاً إلى ابتسامتيهما، وقام مصافحًا، فحياه كل منهما بالعربية السليمة.

- أنا أبو داود.. رجل أعمال ومولود في بغداد .

- وأنا أبو موسى.. صديق أبو داود.. وولدت في تل أبيب.

تلعثم روفا ولم يدر بما يتكلم، فبادرت ليز :

- وهذا النقيب طيار منير روفا من بغداد .

في دهشة تكلم منير سائلاً أبو داود :

- قلت أنك من بغداد ..؟

ملأت وجهه ابتسامة عريضة وأجاب :

-نعم.. أنا عراقي ولدت في بيت جدي بجوار مسجد الكاظمية، عند دكانة جابو.

- دكانة جابو..!! أنا أعرفها فمازالت قائمة خلف المسجد.

وكأنهم أصدقاء قدامى يتذكرون ما فاتهم، قال أبو داود :

– ألا تعرف شارع نعوم في المستنصرية..؟

صاح منير متعجبًا :

– أو تعرفه..؟ إنني من سكانه.. أهلي مازالوا هناك..

قال الضيف وهو يبتسم بشوشًا :

– كانت عمتي روزينا الحائكة تقيم به حتى ماتت.

ارتفع حاجباه دهشة وهو يقول:

– يا إلهي.. العمة روزينا..؟ لقد تربيت في حجرها وكنت أزورها لتعطيني الحلوى.. إن والدتي بكت خلف جنازتها.

كان عاميت خلف الجدار يصفق بيديه منشرحًا، وينصت باهتمام إلى حديث روفا وأبو داود. لقد امتص أبو داود صدمة الخوف الأولى التي انتابت الطيار المذعور، واستطاع بهدوئه الذكي المعهود أن يكسبه إلى صفه، وأن يعيد إليه توازنه النفسي المهتز، خلال بضع لحظات قليلة .

كان أبو داود دبلوماسيًا في الحوار، تغلف صوته نبرة محببة تأسر قلوب مستمعيه. أما أبو موسى فقد أصيب بالدهشة وسكت عن الكلام، حيث لم يترك له زميله الفرصة ليستعرض مواهبه، خاصة والحوار يدور حول ذكريات وأماكن لا يعرفها في بغداد .

وبعد مرور ساعة تقريبًا، كان طقس اللقاء المثير مريحًا حقًا، وأضفىٰ تواجد ليزا بينهم ألفة أحاطت روفا بالطمأنينة، وأخرجته بسهولة من دائرة الارتباك والخوف، حتى أن ضحكاته الرنانة العالية، كانت خير مؤشر لسكينته.

عندما بكى عاميت

وفي غرفة المراقبة ، كان ضباط الموساد والفنيون في دهشة حقيقية، أمام الموقف المؤثر، فإنها المرة الأولى، طوال عملهم في نصب مصائد العسل، التي لا يصاب فيها

(الصيد) بصدمة المفاجـأة، بـل إنـها المرة الأولى أيضًـا الـتي يطرقـون فيـها البـاب، ويدلفون بهدوء كأصدقاء.

لم يكن عاميت قد صادف شـيئًا كـهذا مـن قبـل ، ولم يسـبق لـه أبـدًا أن تـابع مصيدة العسل في كل مراحلها . فمشاعره بلا شك انصبت في اتجاهات أخرى، غير تلك التي حيرت رجاله، وبذا فقد ضمت الحجرة أحاسـيس متباينـة، تولـدت أمـام مشهد عجيب.

تطرق أبو داود في حذر ذكي لمسألة الهرب إلى إسرائيل، مقابل مليون دولار تدفع فورًا في تل أبيب، وكان حريصًا على ألا يذكر الميج ٢١ مطلقًا، لتهيئـة روفـا نفسـيًا أولاً، نائيًا به عن إحداث صدمة ارتدادية تعصف بمشاعره، وتتطلب ترميمًا يستغرق وقتًا لرأبه.

قال أبو داود :

- إن إسرائيل هي أرض الكتاب المقدس، والوطن التاريخي للشعب اليـهودي، الذي تعرض على مر العصور لهجوم تلو الآخر من جانب أعدائه، فتشـتت شملـه بهدف القضاء عليه جسديًا وروحيًا، وأجبر اليهود على ترك أرض إسرائيل أكـثر من مرة عبرة التاريخ. ففي عام ٧٢٠ قبـل الميـلاد طردنـا الآشـوريون مـن أرضنـا، وطردنا البابليون من بعدهم عـام ٥٨٦، ثـم الرومـان عـام ٧٠ ميلاديـة، وتعرضنـا بقسوة لوحشية الاضطهاد والطرد في أماكن وعصور أخرى، في إنجلترا عام ١٢٩٠، وفي إسبانيا ١٤٩٢، وفي روسيا عام ١٨٨١، وجـاء هتلـر وأقـام لنـا المحـارق الـتي التهمت الملايين منا. والآن.. وبعدما عدنا إلى أرضنا بعد الشتات ، يتربص العرب بنا ، ويتوعدوننا بمحارق أخرى تلتهم بقيتنا لكي لا تقوم لنا قائمة .

إننا لم نعد إلى أرضنا لكي نحارب العرب، لأننا بطبعنا أناس مسـالمون نسـعى للعيش في أمان، ونمد أيدينا لجيراننا بالسلام لكنهم يخططون لإبادتنا، ويعملـون في الخفاء على تقوية جيوشهم وتسليحها بأحدث الأسـلحة ، ولا نملـك إزاء ذلـك

إلا التحرز لاتقاء ضرباتهم، وحماية أطفالنا الأبرياء من مستقبل مظلم نتوقعه لهم، طالما هناك نوايا سيئة تجاهنا من أبناء عمومتنا العرب.

أيها الأخ العزيز العربي الشهم . إن بلدكم الكريم — العراق — كان دائمًا وما زال رمز المحبة الخالصة، ففيه عاش عشرات الألوف من اليهود العراقيين، جنبًا إلى جنب مع المسيحيين والمسلمين، وهاجر العديد منهم إلى وطنهم الحقيقي، إسرائيل، وبقلوبهم نبض الحب باق للعراق.

هؤلاء اليهود الطيبون الذين جاوروكم، وأحبوكم، وأنت تعرف بعضهم، إنهم يطلبون منك الأمن والحماية، ويرفعون أياديهم ضارعون إليك لتساعدهم، فهم بمسيس الحاجة إلى رحمتك وعطفك وشهامتك. !!

كان أبو داود قد امتقع وجهه وارتجف بدنه، وبكى، فأبكى عاميت في حجرة المراقبة، وأدمعت عيون رجاله المستترين معه.

ليزا أيضًا كانت تلاصق روفا، وتضغط بحنان وتأثر على كفه، ينساب على خديها خطان من الدموع إلى ذقنها، وشهقاتها الملتاعة رسمت خطوطها بوجهها، فبدت عاطفية تفيض شفافية مزيفة، وهي تنهش بنظراتها الحانية الراجية عيني روفا، وتقول له بتوسل:

(افعل شيئًا لأجلي) .

لقد كانت اللغة العربية هي لغة الحوار بينهم، ما عدا ليزا، التي أمرها عاميت بعدم التفوه بها، وكانت تخاطب روفا بالإنجليزية لتأكيد دورها وهويتها.

وأمام المشهد الابتهالي الصعب، الذي أبدعه أبو داود ببراعة، بدا واضحًا لمنير روفا أن فتاته ضللته وخدعته، فخطبة أبي داود المؤثرة أبكتها، وهي باللغة العربية التي لا تفهمها . أوشك هذا الخطأ الجسيم أن يفشل العملية برُمَّتها، وكاد عاميت أن يموت فزعًا إذا ما انتبه الطيار العراقي للأمر. فزعت الفتاة أيضًا عندما اكتشفت سقطتها التي لا حل لها.. لذلك أجهشت ببكاء حار متشنج يفيض رعبًا، على

مستقبلها المهني، وغادرت الحجرة إلى الحمام تتقيئ في هلع. لكن روفا لم ينتبه، لم يفهم، لم يستوعب ما حدث أمامه بوضوح . فقد خيم الوجوم على عقلـه المحـاصر، وتساءل في حيرة عما يملكه ليقدمه لهؤلاء اليهود المساكين..؟ وقـرأ رجـل المخـابرات الذكى أفكاره، فقالها بوضوح هذه المرة :

– سيدي النقيب روفا.. إن رغبتك الشجاعة في العيش بإسرائيل مع هذه الفتـاة الحسناء التى تحبها وتحبك، شرف لإسرائيل ولكل الشعب اليهودي. وإنه لفخر لنا أن تقيما بيننا فى أمن ورخاء ، وأن تُمنَحا حقـوق المواطنـة كاملـة، فضـلاً عـن المزايا الأسطورية التي ستسبغ عليك كطيار حربى ماهر.. و..

(تدخل ليزا وقد بدت متماسكة ترسم ابتسامة رقيقة مشجعة.) .

قاطعه روفا مجاملاً بأدب :

– أشكرك .

أكمل أبو داود :

– سنمنحك سيدي النقيب مليون دولار، وسنهيئ لإقامتكما فيلا ساحرة علـى البحر، ومنصبًا عسكريًا يليق بك كطيار كفء، مقابل أن تُزَوّدنا بها .

سأل روفا متعجبًا :

– أزودكم بماذا..؟ أنا لا أفهم ماذا تقصد ..!!

أجاب أبو داود بينما كانت ليزا تعتصر كف منير روفا وتُقَبّله :

– الميج ٢١ .

صاح الطيار كأن حية لدغته :

– الطائرة الميج..؟

ضاعفت ليزا ضغطاتها وقبلاتها بحنان ورجاء، وأردف ضابط الموساد:

– نحن نريدها سليمة في إسرائيل ليتعرف طيارونا عليها عن قرب.

وأضاف وقد وشم صوته بطمأنينة زائدة :

إن العرب منذ زَوّدَهم السوفييت بها يُرهِبُوننا، ويدعون بأنها تفوق طائراتنا الحربية قدرة ومهارة، إنها تحلق يا أخي بأمان في أجوائنا، وتخترق في دعة حاجز الصوت فوق مدننا.. وكأنها تطلق لسانها ساخرة من طائراتنا وأجهزة دفاعاتنا الجوية، لذلك نريدها سيدي النقيب لنتكشف خباياها.

شروط صفقة الخيانة

كانت الأنفاس في تلك اللحظة محتبسة قلوقة، والوجوه غشاها إرهاق الخوف والاضطراب، وتوقفت عقارب الزمن تزيد العقول إرهاقًا، وبدا عاميت في أحلك لحظات حياته، التي سيتحدد بعدها مصيره بين رؤساء الموساد على صفحات التاريخ. وهتف مذعورًا لأحد ضباطه أن يذهب بسرعة إلى الحجرة الأخرى، عارضًا على الطيار العراقي مليون دولار أخرى، وإن استدعى الأمر مليونان. ثلاثة ملايين. لا يهم .. ثم أومأ إليه ثانية أن ينتظر قليلاً..!!

أبو داود نفسه كان يملك قرار مضاعفة المبلغ، لكنه فضَّل الانتظار وترقب رد الفعل عند روفا. وكان في داخله أيضًا يعيش تلك اللحظات العصيبة، التي يعيشها عاميت ورجاله فى الحجرة المجاورة .

أخيرًا نطق أبو موسى.. أراد أن يصنع هو الآخر لنفسه دورًا، ربت على فخذ منير وقال :

- سيدي .. سنُؤَمِّن لك طيرانًا آمنًا عبر الأجواء الأردنية.. وستكون طائراتنا الميراج في شرف استقبالك، ومن أجل حمايتك في الجو .

أطلق روفا هواء رئتيه بصوت مسموع صحبه صفير كالفحيح، وكأنما كان يستقرئ الإجابة المصيرية في عيني ليزا الناعستين، إذ نظر إليها طويلاً بإمعان، وكانت يداها مازالتا تحتضنان كفه وتعصرها ضغطًا. عندئذ هزت رأسها بحركة خفيفة، ترجوه صمتًا أن يوافق.

فاستدار ناحية أبو داود، الذي استدعى، برغم ارتجافه، ابتسامة بذل جهدًا خارقًا لإبرازها. وقال روفا بصوت مرتعش أتٍ من قرار بعيد:

- **هل أنتما من المخابرات العسكرية ..؟**

أجاب أبو داود على الفور :

- لا.. لا.. نحن نعمل في مكتب رئيس الوزراء، ليفي أشكول، (وبعد برهة) مندوبا علاقات دولية .

علق روفا مندهشًا :

- إن ما تقومان به من صميم عمل أجهزة المخابرات.

صحح ضابط الموساد في خبث وتهديد مغلف وقد ارتفع حاجباه :

- المخابرات الإسرائيلية لها مهام أخرى تالية سيدي النقيب روفا، وما قصدنا في النهاية إلا السرِّية حفاظًا على أمنك الشخصي .

بعد لحظات صمت طويلة، قال روفا مترددًا :

- ومن يضمن لي المليون دولار بعدما أهرب..؟

تنفس الجميع الصعداء وهتف أبو داود :

- رئيس الوزراء شخصيًا.. إننا ندعوك لقضاء عدم أيام بإسرائيل، وسيسر رئيس الوزراء بلقائك، ولسوف تسمع منه تأكيدات الضمان .

أجاب روفا متلجلجًا وقد علاه الاضطراب :

- أخشى أن أكون مراقبًا من أحد رجال مخابراتنا، فقد جئت إلى باريس بدعوى الفحص الطبي والعلاج.

قال أبو موسى بثقة :

- ليس للمخابرات العراقية نشاط ملموس في فرنسا، سنؤمن لك وثيقة سفر ولن يشعر أحد بغيابك عن باريس، فضلاً عن الأوراق الطبية التي تؤكد أن رحلتك لفرنسا كانت للعلاج .

وأضاف أبو داود :

– وفي إسرائيل ستختاران الفيلا التي تروق لكما، وسوف يتكلم معك فنيو سلاح الجو، بخصوص المر الجوي الذي ستسلكه، والتردد اللاسلكي للاتصال بهم، وكذا القاعدة الجوية التي ستهبط بها .

غمغم الطيار العراقي وهو يزفر :

– أعتقد أن المسألة ليست بسيطة أبدًا.. بل إنها شبه مستحيلة.. فهناك مشاكل عديدة لا حلول لها .

صاح أبو موسى فاردًا ذراعيه :

– سنذلل كل العقبات التي تؤرقك.. ولن نترك مشكلة واحدة، ولو تافهة، إلا وناقشناها معك.. ووضعنا لها حلولاً.

طوقته ليزا بحرارة وهي تقبله بحنان وتقول بالإنجليزية :

– مونير .. أنا لا أفهم لغتكم.. فيم تتحدثون ؟.

تجاهلها روفا وتوجه بكلامه إلى أبو موسى :

– أنتم لا تعلمون بأنني لم أحصل بعد على ترقية (قائد سرب) ، وأنني مقيد بالطيران لمسافات قصيرة، حيث أحصل على وقود لمسافة ٥٠٠ كيلومتر فقط.. وعند ترقيتي تُضاعف لى كمية الوقود، أي أستطيع الطيران لمسافة ألف كيلومتر. وفي جميع الحالات لن أتمكن من الوصول إليكم، لأن المسافة تزيد على الألف كيلومتر بين كركوك وأقرب قاعدة جوية في إسرائيل.

كان منير روفا يتكلم بصدق فعلاً، مما أكد لعاميت ورجاله غباءهم، إزاء النظم المعمول بها في الطيران العراقي. وأحس أبو داود بما يشبه اليأس أمام تلك المشكلة المعقدة. فصرامة القيود في العراق تحول دون لجوء روفا لطرق ملتوية، سواء بالرشوة أو التحايل، لملء خزان وقوده.

وفي غرفة المراقبة المجاورة ، ساور عاميت الإحساس نفسه، وعندما استحكمت الأزمة وخيم الوجوم، تخطى عاميت محظورات الأمن، وسمح لضابط مخابرات سلاح الجو المرافق أن يتصل بأبو داود، بواسطة تليفون الفندق الداخلي .

تناول أبو داود سماعة الهاتف من ليزا، وظل منصتًا لا يرد، ثم وضع السماعة جانبًا وهو يسأل روفا:

– ألم تبذل محاولات لنقلك إلى بغداد ..؟

أجاب روفا :

– تقدمت بطلبات عديدة للانتقال إلى قاعدة الرشيد الجوية في بغداد، متعللاً بظروف والدي الصحية، ووعدوني أكثر من مرة بالنقل، ومنذ شهر تقريبًا علمت أن نقلي مرتبط بترقيتي فعليًا لقائد سرب، وهذا لن يكون قبل مرور شهرين على الأقل من الآن .

وعقب أبو موسى :

وفي حالة ترقيتك ونقلك إلى بغداد، بإمكانك إذن ..

أومأ روفا قائلاً :

– لو أن ذلك حدث بالفعل! ! لكن بقيت مشكلة لا أرى حلاً لها، وهي تتصل بعائلتي .

تساءل أبو موسى وقد قطب جبينه :

– عائلتك ..؟

تنهد روفا وأجابه :

– إن شرطي الوحيد للجوء إليكم، هو إخراج عائلتي من العراق أولاً، فالسلطات هناك لن تهدأ حيالها.. ولن يهدأ بالي أيضًا حينما أعيش ، بدونها، في إسرائيل .

كان شرط منير روفا إذن، يحمل موافقة لا تقبل الشك ، على فكرة الهرب بطائرته إلى إسرائيل، فعند ذلك ، وتهللت الوجوه في زهو، ومالت ليزا على صدر روفا، تشبعه لثمًا مشوبًا بالرضا، وهتف عاميت في مخبأه :

(أنتم حقيقة حراس الهيكل ، عقول إسرائيل النابضة.. وفخر إسرائيل.. وعزها.)

طيار عراقي في إسرائيل

كان الطقس ربيعيًا يميل إلى البرودة، عندما انطلقت السيارة الرينو السوداء، تجتاز شوارع باريس المتلألئة مساء ٢٥ أبريل ١٩٦٦، باتجاه الجنوب من العاصمة الفرنسية .

بالمقعد الخلفي قبع الشاب الشاحب، الذي بالكاد يسحب ابتسامة باهتة، تتخلل أصابع يمناه شعر الفتاة الحسناء التي دفنت رأسها بصدره، بينما شرد عقله في رحلة ما أطولها. حيث طار إلى بغداد، يجوب على عجل شوارعها وميادينها ومبانيها، ووقف على شاطئ دجلة يتأمل وجهه المرتعش على صفحة الماء، فرطت المويجات الهادئة ملامحه، فانسحب في رفق إلى الجسر القديم، عَبَر إلى حي المنصور يَشْتَمّ رائحة العراق ، يطالعه وجه أمه الدامعة العينين، وتتشبث به أيدي طفليه وزوجته، فيطوف برأسه صراخ حاد ، يشبه صوت هدير صاخب، يضرب أعماقه الجوفاء القاحلة، ويكاد ينخر جمجمته إلى القاع .

لم يتذكر طوال الطريق إلى المطار ماذا كانت تقول ليز تعبيرًا عن فرحتها وسعادتها، حتى وهو داخل طائرة العال الإسرائيلية، اجتاحه إحساس بغياب حواسه، واتزانه، وتركيزه، كأنما ألقى به داخل كبسولة فضائية، يسبح مجدفًا في ذلك النطاق الضيق الخانق .

في قرارته كان لا يعرف بالضبط ماذا يريد..؟ أكان يسعى خلف فاتنته ليزا..؟ أم طمعًا في المليون دولار..؟ ربما خوفًا من اغتياله كما اغتيل زملاء له من قبل في ظروف

غامضة؟ لقد كانوا دائمًا يحذرونهم في العراق قبل السفر إلى الخارج من مغبة التورط مع فتيات تقذف بهن الوساد في طريقهم.. لكنه لم يشك للحظة في فتاته، لم يشك فيها أبدًا. لكن خوفه انصب على التهديد المغلف الذي فهمه متناثرًا في كلامهم. ليزا أيضًا لاحظت ذلك وكاشفته بخوفها.. هكذا قال لنفسه .

صحيح إن ليزا أعطته الكثير من مشاعرها وحبها، وبات لا يفكر إلا في ارتباطهما معًا إلى الأبد. لكن هل هذا فقط ما دعاه إلى السفر لإسرائيل، لترتيب عملية هروبه من العراق بطائرته..؟ ولو أن المال كان مطلبه، ألا يُؤَمِّن له الراتب الضخم الذي يتحصل عليه في العراق، الحياة والمستقبل لأسرته..؟

كان يدرك تمامًا أن حكومته تنفق على الطيارين بسخاء، وتضمن لهم راتبًا عاليًا وحياة رغدة بلا منغصات، وأنه استطاع، بواسطة راتبه، إخراج أسرته من بوتقة الفقر، وتعليم بقية أخوته في المدارس والجامعات، وعالجت الحكومة والديه، مجانا، بأكبر المستشفيات العسكرية، واستثنت أخوته من شرط مجموع الدرجات، وألحقتهم بالمدارس والجامعات حسب رغباتهم.

لماذا إذن يخون العراق..؟ وماذا فعل به قادته لكي يخونهم..؟ لقد قبلوه بكلية الطيران وهو الشاب المعدم ذو الأسرة الفقيرة، وأنفقت عليه الدولة مثل وزنه أموالاً لتعليمه، وبعثوا به إلى الخارج في بعثات تدريبية ليرتقي فنيًا كطيار حربي، وعاملوه بكرم شديد وحب كبير، دون أن يفرقوا بينه، وهو المسيحي، وبين زملائه المسلمين في المعاملة. بل إنهم كانوا أكثر تساهلاً معه، حتى لا يدعي حاقد وضيع باضطهاد المسيحيين في الجيش العراقي.

لماذا إذن وكل الأمور طيبة يخون..؟

إن عقله يكاد يجن وهو يبحث عن إجابة تريحه، وتريح ضميره الذي غاب، بلا فائدة. كل ما يعرفه إنه انقاد وراء ليزا بلا وعي، ووافق مضطرًا على فكرة الهرب بطائرته دون تحسب للعواقب. فقد كانت لغة التهديد والوعيد واضحة على لسان

أبي موسى. إنه إذن دخل المصيدة ولن يخرج منها سالمًا.. فكر بأن ليزا تخدعه وتعمل لصالحهم؟ لو أن هذه هي الحقيقة المتوارية ، فحتما هناك شرائط مسجلة بصوته وهو يسب العراق وقادته.. هناك أيضا الأفلام التي تظهر سقوطه في براثن شبكة العنكبوت الإسرائيلية..

ربما كانت ليزا معهم.. يا للمصيبة.. إن الأمر ليبدو كذلك. فقبلما تقوم ليزا من جانبه كانوا يطرقون الباب ويدخلون.. من أين جاءوا؟ يبدو أنهم كانوا خلف الباب.. لا.. بل داخل الردهة .. أو ربما كانوا في الدولاب . إذن ليزا كانت تعرف، وتتلون بمشاعر زائفة.. إنه العمى الذى غطى بصره وبصيرته، ودفعه لأن يمشي وراء نزواته، وطيشه، ومجونه حتى أبواب الجحيم.. نعم.. الجحيم الذي لا حياة بعده.. فها هو الآن يطير إلى إسرائيل كالمُبَنَّج قبيل الاستفاقة ، يحمل جواز سفر إسرائيلي باسم (عزرا موران بارزكاي)، وإلى جواره ليزا الغارق في حبها .. يا له من حب قاتل لشفاة ظمأى وجسد كالأتون .

كان مائير عاميت قد أسرع بالعودة إلى تل أبيب، ليزف البشرى لرئيس الوزراء، تاركًا روفا مع رهط من رجاله، تكاتلوا عليه، وحاصروه، ولم يتكروا له فرصة كافية ليختلي فيها بنفسه ليفكر أو يتراجع، بل أغرقوه بالإغراءات والوعود، ملوحين أحيانًا ، بلطف شديد، بالأزمات التي سيواجهها في العراق إن لم يهرب .

وفي مطار اللد كان الوضع مدهشًا، إذ استقبل بحفاوة بالغة أذهلت عقله، وعومل، منذ لحظة نزوله سلم الطائرة، كشخصية هامة للغاية، وجذبته صائدته الماهرة، لتبتلعهما الليموزين السوداء ذات الستائر، تخترق شوارع تل أبيب قرب الفجر.

كانت دقات قلبه المتسارعة تزيد من اضطرابه، برغم التصاق ليزا به، وصوت الكاسيت الذي يردد أغنية (الورد جميل) لأم كلثوم.

أزاح الستار قليلاً بيده، وراح يتأمل اللافتات العبرية، والأضواء، والشـوارع شـبه الخالية إلا من رجال الأمن وسياراتهم، وثمة إحساس مؤلم بالغربة يعتصـره ويذهـب بأعصابه .

وأمام فيلا مسيجة بالحرس وبالسور الحديدي وأشجار البونسيانا، توقفت السيارة للحظة، ثم انفتح الباب على مصراعيه، فانطلقت إلى داخل السور، ليظهر بناء داكن اللون ذو طابقين، على سلّمه الرخامي الأبيض وقف أربعة رجـال، تبـين فيـهما أبـو موسى وأبـو داود، اللذيـن عانقـاه بحـرارة مـهنئين بسـلامة الوصـول، وحـاولا قـدر جهدهما إخراجه من غُلمة هواجسه وخوفه، وظنا أنهما نجحا .

كـان يجـاهد كثـيرًا ليتكلـم صراحـة مـع لـيزا، ويسـألها لمـاذا خدعتـــه، إلا أن التساؤلات كانت تضيع قبلما تتحرك على لسانه. عيناه كانتا تبثان حيرته، وخوفه. لكن ليزا التي كانت تدرك أغواره تجاهلت كل ذلك. لقد نجحت في خطتها وجاءت به ليس إلى باريس كما تمنت، بل سـحبته إلى إسـرائيل. لم يعـد بمقـدره تحـت أي ظرف من الظروف أن يتراجع. وها هي مهمتها تشارف نهايتها في إسرائيل، دورهـا تكثف في تهدئته نفسيًا وإخراجه من ثورة الصراع المشتعلة في أعماقه. هـو أيضًـا بـدا مستسلمًا لمصيره، محتميًا بدفء الأفعى وحبها المزيف. لكن ربمـا كـانت تحبـه كمـا أحبها.. ربما. وساعد الليل السـاكت وهمسـات لـيزا الملتهبـة، علـى تسـكين روعـه فعانقها هربًا من صراعاته وأوجاعه، عاودته رغبـة الثبـات والجـرأة، فطفـق يحسـو نعيم القبل، عله يطفئ براكين فكره بلظى الجسد البـض، ومـا بـين ضربـات المتعـة الطاحنة، ودبيب الخدر بأوصالـه، تناسـى روفـا موقعـه وواقعـه، وغـاص يسـتمرئ اللذاذات لعله يتوه، ويذوب في قعر الانتشاء لائذًا.

وعند الظهيرة زاره أبو داود واثنان آخران من ضباط الموساد، واصطحباه إلى شارع شاؤول، حيث يقع المبنى الرئيسي الجديـد لجـهاز الموسـاد، وكـان بانتظـاره مائـير عاميت وكبار مستشاريه وضباطه.

لم يناقشوه في أيـة مسـائل فنيـة تتعلـق بعملـه في العـراق، أو بمسـألة هروبـه إلى إسرائيل بطائرته، إنما انحصر حديثهم معه حول الطقس الرائع في تل أبيب، وعيـد البوريم[1] الذي احتفلوا به منـذ أيـام. ثـم تطرقـوا إلى الأقليـات في الدولـة العبريـة، وكيف أن المسيحيون العرب ثاني أقلية كثافة في إسرائيل، إذ يبلغ عددهم نحو ١٣٠ ألف مسيحي، يشكلون حوالي نصف سكان الناصرة، وثلثي العرب في حيفا.

وتبعًا لتوصيات علماء النفس في الموساد، الذين قرأوا ملف منير روفا، وراقبوه منذ دخل الفيلا المعدّة لإقامته، ورأوا مـن خـلال الكامـيرات تفـاصيل سـلوكه في حجـرة النوم، كان على ليزابرات، وهذا ليس اسمها الحقيقي بـالطبع، ألا تفارقـه للحظـة. وأن تحيطه بعواطف جياشة زائدة عن الحد، في مرحلة عصيبة على نفسه هو أحـوج فيها إلى الحب والامتزاج، أكثر من أي وقت مضى.

لم تكن ليزا المدربة الذكية تجهل ذلك، إذ عملت باجتهاد على إغراقـه بمشـاعر الحب، وبالعاطفة الملتهبة المشبعة بالعطاء والتفاني. وكـان مدخلها إلى عقله وقلبه قصة يُتْمها المختلقة، التي كانت سريعًا ما تحرك مشاعره، وتثير فيه نخوة الشرقي العاطفي، فتبعده كثيرًا عن فكرة خيانتها له، ليعود من جديد مؤنبًا لنفسه لشـكه في إخلاصها.

إن التحليلات النفسية للعرب التي اعتمدها الإسرائيليون، خَلُصَـت أنـهم أنـاس عاطفيون جداً، يضعفون أمام المرأة. أيضًا يثقون بـالآخرين بسـرعة ويتبسـطون معـهم بلا تحرز، ومن السهل اقتحامهم بإثارة مشاعرهم.

وكان لدموع ليزا وهي تحكي لروفـا معاناتـها النفسية المزيفـة، الأثـر الواضـح في ارتباطه بها، وتأثره أمام مشاعرها. فكان تأثره هذا مدعاة لأن يفقد تركيزه، وينسـاق خلف أوهام سرابية، قادته بسهولة إلى طريق السقوط.

(١) عيد البوريم: أشهر الأعياد في إسرائيل، يبدأ الاحتفال به في ١٣ مارس، وفي ١٥ مارس يصل الاحتفـال إلى ذروته، حيث الرقص وشرب الخمر طوال الليل في الشوارع، وما يصاحب ذلك من فسق ومجون بشكل علـني وفي حماية الشرطة. ويرجع هذا العيد إلى أيام السبي البابلي لليهود، حيث استطاعت إستير اليهودية إنقاذ اليهود، بحثها الملك، زوجها، على العفو عنهم.

لـن يراهـا أبـدًا .. !!

دقق عاميت النظر إلى ساعة يده، التي أشارت عقاربها إلى منتصف السابعة مساء، عندما سأله رئيس الوزراء:

- وهل وضعتم حلولاً أكيدة ..؟

أجاب عاميت :

- لم نعتمد بعد خطة نهائية لتهريب عائلته، وأثق بأننا سنتدبر الأمر بحكمة.

وعلق نائب وزير الدفاع شيمون بيريز :

- ستكون أروع عملياتك يا عاميت ..

فقال رئيس الأركان إسحاق رابين :

- بل أروع عمليات الموساد على الإطلاق ..

وبزهو أضاف عاميت :

- في آخر حوار لي معه، قال هُلمز[1]: (إنكم أناس كسالى).. ولسوف يفاجئ..

قال مردخاي هود قائد سلاح الجو:

- أخشى أن تعترضه الميج السورية فيضيع حلمنا إلى الأبد ..

صاح به رئيس الوزراء :

- ما فائدتك إذن يا مردخاي..؟ أستعلق الفشل على الآخرين..؟ أنت في هذه الحالة تعرض نفسك للتحقيق والمساءلة، والفصل النهائي من الخدمة العسكرية، فحماية الميج العراقية، حتى وهي فوق الأجواء الأردنية، ستكون مهمتك أنت وحدك..!!

تمتم مردخاي هود بكلمات مبهمة، عندما دخل مدير مكتب رئيس الوزراء، يخبره بوصول الضيف.

---

(١) كان ريتشارد هُلمز رئيس المخابرات الأمريكية C.I.A يرى أنه من الأفضل عدم توريط الولايات المتحدة في عملية اختطاف طائرة ميج ٢١ سوفييتية، تسيء إلى مركز أمريكا المنشغلة بالحرب الباردة مع الروس. كان هذا رأي سلفه جون ميكون أيضًا، الذي عمل جاهدًا على تسهيل مهمة الموساد، أثناء تواجد الطيارين العراقيين في تكساس، دون أن يزج بالمخابرات الأمريكية في العملية تحسبًا لأي خطأ، يشعل أزمة دبلوماسية تكشف وجه أمريكا القذر.

كان مكتب ليفي أشكول، عبارة عن بناية حجرية من ثلاثة طوابق، تقع بين بيوت متشابهة في كيريا، وهي المنطقة العسكرية المحصنة في تل أبيب، التي تضم هيئة الأركان العامة للجيش، والمقر القديم للموساد.

وصل روفا برفقة كاروز وليزا وأبو داود، وعند نهاية الممر المؤدي لمكتب رئيس الوزراء، اصطف ثمانية عشر جنرالاً في شرف استقباله[1]، أدوا له التحية العسكرية. ووقف ليفي أشكول يصافح الطيار العراقي ويعانقه، وأجلسه إلى جواره وهو يقول مبتسمًا :

مرحبًا بك في وطنك الثاني.. أراهن على أنك ستحب إسرائيل أكثر من أي مكان آخر[2] .

تولى رئيس الموساد بنفسه تقديم رجالات الجيش إلى روفا، بالإضافة إلى جون هادن – مدير الـ C.I.A في تل أبيب – الذي دعي لحضور اللقاء .

وبعد كلمات التعارف والترحيب، غادر الجميع المكتب إلى حجرة جانبية ملحقة، تاركين روفا وعاميت وأبو داود مع رئيس الوزراء. وقال أبو داود متوجهًا بعبارته إلى الضيف الذي كان معروقاً يرتجف :

– وعدتك سيدي النقيب في باريس أن تلتقي بالسيد رئيس الوزراء.: وها أنا ذا أبر بوعدي لك..

هتف ليفي أشكول في بشاشة :

– إنه ليوم طيب بالنسبة لي..

وملتفتًا إلى عاميت :

– إن ما وعدتموه به أمر لا يقبل المناقشة..

---

(١) يبدو أنه تقليد متبع ، فقد استقبلت بعد ذلك الجاسوسة المصرية هبة سليم بعشرة جنرالات أمام مكتب جولدا مائير، وكانت طائرتان ميراج حربيتان قد رافقتا طائرتها حتى المطار كما يحدث مع الملوك ورؤساء الدول. انظر كتابنا: (جواسيس الموساد العرب) لمعرفة المزيد عن قصة هبة سليم عامر .

(٢) عبارة دبلوماسية مهذبة ، فيها إشارة مستترة القصد منها العراق بالطبع ..!!

وهو ينظر إلى روفا :

- أعدك بشرفي..!! كن متأكدًا.. فنحن نضحي لإرضاء أصدقائنا المحبين لإسرائيل.. كن متأكدًا ونطقها هذه المرة (بالعبرية) (1): هايه نا بطواح.

- سيدي الرئيس.. إن النقيب روفا رجل شجاع ومخلص.. لقد وثق بنا وستكون ثقته في محلها.. وسيلقى منا كل رعاية.

رد ليفي أشكول على عاميت :

- نعم.. نعم.. ونحن نقدِّر له شجاعته وإخلاصه أيما تقدير .

انضم الآخرين بعد ذلك للقاء الذي استغرق نصف الساعة، وخرج روفا شاحباً مرتجفاً، وإن بدا مطمئن البال على المكافأة التي وُعد بها .

وعلى مدار خمسة أيام في إسرائيل، اجتمع به خلالها مردخاي هود قائد سلاح الجو، حيث صحبه إلى القاعدة الجوية التي سيهبط بها، وتناقشا معًا حول المسائل الفنية المتعلقة بالمر الجوي، والارتفاع فوق الأجواء الأردنية، والتردد اللاسلكي، وأسلوب التعامل – كاحتياط – مع الطيران السوري في حالة تدخله، والسرعة اللازمة لتفادي الاحتكاك والمواجهة. كذلك شرح له كيفية مباغتة زملائه الطيارين العراقيين، والهرب منهم باتجاه الأردن.

بعد ذلك طُوِّف به في أنحاء تل أبيب، حيث شاهد المسارح والملاهي والحدائق، وعلى مسافة عشرة كيلومترات – في مستعمرة بات يام – اختار بنفسه فيلا حديثة الطراز تطل على البحر، لتكون سكنًا له ولأسرته في إسرائيل، لكنه عندما زار مدينة ريشون ليتسيون – أول مستعمرة يهودية على أرض فلسطين – غير رأيه، فالفيلات البديعة ذات الأسوار والحدائق، كانت مثار دهشته وإعجابه. وعلق على ما رآه قائلاً:

---

(1) دار الحوار بالإنجليزية، وكانت التنبيهات قبل اللقاء واضحة، بألا تنطق جملة عبرية في وجود منير روفا، الذي لا يعرف منها كلمة واحدة.. وهذه لفتة مقصودة ولها مغزاها.

كنت أعتقد بأن إسرائيل أرض صحراوية جدباء .

كان حتى تلك اللحظة يطرد أية شكوك تساوره عن حقيقة ليزا، ويزداد يقينًا بأن عقله المشوش يَقْلب الحقائق، فهي بريطانية تحبه ، ومغرمة به مهما كانت الظروف. ولم يكن في صالح الإسرائيليين أن يظن غير ذلك، فانكشاف هويتها الحقيقية، سيصيبه بانتكاسة لا محالة، نتيجة الخدعة الطويلة المحبكة التي صدّقها.

لذا فقد أبقى الأمر سرًا، وتعامل الجميع مع ابنة الموساد أمامه على أنها ضيفة إنجليزية، واختاروا لها، حسب رغبته، فيلا أخرى تقع على مقربة من مسكنه، لكي تبقى إلى جواره في إسرائيل.

وفي صباح الأول من مايو، غادر (عزرا موران بارزكاي) تل أبيب، بطائرة العال الإسرائيلية إلى باريس، ترافقه حبيبة الفؤاد، التي أقسمت على أنها ستبقى معه إلى أن تحلق به طائرته إلى العراق، ثم تعود إلى إسرائيل ثانية لتنتظره .

وقبلما يغادر روفا تل أبيب، سلّم عاميت قائمة بأسماء (٢١) فردًا، هم أفراد عائلته، وعائلة زوجته، الذين سيتم تهريبهم خارج العراق يوم هربه بالطائرة الميج. وضمت القائمة والداه وأخوته الثمانية، وزوجته ولديه، وحمواه وأولادهما الستة، وسجل رسائل صوتية لهم، وكتب رسائل بخطه، يطلب منهم مرافقة حامل شريط الكاسيت أو الخطاب، دون سؤاله أو معارضته.

كذلك تم ترتيب أسلوب الاتصال به حين طلبه ذلك، بعدما يتم نقله إلى قاعدة الرشيد الجوية، وعندما يمكنه تحديد المواعيد المقترحة بفراره.

أمضى روفا يومان في باريس بصحبة عميلة الموساد، أذاقته خلالهما ما لذ وطاب من المتعة، وأكدت له في كل لحظة أن حياتها ابتدأت معه، وفي إسرائيل سينعمان معًا بالدفء، والحياة الرائعة الزاخرة بالسعادة.

وفجر الثالث من مايو ١٩٦٦ طار روفا إلى بغداد، يحدوه الأمل في العودة ثانية لأحضان حبيبته، ، حيث لن يفارقها هذه المرة إلى الأبد، أما ليزا برات، فكانت تضحك في نفسها، ذلك لأن مهمتها قد انتهت، ولن ترى روفا بعد ذلك أبدًا.. وعادت فورًا إلى تل أبيب تنتظر مهمة جديدة.. مثيرة..!!

طيارو الميراج الجبناء..!!

كانت لدى مائير عاميت خطة واحدة، لا بديل لها، لإخراج عائلة روفا من العراق، حال تأكده من إيجاد الفرصة المناسبة. والخطة تعتمد ببساطة شديدة على أذون مزورة بإحكام، بمغادرة (٢١) فردًا إلى إيران للاصطياف. وليس كما روَّج الإسرائيليون بعد ذلك، وسنتناول كل هذه الادعاءات الكاذبة في حينه .

تقدم منير روفا لقيادته بالأوراق الطبية، المزيفة من قبل الموساد، تفيد بأن صداع الرأس Head Ache الدائم هو نتيجة معاناة نفسية منشؤها القلق، مطالبًا بضرورة نقله إلى بغداد، حيث يعاني والده من عدة أمراض، ومما يستدعي ضرورة تواجده إلى القرب منه.

اقتنع الأطباء العسكريون بما جاء بالتقرير، وجاءت التأشيرة الطبية توصي بنقله، تجنبًا لإصابته. واستغرق بحث التوصية طوال شهري مايو ويونيو .

وفي ١٣ يوليو حصل على إجازة لمدة أسبوع، أعلن خلالها لأفراد أسرته وأسرة زوجته مريم، بأنه ينتظر النقل إلى قاعدة الرشيد الجوية، لظروف الصداع التي كان قد أقنعهم بها، وفي هذه الحالة سيأخذهم جميعًا، على نفقة الدولة، لقضاء عدة أيام على شاطئ بحر قزوين في إيران، مشدداً على ألا يتم إعلان ذلك تحت أية ظروف، لأنه أبلغ أسماؤهم فقط لقيادته، ولن يُسمح في هذه الحالة باصطحاب آخرين .

كان منير روفا برغم الصراعات النفسية التي كانت تؤرقه، قد آمن بأن مسألة الهرب بالطائرة مسألة حتمية، لأنها أمر واقع انتهى النقاش حوله. إذ يمكن له أن يتراجع إلا في حالة واحدة، هي الموت. وعلى ذلك فقد تأهل نفسيًا للقيام بمهمته،

وبات ينتظر في خوف وانزعاج شديدين اليوم الذي يطير فيه إلى مصيره الذى شكله بغباء حساباته وحماقته.

ذات ليلة.. أراد أن يستطلع رأي زوجته، فأظهر تبرمه من الحياة بالعراق، مبديًا رغبته في اصطحابها مع الأولاد للحياة الدائمة في باريس. ضحكت مريم قائلة إنها تتمنى ذلك، وستكون معه في أي مكان.

وعلى حين فجأة صدر في ٢٥ يوليو قرار ترقيته إلى قائد سرب، الأمر الذي شجعه على استعجال طلب نقله، وتم ذلك بالفعل في ٤ أغسطس. فذهب من فوره إلى قاعدة الرشيد الجوية، وتسلم عمله، وبدأ العد التنازلي للعملية 007 .

في ٦ أغسطس نشر إعلانًا بجريدة الثورة، عن فقد مظروف أبيض متوسط الحجم، به تقارير طبية هامة، وكان رقم التليفون به خطأ متعمد.

وفي تمام السابعة مساء دق جرس التليفون بشقته .

كانت المكالمة البريئة جدًا في ظاهرها، تحوي رسالة شفرية بالغة الأهمية، كان قد تم الاتفاق عليها مسبقًا في إسرائيل.

وكانت الترجمة الصحيحة كالتالي :

(سأطير ابتداء من يوم ١٠ إلى ٢٠ أغسطس، من قاعدة الرشيد، ما بين السابعة إلى الثامنة صباحًا، ومطلوب الإسراع بنقل العائلة خلال هذا التوقيت.) .

انقلبت الموساد إلى خلية نحل، فالرسالة التي بثها عميلهم السري في بغداد كانت مفاجأة مدوية، لذلك طُلب منه إعادة بثها مرة ثانية ففعل، وجاءت كما هي في المرة الأولى بلا أخطاء.

استدعى عاميت على الفور الجنرال مردخاي هود، قائد سلاح الجو، ونقل إليه تفاصيل الخبر العاجل، فكاد هود أن يطير فرحا، أما ليفي أشكول فقال: (لن ينسى لكم التاريخ ذلك).

اجتمع هود بكبار ضباطه ومعاونيه، وتشاوروا حول القاعدة الجوية التي سيهبط بها روفا، من حيث طلعات أسراب طائراتها الروتينية، ووقت طيران روفا، والطيارين الذين يضمهم جدول الطلعات، ومدى تماسكهم أمام ظهور الميج ٢١ أمامهم، إذ كانوا يرهبونها لكثرة الأساطير التي حيكت عنها، وكان من بين الطيارين المقرر طيرانهم الروتيني خلال ذلك التوقيت، النقيب (موشيه ران) بطل الألعاب الجوية في الاحتفالات القومية، وهو طيار محترف مندفع، مغامر لحد الجنون .

وفي إسرائيل صدرت الأوامر لعملاء الموساد في العراق، بالإسراع في نقل عائلة روفا إلى إيران، وأحيط أيضًا عملائهم في إيران بالأمر، وأجريت اتصالات مع رجال السافاك، لتسهيل خروج العائلة جوًا إلى إسرائيل.

كانت عقارب الزمن تتحرك ببطء، والأعصاب المرهقة المشدودة في غليان فوّار، وابتداء من ٨ أغسطس وطياري الميراج يقتربون كثيرًا من الأجواء الأردنية، ما بين السابعة والثامنة صباحًا، دون أن يعرفوا سببًا لذلك.

ومساء اليوم التالي أقام مردخاي هود إقامة كاملة في قاعدة حاتسريم الجوية، واستيقظ صباح يوم ١٠ أغسطس مبكرًا، واجتمع بالطيارين وقال لهم:

(هناك طائرة ميج ٢١ تحمل الشارات العراقية.. ستقترب من أجوائنا عبر الأردن.. إنها طائرة مسالمة لا تصيبوها بأذى.. نحن نريدها سليمة.. ولسوف يتبعكم قائدها بلطف إلى هنا.. أكرر: إياكم والحماقة.. لا أريد تهورًا من أحدكم.. ولا تنزعجوا من العلم العراقي على دفّتها.. أو الصواريخ أسفل جناحيها.)

وما إن أقلع سرب الميراج إلى السماء، حتى انطلق صوت هود في اللاسلكي:

(أنا قائدكم مردخاي هود.. أعرف أنكم تحفظون صوتي جيدًا.. لا أريد منكم تصرفًا صبيانيًا.. أريدكم عقلاء كما أتوسم فيكم.. كونوا هادئين بلا انفعال..)

وتكرر هذا النداء صباح اليوم التالي.. والذي يليه.. و..

الحصار في طهران..!!

كانت السيارة الجيب العسكرية تذهب غالبًا في الصباح الباكر إلى منزل روفا، وتعيده مرة أخرى عند العصر. وفي ١١ أغسطس أخبر أهله وأهل زوجته، بالاستعداد للسفر إلى إيران فجر ١٣ أغسطس(١)، حيث سيتحركون بالباص مع أحد زملائه، بينما يطير هو إلى طهران برفقة قائد عراقي كبير، ليمكث معهم عدة أيام على الشاطئ.

وفي ١٢ أغسطس وَدّعَ روفا أهله، بدعوى أنه في مهمة سرية، ولن يراهم إلا في إيران بعد أيام، وأوصاهم جميعًا بمرافقة زميله، وتنفيذ ما يطلبه منهم لأجل سلامتهم وأمنهم. وحمل حقيبته الصغيرة متجهًا إلى قاعدة الرشيد، بنية الابتعاد عن أفراد أسرته حتى يطمئن على سفرهم أولاً، ومن ثم يطير من بعدهم إلى إسرائيل.

لقد زُوِّدَ كقائد سرب بوقود يكفيه لمسافة ألف كيلومتر، وتبلغ المسافة بين قاعدتي الرشيد وحاتسريم نحو تسعمائة كيلومتر، معنى ذلك أن الطائرات السورية لو تصادف وطاردته، فوقوده سوف ينفذ في الجو لا محالة.

لذلك.. كان المطلوب لإنجاح خطة هروبه الارتفاع الشديد أثناء الطيران لتقليل استهلاك الوقود، والإفلات السهل من السوريين وصواريخهم الأرضية. أما الأردنيون فقد كانت دفاعاتهم الجوية متواضعة، إضافة إلى خلو سلاحهم الجوي من الميج ٢١.

وصباح الثالث عشر من أغسطس، توقف الباص أمام منزل روفا، وركبت مريم وولديها، واتجه بهم الباص إلى المستنصرية حيث منزل والديه وأخوته، فركبوا جميعًا، وعند منزل أهلها في الأعظمية اكتشفت وقوع حادث لوالدها، إذ انزلقت قدمه على الدرج فالتوت وتورمت، ووافق أربعة فقط من أخوتها - شاب وصبي وفتاتين - على السفر معها.

---

(١) كان قد حدث اتصال ثان من عميل الموساد في بغداد ، وكان هذا التوقيت نتيجة للاتفاق بينهما .

سويعات قليلة وعبر الباص البوابة العراقية بالأذون المزيفة، بداخله سبعة عشر فردًا من أهل روفا، إضافة إلى قائد الرحلة، الذي كان في حقيقة الأمر أحد عملاء الموساد في العراق.

عاد روفا إلى شقته وعرف بما حدث لوالد زوجته، فغضب كثيرًا ، وفي السابعة مساء دق جرس التليفون من جديد، وجرت مكالمة شفرية هامة. مفادها أنه سيطير بطائرته صباح ١٦ أغسطس، إلى إسرائيل .

أخذت مريم وبقية أفراد الأسرة لأحد فنادق طهران. تعجبت من أمر ذلك التغير الذي طرأ عل الرحلة ، فقد كان المخطط الذهاب إلى شواطئ بحر قزوين لا إلى العاصمة. وأمام تساؤلاتهم الملحة، لم يكن المرافق يجيب سوى برسالة روفا إلى زوجته، التي يطلب فيها أن تطيع الرجل ولا تكثر من الأسئلة .

أمر هذه الرسالة ذات الأوامر ألقى في روع مريم بشعور غامض، يقترب بها من حافة الشكوك والريب. وضاعف من قلقها تلك الوجوه الحذرة التي تحيط بهم داخل الفندق، حتى وأثناء تجوالهم في الحدائق والأسواق.

مثلها .. لاحظ بقية أفراد الأسرة – إخوة منير وأخوتها –تلك التصرفات أيضًا، وتحدثوا فيما بينهم، حتى إذا ما أنهكهم تفسير ما يحدث، انكبوا يسألونها، ويستفسرون عن سبب بقائهم في طهران، فكانت تجيبهم بمرارة: اسألوا منير عندما يجيء .

وفي ١٥ أغسطس كان منير قد استُنْزف عصبيًا، وأخذ يأتي بتصرفات لا إرادية غريبة، فتارة يضحك عاليًا ويقهقه، وتارة أخرى يتجهم لوقت طويل ملتزمًا الصمت. وشوهد أخيرًا يحادث نفسه مصدرًا أصواتًا هوائية مبهمة، مفضلاً الانعزال بعيدًا عن زملائه. وعند المساء أغلق عليه باب حجرته مبكرًا، وقضى ردحًا من الزمن في سهوم وتفكير .

بعد ذلك قام إلى دولابه وأخرج أوراقًا وقلمًا، وانشغل بكتابـة رسـائل لأصدقائه، لكنه تخوف من أن يؤدي ذلك إلى حرمانهم من الطيران، فمزق أوراقه وحرقها، وانفرد بهَمّه في الشرفة لقرب منتصف الليل، ثم أوى إلى فراشه مُوهمًا نفسه بسعادة كاذبة، لقرب لقاءه مع ليزا، لكن تفكيره في حياته الجديدة بإسرائيل ، كان يشغله في الحقيقة بالقدر نفسه .

نام ليلته الأخيرة في العراق نومًا متقطعًا، مضطربًا، تخللته أحلام منغصة عن انكشاف أمره ، وهبَّ مذعوراً عند إعدامه بالرصاص في الحلم .

ومع انبعاث صوت آذان الفجر من مسجد القاعدة الجوية القريب، قفز من فراشه كالملسوع، وارتدى على عجل ملابسه الرياضية، وأسرع بالخروج..!!

كنز يبكي على الممر..!!

كان يوم ١٦ أغسطس ١٩٦٦ ، أكثر الأيام حزنًا في تاريخ العرب، وأشده وطأة على النفوس، قبيل نكسة يونيو ١٩٦٧ بأقل من عام .

ففي فجر ذلك اليوم الحزين، استيقظ منير روفا عند الفجر، مصابًا بدوار اللامبالاة . أخذ يعدو بملابسه الرياضية لنصف الساعة، ثم شرب كوبًا من اللبن، وتوجه إلى غرفة الملابس فساعده الجندي المنوط على ارتداء بزّة الطيران، وأقلته الجيب إلى حيث تقف طائرته الميج ٢١ في شموخ، وهُيِّئ له للمرة الأولى منذ طار بها، أن جناحاها المستقيمان المثلثان قد انضما إلى جسمها، كأنما تُعَبِّرُ عن مدى الخوف والرفض له .

انزلق داخل الكابينة الفقاعية، وألقى نظرة متلهفة على مبين الوقود، فتهلل وجهه، فالطائرة زودت بوقود يكاد يمكنه من الوصول إلى إسرائيل، ورفع يده محييًا الضابط الفني ومساعديه، وأخذ إذن الإقلاع.

انطلقت الطائرة الجبارة إلى السماء في سرعة البرق ، كانت الساعة وقتئذ تشير تقريباً إلى الثامنة إلا ربعًا، ومن زجاج الكابينة الشفاف لمح زميله يطير إلى جواره.

ألقى نظرة أخيرة على المطار، فرأى بيوت بغداد من بعيد، يلفها الضباب ويسربلها حزن خفي دفين.

وعندما ارتفعت الطائرة لمسافة ٨٠٠٠ قدم، انحرف منير روفا بطائرته ناحية الغرب، منطلقًا بأقصى سرعته، مستخدمًا المحركات الصاروخية المساعدة للارتفاع والانطلاق، فابتعد كثيرًا عن زميله في الطائرة الأخرى، وتجاهل نداءاته عبر اللاسلكي، منشغلاً بضبط التردد الذي يمكنه من الاتصال بالإسرائيليين، لكنه فشل في ذلك، فأغلق اللاسلكي مواصلاً اندفاعه باتجاه الأردن.

إن ما كان يخشاه لحظتئذ هو الطيران السوري، فالسوريون يمتلكون الميج ٢١ أيضًا، وعند محاولة اعتراضه كان بنيته المبادأة، وتحقيق المفاجأة في الهجوم، مستعينًا بالمدى التكتيكي الذي في صالحه، لتوجيه ضرباته، وفتح ثغرة يخترقها باتجاه إسرائيل.

هكذا ظل روفا متحفزًا لضرب أية طائرة سورية تعترضه، منتبهًا لشاشة رادار الذيل حيث المخروط الخلفي، الذي يكشف المقاتلات المهاجمة من ورائه.

لقد كان يعرف الكثير عن كفاءة الطيارين السوريين، وأساليب تدريباتهم ومهاراتهم، ولكي يفلت من شباكهم كان من الضروري أن يختار أنسب اتجاه هجومي، واضعًا في حسبانه ظروف الرؤية وخواص التسليح، وَوَضْع طائرته على قوس التنشين مع إطلاق النيران في ذات الوقت، وبكثافة تضمن له الغلبة.

لكنه مع دراسته لكل الظروف والاحتمالات، واستعداده المهاري للمناورة والاشتباك، واصل طيرانه بالسرعة القصوى على ارتفاع كبير، إلى أن اخترق المجال الأردني، واكتشفت رادارات دفاعه الجوي تسلل الطائرة عبر الأجواء الشمالية، لكن ارتفاعه الكبير حال دون إصابته بصواريخ الأرض / جو، أو بصواريخ الطيران الأردني المتواضع، الذي فشل في مطاردته.

أما الطيار العراقي الآخر، زميل روفا، فقد طارد طائرة روفا لبعض الوقت، ولكن الطيار الهارب تمكن من الإفلات من مطاردته بدخوله المجال الأردني، وعندها رجع زميله إلى قاعدته الجوية، لا يجد تعليلاً لما حدث.

وعلى الجانب الإسرائيلي، كان مردخاي هود قائد سلاح الجو، ما يزال مرابضًا بقاعدة حاتسريم الجوية، عندما أبلغ باقتراب الميج ٢١، وكان سربًا من طائرات الميراج الإسرائيلية بانتظارها في الجو. عندها أخذ هود يصيح باللاسلكي في رجاله، وللمرة المائة :

(إياكم وأن تمسُّوها بسوء.. أو تلعبوا دور البطولة.. نحن نريد هذه التحفة يا رفاق.. كل إسرائيل تريدها.. إن طيار الميج سيتبعكم بلطف.. إنه صديق لنا في مهمة مُرَتَّبة.. لا تنزعجوا من الشارة العراقية على الطائرة.. أنا قائدكم هود وأنتم تعرفون صوتي.. و.. و..)

اقترب منير روفا من الطائرات الميراج، وخَفَّف قليلاً من سرعته، مترنحًا بطائرته ذات اليمين وذات الشمال، مدللاً على نواياه السلمية ورغبته في الهبوط، مشيرًا في ذات الوقت بإبهامه لأسفل[1]، فتبادل معه طيارو الميراج الإشارات لكي يتبعهم.

وبكامل تسليحها من صواريخ K-13 ومدافع، في الثامنة وتسع دقائق تقريبًا، انزلقت الميج ٢١ العراقية فى خفة على الممر، فشهق الإسرائيليون لبديع رشاقتها الانسيابية، وانطلقت في إثرها العشرات من سيارات الجيب والإطفاء، إلى أن توقفت تمامًا، وهي تسحب آخر نقاط الوقود من خزاناتها. رفع روفا غطاء كابينته، وأدام النظر إلى الحشد الواقف من حوله، ثم أرخى أحزمته وقفز إلى الأرض.

صافحه مردخاي هود مشدوهًا ثم جذبه إلى صدره معانقًا، هكذا فعل أيضًا كبار ضباطه، يملؤهم جميعًا الزهو والذهول والدهشة، أمام التحفة الفنية الثمينة، وجرأة الطيار العراقي وجسارته .

---

(١) علامة دولية من علامات الطيران، القصد بها الرغبة في الهبوط.

أخذ روفا في الحال إلى أحد المباني بالقاعدة الجوية، بينما أحيطت الطائرة، التي كانت تبكي على المر، بجُدَيْلة حمراء ذات قواعد نحاسية، لامعة ، وطابور من الحرس العسكري، في انتظار عاميت وكبار العسكريين في الدولة.

كان روفا شاحب الوجه وقد امتُقِعَ لونه، وبدت رجفة فشل في كبحها تنتاب أطرافه. سأل عن أسرته فأجابه هود بأن عاميت يطير الآن لاستقباله، فهو الذي يعرف الإجابة. كانت المسافة طويلة جدًا على رئيس الموساد، ٨٥ كيلومترًا، ما بين تل أبيب وحاتسريم، فقد كان شوقه لرؤية الطائرة ، التي ستُخَلِّد اسمه، لا يوصف. وانشغل في الهليوكبتر مع كاروز وبقية مساعديه، في مناقشة الترتيبات القادمة .

تنفس هود الصعداء عندما حطت طائرة عاميت، وتوالى من بعده وصول جنرالات مجتمع المخابرات : أهارون ياريف رئيس الاستخبارات العسكرية ، أمان، يوسف هارملين رئيس شين بيت، إبراهام أهيتوف رئيس الشئون العربية في الشين بيت، ومساعده النشط يهودا أربيل، وأيسير هاريل رئيس الموساد السابق.

من بعدهم توافد وصول جنرالات الجيش، موشى ديان، وعيزرا وايزمان قائد سلاح الجو الأسبق، الذي قال عنه الجاسوس المصري جان ليون توماس في اعترافاته، بأنه كان لحوحًا في طلب تجنيد طيار مصري، يقبل الهرب بالميج إلى إسرائيل.

وبوصول عاميت وأبو داود اطمئن روفا قليلاً، عندما أُخبر بأن عائلته ستصل مساء على طائرة خاصة من إيران .

دعى الملحقون العسكريون في جميع السفارات بتل أبيب لمشاهدة الطائرة عند منتصف النهار، ودعى أيضا الصحفيون والمراسلون الأجانب، لحضور مؤتمر صحفي مع الطيار العراقي في بئر سبع.

وفي بغداد.. حل الصمت.. ولم يصدر عنها بيان رسمي، أو تصريح عسكري بشأن هروب الطائرة.. فقد كانت المأساة مروعة.. مريرة[1].. !!

نهاية المدفون حيًا.. !!

عندما تأكد لرجال الموساد في إيران وصول روفا إلى إسرائيل، أعلنوا الخبر لزوجته ووالديه، وأخبروهم بأن طائرة إسرائيلية في الطريق إلى طهران جاءت لتقلهم إلى تل أبيب. صرخت مريم غير مصدقة، وصرخ أخوة روفا وأخوتها، بينما وجم أبواه في البداية ثم انهارا في بكاء أليم.

وفي حين أصَرَّت مريم أن تحادث روفا تليفونيًا، تمسك أخوتها الأربعة بالعودة إلى العراق، بالرغم من محاولات تخويفهم من قسوة ما سيلقونه من تعذيب في بغداد، على أيدي المخابرات العراقية .

وأمام إصرار مريم لم يكن هناك بد من إتمام ذلك، ومن مقر الموساد في بئر سبع حدث الاتصال بإيران:

- منير.. ماذا حدث..؟

(كانت تبكي في صراخ) .

روفا (وقد تهدج صوته) :

- أنا في إسرائيل يا مريم.. تعالِ.. تعالوا كلكم لأن العراقيين سيقتلونكم.. ويمثلوا بأولادنا يا مريم.. و ..

مريم (كان صراخ ولديها وجميع من حولها مسموعًا) :

- ماذا فعلت في العراق ..؟

---

(1) في يناير ١٩٧٢ ، هرب طيار عراقي أيضا ، بطائرته (الميج ٢١) إلى إيران ، وهو : (النقيب فرقد عبدالوهاب محمد الطبحي الرحماني) ، طالبا حق اللجوء السياسي إلى أمريكا . استعاد العراق الطائرة بدون الطيار الذي تردد بأن أمريكا وافقت على طلبه . وفي ١٠ أكتوبر ١٩٨٩ هرب لإسرائيل خائن عربي آخر ، وهو الرائد طيار محمد عادل بسام السوري الجنسية ، بطائرته الميج ٢٣ الأخطر والأشرس والأقوى بدعوى الرغبة في العيش ببلد ديمقراطي ، وصرح السوريون بأن بسام قد تم تجنيده في سوريا قبل أربع سنوات من هروبه ..!!

روفا (وقد أوشك على الانهيار) :

– لا تضيعون الوقت.. لقد هربت بالطائرة ولن تستطيعوا العودة..

مريم (صرخت في هلع وقد تأكد لديها الأمر) :

– هربت بالطائرة..؟ أيها المخبول ضَيَّعْتَنَا.. ضَيَّعْتَنَا..

(صراخ هستيري من الجميع) .

انتهت المكالمة بانهيار الطيار الهارب، وأوشك عاميت أن يأمر باستدعاء ليزا على وجه السرعة، بيد أنه تريث في اللحظة الأخيرة حتى لا يبدو كاذبًا، إذ سبق وأخبر روفا بأنها في زيارة لأختها المريضة في أستراليا. وجاهد أبو داود باستماتة لكي يعيد روفا إلى هدوئه، منفردًا به وحده.

وبحديثه التمثيلي المؤثر استطاع السيطرة على الشاب المذعور، بل وأقنعه بمواجهة كاميرات الصحفيين وأسئلتهم، لكي يبدو ثابتًا وبأعصاب سليمة، أمام العراقيين .

عمت البهجة جهاز المخابرات المركزية C.I.A ، وأقلعت من نيويورك طائرة تقل ٥٠ خبيرًا في هندسة الطيران، لفحص الطائرة الميج ٢١ في إسرائيل. تزامن ذلك مع وصول الملحقين العسكريين إلى قاعدة حاتسريم، ووقف الملحق العسكري الفرنسي– الكولونيل كاترو– في حالة هي أشبه بالذهول الكامل، وكل ما تفوه به هو أنه قال: مدهش .. إنها ممشوقة القوام Elle a la taille svelte .

وبرقت أسارير الملحق العسكري الأمريكي وهو يتحسس الطائرة :

أنا أول أمريكي يلمس هذه الجوهرة[1].

---

(١) بعد أيام قليلة من الاستيلاء على الميج ٢١، أخضعت إسرائيل والولايات المتحدة الطائرة للفحص وكشف أسرارها. وفي الحقيقة كانت الطائرة من طراز معدل أدخلت عليه بعض الإضافات، واستطاع الأمريكان فهمها وتبين نقاط قوتها، وتحسين أداء طائراتهم الفانتوم وسكاي هوك، مستفيدين من العقلية السوفييتية في تطوير صناعة طائراتهم إلى حد كبير.. وعندما قامت حرب ١٩٦٧ كانت الطائرات الأمريكية التي لدى إسرائيل، مزودة بإمكانات هائلة حديثة مكنتها من التفوق الجوي، والاشتباك الجوي مع الطيران العربي دون خوف من مواجهته.

أما الميجر تومبسون الملحق العسكري الإنجليزي، فقد وقف يتأملها مصعوقًا.. وأخذ يتمتم بكلمات غير مفهومة .

وفي القاعة المعدة للمؤتمر الصحفي الحافل ، كان التزاحم شديدًا لصحفيين ومراسلين من كل أنحاء الدنيا، وطاقم التليفزيون الإسرائيلي من فنيين ومذيعين، وجنرالات الجيش ببزّاتهم ذات الشارات اللامعة، وقد رسموا ابتسامات الزهو فغلفت وجوههم، مستسلمين للأسئلة التي انهالت عليهم كالمطر :

كيف حصلتم على الطائرة ..؟

هل جاء بها الطيار هارباً من تلقاء نفسه أم بعملية مخابراتية ..؟

هل جاءت الطائرة بأسلحتها أم كانت خالية من السلاح..؟

هل اختطفتها طائراتكم وأجبرتها على الهبوط بإسرائيل..؟

ما عمر الطيار تقريبًا..؟

و.. .. ..

و.. .. ..

بطبيعة الحال، لم يكن مصرحًا لهم بالإجابة عن أية أسئلة، ففي الكواليس الإسرائيلية تطبخ المسائل بما يخدم أغراضها. لذلك بقيت عقول الحضور بالقاعة تلهث بحثًا عن إجابات، إلى أن دخل منير روفا محاطًا بعشرات الضباط العسكريين، فومضت مئات الفلاشات المتحفزة، وسلطت الكشافات المبهرة بقوة، وارتبك الطيار العراقي الذي تم تلقينه الإجابات بالداخل، وانصبت عليه فيضانات الأسئلة، فازداد ارتباكه وارتجف فكه السفلي هذه المرة بوضوح شديد، أما أطرافه فلم يعد بإمكانه الإحساس بها، ولمحه عاميت المستتر بعيدًا لا يراه أحد، فأمر بسحبه إلى الداخل في الحال.

ولما فشل في إعادته مرة ثانية إلى القاعة، بسبب التدهور الحاد الذي أصاب تماسكه، وبكائه المتصل وهياج ردود أفعاله، كان هناك حل آخر بُدء في تنفيذه على الفور .

دخل القاعة الناطق الرسمي بلسان الجيش الإسرائيلي، سهيل بن زفي، وكان يمسك بورقة بيضاء، ادعى بأنها رسالة بعث بها منير روفا إلى إسرائيل، عندما كان بباريس في أبريل الماضي، يبلغهم فيها برغبته في اللجوء إلى إسرائيل، هربًا من الاضطهاد الذي يعامل به المسيحيون في العراق، وبسبب التمييز المذهبي ضد أكراد الشمال، وأخذ يقرأ بضع فقرات من الرسالة .

هكذا فكر ونفذ عاميت، لتشويه وجه الحكم في الدول العربية، وإظهار الأقليات بها بصورة مغايرة للحقيقة، وللتأكيد أمام وسائل الإعلام العالمية، أن الطيار الهارب من جحيم العراق، ما فر بطائرته إلى إسرائيل إلا لثقته في ديمقراطيتها.

وبواسطة طائرة هليوكبتر، أخذ منير روفا إلى الفيلا التي اختارها لنفسه في ريشون لتسيون[1]، ووصلت من طهران الطائرة التي أقلت أهله، بينما تسلمت السفارة العراقية أخوة مريم الأربعة، وأعادتهم على كفالتها إلى بغداد.

كان العراقيون يعرفون أن لا ذنب لكل من يمت للطيار الخائن بصلة قرابة أو صداقة. وأدركوا بعد فوات الأوان أن روفا تم تجنيده أثناء رحلة باريس، وأن يوسف منشو، الذي هرب بجلده إلى إسرائيل بعدما اقترض أموالاً كثيرة من العراقيين ، كان اليهودي القذر الذي ساعد على خيانته.

وفي إسرائيل كانت المواجهة عصيبة بين روفا وزوجته وبقية أسرته، فالمأزق الذي وضعوا فيه كان أكبر من مدى استيعابهم، وأحس غالبيتهم بمدى غبائهم، حينما وافقوا على السفر إليه في إسرائيل. وكانت أمه أشد الرافضات لغدره ومن بعدها أختيه، أما أبوه فكان على قناعة بأنها (ضربة حظ) سترفع كثيرًا من شأنهم . فالمليون دولار، مبلغ خيالي أدار عقله ، وسلبه نعمة التفريق بين الحلال والضلال، وبين الإثراء والخيانة. كان أيضاً كثير الثناء على ابنه الخائن وتصرفه (السليم) في مواجهة الفقر، وتأمين مستقبل مضمون للجميع.

---

(١) ريشون لتسيون Rishon Le Ziyyon (الصهيونيون الأوائل): مستعمرة يهودية أقيمت في فلسطين عام ١٨٨٢ .

مريم هي التي بوغتت، فمع مكالمة منير الهاتفية فقدت الوعي ونقلت إلى عيادة مجاورة للفندق، وبقيت على حالها لساعات وما أفاقت إلا وهي بالطائرة الإسرائيلية، تطير غصبًا عنها لإسرائيل. ومن حولها كان ولداها وشقيقات زوجها وأمهم ينتحبون، ويجهشون بالبكاء طوال رحلة الطيران.

ولخوفهم مما كان سيجرى لهم ببغداد ، حسبما أبلغوا، وأمام الأمر الواقع، خضعن، وبحلوقهن غَصَّة مشبعة بالوجيعة، وبقلوبهن وخز كالإبر.

تسلم روفا شيكًا على بنك هاتسوفيه الإسرائيلي بمليون دولار، وبعدما طال بحثه عن المعشوقة ليزا دون جدوى، أيقن إحكام الفخ الذي نصب له، وأن ليزا كانت مجرد طعم ابتلعه. لكن لا فائدة من الندم والتباكي، فقد خسر وطنه وترابه وأهله بعدما خسر نفسه، وما كسب سوى الندم والحسرة والمذلة ، واحتقار الآخرين له في إسرائيل، إذ بات منبوذًا بينهم كالكلب الأجرب يُخشى الاقتراب منه أو معاملته.

تقبل الطيار الخائن ظروفه الجديدة وواقعه، واندمج شيئًا فشيئًا داخل نسيج المجتمع اليهودي، رافضًا استلام جواز سفر إسرائيلي باسم جديد، كذلك فعلت بقية أسرته، حيث كان الخوف، وما يزال، يسيطر على عقله، وقال لهم في يأس: (لست بحاجة إلى جواز سفر.. لأنني دفنت نفسي ها هنا حيًا.. إلى الأبد..).

هكذا عاش الخائن مرعوبًا بين أعداء وطنه وأمته، لا يحس بالأمن ليلاً أو نهارًا، ويرى الاحتقار باديا على وجوه من يعرفونه أو يحيطون به، لا يلقى منهم أي احترام أو تقدير. فقد كانوا جميعاً يعرفون بأنه إنسان غادر.. جبان.. خائن.. باع وطنه بثمن بخس، وأن من باع وطنه فلا أمان له .

كيف إذن يعيش الخونة العرب في إسرائيل[1] ..؟ وكيف يُعَامَلون..؟ وهل يثقون بهم هناك ..؟

---

(١) تفاصيل حياة الجاسوسة الأردنية (أمينة المفتي) في إسرائيل جاءت بكتابنا: (أمينة المفتي.. أشهر جاسوسة عربية للموساد). وبالكتاب أيضًا قصة لقائها بالطيار منير روفا ووصف لحياته في إسرائيل. أما الجاسوسة انشراح موسى وأولادها الثلاثة، ففي كتابنا أيضًا (انشراح موسى .. أعدمها السادات فأعتقها بيجين) ، سرد مطول لحياة الجوع والفقر والتجاهل، التي يلقونها في إسرائيل، وصراخاتهم على صفحات الجرائد الإسرائيلية التي تفضح الموساد ، وتصف بدقة كيفية معاملة الخونة العرب الذين يلجأون لإسرائيل .

التوصيف النفسي لحادثة الهروب هذه ، هو ذات التوصيف الـذي رآه المحللـون العسكريون والنفسيون في حادثة هروب الطيـار السوري محمد عـادل بسـام (القصـة التالية في هذا الجـزء مـن الكتـاب).. حيـث رأوا أن الحـادث كـان اختطـاف مدبـر للطائرة وليس هروبا بالمعنى الصحيح المعروف .

فالضغوط النفسية التي وقع تحتها منير روفا، كانت أكبر من أن يتحملها عقلـه، وفقد بالتالي نقاء تركيزه نتيجة الخوف والهلـع من التهديـد الموشّى ، ومـن عقـاب السلطات العراقية له ولأسرته، بل إنهم شبهوا حالة منير روفا وزميله السوري محمد بسام، بأنهما تعرضا لحالة سطو مُخَيَّة منظمة، أفقدتهما حريـة التفكـير والتصـرف، فانقادا بلا وعي وقد أخذتهما المفاجأة إلى حيث خطط لهما .

وقال المحلل النفسي الفرنسي (كلود توربيه) :

– إن الإنسان عندما يعترضه مجرم آثم شاهرا السلاح في وجهه، يُخرج بلا تفكير كل ما بجيوبه مـن مـال إنقـاذا لحياتـه مـن الخطـر، وهـو النمـوذج المـاثل في حالـة الطيارين العراقي والسوري اللذين وقعا ضحية ابتزاز وسطو منظمين، وباتـا يتصرفـان تبعًا لما بُرمجا عليه دون تدخل من إدراكهما العقلي المسلوب قهرًا.

أما (روبرت . س . هولان) ، المحلل الأمني والاستراتيجي، فقد عَلّق على عملية هروب منير روفا قائلاً : (إنها عملية هروب قسرية تقترب من حالة الخطف) .



خطف الطائرة (ميج ٢٣) السورية.!!

(لعلها كانت تكرارًا لعملية الاختطاف السابقة لطائرة الميج ٢١ العراقية.. للحصول على أسرار قوة الطائرة الحربية السوفييتية الجبارة..

لكن الفارق بين الحالتين كان كبيرًا وشاسعًا.. من حيث نوع الطائرة وتسليحها، والتقدم المذهل في تكنولوجيا تصنيع الطائرات، إضافة إلى إختلافات الظروف السياسية والعسكرية في المنطقة..!!)

في الحادي عشر من أكتوبر ١٩٨٩ .. وبينما العرب يحتفلون بالذكرى السادسة عشرة لنصر أكتوبر العظيم.. أذاع راديو وتليفزيون إسرائيل خبرًا أشبه بالصاعقة.. بدل طبول الفرح بمارش عسكري حزين.. يدمي القلوب.. ويجري المدامع. إذ هرب إلى إسرائيل طيار سوري بطائرته المقاتلة ميج ٢٣ – FOXBAD – أشرس وأسرع طائرة على وجه الأرض وقتذاك، وحط بها في أحد المطارات شمالي إسرائيل، ليفتح بذلك صفحة جديدة من صفحات التاريخ الأسود للخيانة والخسة.. خاصة وقبل أيام قليلة، كانت إسرائيل قد احتفلت بالذكرى الـ ٢٣ لهروب الطيار العراقي – المسيحي – منير روفا بطائرته ميج ٢١ إلى أراضيها.

خيم الحزن على سماء المنطقة العربية.. وفي اقتضاب شديد، نشرت الخبر في سطور قليلة مبتورة بعض الصحف العربية دون تعليق ، حتى أنها لم تشر إلى اسم الطيار الهارب. إسرائيل أيضًا لم تفرد مساحات كبيرة مفصلة على صفحاتها ، توضح دوافع هروب أو اختطاف الرائد طيار محمد عادل بسام بطائرته المتطورة.. مكتفية بالحملة الصحفية العنيفة ضد قوات دفاعها الجوي ، واتهامها بالتقاعس عن أداء واجبها.. وفشلها في اكتشاف الطائرة المعادية (المتسللة).. بينما أعلن قائد الدفاع الجوي أن النقطة المقتربة بسرعة على شاشة الرادار قد أسيئ تفسيرها.

كان هذا الرد العسكرى الإسرائيلي المكذوب ، بمثابة اعتراف رسمي بوجود إخفاق فني من قبل الدفاعات الجوية الإسرائيلية. وتساءلت الصحف وقتها : ماذا يقول هذا المعتوه؟ معنى هذا أن هناك ثغرة قاتلة في الدفاعات الجوية.. قد تؤدي إلى كارثة محققة ؟

عالم غامض

هذا الحادث لم يمر مرور الكرام على الخبراء العسكريين والمحللين الاستراتيجيين في إسرائيل.. وعندما بدأ بعضهم يلوح بأن المخابرات الإسرائيلية ، كانت وراء اختطاف الطيار السوري وطائرته ، وأن الأسرار الحقيقية لم تكشف بعد.

أغلق الملف الساخن . ومُنعت الصحف الإسرائيلية من الكتابة والتعليق على هذا الحادث المثير.

لكن سوريا خرجت عن صمتها.. عندما أعلن رسميًا في دمشق أن بسام كان جاسوسًا للموساد منذ أربع سنوات. وأنهم كانوا على وشك الحصول على دليل مادي يدينه، إلا أنه تصرف سريعًا وسرق الطائرة النفاثة وهرب، بعدما أيقن قرب انكشافه وسقوطه.

أضاف المسئول السوري أيضًا ، أن إسرائيل قد تصرفت ، وبشكل تمثيلي مكشوف ، كما لو أنها فوجئت باقتحام الطائرة لأجوائها، وأثارت حملة إعلامية وهمية ضد الدفاعات الأرضية المضادة للطائرات، اتهمتها بالعجز ، وعدم قدرتها على صد طائرة معادية ، فى حين تدعى إسرائيل أن باستطاعتها ملاحظة حركة الطيران الحربى السوري في أي بقعة ، حتى قبلما ترتفع الطائرة عن أرض المطار..؟

أما الطيار السوري المنشق الذى لم يظهر علانية في البداية أمام الكاميرات، وجاء صوته من خلف ستار، فقد أعلن في مؤتمر صحفي قصير عقدته المخابرات الإسرائيلية، أنه خاطر بحياته، حيث توقع إسقاطه بواسطة زملائه السوريين، عندما انحرف بأقصى سرعة باتجاه إسرائيل. لكن المفاجأة أدهشتهم فتوقفت عقولهم عن التفكير.. ولم يلاحقوه بطائراتهم طويلاً عندما اقتربت نقطة النهاية والخطر.. وكان عليهم أن ينحرفوا عكسيًا بأسرع وقت.. والعودة إلى قاعدتهم بدونه.

وأضاف الطيار بصوت مرتعش ينم عن اضطرابه، بأنه لم يُختطف أو يتم تجنيده مقابل صفقة، وإنما تصرف بمحض إرادته، لأنه كان يحلم بأن يعيش بقية عمره في بلد (ديمقراطي)، حيث يستطيع الناس أن يعبروا عن وجهات نظرهم بحرية.

هـكذا يقـول الخـونة

وعندما سأله أحد الصحفيين:

– لماذا لم تفر إلى تركيا أو إلى قبرص بدلاً من المخاطرة بحياتك عندما اقتحمت الأجواء الإسرائيلية؟

تلعثم الخائن وأجاب قائلاً:

– (فكرت كثيرًا في الهرب إلى الجزء اليوناني في قبرص وتراجعت في اللحظات الأخيرة . فقبرص لن تستطيع حمايتي.. ويكفي ما تعانيه من مشاكل مع القبارصة الأتراك. ثم إن سوريا تدعمها سياسيًا في الساحات الدولية، وقد تسلمني لسوريا مجاملة لها. وأما تركيا.. فقد كان من المستحيل أن أهرب إليها.. حتى لا تتم مبادلتي في صفقة ثمينة مع سوريا التي ترتبط مع تركيا بعلاقات وثيقة جدا، وسأكون بلا شك أحد ضحاياها إثباتًا لحسن الجيرة ومتانة العلاقات بين البلدين. وربما أكون أنا ثمن سكوت السوريين عن المطالبة بلواء الأسكندرونة الخاضع لتركيا.).

وأكمل مضيفاً : (إن الحياة في سوريا هم ثقيل.. وجحيم لا يطاق، فطائفة (النصيرية) وعلى رأسها حافظ الأسد وأخوه رفعت، تحكمت وتسلطت على الحكم بصورة لم تعرفها سوريا منذ عهد الاستقلال .

إن حافظ الأسد يحكم بالإعدام على كل من يحمل مسدسًا في سوريا[1] .. ويسحل كل من يقول لا.. ويحكم الشعب بالقهر والإذلال.. فالهوس بالسلطة الذي استولى على رأسه جعله يفحش في القبض والاعتقالات. فمعتقلاته تعج بالمهندسين، والأطباء، والمحامين، والقضاة، والأدباء، والضباط، وأساتذة الجامعات وطلابها، ولم يرحم حتى طلبة المدارس الثانوية. ففي أعقاب أحداث مدرسة المدفعية في حلب التي

(١) الرغبة الإسرائيلية في تشويه وجه الحكم في سوريا واضحة جداً، وكانت فرصة ثمينة لا تعوض عندما لُقّن الطيار الخائن بما يُراد ليلقيه بلسانه زيادة في المصداقية. إنها سياسة إسرائيلية مكشوفة وأسلوب يتكرر معروف..!!

وقعت في حزيران (يونيو) ١٩٧٩ ، دك البيوت على أهلها، ونصب المشانق للأبرياء، وترك في كل بيت مأساة ودموعًا.) .

دموع الحية.. حقيقة ؟

واستمر الطيار الكاذب الهارب ، الذى كان يقرأ من أوراق أعدت له ، يعدد مساوئ النظام السوري، ويتلو أسماء تسعة من القتلى يقطنون بناية واحدة في منطقة باب أنطاكية في حلب، هدموها على سكانها في أكتوبر ١٩٨٣، وكانت خطيبته (جيداء) من بينهم.

كان بسام قد تهدج صوته، وهو يصف حبيبته القتيلة، وكيف عثروا عليها رأسًا بلا أطراف.. ثم أجهش بالبكاء.. ولم يعد يقدر بعدها على الكلام.. وانتهى المؤتمر الصحفي دون تعليق .

ومنذ تلك اللحظة.. ذاب أثره واختفى..

أغلقت الصحف الإسرائيلية ملفه.

وتاه أمر الطائرة الميج ٢٣ بشكل نهائي .

لكن.. كانت هناك بلا شك أسرار خطيرة وراء انشقاق بسام وهروبه بطائرته.. أو لنقل ، عملية مخابراتية محاطة بالسرية قامت بها الموساد.. اعتمادًا على أحد عملاء الموساد في سوريا[1] .. كانت مدعاة لاحتوائه والسيطرة عليه وهو في قمة إحساسه بالضعف والقهر.. فاستسلم طائعًا..!!

كيف حدث ذلك؟ وبأية طريقة توصلوا إليه وجندوه؟ وبأي إغراءات أو تهديدات وافق الطيار السورى على أن يسلم طائرته النفاثة المتقدمة لإسرائيل..؟

إنها قصة تنشر تفاصيلها المثيرة لأول مرة في كتاب عربي وأحتفظ لنفسي بمصادرها.

---

(١) كان من أسباب الصمت الإعلامي الإسرائيلي على حادث هروب الطائرة السورية، حماية عملاء الموساد في دمشق، وإخفاء تفاصيل وتسلسل العملية الاستخباراتية الحقيقية التي انتهت بالحصول على الطائرة. فمن خلال نشر هذه التفاصيل يكمن الخطر، وتُعرى الموساد بكشف أسرار التخطيط لعملياتها. هذه السرية تلتزم بها الأجهزة الاستخباراتية للحفاظ على أسلوب التخطيط والتنفيذ لعملياتها، لكي لا تكون مشاعاً بين الأجهزة الأخرى، ونقطة اختراق لعقولها.

صـــريع جـــيداء

السقطية.. وفيها كانت البداية.. إنها أهم منطقة في حلب تزدحم بالسكان.. تبدأ من سوق الزرب تحت القلعة.. وتمتد إلى سوق المدينة، إلى السقطية، فباب أنطاكية. وهو الشارع القديم الطويل جدًا، طوله حوالي ٤ كيلومترات، حيث عاش محمد عادل بسام الذى ولد فى مدينة إدلب فى ١١ أبريل ١٩٥٥ ، لأسرة متدينة كثيرة العدد. وكان أبوه تاجر ملبوسات معروف.. ربى أولاده وعلمهم تعليمًا عاليًا.

كان بسام منذ صغره يحلم بأن يكون طيارًا حربيًا. وتحقق حلمه أخيرًا وتخرج من الكلية الجوية عام ١٩٧٧، وأجاد قيادة الميج ٢١. ثم ظهرت كفاءته في الاستعراضات الخارقة التي تواكب الاحتفالات القومية في سوريا. وكانت تقارير رؤسائه عنه كفيلة بإرساله إلى موسكو، للحصول على دورات تدريبية لقيادة الميج ٢٣ الأكثر تطورًا، خاصة وقد حصلت عليها سوريا مؤخرًا، مزودة بأجهزة حديثة تفوق نظيرتها في مصر وليبيا والعراق والصين وفيتنام والهند وكوبا.

إنها طائرة مقاتلة اعتراضية جبارة[1] ذات مقعد واحد.. حققت أرقامًا قياسية لأول مرة في التاريخ عندما بلغت سرعتها القصوى على ارتفاع ١٢ كيلومترًا ٣٣٨٠كم/ساعة بسرعة ٣,٢ ماخ. وفاقت قدرتها على المناورة أية طائرة قتالية لدى إسرائيل، ولا قبل فى ذات الوقت لطائرات أمريكا بها، حيث لم تكن لدى أمريكا طائرة حربية نفاثة تستطيع التصدي لها أو التعامل معها. إنها كانت بحق معجزة أسطورية في كفاءتها ، حيرت العقول العسكرية في أمريكا وأوربا لسنوات طويلة مرهقة .

ولما عاد بسام من إحدى دورات زيادة الكفاءة فى موسكو، كانت خطيبته جيداء قد ماتت ودفنت قبلما يراها. فأصابته الفاجعة في مقتل.. وظل ينزف حزنًا عليها إلى أن هزل جسده.. واحترق كبده.. وغامت أمامه الرؤى.

(١)سمع عن هذه الطائرة لأول مرة في أبريل عام ١٩٦٥. اشترك عدد أربع طائرات منها في العرض الجوي في يوليو ١٩٦٧ بموسكو، وفي ٢٧ أكتوبر ١٩٦٧ حقق بها الطيار (أوستا بينكون) أرقاماً قياسية مذهلة، أفزعت أمريكا وحلف الناتو في ذلك الوقت. ظلت الميج ٢٣ لسنوات طويلة بلا صورة واحدة تظهرها وهي محملة بالأسلحة، فبدت كالشبح المرعب مجهول القوة .

وقتها كان في الثامنة والعشرين مـن عمـره.. فشـلت المـهدئات في إخمـاد براكـين حزنه طيلة شـهور قضاهـا منطويـا في المستشفى العسـكري العـام.. خـرج بعدهـا إلى قاعدته الجوية محطمًا.. شبيهًا بإنسان هيكلى يتحرك .

قـاتلـة قـائدهـا

في تلـك الفـترة – وبـالتحديد –في ٢٨ أبريـل ١٩٨٣ – صـدر بيـان مقتضـب عـن البنتاجون (وزارة الدفاع الأمريكية) يعلن مقتل الجنرال (روبرت بوند) ، نائب القائد العـام لنظـام القيـادة في سـلاح الطـيران الأمريكـي، أثنـاء حـادث تدريـب. وأثـيرت تساؤلات حول مقتله وهو الذي يبلغ من العمـر ٥٤ عامًـا، بينمـا تنـص القوانـين ، والنظم العسكرية المعمول بها فى غالبية دول العالم ، على ألا يطير بمفرده كل طيـار حربى تجاوز عمره الـ٤٥ عامًا.. إذ لابد من وجـود طيـار آخـر معـه. كـان الحـادث غامضًا بدرجة مثيرة، تناوله المحللون العسـكريون بتحليلاتـهم التـى لم تقـترب مـن الحقيقة،ولولا كون روبرت بوند رتبة عسكرية كبيرة، درجـة وموقعًـا، مـا نشـر عـن الحادث كلمة واحدة.

وبرغم الدهشة التي أصابت العسكريين الأمريكيين ، بسبب التعتيم على أسـباب انطلاق الجنرال بوند بطائرته بمفرده ، بدأت الحقيقة في الظهور شيئًا فشـيئًا.. فقـد قتل الجنرال في قاعدة (نيلز) الجوية في نيفادا بينما كان يقوم بتجربة طائرة سوفيتية (ميج ٢٣) من الطراز الأول (E-266). وقـالت المصـادر إن قـاعدة نيلـز تضـم مركـزًا تقنيًا لتقييم واختبار السلاح السوفييتي ، الذي يتم الحصول عليه سرًا من إسـرائيل، لاكتشاف نقاط الضعف والقوة فيه.

وأثير السؤال:

– من أين حصلت الولايات المتحدة على الطـائرة السـوفييتية ميـج٢٣؟ كـان مـن المعروف أن الميج ٢١ استطاعت أمريكا الحصول علـى واحـدة منـها بواسـطة الطيـار العراقي منير روفا ، الذى هرب بها إلى إسرائيل عام ١٩٦٦ . أما (الميج ٢٥) الأهـم

على الإطلاق من الطرازين السابقين، حصلت أمريكا على واحدة منها أيضًا، وبنفس سيناريو منير روفة، بواسطة الطيار السوفييتي المنشق (فيكتور بلينكو) الذي فر بالميج ٢٥ – في عملية مخابراتية أسطورية– إلى الولايات المتحدة ، عن طريق لجوئه إلى قاعدتها الجوية في اليابان.

غير أن مصدر امتلاك أمريكا الطائرة ميج ٢٣ التي قتل فيها الجنرال بوند ، لم يكشف عنه وبقى غامضًا حتى اليوم، ومعنى أن تنفجر الطائرة في الجو بقائد ذي خبرة ٣٣ سنة طيرانًا، يعيد إلى الأذهان ما أشاعه السوفييت من أن هذه الطائرة بالذات - ميج ٢٣ – تقتل قائدها الذي لا يعرف سرها..!!

البحث عن خائن

لقد مات الجنرال بوند المحترف ولم يعثر له فوق جبال نيفادا على أشلاء مميزة، ومات سر الطائرة الداهية – ميج ٢٣ – التي طورها السوفييت، وأضافوا إليها الكثير من عبقريتهم، وأعطوا السوريين أحدث ما أنتجوه منها. وكان لابد للأمريكان من استكمال دراساتهم وأبحاثهم في أسرار الطائرة التي تهدد أمن إسرائيل.. فأزيزها في الأجواء السورية يسمع صداه في إسرائيل، فينقلب سكونهم إلى توتر مستمر.. ودائم.

كن المطلوب إذن.. طائرة أخرى تحصل عليها إسرائيل من سوريا. لتهديها إلى أمريكا لاستكمال رحلة الأبحاث للكشف عن خبايا التفوق السوفييتي في طائرتهم.

وابتدأ العمل.!!

رصد عملاء الموساد في سوريا الحالة المعنوية السيئة للطيار محمد عادل بسام بعد وفاة خطيبته، إثر سقوط المنزل القديم منهارًا فأودى بها مع أسرتها، ولم يكن انهيار البيت عمدًا كما ادعى الطيار الخائن في المؤتمر الصحفي. فقد كان الغرض من ادعاء ذلك إيجاد تبريرًا منطقيًا مقنعًا لأسباب لجوئه بطائرته لأعداء وطنه.

هكذا رسموا خطة التبرير للإساءة إلى الحكومة السورية، وإظهارها بصورة سيئة على الملأ، وبواسطة الطيار الخائن بنفسه.

بعد تشريحه نفسياً ، حوصر عادل بسام بعملاء الموساد في سوريا . حيث جرى البحث عن ثغرة للدخول إليه منها. ولما كان من الصعب عليهم محاولة الاقتراب منه وتجنيده، ليقظة المخابرات السورية، وشكها في كل أمر يتعلق بطياريها، انتهزوا فرصة سفره إلى اللاذقية في صيف ١٩٨٩، وفي منتجع الشاطئ الأزرق ، أرقى فنادق المدينة ، نصبوا له أول خطوة في كمين السقوط.

على المقهى الشرقي بالفندق جلس يحتسي فنجان القهوة الشامية، تتصارع أمامه، على امتداد البصر، مياه البحر الأبيض في موجات متلاحقة.. تضرب الشاطئ بقسوة واصطخاب لترتد متكسرة واهنة. سرح بخياله بعيدًا.. فثمة أحزان متراكمة تجيش في صدره منذ ست سنوات خلت ، وما تزال ترسم خطوطها على وجهه.

لاحظ دخول ثلاث فتيات حسناوات.. تتبع خطواتهن بغير اهتمام إلى أن جلسن على المائدة المجاورة له، أغمض عينيه وغاص في لجج ذكرياته.. وانتبه فجأة على ستة عيون تخترقه وتنظر إليه باندهاش. اختصرت إحداهن الوقت والمسافة وسألته:

- رأيتك من قبل. عندي ثقة في ذلك.. لكن أين؟

اعتدل في مقعده مرتبكًا وابتسم هازًا كتفيه، فعاودت السؤال:

- أتعمل في الخطوط الأردنية ؟

ضحك هذه المرة.. مقهقهًا.. وقد علته الدهشة.

لم يدم الحال هكذا طويلاً.. إذ انضم إلى الطاولة معهن.. وعرف بأنهن مضيفات بشركة طيران عربية .. ويقضين يومًا واحدًا باللاذقية. كُن بشوشات ضاحكات ، تشبه إحداهن فتاته الراحلة، هكذا خُيل إليه. لذلك فقد ضبط نفسه يندمج في الحديث معها بشغف واهتمام . انفرجت أساريرها عندما أخبرها بأنه في طريقه إلى الاتحاد السوفييتي بعد عدة أيام، فأعطته رقم تليفونها في فندق ستالينجراد بموسكو ليترك لها رسالة حين وصوله.

لم يكن بسام يلهث وراء نزواته كما كان يفعل منير روفا.. إنما كان معتدلاً عـاقلاً يرى في كل حسناء صـورة حبيبتـه الراحلـة.. فتطبعـت شـخصيته بـهدوء أقـرب إلى الرومانسية، إن لم تكن رومانسـية فعـلاً. لذلـك لم يـهتم بالحسـناوات الثـلاث، ولم ينبهر بجمالهن الثري الفتاك ، لكنه تعجب لسحر الفتاة التي كلمتـه، ووجـود ثمـة ملامح قليلة تقربها من ملامح جيداء. إلا أن هذا أيضًا لم يثر فيه رغبة المغامرة الـتي جاءته سهلة ، ذلك لأنه كان بحاجة إلى حنان إنساني خالص الصدق.

لقد ماتت أمه وهو صغير فمنحته جيداء بعض الحنـان المفقـود ، ومـاتت جيـداء أيضًا فشح حنان عمره، وأحبطه اليأس بحثًا عن حبيبة تعوضه وتعطيـه زاده، لكـن الفتيات حوله كن باحثات عن زوج لا حبيب. بهرت عقولهن بذته العسكرية فأردن الفوز به، وفقدن في نظره جمالهن وإن كان طاغيًا .

مصـيدة العسـل

كانت الفتيات الثلاث عميلات للموساد. يحملـن هويـات عربيـة مزيفـة.. وعلـى درجة من الجمال الفائق تؤهلن لتنفيذ عمليات الموساد الابتدائية في الإيقـاع بضعـاف النفوس، وجرهم إلى (مصيدة العسل) التي يعدها الموساد لهم، فلا يخرجون منـها إلا وهم خونة وجواسيس، لا يملكون مصـيرهم ، حيـث يقدمـون أقصـى مـا لديـهم مـن وجـهد وإخلاص.. بلا تذمر.

كان بسام بالفعل يعد نفسه للسفر إلى موسكو في بعثة تدريبية جديـدة، تزيـد مـن كفاءته كطيار متميز، خاصة والطائرة ميج ٢٣ أضاف الـروس إليـها بعـض الأجـهزة الإلكترونية الملاحيـة الجديـدة. وكـان لابـد مـن تدريـب طيـارو الميـج ٢٣ السـوريين وتأهيلهم للتعامل الأمثل معها.

وفي موسكو.. انشغل بسام بالدورة التدريبية ، ولم يمنعه جدول التدريب المكثـف عن الاتصال بالفندق عدة مرات للسـؤال عـن فتاتـه. كـان يريـد لسـانًا أنثويًـا عربيًـا يكلمه، ووجـهًا يذكره بحبيبته، وتغييرًا في برنامجه اليومي الجاف المرهق. كان أيضًا

يريد استكشاف هذه الفتاة التي ظن بأنه لن يراها ثانية.. لكن ها هي مازالت تذكره، وحدث بينهما اتصال هاتفي عدة مرات في موسكو، وبعثت إليه بثلاث بطاقات معطرة من عمان وبانكوك وكوالالمبور، فأشعرته بأنه في ذاكرتها وأطلعته على موعد رحلتها التالية إلى موسكو. وكان اللقاء في الطابق التاسع بمطعم بوشكين الشهير.

تناولا العشاء، ومكثا سويعات رائعة في أحاديث مرحة قربت المسافات بينهما، لكنها صدمته فجأة عندما استأذنت في الانصراف للفندق حيث ستطير في الفجر، على وعد باللقاء بعد أسبوع ليقضيا معًا عدة أيام بعيدًا عن موسكو، وعن زملائها في شركة الطيران.

رحب بسام بالفكرة وهو يضحك ، فقد كان من المقرر أيضًا تبعًا للبرنامج، أن يحصل على أجازته نصف الشهرية لثلاثة أيام متصلة، وقد يفلح في إقناع قائد البعثة، بأن يتحرر من قيود الروتين، التي تلزمه بألا يتحرك وحده خارج القاعدة الجوية طوال هذه المدة .

وفي حين انتظر الطيار السوري موعد أجازته بعدما وافق قائده ، انهمكت الموساد في تجهيز (بيت الطاعة) ، المسمى اصطلاحيا (مصيدة العسل)، بأحد المنتجعات جنوبي موسكو، فزودته بأجهزة التسجيل والتصوير المختلفة، واتخذت من المنزل الملاصق مكمنًا للمراقبة والتنصت.

سارت الأمور كما هو مرسوم لها.. بسام وصديقته يلتقيان في شوق، يمنيان نفسيهما بقضاء إجازة حلوة تنفض غبار إرهاقات العمل. ودون أن تسأله العميلة بقصد عن حياته، تحدث هو.. وأفاض في الحديث عن كل شيء. كانت مرارة الحزن لازالت تسري بين جوانحه، فانبرت هي تخفف عنه معاناته.. وكلما احتضنته في حنان كلما أسبغ عليها عطفا وقربًا. مفصحًا في غمرة هدأته النفسية عن أسراره، وعن حياته وعمله ومهمته في موسكو. مفيضًا في الحديث عن أمور عسكرية سرية للغاية كانت تستدرجه بذكاء إليها، وهي متغابية ، حتى أنه عقد مقارنات

فنية دقيقة بين الطائرات المقاتلة السورية والإسرائيلية ، وتفاصيل قوة الميج ٢٣ التي يقودها.

كانت الكاميرات السرية المبثوثة تنقل وتسجل كل ما يدور بالحجرة. شاب رومانسي يفيض بالرجولة والعافية في الفراش، وإلى جانبه فتاة بمقاييس الجمال المثالية، طفح جسدها البض بالأنوثة المتوثبة اللاهبة، ترسل شعاعات عينيها نداءات جوع، تجذبه إلى عالم سرمدي المتعة والانتشاء.

ارتعشت أناملها تداعب صدره المشعر ، تحرث بأظافرها أحراشه الكثيفة، بينما صديقها مبحر في محيطات أشجانه ، يحدثها عن جيداء التي ماتت، عن أمه التي ماتت ، عن قائده المريض بالأوامر، وزملاء يحقدون عليه لمهارته في الطيران.

خبرتها الطويلة في مهام وطقوس مصائد العسل كانت مدهشة ، ناجحة بامتياز، لكن جبل الثلج الذي بحضنها ما له لا يذوب..؟ لا يخضع لحرارتها فينصهر..؟ جليد سيبيريا كان أحر من بروده. ماذا دهاه..؟ إن أنوثتها الطاغية لا تثيره.. لا تحرك فيه صخب الارتعاشات وفورانها ، كأنه المحصن بقلاع تجهل مداخلها وهي التي تنفتح لها كل بوابات القلاع.

تحيرت.. تسمرت .. تحجرت كالعود القشيب وسط فلاة وحدها.. ظنت أن العيب فيها ، فأبدلت زينتها وغلالتها وعطرها.. ربما. لكن لا فائدة..! هزته بغيظ مكتوم لعله يذوب بين تضاريس سهولها.. جربت كل الأسلحة واستحضرت ما لقنت في أكاديمية الموساد.. إنه حالة فريدة لم تدرسها من قبل ، بل لم تصادفها في جميع مصائدها السابقة.. ولما يأست منه، غطت وجهها بكفيها في انهيار اليائس.. وبكت .

كان يعرف علته . فالعنة Impotency النفسية الكاملة لامست ذروتها عنده.. وباتت رجولته الظاهرة تخفي وراءها مأساة أخرى في حياته .

هذه الغادة المنهارة إلى جانبه تصور أنها تبكي كرامتها التي نُزفت، وتبعثرت. وكبرياؤها الذي انخسف. استدار واحتواها بين ذراعيه، انكمشت في صدره كالقطة الملتاعة الخائفة . هدأت ، لكن بدنها كان يرتجف. احتضنها بقوة أكبر ولثم جبينها:

–آسف.

–على ماذا.. ؟

–لا أريد نزفًا لأعصابك .

–أحبك ..

–لماذا تبكين ..؟

–لا أريد تنغيصك بمشاكلي .

–ألسنا أصدقاء.. ؟

–بسام .. ليس الوقت مناسبًا.. أنا ..

–هل تمرين بمشاكل في العمل ..؟

–في كل حياتي.

–يا ساتر .

–أنت حبيبي.. ودنياي التي أهوى .

–ماذا بك..؟ إنك ترتجفين.. ألهذا الحد تعانين وتكبتين..؟

–إنهم يضايقونني في العمل.. أفكر بأن أهاجر وأترك عمان إلى الأبد.. والدي أيضًا لا يشعر بوجودي أو معاناتي.. زوجته الجديدة استأثرت به، وأمي تلح عليّ لأهاجر.. تضغط على أعصابي في كل وقت ولا تتركني لأفكر. أخبرتني منذ أيام بأنها رتبت عملاً براتب أعلى. لكنني خائفة.. خائفة جدًا من خطوتي القادمة،

لأنني على الأقل سأكون وحـدي بـلا حبيـب يؤانـس غربـتي، ونتحـامل معًـا علـى مواجهة الحياة الجديدة .

-وأين تعيش أمك..؟

-بعد ولادتي بعامين قامت حرب ٦٧ ، وكان أبـواي يعيشـان في بوسطن. أمـي مترجمة، وأبي يملك ورشة صيانة الكترونيات. اختلفا بعد الحرب وتشاجرا..

-مالهما والحرب ..؟

-كان أبي حزينًا على هزيمة العرب ، عكس أمي الـتي كـانت يهوديـة وسـعيدة بانتصار إسرائيل. وسافر أبي للحج في مكة وبعـد عودتـه طلقـها.. اختـارت الورشـة واختارني هو، عاد بي إلى الأردن ليبعدني عنها. لكنها أمي. كلما نتـهاتف تدعونـي للهجرة، وتبكي لأنها تريدني معها.

-ألا ترينها في أمريكا..؟

-لقد هاجرت إلى إسرائيل منذ عشر سنوات .

-إسرائيل..؟!!

-أحبك يا بسام.. أنت منقذي الوحيد.. لا أستطيع بأي حال الاسـتغناء عنـك.. لنتزوج، ونعش حياتنا المتبقية معًا. و..

-نتزوج..؟ أمك يهودية إسرائيلية وتتزوجين من طيار سوري.. كيـف؟ مسـتحيل طبعًا لأننا لا نتزوج من أجنبيات ، ولو كن عربيات ، فكيف وأنت مزيج مـن مسـلم ويهودية..؟!!

-وحبنا..؟ هل يضيع هكذا ببساطة.؟ (وهي تجهش بالبكاء وتعانقه) .

-يكفي أن نكون أصدقاء فقط.. إنني أحترم الصداقة و ..

-مستحيل.. أنت تحبني كما أحبك يا بسام.. لنهاجر إذن.. إنه الحل الوحيد.. لنهاجر إلى أمريكا أو أوربا.

-هذا جنون ..!!

-جنون أن نحب ونتزوج ونهاجر..؟ أجنون أنني أعبدك يا بسام..؟

-وعلى فرض أننا تزوجنا وهاجرنا إلى أوربا أو أمريكا.. هل سنعيش هناك في أمان..؟ المخابرات السورية لن تتركني أهنأ بحياتي يومًا واحدًا.. ستسعى ورائي أينما كنت.. ولن يعيش أهلي في سوريا حياة طبيعية .

-لنذهب إذن لإسرائيل.. وهناك لن يطاردك أحد وسنعيش في أمان بعيدًا عن المخابرات السورية.. هه.. أليست فكرة رائعة. سأضمن لك أن تعمل في سلاح الجو. إن أمي ترتبط بعلاقات قوية مع ...

رعشة خفيفة سرت ببدنه، وغاصت الكلمات بحلقه لبرهة.. وقال في صوت خفيض:

– أنت إسرائيلية؟

– بسام.. أنا أردنية الأصل.. وأحمل أيضا الهوية الإسرائيلية لأن أمي يهودية تعيش في تل أبيب و..

الحصار

أحس بخدر في ساقيه ولم يقو على النهوض. فاعتدل جالسًا.. وهو يغمغم :

– تحملين الهوية الإسرائيلية ..؟

وفي لمح البصر هوت يده بعنف على وجهها فصرخت صرخة مدوية.. قفزت ملسوعة تحاول الفرار منه فكان أسرع منها.. حشرها في الممر الضيق المؤدي إلى حمام فرعي. سقطت أرضًا فارتمى فوقها يلكمها ويصفعها في ضراوة. جذب شعرها بغيظ وقسوة فكادت فروة رأسها أن تنخلع من جذورها. ضرب رأسها بالحائط ضربات متتالية، ثورته كانت في تعاظم لا يخمدها صراخها المتحشرج. سيقتلها الشاب القوي بلا شك.. ضرباته الفولاذية الغاضبة فجرت الدماء من فمها وأنفها.. ولم ينقذها منه سوى ضربة فولاذية أقوى على مؤخرة رأسه أسقطته أرضًا.

أفاق من إغماءته ليجد ثلاثة رجال لا يعرفهم. تحسس رأسه ثم جـذب مـا يسـتر به جسده العاري..

-كدت تقتلها يا رجل..

-من أنتم..؟

تلفت حواليه فلـم يجدهـا.. عيونـهم مركـزة عليـه.. ملامحـهم شرسـة التقـاطيع مخيفة.. وضح ارتجاف أطرافه لا إراديًا.. سألهم ثانية :

-من أنتم.. ؟

-أولاد عمك .

لاحظ أن معالم الحجرة تغيرت.. التليفزيـون لم يكـن بـالحجرة مـن قبـل.. كـان أمامه منضدة صغيرة يعلوها الفيديو.. لا يذكر أن الشقة كان بـها فيديـو أو كاسـيت. أومأ أحدهـم لرفيقـه فضغـط علـى ذر التشـغيل.. جـاء صـوت بسـام عـبر الكاسـيت واضحًا:

-(العميد عـ.. ، إنه يتباهى بكرشه ومؤخرته.. كلاهما في بروز عكســي.. مـيزان توازنه منضبط.) .

-(العقيد نـ.. ، يكرهه الضباط الصغار، ويحبـه الجنـود لأنـهم يتحصلـون علـى أجازات بسهولة كلما انفردوا به في ..) .

-(اللواء فلان.. ، جهوري الصوت في القاعدة الجوية، الجميع يرتجفون أمامــه، بينما يرتجف هو أمام امرأته.. هذا ما قاله لي سائقه.) .

-(الرئيس..؟ .. .. .. ، .. .. ، .. .. ، .. ..) .

تفصد عرقه ووضح ارتجافه أكثر وأكثر :

-هذا ليس صوتي.. من أنتم.. ؟

-أتنكر صورتك أيضًا.. ؟

كان الفيلم يصوره وهو يردد الجمل ذاتها.. الأدلة دامغة بـالصوت والصـورة.. مـا قاله عن أسرار بلده كان إجرامًا.. وما وصم به قادته ونظام الدولة، كفيل بأن يبعـث به إلى ساحة الإعدام.. جملة واحدة تكفي لإعدامه.. لقد تحدث كثيرًا لذلـك سـيعدم عدة مرات.. ستتناوب على إعدامه عدة فرق تنفيذ، ربما مئات الفـرق.. سـيعدم إذن مئات المرات.. لن يرحموه لأنه خائن غبي.

-من أنتم.. ؟

-قلنا أولاد عمك.

– ألا توضحون.. ؟

ليس قبلما تكمل مشاهدة الشريط .

هلوعًا زاغت عيناه في فزع وهو يسمع شتائمه في قادته، والأسرار العسـكرية الـتي باح بها في غمرة نشـوته عـن طائرتـه الحربيـة، وقاعدتـه الجويـة، وأسمـاء رؤسـائه وزملائه ومدربيه، ونظام الطيران الدوري للمراقبة فوق القواعد العسكرية والمدن.

وفي انكماشة التيه التي تمكنت من عقله أطلعوه عليه، فيلم مدته سـاعة تقريبـا، يصور حياة زميله العراقي منير روفا في إسـرائيل، الـذي فـر بطائرتـه ميـج ٢١ عـام ١٩٦٦، كيف يعيش، ويسكن، وماذا فعل بـالمليون دولار الـتي كوفـئ بـها والمعـاش الشهري الذي يتحصل عليه ، والتكريم اللائق الذي قوبل به.. ومقابلاته مـع زعمـاء إسرائيل الأسطوريين .

لم يتركوا له فرصة ليفكر.. أو يرفض.. فهو في تلـك اللحظـات كـان أضعـف مـن بعوضة.. ولكـي يكونـوا علـى ثقـة تامـة في نجـاح مهمتـهم.. أطلعـوه علـى بيانـات صحيحة عن عائلته لم يسبق له أن تكلم مع فتاته بشأنها .

أدرك بسام الحقيقة.. وعرف أخيراً من هم هـؤلاء الغربـاء الذيـن اقتحمـوا المكـان لإنقاذ عميلتهم من موت مؤكد. كانت الرؤية قد بدأت تتضح أمامه جليـة كالشـمس،

فقد وقع ضحية شرك نصب له بواسطة المخابرات الإسرائيلية. شرك محكم كثقب الإبرة لا يستطيع الخروج منه .

سألهم عما يريدونه منه ، أجابوه بأن عائلته ، كل أفرادها في إدلب وحلب وحمص ودير الزور، لن يكونوا في أمان حتى بعد إعدامه رميًا بالرصاص في دمشق. سيطاردونهم بالعقاب الأزلي إلى ما لا نهاية ما لم يستجيب لرغبتهم .

المساومة الرخيصة

كانت أوصال عقله وبدنه مفككة ، خيل إليه أنه يتبول على نفسه ، لا.. إنه لم يتبول حقيقة فقط، بل تبرز أيضًا. رائحة برازه شكّكته في نفسه ، بأنه انتهى.. فقد السيطرة على عضلات أمعائه فانفرط مخزونها غصبًا عنه.. إذن عقله أيضًا لم يعد يعي شيئًا.. إنهم يريدون طائرته الميج ٢٣ ، يريدون منه أن يذهب بها إليهم، إنه أمر غير قابل للنقاش. سيأخذونها أو يأخذوا روحه في هذه البقعة البعيدة الغير آهلة.. وربما يكونوا رحماء به ويطلقونه، ليعدم في سوريا. هو إذن في الحالين هالك.

الثروة التي وعدوه بها ، ولم يحددوا قيمتها ، كانت قرصًا مهدئًا. الرائحة الكريهة لا تطاق.. رفضوا أن يذهب ليغتسل.. أرادوه هكذا منكسرًا ذليلاً خاضعًا لإحكام السيطرة ونزف مقاومته.. لمح مسدساتهم في أحزمتهم.. الوجوه صارمة قاسية.. التصميم على إقراره بالموافقة كان حاسمًا.. شكسبير قالها واضحة : أكون أو لا أكون؟.. هو يقولها بشكل آخر : أعيش أم أموت..؟. والأهل ما ذنبهم..؟ هؤلاء القساة يقسمون بأن عقابهم لن يرحم أحدًا، ولو كنت ميتًا أيضًا. لقد سلبوا إرادته، أصابوه بالذعر.. وكان بالأصل مذعوراً.. انقهر مغلوبًا على أمره :

– عشرون مليون دولار .

– ثلاثة فقط .

–إذن فلتقتلوني .!

–من السهل قتلك هكذا وأنت غارق في برازك.. ثلاثة ملايين فقط.

-لن أتنازل عما قلت .

-أربعة.. آخر ما بوسعنا.. لا تكن طماعًا أكثر من اللازم.

-إنها ميج ٢٣ .!!

-نعرف..

-ماذا ستفعلون معي بعدها ..؟

-سنكرّمك .

-أي نوع من التكريم ..؟

-ستعيش في فيلا رائعة بإسرائيل وتُنفذ جميع رغباتك .

-عشرون مليونًا .

-لن نخدعك وهذا ممكنًا..

-الطائرة تساوي الكثير .

-لن يشتريها سوانا.. إنها الآن قديمة ومستهلكة .!

-هناك تعديلات جديدة أضيفت.

-ولو .

-قد يعطونني أكثر إن أخبرتهم في دمشق .

-سيعطونك ألف رصاصة في عقلك.. ورصاصة الرحمة[1] ستزيد إلى مائة.. فلتجرب إذن ولك حق الخيار .

-هذا الثمن شحيح جدًا.. لا تنسوا أنني قد أتعرض لمخاطر، وعائلتي ستهان لأجلي.. سيتبرأ مني الأهل والوطن .

(١)رصاصة الرحمة : في حالة الإعدام رميًا بالرصاص ، يقوم فريق التنفيذ بإطلاق النار على قلب المذنب ، والفريق مكون في العادة من ٧ إلى ١٢ شخصاً حسب نظام كل بلد . بنادقهم محشوة بطلقات (فشنك) عدا بندقية واحدة مجهولة حشيت برصاصة حقيقية. وبعد إطلاق النار يتقدم قائد الفريق بمسدسه، ويطلق رصاصة واحدة على مخ المذنب لتأكيد حتمية الموت، والتعجيل بوفاته. وهذه الرصاصة تعرف باسم : رصاصة الرحمة..!!

-لن تمس بسوء.. عند اقترابك من أجوائنا ستتولى طائراتنا حمايتك.. لن تتعرض لمخاطر طالما نحن نتوقع مجيئك ونستعد لذلك .

-أريد أن أغتسل.

-نريد أن نتفق أولاً.. أو.

-قلت لكم عشرون مليونًا.. هذا المبلغ قد يكون معقولاً جدًا لأبدأ حياة جديدة بعيدًا عن وطني.

-خمسة فقط وثق بأنك ستحيا آمنًا بيننا.

-لا أوافق.. اقتلوني إذن وأريحوني.

-أنت مساوم عنيد.. غيرك لا يساوم أبدًا في مثل موقفك..

-من المفضل أن أجري عمليات تجميل لتغيير ملامحي.. أتذكرون النقيب حلمي[1]؟

-كان غبيًا ولم يهتم بأمنه الشخصي ، وقع في أخطاء حذرناه منها. لكن منير روفا يحظى بالأمن والاستقرار كما رأيت بنفسك في الفيلم .

وبعد ساعات مرهقة حالكة السواد وهم يحاصرونه بإحكام، وفد زائر جديد، وهو ضابط متخصص في اللاسلكي شرع من فوره في تلقين بسام كيفية إرسال إشاراته اللاسلكية أثناء طيرانه، والترددات التي تمكنهم من التقاطها، والتواريخ المحتملة لفراره، وزاوية الاتجاه التي يسلكها، والارتفاع الذي يجب أن يطير به عندما يدخل الأجواء الإسرائيلية .

بعد عودته إلى سوريا.. لم يستطع نسيان ما حدث، إذ كيف ينسى وخوفه يسجنه ويلازمه؟ وعنده يقين بأن الموساد بعثت وراءه بمن يقتفي أثره، لقد أنهكه

---

(١)النقيب عباس حلمي : الطيار المصري الذي أصيب باضطراب نفسي حاد، فهرب بطائرة تدريب إلى إسرائيل عام ١٩٦٥ . وأجريت له عميات تجميل وسافر ليعيش بالأرجنتين. لكن المخابرات المصرية اقتفت آثاره إلى أن أمسكت به، وتم شحنه على إحدى السفن التجارية في صندوق إلى الدار البيضاء. ومن هناك بطائرة عسكرية إلى القاهرة حيث حوكم وأعدم رميًا بالرصاص .

الشك وأعياه، فكل النـاس في الشـوارع والميـادين والسـيارات تتبعـه، حتـى وهـو في القاعدة الجوية، أو حينما يستدعى لمكتـب القـائد، عندمـا يكـون أيضـا في طائرتـه النفاثة الأسرع من الصوت ثـلاث مـرات، يسـيطر عليـه شـك قـاتل بأنـه مراقـب.. محاصر.. مرصود.

١١ أكتوبر ١٩٨٩

ويـوم جـاءت ذكـرى وفـاة حبيبتـه.. هـاجت نفسـه وتيقظـت منفعلـة مشـاعره، وتضاعفت إحساساته بـالمرارة، فعـاش حالـة غريبـة مـن الكآبـة والمقـت لمـا حولـه. واسودت في وجهه الموجودات كلها.. حتى السـماء الصافيـة الجميلـة، والزرقـة الـلا نهائية التي تزكى المشاعر وتريح الأنفس، كان يراها من طائرته كئيبة المنظر.. وكأنما هي موشاة بالحزن لحاله.

فعلـى مـدار عـدة أسـابيع مرعبـة.. نشـط عمـلاء الموسـاد في سـوريا في التلاعـب بأعصابه، وإثارة مخاوفه بأساليب ماكرة لدفعه بقوة للتخلص من معاناته باللجوء إلى إسرائيل.

كانت باقات الورود ترسل إلى بيته بأسماء وهميـة، العائلـة تبتـهج للمجـاملات الرقيقة من زملائه، أما هو فيتقشب وينكمش هلعًا.. إذ كان يعرف أنهم يطاردونـه.. يقتفون آثاره وآثـار عائلتـه وأقاربـه. أرسلوا باقـات ورود إلى أقاربـه في ديـر الـزور، والحسكة، وإدلب، وحلب. بطاقات التهاني بعثوا بها أيضًـا إليـهم تحمـل تحياتـه واسمه. الاتصالات الهاتفية من الأقارب تنهال عليه تشكر مجاملاته الرقيقة، ظنـوا بأن تصرفه المهذب مرجعه لرغبة لديه في شيء ما. فتيات هؤلاء رقصت قلوبهن طربًا فالطيار الوسيم تخلى عن أحزانه ويفكر أخيراً بالزواج. تحول بسـام إلى فتـى أحـلام جميع حسناوات العائلة وأقاربها.

المطاردات اتخذت شتى الصور التي شملت حياته وحياة العائلة.. كثيرًا مـا فكـر بمصارحة قائده.. إنها سقطة قد تغفر له.. ربما يعاقب بحكم مخفف، لكنـه سيفقد

وظيفته ومنصبه. ربما أيضًا يطلبون منه مجاراتهم إلى أن يتم اعتقال أتباعهم في دمشق. هذا جائز أيضًا. لكن الأفلام المسجلة تحوي أسرارًا عسكرية خطيرة باح بها.. وسبابًا لكل الرموز المسئولة في سوريا. إن عجزه الجنسي الكامل أهم أسباب تورطه.. إذ كان يعوض نقص رجولته بادعاء العلم بخفايا النظام الحاكم في بلده.. وتحقير القيادة السياسية والعسكرية إظهارًا لأهميته .

مرات كثيرة أصابه الفشل مع نسوة ساقطات.. شيعنه بنظرات السخرية والاحتقار.. وتلفظن بكلمات جارحة قاتلة. كان نصيب إحداهن ذات مرة لكمة شجت شفتها. وبرغم ذلك قالتها له صريحة: ظننتك رجلاً. الخجل أبعده عن عيادات الأطباء. لم يشأ أن يعرف أي مخلوق عجزه المطلق.. قرأ الكثير من كتب الأمراض والانحرافات الجنسية.. وتفاعل مع كتابات كرافت إبينج وهافيلوك أليس وهرشفيلد وكنزي، مؤلفاتهم أجمعت على أنه مريض سيكولوجيًا. تلك هي آفته التي بسببها قذف بنفسه إلى أتون جهنم في موسكو .

فكر الطيار المذعور بالانتحار خلاصًا من النار المحرقة التي تنهشه.. قد تكون الفكرة تسلطت عليه لبعض الوقت.. إلا أن تنفيذها كان صعبًا عليه.. فبأي طريقة يقتل نفسه..؟ وإن كان لا بد من قتل الذات فالإعدام رمياً بالرصاص أسرع. أو... فاللجوء إلى إسرائيل انتحار بطئ.. موت نفسي ومعنوي ، رأى أنه نوع آخر من القتل .

قاد طائرته مشوش الفكر تتسع شروخه النفسية شيئًا فشيئًا. بلا وعي.

امتدت يده على أزرار جهاز اللاسلكي ، وأرسل بإشارة إلى الإسرائيليين فلم يردوا عليها.. دقائق.. وأرسل بإشارة ثانية فلم يجبه سوى الصمت. فانحرف تجاه إسرائيل ملتزمًا بالزاوية والارتفاع المتفق عليهما، وطار بأقصى سرعة في طائرته ٣٣٨٠ كيلومترًا في الساعة، قرب الأجواء الإسرائيلية انحرف زملاؤه الثلاثة في السرب الذين حاولوا مطاردته عائدين بدونه. طيارو الميراج اليهود الذين اعترضوه

رأوه يترنح لهم يمينًا وشمالاً.. إنها إشارة معروفة لدى الطيارين معناها الرغبة في الهبوط. قادوه بحذر إلى الداخل بعدما تركوا بعضهم للتأمين والمراقبة والاستعداد.

هبط بطائرته في مطار صغير شمال إسرائيل وأسرع إسحاق رابين[1] (وزير الدفاع حينذاك) معه كبار رجال الجيش والمخابرات والدولة لمصافحته.

وفي الوقت الذي كان فيه الخائن يتسلم الملايين الخمسة ، كانت إسرائيل تهدي الطائرة الثمينة إلى أمريكا، أملاً في إصلاح الأضرار التي ألحقتها فضيحة الجاسوس جوناثان بولارد[٢]، الذي كان يتجسس على بلده لصالح إسرائيل، بينما كان العرب يعيشون أفراح ذكرى عبور قناة السويس عام ١٩٧٣، والانتصار المذهل الساحق على جيش إسرائيل الذي روج عنه الكثير والكثير من أساطير القوة والمهارة والكمال .

انشغل المحللون العسكريون بتفسير حادث الطيار السوري، وأرجع البعض منهم أسبابًا عديدة وراء حصول إسرائيل على الطائرة الميج ٢٣، أهمها أن الطيار السوري لم يهرب إلى إسرائيل بإرادته، وإنما اختطف اختطافًا مباغتًا في إحدى مصائد العسل، بعد تجريده من حرية التفكير، ومحاصرته الفجائية في حجرته، وفي فراشه مع عميلة الموساد .

ولأن اضطرابه الانهياري الشديد، كان يفوق قدرة احتماله كبشر، حدث اختلال فجائي حاد نتج عنه نقص السكر في الدم Hypoglycemia لديه، ففقد الإحساس بالأمان، ونتيجة توقع الموت مع كل لحظة ، سيطر عليه الفزع فخارت مقاومته ، مما دعاه للاستجابة لشروطهم تحت التهديد خوفا على حياته إذا ما تسلمت المخابرات السورية نسخة من الأفلام المصورة والشرائط المسجلة بصوته .

---

(١) إسحاق رابين : تولى رئاسة مجلس الوزراء ١٩٧٤ : ١٩٧٧ ، ومرة ثانية من عام ١٩٩٢ حتى مقتله في نوفمبر ١٩٩٥ .

(١)جوناثان بولارد : لمزيد من التفاصيل راجع الجزء الثالث من (حراس الهيكل).

المحللون النفسيون Psychoanalysts أيضا ، أفاضوا في شرح الضغوط النفسية العنيفة التي قد يواجهها أي شخص مطلوب إخضاعه بواسطة مصيدة العسل الاستخباراتية ، حيث يصاب بما يشبه الانهيار Breakdown الكامل في شتى قواه العقلية والجسدية، بشكل مفاجئ قد يتسبب في حدوث تبول لا إرادي Enuresis له، وربما تبرز أيضًا ، ومن ثم تدهور Deterioration عقلي يؤدي إلى استسلامه.. وإعلان راية الطاعة الكاملة لكل ما يملي عليه.. وعلى ذلك فالعملية من خلال هذا المنطلق تعد خطفًا واغتصابًا، لا هروب بإرادة ووعي كاملين .!!





سرقة الطائرة الميج ٢٩ البولندية..!!

الخوف من الطيران السوري هو الهاجس الإسرائيلي الأول.. لذلك فُكِّكَت الطائرة (ميج ٢٩) البولندية وشحنت جوًا في صناديق إلى إسرائيل. ومع انكشاف الفضيحة هرب الجنرال البولندى بالمليون دولار.. وأعادت تل أبيب الطائرة إلى وارسو.. مع الاعتذار الحار لموسكو..!!

القتل بفقاعة هواء

عام ١٩٨٩ التقى في طهران ضابط الموساد رافي ايتان[1] ، والأمريكي إيرل برايان، المهتم بتطوير برامج الكمبيوتر، وأحد مروجي برنامج (بروميس) الشهير. كان ايتان قد سمع عن هذا البرنامج الذي استخدمته وزارة العدل الأمريكية، وجهاز F.P.I. لتعقب المجرمين ومكافحة النشاطات الإجرامية وتبييض أموال المافيا .

ولأن برايان كان يبحث عن أشخاص ذوي كفاءة لترويج برنامجه، زار إسرائيل عام ١٩٨٠ ، ووجدها إيتان فرصة لا تعوض، إذ يستطيع البرنامج أن يكون سلاحًا فعالاً ضد زعماء الانتفاضة الفلسطينية، عن طريق اختراق أنظمة الكمبيوتر العاملة في مكاتب منظمة التحرير ، وكشف زمان ومكان الهجمات الفلسطينية التي زلزلت الدولة الإسرائيلية من الداخل .

كان إيتان يأمل أيضًا في رتق الثغرات الأمنية بين أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية. فعندما استخدم أحد الفدائيين طائرة شراعية، واخترق بها الدفاعات الإسرائيلية على الحدود مع لبنان ليصل إلى مستعمرة كريات شمونة ليقتل ستة من اليهود، اتهم جهاز الأمن الداخلي (شين بيت) جهاز (أمان) ، وكلاهما اتهم الموساد

---

(١) رفائيل (رافي) ايتان : أحد أشهر الأسماء في الموساد. أصيب في أذنه اليمنى عام ١٩٤٨، وعمل في جهاز الموساد لربع قرن نائبًا تنفيذيًا لرئيس العمليات، ولا أحد يعرف بالضبط كم عدد الذين قتلهم بيديه. يقول: (كلما كنت أقتل كنت أنظر إلى عيونهم، بياض عيونهم. عندها أكون هادئًا جدًا ومركز التفكير جدًا، فلا أفكر إلا بما على أن أقوم به. ثم أفعله. وينتهي الأمر) . إنه أول من قبض على عنق النازي السابق إدولف آيتشمان في أحد شوارع الأرجنتين وعاد به إلى إسرائيل. وهو بطل أشهر فضائح الموساد على طول تاريخه، فضيحة ليليهامر في النرويج. كان أيضًا سارق تصميمات الطائرة الفرنسية ميراج ٣ من سويسرا، والمخطط لاصطياد جوناثان بولارد، واغتيال علي حسن سلامة في بيروت.

استخدم إيتان في عملياته الإرهابية القنابل والمسدسات والمتفجرات والسلك الفولاذي لخنق ضحاياه. شغل منصب مساعد شارون الشخصي عندما كان ارئيل شارون مستشارًا لإسحاق رابين لشئون الأمن (١٩٧٤) . وفي عام ١٩٧٧ اختاره مناحم بيجين مستشاره لشئون الإرهاب، ورئيس مكتب الارتباط العلمي (لاكام) ، وهو واحد من أدق المناصب في أجهزة الاستخبارات، حيث يهتم المكتب بالحصول على المعلومات العلمية ، بكل وسيلة ممكنة، لتزويد وزارة الدفاع بها. وكان هذا يفترض القيام بأعمال السرقة والرشوة والابتزاز للحصول على المادة المطلوبة.

بالفشل في الحصول على (إنذار مبكر) من لبنان. وعندما تمكن ستة معتقلين فلسطينيين من الهرب من سجن حصين في غزة، اتهم جهاز (شين بيت) الموساد بالتقصير، لأن خطة الهرب نظمت من خارج إسرائيل.

كل هذه الأمور كانت تشغل بال ايتان.. الذي انبهر ببرنامج (بروميس) عندما أطلعه برايان على كيفية عمله، مضيفًا أن تطوير البرنامج إلى السرعة القصوى يحتاج إلى المال والجهد و الوقت.. وأنه بحاجة إلى الترويج لبرنامجه لإمكان تطويره بالشكل الذي يتفق ومهام أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية. ولم يكن أمام إيتان لتسويق بروميس عالميًا سوى روبرت ماكسويل(1)، ذو العلاقات الدولية الهائلة، والمهارات التفاوضية النادرة.

كان ماكسويل يمتلك عدة شركات للكمبيوتر والبرمجيات ، بخلاف إمبراطوريته الصحفية العملاقة في لندن، التي تنتشر مكاتبها في العديد من الدول، إضافة إلى شركة (سايتكس) في إسرائيل التي تصنع معدات طباعية عالية التقنية. ولأنه يمر بمشاكل مالية عسيرة، خاصة بعد اكتشاف سرقته لعدة ملايين من صندوق معاشات الموظفين في مؤسسته الصحفية.. فقد كان من السهل إقناعه بالعمل على تسويق بروميس.. وهذا ما تم بالفعل وخلال فترة وجيزة من التفاوض.. إذ استغل شركته العالمية (ديجيم كمبيوتر ليمتد) وفروعها في تسويق البرنامج .

(1) روبرت ماكسويل : عميل للمخابرات الإسرائيلية من الطراز الأول ، تمكن بأموال الموساد من شراء مؤسسة (ميرور) الصحفية في لندن، التي تضم عددًا كبيرًا من الصحف والمجلات. تشكل في مجموعها إمبراطورية إعلامية تخدم الدعاية الإسرائيلية في الخارج.. وكان إلى جانب ذلك يمتلك يختاً وطائرة خاصة ، وشركات متنوعة في عدد من البلدان، منها شركة (سايتكس) في تل أبيب ويديرها ابن رئيس الوزراء الإسرائيلي وقتها، إسحق شامير.

وبسبب فضائحه المالية واطلاعه على أكثر مما يجب من أسرار الموساد، جرى اغتياله في ١٩٩١/١١/٤ بداخل يخته الخاص (الليدي جيزلين) بالقرب من جزر تناريف، وقام بمهمة الاغتيال أربعة عناصر من رجال الموساد، بواسطة حقنه بفقاعة هواء عبر الوريد الوداجي بالرقبة، وفشل الأطباء الأسبان في تشريح الجثة التي عثر عليها بعد ١٦ ساعة في البحر الإدرياتيكي، وأقيمت في ١٠ نوفمبر ١٩٩١ جنازة ماكسويل عند جبل الزيتون في القدس، وقال شامير في تأبينه : لقد فعل ماكسويل لنا أكثر مما يمكن البوح به اليوم .

فــي صــندوق خشــبي

سافر ماكسويل إلى موسكو لإجراء مقابلة مع الرئيس السوفييتي الأسبق ميخائيل جورباتشوف، كما أعلن عن ذلك رسميًا في موسكو. لكن ما لم يتم الإعلان عنه أن السبب الحقيقي للزيارة هو بيع برنامج بروميس إلى المخابرات السوفييتية، K.G.B. .. ذلك البرنامج الذي زود سرًا بعنصر شديد السرية والتعقيد، أطلق عليه (الباب المسحور)، تستطيع الموساد من خلاله معرفة ما يختزنه وما يريده مقتني البرنامج من معلومات.. وبذلك أتاح الباب المسحور في البرنامج الفرصة لحصول إسرائيل على الكثير من أسرار المخابرات السوفييتية، وفشلها في الوصول إلى أسرار عسكرية هامة كانت تسعى إليها.. وأهمها الاطلاع وتكشف قوة ومكونات وتسليح الطائرة الهجومية الشرسة ميج ٢٩ ، التي لم تظهر لها صورة واحدة وهي بكامل تسليحها.. ولم تتكشف لإسرائيل أو أمريكا معلومات أكيدة عن أسرار قوتها الانقضاضية ، وإمكاناتها في القتال والمناورة .

وبرغم الفشل في الوصول إلى أسرار الطائرة ، التي زُوِّدت بأحدث مبتكرات تكنولوجيا الاتحاد السوفييتي قبل انهياره ، استمر ماكسويل يواصل اتصالاته وصفقاته، وباع برنامج بروميس إلى العديد من الدول في أمريكا الشمالية وأفريقيا وآسيا وأوروبا.. وكانت بولندا إحدى محطات عميل الموساد، إذ كانت تجمعه صداقة وطيدة بأغلب رجال الحكم هناك. حيث تمكن أخيرًا من بيع البرنامج إلى جهاز الاستخبارات البولندية (.U.P) ، وفي مقابل ذلك سمح البولنديون لإسرائيل على حد زعم آري بنمناشي[1]، بسرقة طائرة من طراز ميج ٢٩ السوفييتية، استكمالاً

(١) آري بنمناشي : ضابط استخبارات إسرائيلي، عمل في قسم العلاقات الخارجية لقوات الدفاع الإسرائيلية من ١٩٧٧ : ١٩٨٧. وهو القسم الذي أنشأه إسحق رابين عام ١٩٧٤ لتجنب وقوع خطأ حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وكان هذا القسم مختص برصد أجهزة الاستخبارات الأخرى وتقييم معلوماتها السرية. عين بنمناشي مسئولاً عن الملف الإيراني، ثم مستشارًا لرئيس الوزراء إسحق شامير لشئون الاستخبارات.. وشارك في إمداد إيران بالسلاح أثناء حربها مع العراق، إلى أن حدثت فضيحة إيران جيت، وألقى القبض عليه في أمريكا بتهمة بيع طائرة من طراز C.130 إلى إيران، كانت قد بيعت أصلا لإسرائيل.. وأنكرت إسرائيل رسميًا علاقتها به. لكنه أفرج عنه في نوفمبر ١٩٩٠ ، ووضع كتابًا عنوانه (أرباح الحرب) لم يحقق نجاحًا يذكر.

لسرقاتها السابقة للطراز الأقدم من الميج، وهي الميج ٢١ العراقية عام ١٩٦٦ ، وميج ٢٣ السورية عام ١٩٨٩.

سَهَّل عملية سرقة الطائرة جنرال بولندي (لم يجيء اسمه بأي من المصادر أو المراجع)، كان يترأس مكتب (U.P.) في مدينة جدانسك الشمالية، الواقعة على خليج جدانسك وبحر البلطيق ، مقابل مليون دولار أمريكي، أودعت في حساب مصرفي ببنك (سيتي بنك) في نيويورك.. وهو ذات المبلغ الذي حصل عليه منير روفا عام ١٩٦٦ ثمناً للطائرة الميج ٢١ ، بينما الميج ٢٩ في أوائل تسعينيات القرن الماضي، وقبل انهيار الاتحاد السوفييتي، كان ثمنها يزيد عن مائة مليون دولار .

بواسطة الرشاوي ، تمكن الجنرال البولندي من إسكات بعض المسئولين في قوات بلاده الجوية، وأمكن تفكيك الطائرة بزعم أنها غير صالحة للطيران لوجود عيوب فنية عديدة في أجهزتها.. ووضعت أجزاء الطائرة في صناديق خشبية كبيرة الصقت عليها (استيكرات) معدات زراعية.. مما سهل عملية شحنها جوًا إلى إسرائيل. حيث أعيد تجميعها هناك وأخضعت للتجارب وللطيران، لتمكين الطيارين الإسرائيليين من التعرف على أسرارها وإمكاناتها الفنية والقتالية، في مواجهة طائرات (ميج ٢٩) السورية التي ترعب إسرائيل.. وتحسب لها ألف حساب .

المثير.. أن الطائرة البولندية المسروقة، كانت حديثة الصنع جداً، وحسبما هو معروف دوليًا، أن أية عيوب فنية في أجهزة فنية وكهربائية مصدرة، تخضع وفقًا للاتفاق لفترة ضمان محددة.. على ألا يكون العطل ناتجًا عن سوء الاستخدام.. فكيف يكون الحال هنا والصفقة الثمينة طائرات قتالية بمئات الملايين من الدولارات؟ فلو لم تكن الطائرات الحربية التي كانت تصدرها موسكو للدول الحليفة، تخضع لشروط ضمان وصيانة ومراجعة دقيقة جدًا ، لما انكشف الأمر.

فخلال عملية جرد روتينية للطائرات السوفييتية (الميج ٢٩) المصدرة إلى بلدان حلف وارسو، اكتشف السوفييت اختفاء الطائرة من بولندا بعد وصولها بأربعة أشهر

إلى إسرائيل.. فهرب الجنرال البولندي فور اكتشاف الفضيحة إلى تل أبيب.. وأثيرت أزمة حادة تورطت فيها بولندا.. بينما هددت موسكو إسرائيل بوقف السماح لليهود السوفييت بالهجرة. إلا أن إسرائيل بعدما أطلعت على مكونات الطائرة وأسرارها عمليًا ، ضحت بالطائرة في سبيل تدفق هجرة اليهود السوفييت إليها.. وأعادت مضطرة الطائرة المسروقة إلى وارسو.

أما الضابط البولندي الهارب .. فقد طلب اللجوء السياسي إلى أمريكا.. ورفضت واشنطن الموافقة على طلبه ما لم تطلع هي الأخرى على الطائرة السوفييتية، بما يدلل على أن إسرائيل أخفت أمر الطائرة عن حليفتها ، بنية النهوض بصناعة الطائرات المقاتلة فنياً ، والشعور بالزهو أمام الأمريكيين الذين لا يملكون أسرار الطائرة ، مما يضطرهم إلى طلبها من إسرائيل. وفي هذه الحالة ستفرض إسرائيل شروطها ، وتقدم لائحة طويلة بطلباتها من واشنطن . هذا ما حدث بالضبط قبل عودة (الميج ٢٩) إلى وطنها من جديد.. التي رافق عودتها اعتذار إسرائيلي رسمي.. تضمن تبريراً غير منطقي عن ملابسات العملية ، نتيجة خطأ بعض ضباطها الذين تحمسوا لسرقة الطائرة الحديثة بدون تكليف رسمي بذلك.. وقبلت موسكو الاعتذار.. !





خطف الطائرة البوينج اللبنانية ..!!

(كان مجرد ذكر اسمه في إسرائيل يثير الهلع.. ويربك الأدمغة ويفكك الأوصال رعباً.. فقد أحال هذا الرجل الفدائى الأمن الإسرائيلي إلى دمار.. وغرس في قلوب رجال الموساد الجُبن والخوف، بعدما أحاطهم بالخيبة من كل جانب.. حيث كانت ضرباته البطولية الموجعة تجئ كالصاعقة، بلا موعد، أو مؤشرات.

إنه جورج حبش.. أسطورة النضال الفلسطيني والجهاد المقدس..!!

الزمان : ظهر يوم ١٠ أغسطس ١٩٧٣ .

المكان : تل أبيب .

المضمون : اختطاف الطائرة البوينج اللبنانية من الأجواء الدولية وإجبارها على الهبوط في إسرائيل .

الهدف : القبض على الوحش الضاري .. جورج حبش .

المعلومات : رسالة لاسلكية مؤكدة من عميلة الموساد في بيروت.. أمينة المفتي.

الأوامر : مكتب رئيس الوزراء جولدا مائير .

التنفيذ : وزير الدفاع .. موشى ديان .

النتيجة : فشل .

بُعْبُعْ إسرائيل

جورج حبش ..

إنه أسطورة العمل الفدائي الفلسطيني بحق.. الذي استطاع أن ينتقل بالمعارك إلى خارج حدود إسرائيل.. فكان ندًا عنيدًا في تعامله مع الدولة العنصرية.. مخططًا بارعًا في اختيار أهدافه وتدريب رجاله.. وأستاذًا ماهرًا في التخفي والتمويه.. فكان هو الوحيد الذي ما يزال حيًا حتى صدور هذا الكتاب.. ولم تطوله أبدًا أيادي الغدر الإسرائيلية التي طالت العشرات من المناضلين الفلسطينيين من قبله .

ولد جورج حبش بفلسطين عام ١٩٢٥ في قرية (ليديا) ، التي تسمى الآن (اللِّد) وبها مطار بن جوريون الدولي الذي شهد أكثر الأعمال الفدائية إثارة. كان والده تاجر حبوب ثري.. لذلك تمتع حبش بطفولة رغدة منعمة.. إلا أن بذور وطنيته كانت قد نمت مبكرًا فقاوم الإنجليز أيام الانتداب وسُجن. وفي عام ١٩٤٤ التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت ليدرس الطب. لكن أحداث ١٩٤٨ وإعلان قيام الدولة اليهودية

أرّقت مضجعه وحطمت وداعته ، فانضم إلى التنظيمات الطلابية المتطرفة سياسيًا.. وتحول إلى الشيوعية كرد فعل لتخطيط الغرب: (خلق إسرائيل) فوق أرضه.. فلسطين.

كان جورج حبش يعرف أنه لن يأمن غدر الإسرائيليين.. فالطريق ليس سهلاً.. وجائزة المرور عليه الموت أو زنزانة مظلمة وأصفاد.. لكنه لم يكن يخشى الموت.. أو تخيفه المواجهة.. فلا يزال الأطفال يولدون في المخيمات ويطلق عليهم لاجئين.. ولا تزال فلسطين أسيرة.. ولا يزال المحتل الغاصب يكابر، فيغيِّر العالم، ويُزَوِّر الوثائق، ويكذب على التاريخ، ويقنع العالم بكذبه وأساطيره.. بينما قضية فلسطين السليبة تنزوي عبر دواليب قديمة في المحافل الدولية.. لا أحد يعمل جاهدًا على إيقاظها من رقدتها الطويلة وسباتها العقيم .

كان حبش يتعذب.. تصرخ جراحاته وتتعملق.. كان لا بد من عمل شيء ما يقول للعالم ، أن هناك شعبًا فلسطينيًا احتلت أرضه.. شعبًا لن تقتلعه مؤامرات الغرب مع الصهيونية..و مؤمناً بقضيته وهدفه ، واصل حبش دراسته الجامعية إلى جانب نشاطه السياسي ، إلى أن تخرج عام ١٩٥١ طبيبًا يقوم على شفاء الناس.. لكنه كان يتمزق في داخله.. ويعتصره الألم لموقف الغرب من قضية بلاده.. فهجر مهنة الطب مكرسًا حياته وروحه للجهاد ضد الاحتلال والغدر. وأسس الحركة الوطنية العربية بين عامي ١٩٥٤، ١٩٥٥ تحت شعار (الانتقام) .

اتخذ حبش من عمان ركيزته في العمل.. مستترًا خلف عيادته الطبية التي كانت مجرد واجهة.. واتهم بالتخطيط لاغتيال الرئيس السوري أديب الشيشكلي، مما أدى لاعتقاله وسجنه بالأردن لبعض الوقت.. ثم وجهت له اتهامات أخرى بالاشتراك في مؤامرة للإطاحة بنظام الملك حسين فهرب من عمان..

لعشر سنوات تالية ظلت حركته الثورية مصدرًا للاتهامات والدسائس.. ودخل حبش مرحلة الخلافات التي لا تنتهي مع أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية منتصف الستينيات.. ومع تصاعد الأزمة قرر حبش حل الحركة الوطنية

العربية ، وتشكيل منظمة مسلحة أطلق عليها اسم (المنتقمون الشبان). ووطد علاقاته بالصين وكوبا وفيتنام الشمالية ..

أول طائرة إسرائيلية

بعد نكسة ١٩٦٧ أصيب حبش بإحباط نفسي شديد للهزيمة الساحقة التي منى بها العرب.. واحتلال إسرائيل لمزيد من الأرض العربية بما فيها القدس الشريف. فقرر تصعيد العمل العسكري ضد إسرائيل وأسس مع مؤيديه – ومنهم أحمد جبريل – الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.. لكنه اعتقل في مارس ١٩٦٨ بدمشق في رحلة بحثه عن السلاح والتمويل والمعاضدة.

إلا أنه في أكتوبر ١٩٦٨ ، حدث تفكك للجبهة.. وانفصل أحمد جبريل ليؤسس القيادة العامة للجبهة الشعبية.. وفي شهر نوفمبر قاد زميله في الطب والجبهة الشعبية ، وديع حداد[1]، عملية إنقاذ جريئة في دمشق لحبش وأخرجه من المعتقل السوري إلى عمان.

ومنذ ذلك الحين بدأ حبش ورئيس عملياته وديع حداد عملياته ضد إسرائيل.. وتكونت لجنة (المجال الخارجي العسكري) داخل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، تحت قيادة وديع حداد.. وظهر تحليل يقول إن العدو الصهيوني يقوم على ثلاث ركائز: الركيزة الاقتصادية ، والعنصر البشري ، والمؤسسة العسكرية. واعتبر يومها أن ضرب هذه الركائز الثلاث، أو واحدة منها ، سيساهم في استنزاف العدو.

---

(١) وديع حداد : قائد العمليات في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ورفيق رحلة كفاح جورج حبش، حيث قاما معًا بأشرس العمليات الفدائية ضد إسرائيل ومصالحها في الخارج، ثم انشق عن المنظمة في منتصف السبعينيات ليكون منظمة خاصة به هي (القيادة الخاصة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) التي لم تنضم يومًا لعضوية منظمة التحرير. أنهكه مرض السرطان، ومات في الخمسين من عمره في ٢٨ مارس ١٩٧٨ بمستشفى الشرطة ببرلين الشرقية.. ودفن ببغداد . وله نجل وحيد اسمه هاني..!

كان حبش وحداد يريان ضرورة ضرب الأهداف الإسرائيلية في الداخل والخارج.. تلك الأهداف التي لا يستطيع المقاتل العادي الوصول إليها، حيث كانت اللجنة تختار الهدف والعناصر التي ستقوم بضربه.. واختار حبش الجانب الأكثر خطورة في الجهاد.. متخذًا من خطف الطائرات المدنية وسيلته المفضلة لضرب مفاصل الأمن الإسرائيلية.. وتذكير العالم بمشكلة فلسطين وأن هناك شعبًا فلسطينيا احتلت أرضه، ويعيش في مخيمات اللاجئين تحت ظروف معيشية سيئة أكثر من مليوني لاجئ.

في هذا المقام يدين حبش وحداد لشاب وطني فدائي اسمه علي شفيق.. كان علي شفيق هذا طيارًا مدنيًا فلسطينيًا في منتصف العشرينيات من عمره.. حاد الذكاء.. يجيد التحدث بعدة لغات.. يمتلك حسًا أمنيًا عاليًا.. واشترك في جميع عمليات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حتى استشهاده.

كان شفيق قائد المجموعة التي اختطفت لأول مرة طائرة العال الإسرائيلية (بوينج ٧٠٧) في ٢٣ يوليو ١٩٦٨ ، التي كانت في طريقها من روما إلى تل أبيب تحمل على متنها ٣٨ راكبًا منهم ١٥ إسرائيليا.. تنفيذا لاستراتيجية الجبهة بضرب الركائز الاقتصادية والعسكرية والبشرية للعدو الصهيوني . حيث أجبر شفيق ومجموعته الطائرة على الهبوط بمطار الجزائر. وفي القاهرة أعلن وديع حداد عن العملية ، حيث كان يومها نائبًا لرئيس المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد بمصر، والصورة الوحيدة التي تداولتها وسائل الإعلام العالمية كانت صورته بالكوفية الفلسطينية المميزة.

كانت هذه العملية أول عملية لاختطاف طائرة ركاب إسرائيلية.. استهدفت نقل الكفاح المسلح الفلسطيني إلى الساحات الدولية.. وكانت هناك معلومة تفيد بأن الطائرة تقل أرئيل شارون الضابط الدموي خلال ١٩٦٧ ، لكن شارون لم يكن بين ركاب الطائرة ..

ضـربات مـتواصـلة

طار حبش إلى الجزائر والتقـى بوزيـر الخارجيـة بوتفليقـة.. وأفرجـت السـلطات الجزائرية عن بقيـة الركـاب واحتجـزت الإسـرائيليين وطـاقم الطـائرة الإسـرائيلي.. وبرغم التهديدات الدولية بمقاطعة الجزائر من قبل الاتحاد الدولي للطيران المدني.. لم ترضخ الجزائر للضغوط إلا بعد ستة أسابيع.. وذلك عندما وافقت إسرائيل مُجـبرة – على شروط ، حبش وأفرجت بالفعل عن قائمة ضمت ٣٨ من المناضلين الفلسـطينيين في السجون الإسرائيلية.. بينهم سجين أسر في عام ١٩٦٤.

كـانت هـذه العمليـة بحـق ضربـة جريئـة ومباغتـة، زلزلـت إسـرائيل وأفقدتـها صوابها.. وتحول شفيق وزميلاه عند سائر العرب إلى أبطال.. أما جـورج حبـش فقـد حسدته المنظمات الفلسـطينية الأخـرى علـى ضربتـه الجريئـة الناجحـة. بعـد ذلـك استجوبت إسرائيل قائد طائرة العال.. والملاح.. والمضيفـات.. وأجمعـوا بـلا اسـتثناء على أن الشبان الثلاثة كانوا على علم بـالخرائط الملاحيـة .. وأن قـائدهم ربمـا كـان طيارًا سابقًا.. فقد كان يوجه الطيار والملاح، ويلقي أوامره بلغة الفاهم بمهام الطيران.

وفي ٢٦ ديسمبر ١٩٦٨ ، خطط حبش وحداد لعملية ثانية جريئـة، جـاءت هـذه المرة في أثينا.. حيث هاجم شابان فلسطينيان بالرشاشات والقنابل اليدوية ، مكتـب شركة العال بالمطار، وأطلقوا الرصاص على الطائرة الإسـرائيلية وهـي جاثمـة بالمطـار بركابها. فقتل راكب إسرائيلي وجرحت مضيفتين. وكان الرد الإسرائيلي السريع هو ضرب مطار بيروت الدولي ، وتفجير عدة طائرات مدنية تخص شركة طـيران الشـرق الأوسط اللبنانية . (راجع تفاصيل العملية بالجزء الثالث من (حراس الهيكل) .

بعدها ، وفي ١٨ فبراير ١٩٦٩ ، هاجم ثلاثة فدائيين وفتاة، طائرة العال في مطار كلوتـين بزيـورخ، فقتـل طيـار إسرائيلي وأصيـب خمسـة مسـافرين ، لكـن قنـاص إسرائيلي ، مردخاي راشاميم، كان متخفيًا بين الركاب، أطلق النار على الفدائيين، فاستشهد فدائي اسمه عبد المحسن على أسفلت المطار، وألقى القبض علـى القنـاص

والفدائيين الثلاثة الآخرين، حيث أفرج عنهم بعد ذلك في سبتمبر ١٩٧٠ ، وعاد القناص إلى إسرائيل بعدهم بفترة وجيزة ليعمل حارسًا شخصيًا لجولدا مائير .

توالت عمليات حبش الفدائية النضالية المدهشة.. وتعهدت الموساد باغتياله وإنهاء هذا الكابوس المرعب.. لكن حبش كان لا يأبى الموت الذى كان يتربص به، وأخذ يخطط بجسارة لعمليات أكثر جرأة تطيح بصواب إسرائيل.

ففي ٢٩ أغسطس ١٩٦٩ نفذ حبش ضربة جديدة لتحريك القضية الفلسطينية عالميًا، عندما قام رجاله بخطف طائرة بوينج تابعة للخطوط الجوية العالمية إلى دمشق. وقادت العملية الفدائية الشهيرة (ليلى خالد) بمشاركة زميلها سليم عيساوي، وكانت هذه أول عملية خطفت بقيادة فتاة فلسطينية، أعادت إلى الأذان ذكرى (شادية أبو غزالة) التي استشهدت عندما انفجرت بها قنبلة كانت تصنعها لجبهة حبش في ٢١ نوفمبر ١٩٦٨. وفي مطار دمشق أطلق سراح الركاب والملاحين ثم جرى تفجير الطائرة على ممر فرعي بالمطار . لتجيء بعد ذلك عملية مطار الثورة في الأردن[١]، حيث اختطفت ثلاث طائرات[٢] في يوم واحد جرى تفجيرها بمطار الثورة في ٦ سبتمبر ١٩٧٠، وفجرت الطائرة الرابعة بمطار القاهرة. لذلك فقد كانت إسرائيل ترتجف.. لمجرد ذكر اسم جورج حبش.. وتطالب برأسه بأي ثمن.

٥ مليون دولار

وفي ٢٢ فبراير ١٩٧٢ — وكانت منظمة حبش تمر بأزمة تمويل حادة.. ووقع الاختيار على ألمانيا الغربية، لمعاقبتها على دفع التعويضات لإسرائيل بالمليارات، فتستخدمها إسرائيل في تسليح جيشها وترسيخ احتلالها لفلسطين. لذلك اختطف

(١)مطار قديم أقامه البريطانيون وبات مهجوراً منذ سنوات، ويقع في محلة (قيعان خنًا).

(٢) بعد موافقة جمال عبد الناصر على مبادرة روجرز، رأى حبش أن ذلك يعني القضاء على المقاومة الفلسطينية. لذلك أراد إشعال المنطقة بعدة عمليات تقلب الأجواء والمعادلة، وخطط مع وديع حداد لخطف مجموعة طائرات. طائرة (العال) ، وطائرة سويسرية، وطائرة بريطانية، ورابعة أمريكية. العال أحبطت في الجو، والسويسرية والأمريكية فجرتا في مطار الثورة ومعهما طائرة بريطانية خطفها شاب فلسطيني من البحرين بمبادرة منه. أما الطائرة الأمريكية الرابعة فقد فجرت في مطار القاهرة الدولي .

رجاله طائرة بوينج ٧٤٧ تابعة لشركة لوفتهانزا الألمانية كانت في طريقها من نيودلهي إلى أثينا.. وهبطوا بها في عدن.. بعد وقت قصير من تأكيد نجاح العملية ، اقترب شاب عربي من صندوق البريد في مقر الشركة في فرانكفورت، وترك رسالة لم تتأخر طويلاً في الوصول إلى مكتب المدير. كانت المطالب مالية ، خمسة ملايين دولار أمريكي ، وطبقت شركة لوفتهانزا حرفيًا ما جاءها في الرسالة، الإنذار[1] . ووصل مبعوث ألماني إلى مطار بيروت الدولي، حاملاً معه حقيبة ضخمة بها المبلغ المطلوب. انطلق بسيارة مستأجرة من المطار قادها بنفسه إلى صيدا، وبعدها مباشرة أقلعت الطائرة، مع اتفاق غير مكتوب بأن تدفع لوفتهانزا إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، دفعات أخرى سنوية.. والمثير أن جوزيف كيندي.. ابن السيناتور المغتال روبرت كيندي كان أحد ركاب الطائرة ..

بعدها بعشرة أسابيع فقط ، وفي الثامن من مايو ، اختطفت المجموعة نفسها طائرة من طراز ٧٠٧ تابعة لشركة (سابينا) البلجيكية.. وكان الحماس على أشده عندما اندفع الشبان الأربعة، علي شفيق والدرزي السوري عبد العزيز الأطرش، وريما طانوس ، وتيريزه هلسا ، بطائرتهم التي تحمل ٧٨ راكبًا ، إلى عمق أحشاء إسرائيل وقلبها .. إلى مطار اللد.

حبس العالم أنفاسه أمام جرأة العملية المثيرة، وخطف جورج حبش البساط من تحت قدمي منظمة التحرير الفلسطينية.. وتحول إلى أسطورة نضالية فلسطينية بلا مثيل.

---

(١) جاء بالرسالة أن تكون الملايين الخمسة من فئات مختلفة. يحملها شخص في حقيبة ذات مواصفات معينة، ويخرج من باب محدد في مطار بيروت إلى مكان توجد فيه سيارة فولكس فاجن مفاتيحها في داخلها. يفتح الرجل المكان المخصص للأوراق فيعثر على خريطة ترسم له طريقاً عليه أن يتقيد به. وحين يصل إلى النقطة المحددة يتوقف عندها. وكانت النقطة قرب فندق في صيدا. وصل الألماني إلى صيدا بالملايين الخمسة. اقتيد إلى مكان سري لوديع حداد الذي كان معه شخص يعمل بأحد البنوك لعد المبلغ. أعطي للألماني بعض الدولارات وكلمة السر التي نقلها إلى الشركة، وعندما سمعها الشبان في عدن استسلموا لسلطات الأمن. كانت كلمة السر (أبو طلعت) وهو اسم أحد شهداء الجبهة.!!

ارتجت في ذات الوقت إسرائيل وأجهزة مخابراتها.. عندما وصلت الجرأة بحبش أن يأمر فريقه بالتوجه بالطائرة المختطفة لإسرائيل، والمطالبة بالإفراج عن بعض السجناء الفلسطينيين ثم الطيران بهم إلى مطار عربي ، ومن هناك يتم الإفراج عن الرهائن والطائرة.

أربعة وعشرون ساعة كانت فترة المفاوضات المرهقة الشاقة ، وكان المفاوض موشى ديان بنفسه ، استخدمت إسرائيل خلالها شتى عمليات التسويف والماطلة إلى أن أعلنت موافقتها.. وبالفعل.. جاء المسجونون حليقو الرؤوس وبلباس السجن.. وبعملية كوماندوز في ٩ مايو ١٩٧٢ .. اقتحم إيهود باراك ورجاله الذين بلباس السجن الطائرة.. وقتل شفيق والأطرش وأصيبت الفتاتان وأسرتا.. وحكم عليهما في ١٤ أغسطس ١٩٧٢ بالسجن مدى الحياة.. لكن أفرج عنهما بعد ذلك في إحدى عمليات تبادل الأسرى مع الفلسطينيين.

لكن حبش وحداد لم يسكتا ، وقررا الانتقام لعملية سابينا،ووصل ثلاثة شبان يابانيين إلى مطار اللد في الثلاثين من مايو ١٩٧٢ ، ما إن دخلوا صالة الوصول حتى فتحوا نيران أسلحتهم وألقوا بقنابلهم. قتل في الحال ٢٧ ، أغلبهم إسرائيليين، ونجا واحد فقط من أعضاء الجبهة الشعبية (كوزو أوكاموتو) الذي اعترف في المحاكمة أنه يكره إسرائيل، وأظهر أسفًا لأنه كان ينوي قتل مائتين على الأقل.. تعرض أوكاموتو للتعذيب الشديد طوال سنوات السجن، وعندما أفرج عنه كان ينبح كالكلب، واتضح أنه عُوِّد على ذلك في السجن إذا أراد الطعام أو الشراب.!!

وهكذا.. طوال خمسة عشر عامًا من الكفاح المسلح ، لم تتوقف عمليات جورج حبش ووديع حداد.. وبقيت الجبهة الشعبية على رأس قائمة العمل الثوري الفلسطيني.. ليحتل جورج حبش مرتبة رفيعة لم يصل إليها مناضل فلسطيني قبله..

في ١٢ ديسمبر ١٩٧٤ نفذت أول عملية استشهادية بحزام ناسف على الإطلاق ، حينما أرسلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين شابًا إيرانيا إلى تل أبيب عن طريق

شرق آسيا بجواز سفر بريطاني مزيف[1].. كان الفدائي الإيراني قد تدرب على صنع المتفجرات من مواد محلية وتم تأمين الصواعق له.. دخل الشاب سينما (حين) في تل أبيب حاملاً علب مياه غازية تحوي متفجرات مُصَنَّعَة..و أثناء عرض الفيلم فتح القنابل وألقاها في السينما ثم فجر نفسه بحزام ناسف..

نفذ الفدائي العملية بنجاح مذهل واستشهد مُوقعاً ٦٢ إسرائيليا بين قتيل ومصاب، وترك بذلك رسالة واضحة من حبش تقول: (إن النضال الفلسطيني المسلح لن يتوقف وسنظل نضرب بلا توقف في الداخل أو الخارج، طالما هناك أرض مغتصبة مطارد شعبها .. ولاجئون تكتظ بهم المخيمات، يتطلعون إلى العودة ذات يوم إلى ديارهم ودورهم وأرضهم.) .

التصميم

وبعد عام ونصف – في ٢٦ يونية ١٩٧٦ – تمت عملية عنتيبي[2] التي تعد إحدى أشهر عمليات المجال الخارجي للجبهة الشعبية وأكثرها درامية.. وبرغم فشل العملية وصعود نجم مخابرات إسرائيل يومها إلا أن العملية كانت دليلاً واضحًا على مدى التصميم على المضي في ذات الطريق.. وأن جورج حبش ووديع حداد يتفوقان يومًا بعد يوم في عملياتهما المرعبة ضد إسرائيل. ففي ١٤ أكتوبر ١٩٧٧ ، أقلعت طائرة لوفتهانزا بوينج ٧٣٧ ، تحمل ٨٦ راكبًا من مطار بالما دي مايوركا Palma de Mallorca في إسبانيا بينهم ٤ مضيفات وقائد الطائرة ومساعده.. اختطفها أربعة عناصر من (المجال الخارجي) ، شابين وفتاتين يحملون جوازات سفر إيرانية مزيفة.

(١) أنشأ جورج حبش مطبعة حديثة لاستصدار الوثائق وجوازات السفر ، قيل إنها كانت أفضل مطبعة في الشرق الأوسط وقتها،وكان الهدف كسر الحصار المضروب على الفلسطينيين وقدرتهم على التحرك. وأمدت المطبعة كارلوس وكافة رجال الجبهة الشعبية وشباب المجال الخارجي بجوازات سفر متقنة، سهلت عمليات التحرك الخارجية بشكل جيد..!!

(٢) عنتيبي : جاءت تفاصيل العملية بالجزء الثالث من (حراس الهيكل) .

كان الركاب من الألمان والإسبان وأمريكية واحدة.. وبعـد رحلـة تجـوال في سمـاء الشرق الأوسط والتزود بالوقوف في قـبرص والبحريـن ودبـي ، قتـل الخـاطفون قـائد الطائرة في عدن، لأنه نجح إبان الطـواف في المطـارات مـن تسـريب معلومـات عـن الخاطفين ، ثم أخذوا جثته وهبطت بهم الطائرة في الصومال .

وبعد خمسة أيام من المفاوضات الشاقة(١)، وتحت جنح الظـلام هـاجم كومـاندوز ألمانى (غربى) الطائرة الجاثمة في مقديشيو.. وقتل زهير عكاشة قائد المجموعة ونبيل حرب ونادية دعيبس.. أما الفتاة الرابعة سهيلة أندراوس السايح فقد أصيبت بسـت رصاصات فى أنحاء متفرقة في جسدها.

كان الخاطفون الفلسطينيون يطالبون بإطلاق عدد مـن المعتقلـين في سـجون ألمانيـا الغربية ، وإطلاق فلسطينيين اعتقلا في تركيا.

وكانت عمليـة مقديشـيو الضربـة الأخـيرة لوديـع حـداد رفيـق جـورج حبـش في النضال.. إذ داهمه المرض العضال، وبعد رحلـة عـلاج طويلـة مؤلـة مـات حـداد في برلين الشرقية في ٢٨ مارس ١٩٧٨ ، واستقبلت إسرائيل نبأ وفاتـه بفرحـة عارمـة.. أخرجت أحد مسئولي الموساد عن صمته يقول بابتهاج :

(بوفاة حداد سـتحصل إسـرائيل علـى مسـاحة عريضـة مـن الأمـن لفـترة طويلـة قادمة.. لقد مات الإرهابي القاتل دون أن تسنح لنا الفرصـة لتصفيتـه.. لكننـا حتمًـا سننتقم من حيش.. فدماء ضحايانا مازالت تلوث يديه..)..!!

أبدًا .. لم يتراجع حبش أو يتوقف عن مواصلة الجهاد . كان ذكيًـا يتمتـع بقـدر عال من الدهاء، مكنه من الابتعاد دائماً عن المصائد الإسرائيلية التي أعدت لـه. فقد كان يتنقل في حذر من بيت لبيت، متخذًا أكثر من مكان لإقامته، ولا يكاد يستخدم

---

(١) خلال أيام المفاوضات كانت هناك اتصالات سرية مع الرئيس الصومـالي (سـياد بـري)، الـذي كـانت بـلاده تعاني من مشكلات اقتصادية معقدة ، ويبدو ، برغم صداقته وعلاقته الوثيقة بوديع حداد، اتفـق مـع الألمـان في صفقة سرية على اقتحام الطائرة. ونشط جهاز الاستخبارات الألمـاني الغربـي (BFV) في التخطيـط للعمليـة بعـد مراقبات متواصلة للطائرة من برج المراقبة ، إلى أن وصل فريق الكوماندوز وأنزل في ساعة الصفر إلى المطار .

التليفون في اتصالاته برجال جبهته. أو يدع أحد يعـرف مكانـه. إذ كـان يعلـم بأنـه مطلوب في إسرائيل، بل هو المطلوب رقم واحد، متساويًا مع الفدائي الأسـطورة علـي حسن سلامة. ذلك لأنهما استطاعا تركيع إسرائيل وإذلالها، وتنغيص أمنها لسنوات طويلة.

بيد أن إسرائيل كثفت جهودها لاغتيال حبش.. واستغلت العميلة أمينة المفـتي، في اقتفاء أثر الرجل الثعلب ببيروت.. وكانت المرة الأولى والأخـيرة عـام ١٩٧٣ الـتي أوشك فيها حبش على الوقـوع بـين أيـدي الإسـرائيليين.. فَصَـدَّر الهـول والفـزع إلى إسرائيل.. وأنهك رجال الأمن في المطارات العالمية، واستعان رفيق دربه وديع حـداد بالفنزويلي (ماركوس) الذي حير العالم.. وطاردته شتى أجهزة الاستخبارات .

الوحـش يطـــير

زرعت جاسوسة الموساد أمينة المفتي(*) في بيروت.. وهي أردنية الأصل تزوجـت من طيار يهـودي وهـاجرت معه لإسرائيل .. وبعدما فَجَّر السوريون طائرتـه واعتـبر مفقودًا، أرادت أمينة الثأر والانتقام له من العرب.. وقامت بنشاط تجسسي واسع في لبنان إلى أن تم كشفها، وظلت حبيسة كهف بجنوب لبنان خمس سنوات متواصلـة إلى أن بودلت بفلسطينيين في سجون إسرائيل.

تغلغلت أمينة المفتي بين أوساط الفلسطينيين كطبيبـة متبرعـة للعمـل في الملاجـئ والمخيمات فى لبنان.. ووطدت علاقاتها بقيادات فلسطينية بارزة ، وتعرفـت بياسـر عرفات، والأمير الأحمر علي حسن سلامة المطارد من الموساد.. وكانت تتجسس بثقة في لبنان وتتنصت عل المكالمات الهاتفية لرموز الفلسطينيين بواسطة أعضاء شبكتها.

أيضًا كانت معلوماتها تحظي بالدهشة في إسرائيل وتؤخذ مأخذ الثقـة والصـدق.. ولذلك عندما بَثَّت عبر اللاسلكي رسالة تفيد بأن جورج حبش سيطير إلى بغـداد على

(*) القصة الكاملة لها جاءت بكتابنا : (أمينة المفتي.. أشهر جاسوسة عربية للموساد) .

الطائرة اللبنانية البوينج ٧٤٧ ، الرحلة رقم ٠٠٦ ظهر ١٠ أغسطس ١٩٧٣.. تهلل الإسرائيليون.. وأصدرت جولدا مائير في الحال أوامرها لوزير الدفاع موشى ديان بأن ينتهز الفرصة.. ويخطف الطائرة اللبنانية إلى مطار بن جوريون فى اللد لإلقاء القبض على حبش ، ومحاكمته على (جرائمه) في حق الشعب الإسرائيلي .

تابعت أمينة المفتي مهمتها البالغة الأهمية، عندما توجهت بنفسها إلى مطار بيروت الدولي ورأت بعينيها جورج حبش داخلاً إلى صالة السفر يرافقه أربعة رجال. وبثت رسالتها اللاسلكية لإسرائيل تؤكد وجوده على متن الطائرة. فتم تجهيز أربع طائرات ميراج لاعتراض الطائرة اللبنانية وإجبارها على الهبوط بإسرائيل.

وبينما كانت الطائرة اللبنانية تحلق في الجو بعد دقائق من إقلاعها.. لاحظ قائدها- ماتاكو- أن هناك طائرات ميراج إسرائيلية تقترب منه.. وبواسطة اللاسلكي تلقى أمرًا بأن يتجه بطائرته جنوبًا.. وهُدد بإطلاق الصواريخ على الطائرة إن لم يمتثل..

أحلام الخائفين

انزعج الطيار (الياباني الجنسية) وغَيَّر وجهة طائرته باتجاه إسرائيل.. وفي هوجة الهلع التي سيطرت على مساعده.. أمره بألا يفشي الخبر للركاب أو المضيفات.. وقال ماتا للطيار الإسرائيلي الذي كان يحادثه، إنه سينفذ كل ما يطلب منه بدقة وبدون اعتراض، راجيًا منه أن يساعده هو الآخر، بألا يقتربوا كثيرًا من طائرته ، حفاظًا على الأمن والهدوء داخل الطائرة.. وحماية للركاب من الإصابة بالهستيريا الحادة التي ستصيبهم حال اكتشافهم للحقيقة .

ولحسن الحظ لم يلحظ أي من المسافرين نجمة داود على جانب الميراج.. ولم يبال أحدهم بالأمر على اعتقاد بأنها طائرات صديقة مرت إلى جوارهم واختفت.. بينما كانت الطائرات الحربية الإسرائيلية تطير فوق البوينج تماما وأسفلها وخلفها ،

حتى أوصلوها إلى مطار اللد، وتولى برج المراقبة إرشاد الطائرة وتوجيهها إلى الممر.. وهبطت.

دهش الركاب وقد لاحظوا أن الطائرة قطعت المسافة إلى بغداد في وقت أقل من المعتاد.. لكن صوت مساعد الطيار، المضطرب ، وكان لبنانيًا ، جاء عبر الميكرفون يطالبهم بالهدوء التام.. لأنهم وتحت ظروف قهرية اضطروا للهبوط بالطائرة في إسرائيل.

سرت الهمهمات داخل الطائرة، مصحوبة بصرخات مكتومة للنسوة، ولم يصدق الجميع حقيقة ما هم فيه، حتى عندما فتحت أبواب الطائرة واقتحمها عشرات الجنود الإسرائيليين بمدافعهم الرشاشة. كانوا في غيبوبة الصدمة يحاولون استيعاب الأمر وتفسيره. تفحصهم أحد الضباط في نظرة شاملة سريعة ، وبهدوء شديد طلب منهم أن يتركوا جميع حقائبهم الشخصية وأن يسلموا جوازات سفرهم.. ويتحركوا في طابور واحد إلى خارج الطائرة.

الصدمة كانت قاسية على المدنيين الآمنين.. الصمت المصحوب بالهلع كان أبلغ رد فعل ارتسم على وجوههم..

في صالة خالية بالمطار اصطف الركاب.. همهمات بكاء النسوة تسمع هنا وهناك.. ويعلو صراخ الأطفال وقد التصقوا يحفهم الفزع بأجساد ذويهم.. أما الرجال فقد أمروا بالانتظام في طابور جديد وأخذوا إلى صالة ثانية.. حيث تم استجواب بعضهم على انفراد وسؤال كل واحد منهم عن جورج حبش.

فتشوا جدران الطائرة

كانت ملامح جورج حبش معروفة لدى الإسرائيليين ، ولديهم العديد من الصور لمراحل عمرية له مختلفة. وبالرغم من ذلك دققوا في وجوه الركاب، غير مبالين بالأسماء التي بجوازات السفر، لعلمهم أن حبش كان يستخدم جوازات سفر مزورة، أو قد تكون سليمة وصادرة من سوريا أو العراق أو دمشق، وربما اليمن. وبالكشف

على جوازات السفر تبين أنها سليمة.. لكن بقيت مسألة التعرف على جورج حبش. المعلومة المؤكدة جاءت من بيروت من مصدر ثقة.. وحبش لا بد وأن يكون بين ركاب الطائرة.. لكن لا أحد يشبهه من قريب أو بعيد.

استدعى إلى المطار العديد من أطباء التجميل.. تفحصوا وجوه الركاب بالعدسات المكبرة، وعزلوا كل واحد منهم سبق وأن أجريت له جراحة بوجهه.. أعيد الفحص الطبي مرات ومرات.. هل كان الرجل سرابًا..؟ أين هو إذن..؟ ربما يكون متخفيًا في زي امرأة.

لذلك .. فتشوا وجوه النساء.. نَقّبُوا عن الوحش في باطن الطائرة.. مخزن العفش.. ممرات الأجهزة والموتورات.. الحقائب.. كل شيء.. ولو كانت إطارات الطائرة المضغوطة هوائية مجوفة لفتحوها.. وذهبت محاولاتهم هباء.. وجن جنونهم.. فالرجل لم يكن أبدًا على الطائرة . كان قد أصيب بنزلة برد مفاجئة اضطرته في آخر لحظة لإلغاء سفره لبغداد..

كان الموقف داخلياً سيئًا بحق في إسرائيل.. وَوُجِّه اللوم للموساد بشكل علني.. وصرح مسئول أمني بالمطار بأن الطائرة لم تمكث بإسرائيل سوى ست ساعات فقط. وقدم الاعتذار الكافي للركاب.. وتسلم الطيار شيكًا بنكيًا ثمناً للوقود الذي استهلكته الطائرة..

دولة الإرهاب

هذا التصريح لم يكن كافيًا.. إذ اضطرت وزارة الدفاع لإصدار بيان شرحت فيه ملابسات الحادث.. حيث وصلتهم أنباء مؤكدة بأن الطائرة تحمل جماعات إرهابية كانت بطريقها إلى بغداد .

وعندما طيرت وكالات الأنباء الخبر ، ونشرت الصحف العالمية تفاصيل ما حدث.. أعلن حبش أن إسرائيل تدعي أنها تحارب الإرهاب.. وترتكب هي الإرهاب نفسه وبأبشع صوره.. وتوعد إسرائيل بالمزيد من العمليات في كل مكان.

اعتقدت الموساد أن أمينة المفتي قد كُشف أمرها في بـيروت.. وأن معلومـة حبـش قد سُرِّبت إليها للتأكيد وكدليل إدانة ضدها. لكن اتضح بعد ذلـك أن أمينـة المفـتي كانت ما تزال تحظي بالثقة لدى الفلسطينيين.. وتمارس نشاطها التجسسـي بحريـة وبأمان.. وأن المعلومة التي بثتها كانت صحيحة مائة بالمائة..

لقد اعترفت تل أبيب على اسـتحياء ، بأنـها اختطفـت الطـائرة المدنيـة خارقـة بذلك القانون الدولي ، دفاعًا عن أمنها ضد ضربات جـورج حبـش.. إلا أن الصحـف الغربية المستنكرة شنت هجومًا مكثفًا على إسرائيل.. ووصفتها بالدولة الإرهابية التي حققت الفشل المبين، نتيجة الرعـب مـن ضربـات المنـاضلين الفلسـطينيين.. وبرهـن المحللـون علـى أن هـذه السـقطة المدويـة للمخـابرات الإسرائيلية ، كـانت نتيجـة لمعلومات خاطئة.. أدت إلى القرصنة في ظل سوء التقدير ومدى الارتباك والتخبط..!!

لم يسقط جورج حبش في قبضة الموساد.. وهو الآن في الثمانية من عمـره.. خلقـت منه معاناة السنين الطويلة الفائتة رجلاً يمشي على عكازين.. قيل أن نصف بدنـه لا يتحرك.. لكنه ، وقد اعتزل نشاطه ، ما يـزال أسـطورة التضحيـة والنضـال.. ورمـز البطولة الخارقة..!!





خطف الطائرة البوينج الليبية ..!!

الخوف.. نعم الخوف.. إنه الوحش القاتل الذي ينهش عقول حكام إسرائيل أمام ضربات المقاومة الفلسطينية والنضال.. وعندما خططوا لاختطاف الطائرة المدنية الليبية في الأجواء الدولية.. كان شاغلهم الخوف على أمن إسرائيل.. يخالجهم هاجس الرغبة الملحة في إسكاتهم .. في قتل هذا الداء ، المتمثل في قادة المنظمات الفلسطينية الذين كانوا على متن الطائرة..!!

أشباح الرعب

صرخ رئيس الموساد ناحوم أدموني[1] مهللاً وهو يقرأ البرقية السرية :

(إنها فرصة العمر لإسرائيل.. فرصة ما كنا نتخيلها أبدًا عندما نمسك بزمرة الإرهابيين هؤلاء دفعة واحدة.. وبعدها ، لن تقوم للعمليات الإرهابية ضدنا قائمة بعد ذلك أبدًا.).

جاء هذا إثر تلقي الموساد برقية هامة من أحد عملائها، تفيد بوصول عدد من قيادات المنظمات الفلسطينية إلى ليبيا ، بناء على دعوة الرئيس معمر القذافي.. وأنهم سيطيرون إلى سوريا على متن إحدى الطائرات الليبية النفاثة في ٤ فبراير ١٩٨٦، بعد عقد عدة اجتماعات أمنية وتنسيقية لمدة ثلاثة أيام في طرابلس، فيما سمي بمؤتمر القيادة الموحدة للقوى الثورية في العالم العربي، بحضور ممثلين عن ٢٢ منظمة فلسطينية وعربية ، بدعم من العقيد القذافي.. الذي يشجع تصعيد العمليات ضد إسرائيل ، خاصة بعدما اتخذ ياسر عرفات ومنظمته اتجاهًا معتدلاً سياسيًا تجاه المشكلة الفلسطينية.

جاء بالبرقية أن على رأس هؤلاء القادة أعداء إسرائيل الأزليين : جورج حبش رئيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ورفيقه أبو علي مصطفى (تولى رئاسة الجبهة بعد اعتزال حبش ، واغتيل مؤخرًا في الأرض المحتلة)، وأبو خالد العملة، وعبد الفتاح غانم، وعربي عواد. ، وصبري خليل البنا (أبو نضال) [2]

---

(١) ناحوم أدموني : يهودي بولندي الأصل ، ولد عام ١٩٢٩ باسم (روتباوم) وكان أبوه مهندسًا زراعيًا. خدم أدموني في منظمة الهاجانا الإرهابية، ثم ذهب للدراسة الجامعية بأمريكا، وبعد رجوعه عمل في أكاديمية الموساد ومارس العمل السري في واشنطن وأثيوبيا وغيرهما حتى اختاره مناحم بيجين رئيسًا للموساد (١٩٨٢ : ١٩٩٠) .

(٢) أبو نضال (صبرى خليل البنا): ولد في فلسطين عام ١٩٣٧ (١٩٤٠ في مصادر أخرى) لأسرة ثرية تمتلك منزلاً من عشرين غرفة في يافا. ويمتلك والده ستة آلاف دونم من أجود الأراضي في عسقلان ويافن وكفار سافا ، وكان صديقا لحاييم وايزمان الذي تقلد بعد ذلك منصب أول رئيس لإسرائيل.. استولت إسرائيل على أملاك الأسرة بعد حرب ١٩٤٨ وانتقل صبري إلى بيروت ودرس هندسة الميكانيكا في القاهرة وفي بيروت. وفي عام ١٩٦٥ انشغل بالمشكلة الفلسطينية وكان عضوًا باللجنة المركزية لمنظمة التحرير ثم سفيرًا للمنظمة في الخرطوم ثم بغداد.=

ونايف حواتمة رئيس الجبهة الديمقراطيــة لتحرير فلسطين وأحمد جـبريل رئيس جبهة (القيادة العامة للجبهة الشعبية لتحريــر فلسطين). وكـان سقوطهم في قبضـة إسرائيل يمثل نصرًا ساحقا لا يعوض .

فى ذلك الوقت ، ومع الفشل بالتنبؤ بضربات الفلسطينيين والأهداف المتوقعـة ، سواء في الداخل أو الخـارج .. وهو الفشـل الـذي استمر طـوال حقبـة الصراع بـين المنظمـات الفلسـطينية المختلفـة وإسـرائيل ، كـان مجتمـع المخـابرات الإسـرائيلي يتساءل :

هل عمليات اغتيال القادة الفلسطينيين الكبار جديرة بالاهتمـام والمغـامرة.؟ وهـل ستكفل الأمـن لإسـرائيل لوقـت طويـل.؟ أم يجـدر الاهتمـام بـأولئك القـادة غـير المعروفين.. والذين قد يتولوا قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بعد عرفات..؟

وبين هذين الرأيين ، ظهر رأي وسط عـبر عنـه الجـنرال (جدعـون ماشـانيمي)، نائب مستشار رئيس الوزراء الإسرائيلي لمكافحة الإرهـاب.. في دراسـة يطـالب فيـها بالاهتمام والتركيز على زعماء المنظمات الصغيرة فقط عند التفكير بعمليـات اغتيـال.. حيث إن هذه المنظمات يسيطر عليها رجـل واحـد.. وعندمـا يتـم تصفيتـه تتلاشى منظمته إلى الأبد.. وعندئذ يحقق الاغتيال الهدف الاستراتيجي المرجو منه.

هـذا التحليـل لاقــى بعـض المسـاندة والتشـجيع في المجتمـع الاسـتخباراتي الإسرائيلي.. ولذلك، فعندما تأكد للموساد أن الزعمـاء الأربعـة يجتمعـون بـالفعل في ليبيا.. وسوف يغـادرونها إلى سوريا على متن طائرة واحدة.. تقرر على الفور خطف

= وفي ١٩٧٣ انشق عن المنظمة وأسس (المجلس الثوري لفتح) واختلف مع عرفات وأعلن أنه سيقتله.. ويقـال أن عرفات بدوره حكم على صبري البنا بالإعدام غيابيًا.. ونفذت منظمته عمليات وصفتها المخابرات الأمريكيـة بـأن (نطاق عملياتها يعد من أوسع النطاقات).. وقام بأكثر من ٢٥ هجومًا ضد إسرائيل أشهرها إطلاق النار على سفير إسرائيل في لندن، وكان هذا الحادث ذريعة إسرائيل لغزو لبنان عام ١٩٨٢. ويقول أبو نضـال عـن نفسـه : (أنـا روح أجهزة المخابرات الشريرة التي لا تتجول إلا في الليل فتصيبهم بالفزع وبالكوابيس). وظل أبو نضـال مطـاردا من شتى أجهزة المخابرات العالمية والعربية بلا فائدة حتى قتل ببغداد في أغسطس ٢٠٠٢.

الطائرة الليبية التي تقلهم .. فتكون بذلك ضربة حظ لا تحلم بها إسرائيل ، وضربة سوداوية تصيب المقاومة الفلسطينية ومنظماتها في مقتل. وَصَدَّق رئيس الوزراء[1] على العملية يحدوه الأمل في النجاح.

وفي ٤ فبراير ١٩٨٦ كانت المعلومة الواردة إلى الموساد صحيحة مائة بالمائة.. فالطائرة غادرت ليبيا بالفعل متجهة نحو الشرق حيث ستعبر الأجواء اللبنانية في الطريق إلى مطار دمشق.

حديث الخيال

يقول ضابط الموساد (فيكتور أوستروفسكي) [2] :

كنت في مهمة بقبرص ، وجاءتني أوامر جديدة أن أظل في الفندق (صن هول) المطل على ميناء لارناكا ، وأنتظر مكالمة هاتفية من عميل للموساد في ليبيا. كان هذا العميل يراقب مطار طرابلس، وكانت المكالمة المنتظرة تحمل الرسالة السحرية: (خرجت الدجاجات من العش.).

كان من المفروض عندما أتلقى هذه الرسالة ، أن أبث على جهاز الإرسال، كل خمس عشرة ثانية عبارة: (خرجت الدجاجات من العش.) . وكان يفترض أن تلتقط هذه الرسالة بواسطة زورق صواريخ قريب، وتمرر إلى سلاح الجو الإسرائيلي، الذي جهز طائرات حربية تعترض الطائرة الليبية، وتجبرها على الهبوط في إسرائيل..

العقيد القذافي عندما دعا إلى هذا المؤتمر ، كان يرد على المناورات البحرية الأمريكية قرب سواحل بلاده. ووافق ممثلو المنظمات الثورية العربية خلال مؤتمرهم،

---

(١)كان رئيس الوزراء وقتذاك هو شيمون بيريز (١٩٨٥ : ١٩٨٧) .

(٢) أقوال أوستروفسكي المنقولة هنا جاءت بكتابه (عن طريق الخداع).. والكتاب مليء بالأكاذيب والمغالطات والمبالغة اللا منطقية في تمجيد رجال الموساد.. وقد لاحظت أن المؤلف يزيف الكثير من الحقائق، بما ينم عن لجوئه هو الآخر (لطريق الخداع) في سرد الأحداث.. وهذا الأسلوب مكرر ومعروف، فالكتب التي تصدر عن مؤلفين إسرائيليين، خاصة أولئك الذين خدموا في الموساد، لا تحمل من الحقائق أكثر من أكاذيب خيال خصب متعمد .!!

على تشكيل فرق انتحارية للقيام بهجمات فدائية ضد أمريكا، في أمريكا وأماكن أخرى من العالم، إذا تجرأت الولايات المتحدة على شن عدوان على ليبيا .

من الطبيعي أن تكون الموساد تراقب الحدث، وطبيعي أيضًا أن الفلسطينيين كانوا يفترضون ذلك.. ولذا فقد تسرب الخبر بأن كبار المنظمات الفلسطينية، قرروا مغادرة ليبيا مبكرين إلى سوريا، بواسطة الطائرة المدنية الليبية التي تطير فوق الساحل الجنوبي/ الشرقي لجزيرة قبرص . وكان للموساد عميلان، لم يكن أحدهما يعرف الآخر، ينتظران على خط الهاتف. كان أحدهما يراقب المطار في طرابلس، لكي يرى الرجال وهم يركبون الطائرة وتقلع بهم، والعميل الآخر هو أنا. حيث أتلقى رسالة العميل الأول، ثم أقوم ببث الرسالة إلى زورق الصواريخ .

كنت قد دخلت إلى قبرص تحت اسم (جاسون بيرتون). ونقلني قارب إسرائيلي إلى نصف الطريق ثم التقطني يخت خاص من الميناء، وتم ختم تأشيرة الدخول كما لو كنت قدمت عن طريق المطار .

وبينما كنت أنتظر المكالمة الهاتفية من ليبيا ، تعرفت مساء الثالث من فبراير ١٩٨٦ ، برجل فلسطيني أنيق يبدو عليه الثراء . كان يتصفح مجلة (بلاي بوي)[١] مخبأة داخل مجلة عربية..(!!!) وكان يحب الشرب..(!!!) لذلك ذهبنا إلى البار حيث بدأنا نسكر..!!

في تلك الأثناء أعربت عن تعاطفي الشديد مع القضية الفلسطينية.. بل ذكرت فقدان مبلغ كبير في بيروت بسبب الحرب ، وقلت :

– أولئك الإسرائيليين الدمويون.

ونتيجة للإسراف في الشراب قال :

– إننا سنجعل الإسرائيليون يأكلون البراز غدًا.. .

– عظيم!! عظيم.. كيف ستفعلون ذلك ..؟

---

(١) مجلة عارية . (لاحظ القصد والتشويه المتعمد في كتاباتهم) .!

–لقد سمعنا من أحد المصادر أن إسرائيل تتابع هذا الاجتماع لمنظمة التحرير الفلسطينية مع القذافي.. سوف نقوم بخدعة في المطار، فالإسرائيليون يعتقدون أن كبار رجال المنظمة سيركبون معًا في طائرة، لكنهم لن يفعلوا.

تبرير غير منطقي

بذلت ما في وسعي حتى أظل هادئًا.. وعدت إلى غرفتي لأتصل برقم طوارئ في إسرائيل، ولم يكن يفترض أن أبادر بالاتصال لكن كان علي أن أفعل شيئًا .. وطلبت (.. ..) .. ..

–لا يمكن الوصول إليه.. إنه مشغول.

–لا بد من أن أتحدث معه.. إنها حالة طارئة.. سوف أتحدث مع رئيس دائرتي.

–متأسف.. إنه مشغول أيضاً .

وبعد يأسي من إبلاغ رسالتي لأحد في الموساد، اتصلت بصديق في المخابرات البحرية، وطلبت إيصالي من خلاله بمكان وجود كل رؤسائه، وهي غرفة حرب (عمليات) أقامتها الوحدة ٨٢٠٠ في قاعدة جوية في الجليل. ورد رئيسي في الموساد:

– لماذا تتصل بي هنا؟

– إن كل القصة خدعة.. فأولئك الرجال لن يكونوا على الطائرة .

– وكيف عرفت..؟

رويت له القصة فقال :

– إن هذا يبدو مثل حرب نفسية.. وعلاوة على ذلك لم يكن مسموحًا لك بالاتصال.

– هذا الوقت ليس مناسبًا للوم.. إنه شيء مضحك. (وأخذنا يهاجم أحدنا الآخر) .

-اسمع.. إننا نعرف ما يجب عمله.. ما عليك إلا أن تقوم بمهمتك.. هل تذكر ما يجب أن تفعله..؟

-نعم.. لكن من أجل التاريخ أريد منك أن تعرف ما قلت .

وعند ظهر اليوم التالي جاءت الرسالة أخيرًا : (خرجت الدجاجات من العش).

فمررت الرسالة وغادرت الفندق .

طاروا من الطائرة

وعندما كانت الطائرة في مسارها المحدد في الخط الملاحي الدولي قبالة السواحل الإسرائيلية.. كانت بانتظارها أربع طائرات F16 إسرائيلية.. هددت قائد البوينج[1] الليبية بضرب طائرته إذا لم يمتثل للأمر ويتجه يمينًا صوب إسرائيل.. واستجاب الطيار الليبي بدون تفكير .. وهبط بقاعدة (رامات ديفيد) الجوية التابعة لسلاح الجو قرب حيفا .

ومع انزعاج الركاب وصراخ السيدات.. أمر الإسرائيليون الركاب من الرجال فقط بالنزول من الطائرة رافعين أيديهم ومعهم جوازات سفرهم.. وفي أحد العنابر القديمة القريبة أخذت منهم جوازات السفر، وأوقفوا ووجوههم إلى الحائط لمدة تزيد عن الساعة.

كانت ملامح أبو نضال مجهولة تماما للإسرائيليين.. فلا أحد يعرف شكله بالضبط. وصورته الفوتوغرافية الوحيدة الأكثر انتشارًا.. والتي يقال إنها التقطت في كوريا الشمالية.. قد لا تكون حقيقة.. وعمرها على أية حال كان يزيد عن خمسة عشر عامًا.

أما الزعماء الفلسطينيين الباقين ، فصورهم وملامحهم كان رجال الاستخبارات الإسرائيلية يعرفونها ، ويحفظها خيالهم جيدًا. إذ كيف ينسون وجوه هؤلاء الذين

(١) جاء ببعض المصادر أن الطائرة كانت من طراز (ليرجيت)، واختطفت في الأجواء الدولية على ارتفاع ثلاثين ألف قدم فوق البحر المتوسط، وتهم بالدخول إلى المجال الجوي السوري.

يؤرقون مضاجعهم ، ويضربون قلب إسرائيل بلا هوادة.. فيضحك العــالم في سـخرية على فزع (حراس الهيكل) أمامهم.؟

وبالرغم من ذلك .. استخدمت إسرائيل شتى الأساليب العلمية والفنيــة الحديثـة للتعرف على الرجال المطلوبين، بفحص المسافرين بدقة شديدة، والتدقيق في وجوههم بالعدسات المكبرة، كما تم تصويرهم للمقارنة والتماثل وحساب الأبعاد. لكـن لا أحـد منهم كـان علـى الطـائرة.. وكأنـهم قفـزوا بالباراشـوت في البحـر المتوسـط، أو زودوا بأجنحة وطاروا.. طاروا من الطائرة.. أو ربما استعانوا بـ (طاقية الإخفاء) الشهيرة .

وكانت صدمة شديدة تشابهت مع صدمة اختطاف الطائرة البوينج اللبنانيــة عـام ١٩٧٣ .. وجن جنون (حراس الهيكل).. الذين قاموا بفحص بعض النساء.. وفحص جوازات سفرهن بدقة متناهية..

أثناء ذلك ازدحمت الطائرة بالرجال المسلحين الذين كانوا يفتشوا كل ثقب فيها، ترتسم على وجوههم علامات الحذر والترقب، تحسبًا لهجوم مسلح مباغت من هؤلاء المختبئين في هواء الطائرة، كالأشباح.

ولما تملكهم اليأس وأحاطت بهم الخيبة ، صبوا جام غضبهم على أحد الركاب.. وكان (عبد الله الأحمر) نائب الأمين العام لحزب البعث الســوري.. وعـاملوه بقسـوة زائدة وأهانوه.. وبعد حوالي أربع ساعات أعطوا أمرًا لقائد الطـائرة بـالتحليق بركابـه من جديد.. ولم يسلموه – كما فعلوا في حادث اختطـاف طـائرة البوينـج اللبنانيـة – شيكا مقابل وقود الطائرة..

فضيحة حراس الهيكل

طيرت وكالات الأنباء العالمية الخــبر أثنـاء وقـوف الطـائرة بالمطـار الإسـرائيلي.. وأذاع راديو طرابلس بيانًا شديد اللهجة ، منددًا بالسلوك الإرهابي والقرصنة العلنيــة وإرهاب المدنيين .

أيضاً صرح العقيد القذافي أنه أمر سلاحه الجوي باعتراض الطائرات المدنية الإسرائيلية فوق المتوسط، وإجبارها على الهبوط في ليبيا، بحثًا عن إرهابيين إسرائيليين. كما لام القذافي الأسطول السادس الأمريكي على مشاركته في العملية ، بإبلاغ الإسرائيليين عن خط سير الطائرة وتوجيه طائراتهم إليها .

وفي سوريا .. أعلن راديو دمشق أن عبد الله الأحمر على متن الطائرة.. محذرا إسرائيل من المساس به أو بالوفد المرافق له.. وصرح رئيس هيئة أركان الجيش السوري، حكمت الشهابي:

(إننا سنرد على هذه الجريمة بتلقين الذين فعلوها درسًا لن ينسوه.. وسوف نختار الطريقة والوقت والمكان) .

طالب أيضًا وزير الخارجية السوري ، فاروق الشرع ، باجتماع طارئ لمجلس الأمن.. (عقد الاجتماع بعد خمسة أيام من حادث الاختطاف، واستخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ضد قرار يدين إسرائيل.) .

وتوالت أخبار الطائرة المختطفة التي أعلن راديو إسرائيل نبأ إقلاعها بكامل ركابها.. وعلق ناطق عسكري إسرائيلي بأن إسرائيل تعاملت مع الركاب بإنسانية شديدة.. وأن المقصد من وراء إرغام الطائرة على الهبوط في إسرائيل هو اعتقال زعماء فلسطينيين كان من المتوقع أن يكونوا بالطائرة، ردًا على اغتيال مسلحين فلسطينيين لثلاثة إسرائيليين، رجلين وامرأة، كانوا على متن يخت في ميناء لارناكا القبرصي قبل أيام قليلة[1]، تبين أنهم ينتمون إلى جهاز الموساد، حيث أبقيت جثة المرأة على سور اليخت لتسع ساعات ونصف، ثم أجبر رفيقاها على إلقائها في البحر قبل قتلهما.

روج أن المرأة كانت قد اشتركت في عملية ليليهامر بالنرويج (تفاصيلها بالجزء الثاني من الكتاب) لاقتفاء أثر الفدائي الفلسطيني علي حسن سلامة، الأمير الأحمر،

(١) وقع هذا الهجوم صباح ٢٥ سبتمبر ١٩٨٥ ، وأعلنت إسرائيل عن أسماء القتلى وهم ايستر بالتسور، وزوجها رولفن، وصديقهما أفراهام أفنيري. وبرغم التأكيد على أنهم لا ينتمون لجهاز الموساد، ردت ألمانيا الغربية بأن القتلى هم : المدير العام للموساد وزوجته ، وزميله في العمل السري لقسم أوربا في لارناكا .

وراح الجرسون المغربي ، أحمد بو شيقي، ضحية العملية، التي تعد واحدة من أشهر عمليات الموساد الفاشلة .

الكرم الليبي

أما أحمد جبريل، فقد ظهر على شاشات التليفزيون يطفح منه الغضب، وفي مؤتمره الصحفي أعلن:

(أعلنها صريحة واضحة، لن نحترم من الآن فصاعدًا، المدنيين الذين يسافرون على طائرات أمريكية أو إسرائيلية.. لقد حذرنا..)

وبانزعاج شديد قال رئيس الوزراء الإسرائيلي شيمون بيريز، أمام لجنة الشئون الخارجية والدفاع، التابعة للكنيست، أنه بسبب توافر معلومات أكيدة تفيد بأن على الطائرة فلسطينيًا رفيع المستوى (لم يجرؤ أن يقول : رؤساء المنظمات الفلسطينية.) ، فقد قررنا أن نتأكد فيما إذا كان على الطائرة(!!!)، وكانت طبيعة المعلومات قوية إلى حد أنها أعطتنا أساسًا راسخًا لقرارنا باعتراض الطائرة، وتبين أنها غلطة..!! بينما قال وزير الدفاع إسحق رابين : إننا لم نجد ما أملنا في وجوده. (هكذا تحدثا بهدوء وحذر) .

وأمام الاستنكار الدولي لفضيحة خطف الطائرة المدنية الليبية.. احتجت الوكالة الدولية للطيران المدني.. واستنكرت عواصم الدول تصرف إسرائيل اللامنطقي، واضطرت إسرائيل إلى الاعتذار الرسمي أمام تهديد الوكالة الدولية للطيران، ببحث عقوبات ضد إسرائيل في حال عدم اعتذارها.

وسواء اعتذرت إسرائيل أو لم تعتذر.. فالحادث الإرهابي السافر شكل فضيحة وانتكاسة لـ(حراس الهيكل)، وجناية خطيرة تضاف لسجل فضائح إسرائيل وإرهابها المتعمد المتواصل.

المثير.. أن الزعماء الفلسطينيين كان من المتوقع بالفعل أن يكونوا على متن الطائرة الليبية المختطفة.. لكن الكرم الليبي أجّل السفر.. وتغيرت بعد ذلك رحلة العودة بعيدًا عن مسار ليبيا / جنوب قبرص / لبنان .. !!



اختطاف زوارق الصواريخ من فرنسا ..!!

لم تكن عملية اختطاف الزوارق الصاروخية الفرنسية ، مجرد رغبة في تزويد البحرية الإسرائيلية بمزيد من القطع الهامة.. بل لأجل حماية المدن الساحلية في إسرائيل من هجمات البحرية المصرية.. التي تزودت بزوارق صواريخ سوفييتية سريعة تهدد أمنها.!!

الفارق الكبير

كانت البحرية المصرية ، وما زالت ، تمثل الرعب الأكبر لإسرائيل ، لتاريخها الطويل منذ القدم في حماية السواحل المصرية ، وتسلحها بأفضل القطع البحرية والأسلحة الحديثة المتطورة. وجاء حادث إغراق المدمرة الإسرائيلية (إيلات) في ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ قبالة سواحل بورسعيد، ليضيف بعدًا آخر إلى التفوق البحري المصري، حيث أوضحت الرواية الإسرائيلية التي أذاعها قائد البحرية الأدميرال شلومو إريل Shlomo Erel ، أن الصواريخ أطلقت من زورق صواريخ سوفييتي الصنع طراز كومار Komar .

هذا وقد أشارت الدوائر العسكرية في واشنطن وقتها ، أن المصريين قد حصلوا بالفعل على هذه الصواريخ منذ عام ١٩٦٢، إذ أعطى السوفييت لمصر في ذلك الحين ثلاثة زوارق صواريخ موجهة من طراز (كومار). ومعنى هذا أن الصواريخ التي أغرقت المدمرة إيلات كانت موجودة لدى مصر منذ خمس سنوات. وكانت، بالتالي، صواريخ قديمة، ولم تسلم للمصريين بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ في إطار خطة إعادة بناء الجيش المصري كما كان يعتقد.!

وأهم من ذلك كله ، أن هذه الصواريخ لم تشتهر، ولم تبرز في صورة أحدث الصواريخ، إلا عندما استخدمها المصريون لأول مرة في تاريخهم. فكأن الحادث أبرز أهمية هذه الصواريخ، أكثر مما أبرزت الصواريخ الحادث.!

على كل حال ، لم تتمثل أهمية حادث إغراق المدمرة إيلات في مجرد تدمير زورق صواريخ قديم لسفينة حربية ضخمة لأول مرة في التاريخ، بكل ما ترتب على ذلك من آثار، وإنما تمثلت في أن هذا الحادث صدر عن مصر بالذات .

وحتى يمكن فهم الظروف النفسية التي جرى فيها هذا الحادث ، لا بد من الإشارة إلى تلك الحقيقة، وهي أن ميزان القوى العسكرية بين البحرية المصرية والبحرية الإسرائيلية بعد يونيو ١٩٦٧، ظل في صالح الجانب المصري. ليس فقط لأن

البحرية المصرية لم تتأثر بهزيمة يونيو ١٩٦٧ أيما تأثير، وإنما لأن إسرائيل لم تفكر يومًا في الاحتفاظ بأسطول بحري كبير قوي، بقدر ما انصب اهتمامها على الطيران والقوات البرية. حيث اعتمدت كلية على حماية الأسطول الأمريكي لسواحلها في البحر المتوسط. وفي ذلك قالت رئيسة الوزراء جولدا مائير، بأن إسرائيل ليست في حاجة لأسطول كبير، لأن لها في الأسطول السادس الأمريكي ما يغنيها.

لا وجه للمقارنة

لقد كانت المقارنة بين البحرية الإسرائيلية والبحرية المصرية شديدة الغرابة.. فقد كانت إسرائيل تملك حتى عام ١٩٦٧ نحو ٢٤ سفينة حربية ، وثلاث غواصات بريطانية الصنع ، وثلاث مدمرات هي إيلات، ويافو Yaffo، ونوجا Noga ، وهي بريطانية الصنع أيضًا. وفرقاطة مضادة للغواصات أطلق عليها اسم (حيفا)، وكانت بالأصل مدمرة مصرية تحمل اسم (إبراهيم الكبير)، استولت عليها إسرائيل إبان حرب ١٩٥٦. إلى جانب خمس سفن حرس سواحل وإنزال، واثنى عشر زورقًا من زوارق الطوربيد إيطالية وفرنسية وبريطانية الصنع.

أما الأسطول المصري، فكان يفوق الأسطول الإسرائيلي قوة وتحديثًا وتسليحًا وعددًا. إذ تبلغ قطعه البحرية المائة قطعة من مختلف الأنواع. منها اثنتى عشرة غواصة سوفييتية، وثماني مدمرات اثنتان منها بريطانيتا الصنع، فضلاً عن اثنتى عشرة فرقاطة مضادة للغواصات، وعشر كاسحات ألغام، واثنين وثلاثين زورقًا حربيًا، كان أهمها ثمانية عشر زورقًا من زوارق الصواريخ طرازي كومار، وأوسا Osa، وكلا النوعين كان يجري بسرعة ٤٠ عقدة(*) في الساعة، أي ٧٤ كيلومترًا.

بهذه المقارنة نستطيع أن ندرك حجم الفارق الكبير بين الأسطولين.. ورغبة إسرائيل في تقريب الفجوة الكمية لدى أسطولها البحري .. لذلك سعت إلى ألمانيا

(*) العقدة = ميل بحري = ١٨٥٢ مترًا .

لإمدادها بزوارق الصواريخ الجاكوار لحماية المدن الساحلية، خشية قصفها بواسطة الزوارق الصاروخية المصرية ذات المدى البعيد. لكن الضغط العربي على ألمانيا ، أدى إلى امتناع المستشار الألماني (كونراد آديناور) برفض تزويد إسرائيل بالزوارق.

لذلك لجأت إسرائيل إلى فرنسا عام ١٩٦٤ ، ورحب الرئيس (شارل ديجول) بالصفقة التي ستؤدي إلى إنعاش ميناء تشيربورج Cherbourg على القنال الإنجليزي . وفي أبريل ١٩٦٧ كانت إسرائيل قد تسلمت خمسة لنشات من أصل ١٢ تم دفع ثمنها كاملاً .

العقاب الفرنسي

ومع بوادر نشوب حرب ١٩٦٧ بين إسرائيل والعرب، حذر الرئيس الفرنسي الجنرال ديجول إسرائيل من استخدام طائراتها الفرنسية الصنع في الهجوم على العرب. لكن إسرائيل لم تهتم.. مما اعتبره ديجول ، بعد حرب ١٩٦٧، إهانة شخصية له ، لأنه وعد العرب بأن إسرائيل لن تستخدم الطائرات الميراج في شن هجمات مفاجئة. لذلك أصدر ديجول قرارًا بحظر بيع أسلحة هجومية لإسرائيل، ومنع عنها ٥٠ طائرة ميراج كان قد تم التعاقد بشأنها، وشمل الحظر مبيعات قطع الغيار لعدد مماثل من الطائرات كانت إسرائيل قد تسلمتها قبل ذلك .

وفي ٢٨ ديسمبر ١٩٦٨ عندما هاجمت الطائرات الإسرائيلية مطار بيروت الدولي، وفجرت ١٣ طائرة مدنية، انتقامًا لقصف طائرة العال في أثينا[1] قبلها بيومين، امتد الحظر الفرنسي ليشمل جميع أنواع الأسلحة، هجومية، ودفاعية، وقطع الغيار. وبذلك توقفت صفقة الزوارق الصاروخية نهائيًا، مما أزعج إسرائيل وجعلها تفكر في حيلة للحصول عليها، ولو باختطافها من ميناء تشيربورج.

---

(١) قصفت إسرائيل مطار بيروت بزعم أن الفلسطينيين الذين قاموا بعملية أثينا يقيمون في بيروت ، وطاروا أيضاً من بيروت لتنفيذ العملية .

في ذلك الوقت كان رئيس بعثة إسرائيل لشراء السلاح، مردخاي ليمون[1]، متواجدًا في باريس، عندما اتصل به أحد أصدقائه الحميمين في وزارة الدفاع الفرنسية، صباح ٣ يناير ١٩٦٩، ليخبره بقرار الرئيس ديجول (بتجميد) صادرات السلاح إلى إسرائيل. وأن القرار لن يعلن رسميًا قبل عدة أيام. لذلك استغل ليمون الفرصة وأجرى اتصالاته بتل أبيب، ليغادر في اليوم التالي الزورق رقم ٦، والزورق رقم ٧ ميناء تشيربورج، بحجة تجربتهما في أعالي البحار. بالرغم من أنهما لم يكونا جاهزين بالمرة للإبحار.. حيث وصلا بعدها بأيام إلى إسرائيل، وكان خلالها قرار الحظر قد أعلن بشكل رسمي .

عاقبت السلطات الفرنسية العديد من المسئولين بالميناء ، وحين سئل مردخاي ليون بواسطة الخارجية الفرنسية أجاب بكل ثقة :

(ما الضمير فيما حدث..؟ إن الزورقين ملك لإسرائيل وقد دفع ثمنهما. ونحن نحتاج إلى هذه الزوارق بشدة. لذلك رأت حكومتي أثناء تجربتهما في أعالي البحار، أنه من الأفضل متابعة إبحارهما إلى إسرائيل، وكلّفت بإبلاغ الحكومة الفرنسية بذلك القرار الذي اتخذ على وجه السرعة، نظراً لحاجة البحرية الإسرائيلية إلى الزورقين لحماية السواحل الممتدة على البحر المتوسط ، من هجمات الفدائيين وتسللهم إلى شواطئنا.) .

احتجت الحكومة الفرنسية على المسلك المستفز للإسرائيليين.. ولم تشأ أن تثار ضجة في الأوساط العالمية ، حتى لا يظهر للجميع أنها خُدعت. لكنها أعلنت بوضوح أن الزوارق الخمسة المتبقية لن تغادر فرنسا إلى إسرائيل بأي حال من الأحوال .

---

(١) مردخاي ليمون : ضابط في جيش الدفاع الإسرائيلي برتبة عقيد ، يحمل جواز سفر دبلوماسي، ولد عام ١٩٢٥ في بولندا. وهاجر مع والديه عام ١٩٣٣ إلى إسرائيل، وحارب مع الإنجليز في الحرب العالمية الثانية، وكان عمره ٢١ عامًا عندما اشترك في تهريب اليهود إلى إسرائيل. وتسلم قيادة الأسطول الإسرائيلي الصغير في عام ١٩٥٠ وهو في الخامسة والعشرين من عمره. حصل على شهادة في إدارة الأعمال من جامعة كولومبيا، ثم عين بعد سنوات مشرفًا على مشتريات إسرائيل من الأسلحة في الخارج، حيث ساهم في تحديث القوات المسلحة الإسرائيلية. وتولى مسئولية الإشراف على بناء الزوارق الصاروخية في تشيربورج. وكان دبلوماسيًا في السفارة الإسرائيلية بباريس كغطاء ، بينما كان يقوم بمهام جهاز الموساد وعملياته السرية بفرنسا .

لا على الهجوم

وبخروج الجنرال شارل ديجول من الحكم في فرنسا.. تنفست إسرائيل الصعداء وتصورت أن الرئيس الجديد جورج بومبيدو سيرفع الحظر عنها. لكن خاب تصورها.. إذ بدا بومبيدو ووزير دفاعه ميشيل دوبريه أكثر تصلبًا في التعامل مع الإرث الثقيل الذي خلفه ديجول.. ورفضا التماسات إسرائيل بالإفراج عن الزوارق الخمسة في تشيربورج، التي كانت شبه جاهزة للعمل بنسبة ٩٠٪.

وعند ذلك فكرت إسرائيل باللجوء إلى شتى الوسائل للحصول على الزوارق الخالصة الثمن.. وانتهت الآراء إلى ضرورة التعاون بين الموساد والمخابرات العسكرية (أمان) ، لخطف الزوارق، بالحيلة، والمجيء بها لإسرائيل. وتضمنت الخطة الاستخباراتية عدة خطوات لإنجاح العملية .

وجهت إسرائيل في ١٢ أكتوبر ١٩٦٩ خطابًا رسميًا إلى فرنسا ، أكدت فيه على أنها لا تنوي المطالبة مستقبلاً بتوريد الزوارق الصاروخية إليها.. وترجو استرداد الثمن المدفوع للزوارق. بعدها بأيام وصل إلى باريس رجل الأعمال النرويجي (مارتين سايم) ، مبديًا رغبته في شراء زوارق فرنسية ، لتستخدمها شركته في (بنما) للتنقيب عن البترول بالقرب من سواحل ألاسكا .

انعقدت اللجنة المختصة في مجلس الوزراء لدراسة الأمر وسط جو يشوبه الارتياح العام. وحيث رأت اللجنة أن الزوارق غير مجهزة بأي نوع من السلاح، وأن صفقة البيع للشركة البنمية التي ستدفع نقدًا، ستخلصها من هذه الزوارق التي بدت مثيرة للأزمات مع إسرائيل، تقرر في ١٨ نوفمبر ١٩٦٩ الموافقة على بيع الزوارق الخمسة بمبلغ ٥٥ مليون دولار، تسلمت إسرائيل منه ٢٢ مليونًا آخر مستحقاتها لدى فرنسا. وأرسل مارتين سايم من أزال الكتابات العبرية عن الزوارق، وكتب أسماء جديدة هي: ستار بوت Star Boat (١) ، و(٢)، و(٣)، و(٤)، (٥).

ونظرًا لأن مدينة تشيربورج تعد مدينة صغيرة، فقد تعجب سكانها من بقاء أكثر من ٥٠ إسرائيليًا ما بين مهندس وبحار، كان يفترض أن يرحلوا عن المدينة بعد انتفاء صلتهم بالزوارق. لكن الإسرائيليين كانوا قد دأبوا على ترديد مقولة أن عقود عملهم تنتهي في ٢٤ ديسمبر ١٩٦٩، أي يوم عيد الميلاد. وهو اليوم المحدد سلفًا لإتمام عملية الاختطاف.

ففي ذلك اليوم ، برغم الظروف الجوية السيئة ، استغل عملاء أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية احتفالات عيد الميلاد وما يشوبها من رقص وشرب وضوضاء، وتسللوا في الظلام إلى الزوارق الخمسة الراسية بالميناء. وعند الساعة الثانية ونصف بعد منتصف الليل، أبحروا بها بأقصى سرعة مخترقين القنال الإنجليزي جنوبًا. حيث كانت بانتظارهم السفينة (تشيرزبيرج A) (١) في خليج بسكايا، فقامت بتموين الزوارق بالوقود والماء والطعام، ومرافقتهم في رحلتهم إلى حيفا .

للدفاع لا الهجوم

اكتشفت السلطات الفرنسية اختفاء الزوارق.. واكتشفت أنها وقعت ضحية خدعة إسرائيلية جديدة.. وأثير اقتراح بأن تقصف الطائرات الحربية الفرنسية الزوارق عندما تمر بالبحر المتوسط جنوب فرنسا.. أو تعترض طريقها بواسطة بعض قطع الأسطول البحري، لكن رئيس الحكومة رفض الاقتراحين معًا حتى لا تثار أزمة دولية.. وجاء رفضه أثناء احتفاله بعيد ميلاده في منزله الريفي. لكن وزير خارجيته موريس شومان، الذي كان عائدًا لتوه من زيارة للجزائر ومصر، أصيب بالذهول. واعتبر الحادث إهانة لفرنسا كلها جيشًا وشعبًا وحكومة.. !

وأمام الاحتجاج الرسمي الفرنسي شديد اللهجة، ردت إسرائيل على لسان جولدا مائير التي أعلنت في جلسة خاصة لمجلس الوزراء :

---

(١) ذات السفينة التي استخدمت من قبل في عملية سرقة اليورانيوم البلجيكي، التي تجيء تفاصيلها في أحد الفصول القادمة .

(نحن نعلم فقط أن شركة فرنسية باعت الزوارق الخمسة لشركة نرويجية، بموافقة مجلس الوزراء لفرنسي. ولا يستطيع أحد أن يستبعد أن يكون لهذه الشركة النرويجية، علاقات تجارية مع شركات مثلها في إسرائيل. ومثل هذه الصفقة المبرمة لا تلزم الحكومة الإسرائيلية بأي شيء تجاه الحكومة الفرنسية.) .

اعتبرت الخارجية الفرنسية الأدميرال مردخاي ليمون، شخصًا غير مرغوب فيه في باريس، ومنحته مهلة يومين لمغادرة البلاد. فوصل إلى إسرائيل ليشارك في حفل استقبال الزوارق الصاروخية التي وصلت حيفا في ٣١ ديسمبر، وكان على رأس المستقبلين موشى ديان ، الذي هنأ ليمون والطاقم ورجال المخابرات (حراس الهيكل) بنجاح العملية .

زودت زوارق الجاكوار المختطفة بصواريخ إسرائيلية من طراز (جابرييل). وفي حرب أكتوبر ١٩٧٣ تأكد لإسرائيل أن الزوارق السوفييتية الصنع التي تملكها مصر، أفضل كثيرًا من زوارقها ذات السرعات الأقل.. و الصواريخ الأقل مدى.. التي تصل إلى عمق ٣٠ كيلومترًا، بينما طورت مصر صواريخ زوارقها ليصل مداها إلى أكثر من ذلك بكثير.. مما يجعل البحرية الإسرائيلية أقل فاعلية بالقياس بالبحرية المصرية.. وحتى يومنا هذا لازالت إسرائيل تجاهد كي يكون أسطولها البحري قادرًا على الدفاع عن السواحل الإسرائيلية.. لا على الهجوم ..!





خطف سفينة اليورانيوم ..!!

الخوف النفسي.. مرض عضـال يهابـه الإسـرائيليون ويسـعون إلى تدمـيره بداخلهم.. إنه الخوف مـن الحصـار.. والموت.. والإبادة.. ذلك لأنهم يعرفـون بأنهم اغتصبوا أرضاً.. وشردوا شـعباً.. وأقـاموا دولـة علـى أرض عربيـة.. يسترخص أهلـها أرواحـهم في سـبيل استعادتها.. !!

عملية بلومبات

بعد حرب ١٩٦٧ واحتلال المزيد من الأراضي العربية، تملك الإسرائيليون هاجس الخوف من الانتقام العربي، وتحولت خططهم الأمنية لإحكام سيطرتهم على الأرض المغتصبة إلى تصرفات مشبعة بالخوف والترقب والحذر.. حتى أصيبوا بمرض الخوف النفسي الذي تمكن من عقولهم، وغزا أعماقهم يزلزل فيها السكينة والهدأة والأمان.. إنه الخوف من الدمار والحصار والإبادة.. ذلك لأنهم يعرفون أنهم غزاة، اغتصبوا أرضا ليست لهم.. وشردوا شعبا.. وعادوا أمماً، وأقاموا دولة غير شرعية على أرض عربية، يسترخص أهلها أرواحهم في سبيل تحريرها و استعادتها.

أحدثت الحرب أيضا شرخا في علاقات فرنسا بإسرائيل.. وتصدعت هذه العلاقات لتصل إلى ذروتها بعد الحرب.. حيث رأى الجنرال شارل ديجول أن إسرائيل دولة عدوانية معتدية لا تلتزم بالقوانين الشرعية، ولا تحترم القرارات الدولية، وأن علاقة بلاده معها تقف عائقًا أمام إعادة بناء الثقة مع العالم العربي.

لقد كانت فرنسا البلد الوحيد المضطلع بتقديم المساعدات العسكرية لإسرائيل بعد حرب ١٩٥٦، حيث حارب الإسرائيليون كما هو معلوم إلى جانب فرنسا وإنجلترا.. مما دفع علاقات إسرائيل وفرنسا إلى الذروة. وبقدر الأسف على قبول إسرائيل الانسحاب من سيناء أمام الضغط الأمريكي، تجاوزت فرنسا هذه المسألة.. وأمدت إسرائيل بتكنولوجيا الذرة، وعاونتها على بناء مفاعل ديمونا النووي.. إلى أن جاء عام ١٩٦٢ وأوقفت تصدير اليورانيوم لليهود بشكل نهائي وبقرار حاسم..

لذلك ، سعى رئيس الموساد الجديد ، مائير عاميت ، للحصول على اليورانيوم باستخدام وسائل التحايل والسرقة، وخداع (الرقابة الدولية) التي تعمل على حظر انتشار الأسلحة النووية، وجاهد قدر استطاعته من أجل امتلاك إسرائيل للقنبلة الذرية قبل أي بلد عربي أو إسلامي.. لتعضيد القوة الإسرائيلية وضمان أمن الدولة اليهودية وسط أقطار عربية تسلح جيوشها لخوض معارك طويلة معها.. وأيضًا لعدم ثقة إسرائيل في الضمانات الدولية.. فقد حدث عام ١٩٥٧ أن أكدت عشرون دولة من

بينها الولايات المتحدة الأمريكية، لإسرائيل، أن خليج العقبة سيظل مفتوحا لسفنها.. ولما أغلقه جمال عبد الناصر في وجهها التزم الجميع الصمت.. إلى أن فتحته هي عام ١٩٦٧ .

وفي سبتمبر ١٩٦٧ ، وفي غمرة الاحتفالات بالنصر العسكرى على العرب، واحتلال أراض عربية جديدة، بدأت المعاناة الحقيقية في إسرائيل بسبب العزلة الدولية التي أحاطت بها. فقد قطعت أغلب الدول علاقاتها الدبلوماسية بها.. وفرض الرئيس الفرنسي شارل ديجول حظرا بمنع تصدير السلاح إليها.. بل وأوقف تسليمها صفقة طائرات الميراج القاذفة (٥٠ طائرة) وكذا بقية الأسلحة الأخرى.. ووقف موشى ديان وزير الدفاع البطل الأسطوري عند اليهود يصرخ في اجتماع لمجلس الوزراء:

(اتسعت حدود الدولة.. وليس بمقدور قواتنا، ولا اقتصادنا، الاستمرار هكذا طويلاً.. فهذا معناه استنزاف بطئ يقودنا إلى معضلات لسنا نريدها أن تحدث.. لذلك علينا من الآن الإسراع بصنع القنبلة الذرية.. الآن وليس غدًا.. تجنبًا وردعًا للغضب العربي.. وفكرة الانتقام التي تتعاظم عند العرب.. وتثور لأجلها صدور أفراد جيوشهم المحيطة بنا..).

كانت هناك في مفاعل ديمونا مشكلات عديدة أيضًا، كان أهمها العجز في توفير اليورانيوم اللازم، والحاجة إلى مزيد من الأجهزة التكنولوجية المتقدمة للوصول إلى المرحلة النهائية من تصنيع القنبلة. بالإضافة إلى مشكلات تتعلق بأمن المفاعل الخاص ، أشهرها حادث الطائرة المقاتلة الإسرائيلية التي حلقت فوق المفاعل بطريق الخطأ فتم إسقاطها.

ولما جاء قرار هيئة الرقابة النووية الدولية ، بحظر تداول أوكسيد اليورانيوم في السوق العالمية ، أضيفت مشكلة أخرى معقدة إلى حزمة المشاكل التي يواجهها مفاعل ديمونا النووي.. حيث يلح العلماء ومسئولو المفاعل ، على ضرورة توفير مائتي

طن من أوكسيد اليورانيوم المحظور ، وهي الكمية اللازمة تقريبا ، لتصنيع القنبلة النووية .

تبنى رئيس الموساد مائير عاميت إيجاد الحلول اللازمة والسريعة ، للحصول على اليورانيوم اللازم لتحقيق حلم إسرائيل.. وجند عددا من أذكى رجاله وأمهرهم لهذه العملية التي أطلق عليها اسم : (عملية بلومبات The Plumbat affair).. وهو اسم شفري لا معنى له.

بدون صعوبات

اكتشف فريق الموساد أن شركة سوسيتيه جنرال ميزوكس (SGM) البلجيكية في بروكسل، ولها فرع آخر في الكونغو، تحتفظ بكميات ضخمة من اليورانيوم في مخازنها على أطراف مدينة أنتويربن Antwerpen ، وتستطيع التصرف فيها بالبيع بشكل قانوني لإحدى الدول، حيث إن الشركة خاضعة لرقابة هيئة الطاقة الذرية الأوروبية ، ولا تتعامل إلا بالشكل الرسمي المعتاد.!!

عند ذلك بدأت المخابرات الإسرائيلية في إنشاء شركة وهمية في الولايات المتحدة الأمريكية، ولها فرع آخر في ألمانيا (الغربية) ، يديرها الطيار الألماني السابق (هربرت تشلوزن) ، الذي كان شريكًا في إحدى الشركات الكيماوية الصغيرة في فسبادن Wiesbaden الألمانية. وبالبحث في سيرة حياة الرجل لإيجاد ثغرة يمكن اقتحامه من خلالها، تبين أنه يظهر تعاطفًا كبيرًا تجاه إسرائيل وسبق له أن زارها للعلاج .

لم يبد الطيار الألماني السابق ، تشلوزن، عند مفاتحته بالأمر ، سوى موافقته الكاملة ، والغير مشروطة ، للتعامل مع جهاز الاستخبارات الإسرائيلي دون أدنى تفكير.. ولم يمانع مطلقًا أن تكون شركته الوهمية، مجرد واجهة للحصول على صفقة اليورانيوم من الشركة البلجيكية..

ولسابق معرفته بنائب مدير شركة سوسيتيه جنرال ميزوكس، المهندس دينيس دويز، عرض عليه شراء مائتي طن من أوكسيد اليورانيوم ، لاستخدامه كعامل مساعد في إنتاج البتروكيماويات، ومعالجته بإحدى الشركات المغربية الكبرى في الدار البيضاء .

وبرغم شكوك الشركة التي لم تبع من قبل أوكسيد اليورانيوم كعامل مساعد، إلا أن الثمن ، ٨,٥ مليون مارك ألماني، كان مغريًا.. بل إن دينيس بويز ذهب بنفسه إلى تشلوزن بمكتبه في فسبادن لتوقيع العقد، وهناك .. لاحظ بنفسه أن مقر الشركة لا يتناسب وحجم الصفقة التي اتفق عليها.. إلا أن سمعة تشلوزن الطيبة، ومقالاته عن السموم الكيميائية التي تنشرها المجلات الأمنية والعلمية في أوربا، إضافة إلى شهرته داخل الأوساط المعنية، كلها أمور أعطت انطباعًا مقبولاً لدى الشركة البلجيكية ، التي لم تتردد في توقيع العقد.

لم تكن المملكة المغربية يومًا إحدى دول السوق الأوربية المشتركة.. لذلك فقد ظهرت مشكلة معقدة لدى الموساد، وهي ضرورة الحصول على تصريح من هيئة الرقابة الدولية للطاقة الذرية (يوراتوم)، بالإضافة إلى الإذن الخاص بانتقال هذه الشحنة إلى المغرب.

حدثت بسبب هذه المشكلة خلافات حادة في الموساد.. فمثل هذه السقطة الخطيرة ما كان يجب أن تفوت على المخططين للعملية، وعلى إثرها أقيل بعض مسئولي الموساد من مناصبهم، وجرى البحث السريع عن شركة أخرى جديدة في نطاق السوق الأوربية المشتركة، إلى أن تم التوصل إلى شركة (سايكا) Saica في ميلانو، التي تمتلك مصنعًا لإنتاج الألوان.

لم يتردد صاحب الشركة، (فرانسيسكو سيرتوريو)، الذي كان صديقًا قديمًا للطيار الألماني السابق، في قبول التعامل معه، ومعالجة اليورانيوم الذي لم يكن له سابق تجربة في معالجته، وهو لا يدرى أن لعبة الخداع كانت محبكة، وأن شركته

لن تتسلم كيلوجرامًا واحدًا من المائتي طن من اليورانيوم البلجيكي، الذي سيأخذ طريقه بعد الموافقات والأذون، إلى إسرائيل.

تغلبت الموساد إذن على مشكلة العثور على شركة بالسوق المشتركة، وبدأت في مشكلة العثور على سفينة تجارية تنقل الشحنة بالطريق النهري من بلجيكا إلى إيطاليا (جنوا Genoa). وعلى ذلك تم تأسيس شركة شحن على وجه السرعة، (شركة بسكاين تريدر شيبينج Biscayne Traders Shipping) التي اشترت سفينة الشحن الليبيرية (شيرزبيرج A) وحمولتها ١٠٦٢ طنًا، وقامت السفينة برحلة تجريبية في البحر المتوسط لحين الحصول على تصريح هيئة الرقابة الذرية في بروكسل.

استدعت هيئة الرقابة الطيار الألماني السابق، تشلوزن، وسئل هناك عن تفاصيل العقد المبرم مع الشركة البلجيكية، وكان هناك تساؤل حول إمكان استعمال اليورانيوم كعامل مساعد كما جاء بالعقد، ولأن تشلوزن وهو الحاصل على الدكتوراه في الأمان الإشعاعي، كان معروفًا لديهم بشخصه ومقالاته العلمية المثيرة للاهتمام، وإشارته إلى قيام شركة هولندية ، حددها، باستخدام اليورانيوم كعامل مساعد، فقد منحته أكبر هيئة رقابية أوربية تصريحًا بنقل الشحنة إلى إيطاليا. وكان ذلك في ٣٠ أكتوبر ١٩٦٨.

السطو في البحر

وبعدها بأسبوعين على وجه التقريب، كان العمال يشحنون ٥٦٠ برميلاً من أوكسيد اليورانيوم، على ظهر السفينة شيرزبيرج A التي غيرت مسارها، متجهة إلى عرض البحر المتوسط.

وفي المياه الدولية قبالة السواحل القبرصية، أوقفت السفينة التي تحمل الشحنة الثمينة، وجرى نقل شحنة اليورانيوم إلى سفينة أخرى إسرائيلية، سارعت بالاتجاه إلى ميناء حيفا، بينما اتجهت شيرزبيرج A إلى تركيا، بعد أسبوعين من إبحارها من

بلجيكا، حيث وجدت في ٢ ديسمبر ١٩٦٨ خالية من البحارة والقبطان ولا يسكنها سوى الفراغ .

لم تعثر هيئة الطاقة الذرية الأوربية طوال سبعة شهور على أدلة تقودها إلى شحنة اليورانيوم المفقودة.. وتبين أن ربان السفينة شيرزبيرج A كان شخصًا وهميًا، وهذا ما انطبق على جميع بحارتها أيضًا .

وصفت الصحف الأوربية الطيار الألماني السابق، الدكتور تشلوزن ، بأنه ضحية عملية نصب دولية وقرصنة فاجرة . وشكلت حادثة اختفاء شحنة اليورانيوم لغزًا محيرًا ليس في أوروبا وحدها، إنما شمل أنحاء الكرة الأرضية. وتحول اللغز إلى مادة للتندر والتسلية ، وبقي هكذا لعدة سنوات قبل ظهور الحقيقة على الملأ .

وفي مارس ١٩٦٩ أعلن موشى ديان وزير الدفاع آنذاك، في اجتماع وزاري سري، نجاح تصنيع القنبلة الذرية[1]، ومولد إسرائيل.

بعدها بتسعة أشهر فتح الملف المثير من جديد ، عندما اجتمع رئيس هيئة الرقابة الذرية (يوراتوم) بممثلي دول السوق الأوربية الست، لمناقشة أمر شحنة اليورانيوم التي اختفت، وجاء عقب إعلان أجهزة استخبارات الدول الأوربية فشلها في حل لغز الصفقة، أو بحارة السفينة الوهميين .

أما صاحب السفينة، وهو بلجيكي اسمه الأصلي (دانييل آربيل)، فقد كان عميلاً للموساد ويحمل اسم (دانييل إيرت) . استطاع آربيل أن يسترد سفينته من السلطات التركية، وباعها في يناير ١٩٧٠ إلى شركة بَنَمية، بعدما اشتركت للمرة الثانية – وهذا ما تتجاهله مصادر إسرائيلية عديدة – في عملية أخرى للموساد ليلة رأس السنة عام ١٩٦٩، عندما اختطف الإسرائيليون الزوارق الحربية من فرنسا، حيث زودت

(١) هذا ما تدعيه الكتب الإسرائيلية المليئة بالأكاذيب. فلو أن إسرائيل كانت تمتلك سلاحاً نووياً بداية من عام ١٩٦٩ ، لما فكرت رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير بالانتحار أثناء حرب ١٩٧٣ . وهذا ما جاء بكتاب (أمراء الموساد) ص١٨٥، وهو أحد أهم الكتب التي أصدرتها الموساد لتخويف العرب.. (!!!) .

السفينة شيرزبورج A الزوارق بالوقود في عرض البحر ، في رحلة هروبها إلى إسرائيل.

العميل المريض

أما عن كيفية كشف أسرار صفقة اليورانيوم المختفية، فتلك قصة أخرى مثيرة من قصص المخابرات والجاسوسية.. وقعت أحداثها في ٢١ يوليو ١٩٧٣، وكان الذي كشف تفاصيل شحنة اليورانيوم والسطو الإسرائيلي، هو دانييل آربيل نفسه، البلجيكي الهوية، مالك السفينة شيرزبيرج A التي دفعت الموساد ثمنها .

كانت الموساد تطارد البطل الفلسطيني علي حسن سلامة، مُخَطِّط عملية ميونيخ عام ١٩٧١ ، التي راح ضحيتها أحد عشر رياضيا إسرائيليا في الدورة الأوليمبية، وبطل العمليات الفدائية التي زلزلت إسرائيل وأرعبتها، حتى أطلقت عليه جولدا مائير لقب : (الأمير الأحمر) ، لأنه سفك دماء الكثيرين من الإسرائيليين دون رحمة أو شفقة.. فقد كان الفدائي علي حسن سلامة أحد أبرز زعماء منظمة أيلول الأسود الفلسطينية ، التي اعتمدت الكفاح المسلح ضد إسرائيل في الخارج ، كأحد وسائل النضال وإعلاء اسم فلسطين في المحافل الدولية. إضافة إلى كونه ، أي سلامة ، قائد الفرقة (١٧) المختصة بحراسة ياسر عرفات .

طاردت إسرائيل بأذكى رجالها الفدائي العربي في كل أرجاء القارات، وفي ٢١ يوليو ١٩٧٣ رصده فريق الموساد في النرويج، وتم اغتياله في أحد الشوارع في مدينة ليليهامر.. لكن السلطات النرويجية اعتقلت دانييل آربيل وآخرين بتهمة القتل، واتضح أن القتيل ليس هو علي حسن سلامة، إنما جرسون مغربي اسمه أحمد بوشيقي، يحمل بعض ملامح الأمير الأحمر غير المعروفة تمامًا للموساد .

كان عميل الموساد دانييل آربيل ، وهو نموذج حي لرجال الموساد الأذكياء(!!)، يعاني عقدة نفسية معقدة، وهذا خطأ جسيم وقعت فيه الموساد لأنها لم تكتشف ذلك في عميلها منذ البداية، إذ كان مصابًا بعقدة الخوف من الأماكن المغلقة

Claustrophobia . وعند سجنه في زنزانة انفرادية أصيب بـالفزع وتعـالى صراخـه يطلب إخراجه من الزنزانة ليعترف بكل شيء.. وكـان اعترافـه السريع بعـد وعـد السلطات بعدم حبسـه بمفـرده ، سـببًا في اعتقـال بعـض أعضـاء فريـق القتـل قبلمـا يتمكنوا من مغادرة النرويج.

ليس هذا فقط ما اعترف به آربيـل، بـل اعـترف بعملياتـه السرية السـابقة مـع الموساد.. وفجر المفاجأة المدوية التي أذهلـت المحققين، باشـتراكه في عمليـة سـرقة شحنة اليورانيوم من بلجيكا بتفاصيلـها الدقيقـة ووقائعـها المثـيرة، وفـك بذلـك لغـز اختفاء صفقة اليورانيوم الذي حير أجـهزة الاسـتخبارات الأوربيـة لسـنوات طويلـة. هكذا فضح آربيل وبدون قصد ممارسات إسرائيل اللا أخلاقية على مرأى من العالم.. فقد كانت المحاكمة علنية أمام كاميرات التليفزيون حيـث توالـت الاعترافـات الـتي كشفت للعالم همجية إسرائيل وإرهابها، وزيف ادعاءاتـها الكاذبـة عـن أنـها واحـة الديمقراطية والسلام في الشرق الأوسط .

وبرغم هذا الدليل القوي الذي كشف لغز اختفاء اليورانيوم، كانت الإدانة الدولية لينة لدرجة (الدلع) . حتى أن علاقات إسرائيل لم تتـأثر دبلوماسـياً أو تجاريـاً مـع أيٍ من الدول. كل ذلـك مجاملـة للولايـات المتحـدة الأ/ريكيـة ، وكسـباً لودِّهـا، في منظومة المصالح والتحالفات التي تحدد العلاقات بين الدول..!





السطو على اليورانيوم في أمريكا ..!!

في أوائل الخمسينيات كانت نسبة تعداد اليهود إلى سكان العالم أقل من نصف في المائة، بينما كان عدد اليهود الحاصلين على جائزة نوبل في العلوم ٢٠٪. وهذا ما شجع إسرائيل على اعتماد برنامجها النووي، لردع العرب، وإحكام قبضة الاحتلال على أرض فلسطين بالقوة..!!

حلم القنبلة النووية

عندما أعلن ديفيد بن جوريون قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، كان التفكير متعاظمًا في خلق دولة قوية تستطيع مجابهة الدول العربية وجيوشها المحيطة بها.. بل والسيطرة على هذه الدول من خلال منظومة متوازية من التسليح الحديث، وأجهزة الاستخبارات الناشطة، والحصول على تكنولوجيا التصنيع النووي لامتلاك قنبلة ذرية ، تخرس بها عقول العرب عن التفكير بمحاربة إسرائيل، أو اقتلاعها من فلسطين بالقوة.

وبالنظر إلى الكثافة العددية في الجيش الإسرائيلي.. قياسًا بعدد العسكريين في الجيوش العربية.. كان الفارق شاسعًا.. فقد أدركت إسرائيل أن الهجرة اليهودية إليها، مهما بلغت، لن تفي بخلق توازن كَمِّي يحقق لها الأمن والاستقرار.. وكان هذا بحد ذاته، أحد أسباب الطلب الملح لاعتماد البرنامج النووي، والسعي إلى تحقيقه في وقت قياسي، دون أن ينتبه العرب إلى خططهم بشأنه، ولا الولايات المتحدة الأمريكية أيضا، حيث كان رئيسها في ذلك الوقت، دوايت أيزنهاور (١٩٥٣ : ١٩٦١)، ووزير خارجيته جون فوستر دالاس، لا يثقان بنوايا رئيس الوزراء ديفيد بن جوريون[١] .

في ذلك الوقت كانت هناك ثلاث دول فقط هي التي تمتلك السلاح النووي، أمريكا، والاتحاد السوفييتي، وبريطانيا. وكانت فرنسا تستعد لأن تكون الدولة الرابعة.. لذلك فكر الإسرائيليون بعرض نتائج أبحاثهم النووية على فرنسا، خاصة، فيما يتصل بمسألة استخراج اليورانيوم من الفوسفات، والذي قطعوا فيه شوطًا طويلاً في صحراء النقب.. ورحبت فرنسا بالعرض الإسرائيلي، وحدث التعاون العلمي فعليًا طوال تنفيذ البرنامج النووي الفرنسي .

---

(١) هكذا تقول المراجع المختلفة في هذا الشأن. وإن كنت شخصياً لا أميل إلى تصديق ذلك..!

وفي عام ١٩٥٥ حدث التقارب الإسرائيلي الأمريكي بشكل أوسع.. وساهم الرئيس الأمريكي أيزنهاور نفسه في قرب امتلاك الدولة العبرية للسلاح النووي.. عندما أمدها بمفاعل نووي صغير للأغراض العلمية، وكان هو مفاعل (ناحال سوريك) الذي بني عام ١٩٥٨ جنوب تل أبيب، وبدأ عمله في منتصف يونيه ١٩٦٠.. وأتاح هذا المفاعل الفرصة الثمينة للعلماء الإسرائيليين ، لإجراء تجاربهم النووية على المواد المشعة دون أن تنتبه أمريكا إلى ما يجري .

المشروع السري

ومع أحداث عام ١٩٥٦ ، حاربت إسرائيل مع فرنسا، فاشتدت أواصر العلاقات بين البلدين، وأيدت باريس تل أبيب في المحافل الدولية، وآزرتها دبلوماسيًا وتسليحيًا وعلميًا إلى أبعد مدى، وانتهز بن جوريون الفرصة عندما عرض على فرنسا أن تساعده على بناء مفاعل نووي (ديمونا) بصحراء النقب، على أن تكون قوته ٢٤ ألف كيلو واط في المرحلة الأولى، ثم تتضاعف بعد ذلك.. إلا أن الحكومة الفرنسية برغم ترددها الطويل لحسم هذا الأمر.. وافقت على المشروع الإسرائيلي ، وأقيم في (ديمونا) بناء ضخم مستدير كالقبة، يبدو من بعيد كالكرة، أشاعت إسرائيل أنه لمصنع نسيج متطور .

كان شيمون بيريز أحد المقربين لديفيد بن جوريون، وتبنى بنفسه فكرة إقناع الفرنسيين بالمشروع الاستراتيجي الذي تحلم به إسرائيل . ونظرًا لعلاقته الوثيقة بوزير الدفاع الفرنسي (بورجيه مينسوري) الذي انتخب رئيسا للوزراء، وافق على تزويد إسرائيل بمفاعل قوته ٢٤ ميجاوات، إضافة إلى التكنولوجيا والخبرة الفنية واليورانيوم اللازم للمفاعل.. ووقعت بناء على ذلك وثيقة سرية للغاية بين الحكومتين. وبعد وصول الجنرال (شارل ديجول) إلى السلطة عام ١٩٥٨، كان البرنامج النووي الإسرائيل في ديمونا عرضة للتهديد، إلى أن تعهد بن جوريون كتابة لديجول سنة ١٩٦٠ ، بأن المفاعل سيستخدم للأغراض السلمية فقط .

وبناء على هذا التعهد استمر الضخ الفرنسي لإتمام المشروع السري، وأنشأ شيمون بيريز جهاز استخبارات خاصًا بالمفاعل.. وسيطرت الأجهزة الأمنية والاستخباراتية الأخرى أمنيًا على منطقة النقب بالكامل.. وأدى الهوس الإسرائيلي لإخفاء أمر مفاعل ديمونة، إلى الخوف من احتمال تعرضه لهجوم جوي، وهذا ما دفع القائد العسكري بمنطقة النقب ، إلى إصدار أوامره بإسقاط طائرة ميراج إسرائيلية، لأنها حلقت بالمجال الجوي المحظور للمفاعل .

إلا أنه بالرغم من كل هذه الاحتياطات البالغة التعقيد، اكتشفت أمريكا المفاعل لأول مرة عام ١٩٦٠، عندما قامت طائرة التجسس الأمريكية U-2[1] بالتقاط صور المشروع من على ارتفاعات شاهقة.. وبالرغم من ذلك أدعت إسرائيل بأن المبنى يخص مصنعا للنسيج.. وأنها لا تملك، اقتصاديًا وفنيًا، القدرة على مثل هذه المشاريع الباهظة .. وانتابها الخوف من تعطل البرنامج الذى بقى له عامان فقط ليعمل .

(١) الطائرة U-2 مركبة غريبة المنظر.. إذ تبدو كأنها جناح واحد طويل بدون جسم، ولها محرك واحد فقط وضع في الذيل ولكن مظهرها يخفي الكثير من إمكانياتها التي تفوق الوصف.. فهي تطير على ارتفاعات شاهقة.. ومزودة بأجهزة وكاميرات غاية في الدقة المتناهية. ابتكرها المهندس الأمريكي (كليرس جونسون).. وهي طائرة خفيفة جدًا ويمكن تفكيكها ووضعها في صندوق شاحنة صغيرة.. حيث جرى الاستغناء عن كل ما يزيد من وزنها. وكانت الطائرة ذات عجلتين فقط.. في المقدمة والخلف.. كالدراجة الهوائية.. وعند الإقلاع والهبوط لابد من أن يتعلق رجلين مدربين جيدًا بالجناحين.. لتثبيت عصي مع عجلات في الطرفين.. بطريقة شبه بهلوانية.. وقد أعطيت الطائرة اسم Utility-2 في البداية واختصر إلى U-2 وطول جناحيها ٨٠ قدمًا. وبداية من نوفمبر ١٩٥٤ ظلت U-2 تتجسس على الاتحاد السوفييتي دون أن تتمكن الدفاعات من إسقاطها.. حتى طور السوفييت أسلحتهم وأسقطوا الطائرة الأسطورية في ١٩٦٠/٥/١ وحدثت أزمة دبلوماسية حرجة بين موسكو وواشنطن.. وقال بعد ذلك قائد الطائرة النقيب (فرانسيس جاري بورز) الذي فضل الهبوط بالبراشوت على الانتحار بكبسولة السم، أنه طار محلقًا فوق الاتحاد السوفييتي عشرات المرات دون أن يتبادر إلى ذهنه مرة واحدة أن هناك دفاعات أو صواريخ قد تصيب طائرته واضطر الرئيس الأمريكي (دوايت أيزنهاور) إلى الاعتذار العلني والمكتوب للسوفييت.. وجرى تبادل (بورز) فيما بعد مع جواسيس سوفييت في واشنطن.

جدير بالذكر.. أن حادث إسقاط الطائرة U-2 كان سببًا مباشرًا.. لسعي أمريكا للحصول على الطائرة السوفييتية الخرافة – ميج ٢١ – التي قيل إنها استطاعت التحليق لارتفاع شاهق، لم تصل إليه طائرة أمريكية أو أوربية وقتها، وأسقطت U-2 بسهولة.. وبذلت المخابرات المركزية الأمريكية جهودًا مضنية، بالاشتراك مع الموساد، من أجل تجنيد طيار عربي يقبل الهرب بطائرته الميج ٢١ لإسرائيل.. وبعد محاولات فاشلة مع ثلاثة طيارين عراقيين.. جرى قتلهم على التوالي في أمريكا وبغداد وألمانيا (الغربية).. نجحت الموساد في أغسطس ١٩٦٦ في الحصول على الطائرة.. بواسطة الطيار العراقي الخائن (منير روفا).. الذي يعيش حتى الآن في إسرائيل.

ثلاث وسائل للسرقة

وعندما فجرت فرنسا، في فبراير ١٩٦٠، قنبلتها النووية التجريبية الأولى في الصحراء الكبرى ، تابعت إسرائيل هذا التفجير، وتوسمت أن يستمر التعاون النووي المثمر بينها وبين الدولة النووية الرابعة في العالم.. لكن فرنسا في منتصف عام ١٩٦٠ بدأت تغير سياساتها تجاه مشروعها في ديمونا.. وأنذرت تل أبيب بقطع تعاونها معها، على أن يستمر إمداد الشركات الفرنسية بالمواد الخام اللازمة لمدة عامين فقط. وكان هذا أقصى ما حصلت عليه إسرائيل وحققته، لذلك كان عليها البحث عن مصادر أخرى لإمدادها باليورانيوم عالي النقاء وأوكسيد اليورانيوم .

كان من المستحيل الحصول على اليورانيوم من مصادره في فرنسا وتشاد والجابون.. ففرنسا أغلقت أبوابها دون إسرائيل، بينما شددت أمريكا قيودها على الدولتين الأفريقيتين، وألزمتهما بالشروط الدولية.

وفي اجتماع سري حضره وزير الزراعة الإسرائيلي، موشى ديان، أحد القلائل الذين على اطلاع بالمشروع وبالصعوبات التي تواجهه، نوقش أمر اليورانيوم الذي باتت إسرائيل بحاجة ماسة إليه لاستمرار مشروعها الاستراتيجي المهدد بالتوقف، والانتهاء. قال ديان:

(إذا وصلنا إلى درجة العجز التام عن الحصول على اليورانيوم.. فليس أمامنا سوى أن نحتال ونسرقه.. إن أمن إسرائيل ووجودها على هذه الأرض يحتمان ذلك.. وبإلحاح ، بغض النظر عن معاني الشرف والنزاهة..)..

وعلى ذلك شكلت لجنة علمية مخابراتية ، كانت مهمتها وضع أفضل التصورات والاقتراحات، للحصول على اليورانيوم من أي مكان في العالم.

اقترحت اللجنة في تقرير لها ثلاث خطط لتحقيق ذلك :

- الهجوم على الشاحنات المختصة بنقل اليورانيوم في الولايات المتحدة، وشمل الاقتراح ملفاً خاصاً بالشركات المنتجة لليورانيوم، والمفاعلات النووية الأمريكية التي

كانت في ازدياد، وتورد إليها شحنات يورانيوم دورية، تم رصد مواعيدها وعدد الشاحنات التي تقوم بتلك المهام.. (وهذا أمر خطير للغاية وممكن) .

– اقتحام أحد المصانع المنتجة لليورانيوم النقي في الولايات المتحدة، والحصول على كميات كبيرة قبل شحنها إلى المفاعلات، حيث يتم تخبئتها بأحد الأماكن السرية إلى أن يتم نقلها بشكل أو بآخر إلى إسرائيل.. (وهي عملية خطيرة أيضا ويمكن تنفيذها).

– وكانت الخطة الثالثة التي لاقت الاستحسان والموافقة، استقطاب أحد مديري المصانع الموردة لليورانيوم، بأية وسيلة من الوسائل الاستخباراتية، وعلى رأسها الجنس والمال، من أجل إقناعه بتحويل (بعض) اليورانيوم النقي إلى إسرائيل ، وكانت الصعوبة تكمن في أن هذه المصانع تخضع للتفتيش المستمر، مما يجعل العملية برمتها في مأزق خطير.. وتحتاج إلى معجزة لإنجاحها.

عملاء تحت الطلب

لكن الأمر كان أسهل مما توقع الإسرائيليون.. إذ تبين أن هناك يهوديًا أمريكيًا روسي الأصل، يمتلك أحد مصانع اليورانيوم النقي، ولأن النازيين قد أبادوا بعضًا من أفراد أسرته التي كانت تعيش ببرلين، فقد تحول الرجل، واسمه (زالمان مردخاي شابيرو)، إلى صهيوني متطرف، يؤيد كل ما هو يهودي، ويؤمن إيمانًا راسخًا ، بأن إسرائيل يجب أن تكون دولة قوية مهيمنة مسيطرة.

أسس شابيرو شركته الخاصة، نيوميك Numec ، عام ١٩٥٧، وانحصر نشاطها في المواد والاستخدامات النووية، وتوريد أوكسيد اليورانيوم إلى المفاعلات الذرية التجارية التي تتزايد أعدادها بسرعة في الولايات المتحدة، واشتهرت شركته التي كانت في بنسلفانيا ، حيث كانت تتلقى عروضا كثيرة لتوريد منتجاتها، برغم المخالفات التي سجلتها عليها سلطة الرقابة على الطاقة الذرية الأمريكية AEC ، بشأن تجاوز الشركة عن تعليمات الأمان والاحتياطات الأمنية الواجبة في نقل

اليورانيوم ٢٣٥ المحظور تداوله، والذي يمكن أن يكون أحد أساسيات صناعة القنبلة الذرية .

لم يمانع شابيرو في تقديم العون لإسرائيل، وخلال فترة وجيزة اكتشفت هيئة الرقابة الذرية اختفاء ٢١ كيلوجراما من اليورانيوم المخصب، من مصنعه ومن سجلات شركته، لكن المخابرات الأمريكية تشككت في شابيرو صراحة ، وباحتمال تسريبه لهذه الكمية من اليورانيوم إلى إسرائيل، حيث أكدت المعلومات أن اليهودي المتعصب يستقبل ضيوفا إسرائيليين في بيته وفي شركته، وبكثرة. وكان من بين هؤلاء الضيوف الملحق العسكري الإسرائيلي في واشنطن، إفرايم لاهاف، وعالم الذرة الإسرائيلي باروخ كيناي .

وفي آخر أبريل ١٩٦٥ اكتشفت هيئة الرقابة اختفاء ٦٧ كيلوجرامًا من اليورانيوم النقي، وفي الاستجواب قال شابيرو بأن شركته دفنت اليورانيوم للتخزين، لكن الرقابة لم تصدقه وأصرت على فتح مخازن الدفن، وثبت أن الكمية المدفونة ضئيلة جدًا، وأصر هوارد براون مدير عام هيئة الرقابة على معرفة الحقيقة، حتى تبين له أن الكمية المفقودة قد بلغت ١٩٥,٥ كيلوجرامًا، وكتب في تقريره: (إنها كمية ضخمة جدًا، ولم يحدث قبل ذلك أبدًا أن (أضاعت) إحدى الشركات مثل هذه الكمية من اليورانيوم.) .

ولأن مبررات شابيرو كانت غير مقنعة، أبلغ هوارد براون الجهات الأمنية العليا، واهتم رئيس المخابرات المركزية، ريتشارد هولمز[1]، بالأمر بمجرد أن تولى

---

(١) ريتشارد هولمز : هو الرئيس السادس للمخابرات الأمريكية ، ويعد من أبرز الجواسيس بعد سلفه (آلان دالاس). كان هولمز يرأس قسم التخطيط والأعمال القذرة، وخطط لانقلاب مصدق عام ١٩٥٣ في إيران. وتجسس لصالح المخابرات الأمريكية في أماكن مختلفة من العالم. وفي عهده وصلت الـC.I.A إلى قمة طغيانها، وتدخلها السافر في حياة الناس داخل أمريكا وخارجها. وعين بعد ذلك سفيرًا لواشنطن في طهران. اشتهر هولمز بأنه حصل على أول حديث صحفي عالمي من هتلر عام ١٩٣٨، حيث كان يعمل وقتها صحفيًا في اليونايتدبرس قبل أن يهجر الصحافة إلى التجسس .

منصبه (١٩٦٦– ١٩٧٢) ، وأمر بإخضاع شابيرو للمراقبة طوال الـ ٢٤ ساعة، وكـذا التنصت على تليفونه. حيث جاء بالتقرير النهائي عن المراقبات، أن شـابيرو يسـعى ويتصل بعلماء أمريكيـين مـن أصول يهوديـة، ويقـابل الملحـق الإسـرائيلي (إفراهـام هيرموني) ، الذي حل مكان (لاهاف). وكان من المعلوم جيدًا أن هيرموني هذا عميل للموساد ويتجسس في الولايات المتحدة، لكن لا دليل مادي يدينه.

أغلق شابيرو شركته في النهاية بعد محاصرته الشديدة.. وكان ما يزال حتى وقت قريب يعمل في إدارة شركة وسـتنجهاوس الأمريكيـة الشـهيرة.. وفشـلت المخـابرات الأمريكية في العثور على دليل يؤكد شبهة تـورط شـابيرو في عمليـة سـرقة اليورانيـوم لصالح إسرائيل.. إلى أن ظهرت الحقيقة عام ١٩٧٧ عندما أعلن (بول ليفنتال) خبير الشئون النووية في الكونجرس، (أن الـ C.I.A كـانت لديـها الإثباتـات الكافيـة ضـد شابيرو وإسرائيل.. لكن ظل الحادث طي الكتمان والسرية لأسباب عديدة..) .





سرقة تصميمات الطائرة ميراج ٣ في سويسرا..!!

على مدى تاريخ الموساد الدموي الطويل، تفجرت في عواصم دول العالم المختلفة، فضائح أحدثت دوياً هائلاً، وتسببت في أزمات دبلوماسية حادة، لانتهاك سيادة الدول، والقيام بأعمال مخابراتية وإرهابية فوق أراضيها، دون احترام للقانون الدولي العام، أو الاتفاقيات الدولية التي تحرم ذلك ..!!

على مدى تاريخ الموساد الدموي الطويل.. تفجرت في دول العالم المختلفة فضائح أحدثت دويًا هائلاً.. وتسببت في أزمات دبلوماسية حادة ، لانتهاكها سيادة الدول، والقيام بنشاطات استخباراتية وإرهابية فوق أراضيها، دون احترام للقانون الدولي العام، أو الاتفاقيات الدولية التي تحرم ذلك .

وتعد سويسرا – الدولة الوحيدة في العالم – التي انتهكت الموساد سيادتها خمس مرات على مدى خمسة وثلاثون عامًا، أطاحت الأولى برئيس الموساد عام ١٩٦٣، وأطاحت الأخيرة بزميله عام ١٩٩٨.

إلـى بروكسل

في أواسط الخمسينيات، تعمقت العلاقات بين فرنسا وإسرائيل ، وكان أبرز أوجهها مبيعات الأسلحة، والتعاون ضد الثورة الجزائرية، والعداء المشترك لجمال عبد الناصر .

كان الرئيس الفرنسي شارل ديجول سياسي بارع، انتبه إلى خطأ فرنسا في معاداة العرب. ورأى أنه من الحكمة إعادة توثيق الروابط الفرنسية العربية. لذلك.. حذر إسرائيل خلال أزمة مايو ١٩٦٧، من مغبة شن ضربة وقائية ضد العرب. فوعدته الحكومة الإسرائيلية كذباً بأنها لن تكون البادئة بالحرب. وعلى ذلك اعتبر عدوان ١٩٦٧ إهانة شخصية له. وفرض حظراً على مبيعات طائرات الميراج لإسرائيل.

لكن حدث في ٢٦ ديسمبر ١٩٦٨، أن فتح فلسطينيان النار على مكتب الطيران الإسرائيلي (العال) في أثينا، مما تسبب في قتل مسافر إسرائيلي وإصابة مضيفتين، وتبين أن الفلسطينيين قادمان من بيروت. جاء هذا الاعتداء بعد سلسلة اعتداءات على السفارات الإسرائيلية ودبلوماسييها في أنحاء أوربا وآسيا،وحوادث خطف ناجحة لطائرات مدنية إسرائيلية، أجبرت إسرائيل على الدفاع السلبي. ففكر رؤساء أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية أن ردع الفلسطينيين يحتاج إلى إجراءات أكثر قوة. وقرروا القيام بعملية انتقامية في بيروت.

فبعد يومين فقط من عملية أثينا، وفي التاسعة والربع من مساء ٢٨ ديسمبر ١٩٦٨، هاجمت الطائرات الإسرائيلية مطار بيروت الدولي، وفجرت ثلاث عشرة طائرة مدنية خالية تابعة لشركة خطوط الشرق الأوسط الجوية اللبنانية، وشركات طيران عربية أخرى، فصدم العالم بجرأة الخطوة، واتهمت إسرائيل لتورطها فيما أطلق عليه (إرهاب الدولة) ، واكتشفت رئيسة الوزراء جولدا مائير أن وزير الدفاع موشى ديان خدعها، عندما وعدها بتفجير أربع طائرات فقط وليس ثلاث عشرة طائرة.

حينئذ.. تشدد الحظر الفرنسي، وأصبح يشمل جميع الأسلحة، ورفض ديجول إرسال الذخيرة واللنشات والطائرات التي كانت إسرائيل قد دفعت ثمنها من قبل، من بينها قطع غيار الطائرات (الميراج ٣)، وخمسة زوارق صواريخ إسرائيلية من أصل (١٢) صنعتها شركة شانتييه CCM والراسية بأحد أحواض ميناء (تشيربورج) على القنال الإنجليزي.

لم تقف إسرائيل إزاء هذا الحظر موقف المتفرج.. بل ردت على الحظر الفرنسي بطريقتين.. الأولى.. اتجهت بكل قوتها الضاغطة دبلوماسياً وإعلامياً، للارتماء في أحضان الولايات المتحدة، وإقناعها بأن تحل محل فرنسا كمصدر رئيسي للسلاح، والطريقة الثانية.. أعطت أوامر سرية لجميع أجهزتها الاستخباراتية لتعويض الخسائر مهما كانت الصعوبات، وبكل الطرق.. (!!)

في ذلك الوقت كانت باريس[1] تعتبر حتى ١٩٦٧ المركز الرئيسي للموساد في

(١)باريس : تكونت هذه المدينة من نمو إحدى الجزر، وتعتبر مركزًا لما يسمى : جزيرة فرنسا. فهي على شكل دائرة كبيرة تحيطها أنهار: إبت Epte ، وأيسن Aisne، ومارن Marn، ويون Yonne . وتوجد على الجانب الآخر من هذه الأنهار غابات كثيرة شهيرة، هي : رامبوليه Rambouillet ، وسان جرمان St. Germain، وكومبيين Compiegne ، وفونتاينيبلو Fontainebleau . هذه الغابات كانت فيما مضى ملكًا للملوك والطبقة الأرستقراطية التي حكمت فرنسا، ومازالت تحوي عددًا من القصور والشاليهات والقرى الصغيرة والمناظر الخلابة. ويقال إن هذه الغابات هي التي تلطف جو باريس، فتجعله يكاد يكون ربيعًا أو خريفًا دائمًا. هذا ويخترق المدينة نهر السين ويقسمها إلى نصفين، ويربط بين الضفتين حوالي ٣٤ جسرًا .

أوروبا. ودفعت الأزمة بالاستخبارات الإسرائيلية لنقل مقرها إلى العاصمة البلجيكية، بروكسل. حيث تولى أحد مسئوليها ويدعى (تسادوك أوفين) مهمة إدارة مركز التجسس الرئيسي في أوروبا، بالإضافة إلى البحث عن حلول سريعة للتغلب على الحظر الفرنسي، محاطًا بسرية مطلقة تحت ستار عمله كدبلوماسي في السفارة، وتمتعه بالحصانة. (إلا أنه على الرغم من ذلك تعرض لمحاولة اغتيال على يد منظمة الرصد الفلسطينية في سبتمبر ١٩٧٢ في العاصمة البلجيكية ذاتها) .

الطرق الأخرى

كانت مهمة رجال المخابرات الإسرائيلية في أوروبا، التركيز على سويسرا بالذات، للحصول على تفاصيل تصميم المحرك النفاث للميراج ٣ والأجزاء المكونة له. حيث تنتج سويسرا الطائرة الميراج ٣ بتصريح خاص من شركة داسو الفرنسية، في خطة لتطوير سلاحها الجوي عن طريق تصنيع طراز معدل من الميراج ٣ ، يتناسب مع الاحتياجات الدفاعية لأجوائها. وتحسين أداء الميراج ٣ RS الاستطلاعية من حيث القدرة على مواصلة الارتفاع الشاهق، وتقليل زمن الاستعداد للإقلاع.

تولت شركة مصانع إخوان سولزر السويسرية مهمة تطوير إنتاج الطائرة . وكانت وزارة الدفاع الفرنسية قد منحت تصاريح إنتاج وتصنيع الطائرة الميراج كاملة لكل من سويسرا وإستراليا.. بينما حصلت كل من إسرائيل وبلجيكا على ترخيص إنتاج وتصنيع أجزاء قليلة وغير هامة للطائرة.. أما جنوب أفريقيا ولبنان فقد حصلتا على الطائرة الفنرسية كاملة للخدمة في سلاحهما الجوي.. ونظرًا للحظر الفرنسي المتشدد على وقف مبيعات السلاح لإسرائيل، سعت تل أبيب بكل ما لديها من رغبة، بواسطة دبلوماسييها وأجهزة استخباراتها، لامتلاك دفعة جديدة من الميراج تدعم بها سلاحها الجوي، لكن فرنسا أغلقت أبوابها في وجه إسرائيل، بل وحرمتها من قطع غيار طائرات الميراج العاملة .

لم تفقد إسرائيل الحيلة.. فسويسرا التي اكتفت بإنتاج ٥٣ طائرة من مائة طائرة نظرًا لتكلفتها العالية ، بقيت لديها مكونات ٤٧ طائرة أخرى كانت قد أزمعت إنتاجها، بالإضافة إلى التصميمات (اللوحات) الفنية التفصيلية اللازمة لها. وتصورت إسرائيل أنها تستطيع بحصولها على هذه المكونات الفائضة لدى السويسريين، تعويض الطائرات الميراج الخمسين التي حظرها الجنرال شارل ديجول بعد ٥ يونيو ١٩٦٧. لكن السلطات السويسرية رفضت المحاولات الإسرائيلية الدبلوماسية التي اتخذت طابع الحذر والسرية.. لذلك فكرت إسرائيل باللجوء إلى الطرق الأخرى.

والطائرة ميراج ٣ Mirage (السراب) صممت أساسًا لتطير بسرعة ٢ ماخ/ساعة[1]، وقادرة على تقديم المعاونة الجوية الأرضية، وتحتاج فقط لأراضي هبوط صغيرة، ولتكون طائرة اعتراضية على الارتفاعات العالية. وانتجت على طرازات مختلفة (أكثر من ٣٠ موديلا) منها ما هو بمقعدين للتدريب، ومنها المقاتلة القاذفة بعيدة المدى، ومنها طائرات الاستطلاع. ومجموع ما انتج منها من مختلف الطرازات حتى مارس ١٩٦٩ بلغ ٧٠٠ طائرة، بما في ذلك ما انتج خارج فرنسا بترخيص خاص (حق التصنيع).

طارت طائرة الاختبار الأولى من الميراج III A أول مرة في نوفمبر ١٩٥٦، وطارت أول طائرة في مايو ١٩٥٨، مزودة بمحرك نفاث ماركة SNECMA-ATAR-09-C. ذو الحارق الإضافي قوة ٦٢٠٠ كجم، والمزود بمجموعة لزيادة السرعة أتوماتيكيًا عندما تصل سرعة الطائرة إلى ١,٤ ماخ، وهو الذي سعت إسرائيل للحصول على لوحات تصميمه، لتصنيعه في مصانعها بعد الحظر الفرنسي المتشدد، وكان هناك بحث دءوب عن عميل في الشركة السويسرية، يقبل تزويدها بتلك اللوحات، بأي ثمن،

---

(١) الماخ = سرعة الصوت. أي ٧٣٨ ميلاً ، أو ما يعادل ١٦٠٩ كيلومترًا. وكانت الميراج الفرنسية تبلغ سرعتها وقتذاك ١,٥ ماخ، بينما الميج ٢١ السوفييتية وصلت سرعتها إلى ٢ ماخ/ ساعة، أي ٣٢١٨كم. وكان المطلوب الارتفاع بمستوى قدرة الميراج التي تتسلح بها إسرائيل، لتعادل الطائرة السوفييتية التي يتسلح بها العرب.. وواصلت فرنسا تطويرها بعد ذلك للميراج ٣ حتى بلغت أقصى سرعة ٢,١ ماخ/ ساعة .

بعدما توقفت سويسرا عن إنتاج الطائرة لتكلفتها العالية، مكتفية فقط بإنتاج ٥٣ طائرة من أصل مائة.

ضحايا عقدة الذنب

لجأ الإسرائيليون إلى الأساليب النفسية لاختيار ضالتهم، معتمدين على عقدة الذنب لدى السويسريين الناطقين بالألمانية الذين كانوا يؤيدون النازية في ألمانيا إبان الحرب العالمية الثانية، وباتوا يعانون من الشعور بالإثم في حق اليهود، بعد أن اكتشفوا وحشية الممارسات النازية ضدهم (بالغت الدعاية اليهودية في تصوير ذلك لأقصى مدى). وكان الوصول لمسئول سويسري رفيع المستوى في شركة سولزر ناطق بالألمانية أمر هين ، في ظل التشريح الاجتماعي الغريب في سويسرا (بين كل ألف سويسري ٧٤٤ يتكلمون بالألمانية، ٢٠٢ بالفرنسية، ٤١ بالإيطالية، ١١ مازالوا يتكلمون الرومانش ، وهي بقايا لغة لاتينية خلقها الرومان القدماء). ونصب الإسرائيليون شباكهم.

في ديسمبر ١٩٦٧، دعت وزارة الدفاع الفرنسية لمؤتمر بباريس، حضره ممثلون عن الدول الحاصلة على تراخيص تصنيع كاملة، أو تراخيص جزئية، وتلك التي تستخدم الطائرة الميراج، بالإضافة إلى الشركات الفرنسية المشتركة في تصنيع أجزاء الطائرة .

كان ممثل الشركة السويسرية المهندس ألفريد فرانكشت، وممثل إسرائيل الملحق العسكري بباريس دون سيون، الذي تقرب من فرانكشت الناطق بالألمانية، والمتعاطف مع إسرائيل بشكل واضح. وتكونت بينهما ألفة تحولت إلى صداقة ومصارحة.. استغلها دون سيون، زوج ابنة وزير الدفاع الإسرائيلي وقتها موشي ديان، استغلالاً أمثل في اختراق أعماق المهندس السويسري وتكشف أعماقه ونقاط ضعفه.. ويبدو أن فرانكشت كان يجهل بالمرة أن صداقته السريعة، وارتباطه بالممثل الإسرائيلي في المؤتمر، خطة معدة سلفًا لبناء علاقة حميمة تعتمد على التقييم

والتحليل ، وضعتها أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية للنفاذ إلى عقل الخبير السويسري وتعريته لاقتحامه.

تحول الرجل إذن إلى حقل تجارب وفأر محاصر مراقب يخضع لشتى أنواع التحليل النفسي دون أن يدرى.. وتطور الحديث بينه وبين العميل الإسرائيلي إلى أمور لا تمت بصلة إلى السياسة أو العسكرية.. بل تواصل حول جوانب أخرى من الثقافات والاهتمامات.. تطورت تدريجيًا إلى الحديث عن النساء الباريسيات ذوات القدود المائسة والعيون الناعسة.. وكانت مشاعر الفرح تجتاح دون سيون المنصت لصديقه الجديد، الذي لعبت برأسه الخمر فانطلق لسانه بالحديث عن معشوقته الفاتنة ألكسندرا يوجارد.. التي سيطرت على عقله وحواسه.. وتمكنت من جذور مشاعره بلا منازع.

عندئذ أدرك الإسرائيلي أن مصيدة العسل لن تفيد مع مثل هذا العاشق المتيم فهذا الأسلوب في الاستحواذ والسيطرة سيجعل منه إنسانًا مذعورًا سيربكه الشَرَك ويقضي عليه.. لذلك فكر رجال الموساد بألكسندرا، التي من الممكن اقتحام فرانكشت بواسطتها إذا تكشفت لهم أسرار شخصيتها وتكوينها النفسي.. وبعد بحث طويل أمكن الوصول إلى تلك المخلوقة التي يكاد يعبدها فرانكشت ويهب روحه من أجلها .

في سان موريتز

كانت فاتنة بحق وثرية بالجمال الأملود الذي لا يقاوم.. تملك سحرًا وحضورًا وأنوثة فتاكة.. كلها ميزات جعلت المهندس السويسري لا يلتفت إلى امرأة أخرى سواها.. فمن كان يعشق مثله فتاة في السابعة والعشرين طاغية الشباب والأنوثة، من النادر أن تلفت انتباهه امرأة أخرى ولو تعادلت معها في الجمال.. خاصة وقد كان فرانكشت يكبرها بنحو ربع قرن تقريبًا.. مما جعله يتشبث بها.. وينفق عليها بسخاء منقطع النظير.. في الوقت نفسه الذي كانت فيه ألكسندرا لا تفكر سوى بالثراء، والمجوهرات والملابس الباريسية الغالية الثمن، وكان فرانكشت يوفر لها كل

احتياجاتها دونما تردد، ودونما إدراك منها بأن حبيبها يمر بظروف مادية تكاد تكون سيئة، حيث اشتد حرصه على ألا يبدو عاجزًا عن تحقيق مطالبها وإسعادها، ولو على حساب مدخراته واستقراره المعيشي والنفسي .

توضحت إذن الرؤى أمام خبراء التحليل النفسي في الموساد.. وخلصوا إلى أن فرانشكت يمكن بسهولة السيطرة عليه بالمال لاحتياجه إلى المزيد منه، للإنفاق على حبيبته الفاتنة ذات التطلعات البعيدة. فقط من هنا أمكن التوصل إلى مفاتيح ضعفه.. وبالتالي كان عليهم انتظار اللحظة المناسبة لتجنيده، حيث لن يستطيع مقاومة العرض الذي يجيء محققًا لآماله، وناسفًا معاناته الشديدة في سبيل إبقاء ألكسندرا طوع بنانه .

كانت الخطة محكمة تمام الإحكام، عندما دعا دوف سيون صديقه فرانكشت والكسندرا إلى سان موريتز[1]، حيث جبال الألب ذات الطبيعة الخلابة، والفنادق المنتشرة فوق المرتفعات. جلسوا ثلاثتهم بشرفة فندق رومونت يتناولون العشاء ، ويحتسون الخمر فتدور الرءوس ، وتتمايل الأجساد بفعل الموسيقى والأنغام. اعترف المهندس السويسري لمضيفه الإسرائيلي أنه متعاطف للغاية مع اليهود برغم مسيحيته، وانحيازه الشديد لقضيتهم.

احترم دوف سيون صراحة فرانكشت، ولعب على أوتار عواطفه تجاههم، مستغلاً معاناته بسبب عقدة الذنب، ورغبته في العمل لمساعدة الإسرائيليين . لم يضيّع سيون الفرصة المتاحة.. إذ شرح له معاناة إسرائيل بسبب الحظر الفرنسي.. وتربص العرب باليهود من كل جانب، منتهزًا كل ثانية في إقناع المهندس السويسري بأن إسرائيل بحاجة لمساعدته. فأبدى فرانكشت موافقته تقديم خدماته للإسرائيليين . عندئذ شرح له سيون احتياجهم لتصنيع الطائرة الميراج، لمواجهة

(١) سان موريتز St. Moritz . أحد أجمل المواقع السياحية جنوب شرق سويسرا، بالقرب من الحدود الإيطالية الشمالية والنمساوية الغربية. حيث تكثر الفنادق والمناظر الطبيعية الخلابة على سفوح الجبال، ويمكن مشاهدة أروع بانوراما ممتزجة الألوان والصور .

الطائرة ميج ٢١ التي يمتلكها العرب . وعرض عليه مائتا ألف دولار مقابل المجموعة الكاملة للوحات تصميم الطائرة ، التي توقف المصنع عن إنتاجها.

كان بإمكان دون سيون أن يعرض مليون دولار – وهو المبلغ الذي تم رصده لتجنيد العميل – إلا أنه فوجئ بموافقة فرانكشت على العرض الأول الذي طرحه.

مصيدة العسل

هكذا أمضى فرانكشت ثلاثة أشهر ونصف يخطط للعملية. إنه مهندس كبير يحتل مركزًا مرموقًا في شركته بفضل إخلاصه للعمل، وسعيه الدائم للارتقاء بمشاريعها الحيوية. لذلك.. استغل ثقة مرءوسيه وأقنعهم بضرورة إعدام لوحات تصميمات الطائرة التي أوقف إنتاجها ، وذلك بعد تصويرها على الميكروفيلم .

كانت هذه التصميمات تشغل حجرة سرية في المصنع ، وتتكون من آلاف اللوحات للدينامو وشبكة الكهرباء بالطائرة، بالإضافة إلى ١٢ ألف لوحة للموتور النفاث ، ١٥٠ ألف لوحة لأجزاء أخرى من الطائرة تزن في مجموعها (٢) طن .

ونظرًا لثقة الإدارة بأهمية اقتراح المهندس الكبير، حصل فرانكشت على الموافقة ، بل وأسندت إليه مهمة التصوير والإعدام في ذات الوقت.

دهش رجال الموساد في أوربا لبراعة عميلهم السويسري المخلص. واقترحوا عليه الاستعانة بأحد العاملين بالمصنع لمساعدته في نقل الصناديق، أشار فرانكشت بنفسه إلى إمكان الاستعانة بابن عمه جوزيف فرانكشت الذي يعاني من صعوبات مادية بسبب إدمانه الخمر ومصاحبة النساء. بل ونصحهم أيضًا بضرورة تجنيده بعيدًا عنه ، دون إعلامه بعلاقته بهم تحسبا لفشل عملية إقناعه.

كان الأمر جد بسيط. وهين جدًا بالنسبة لجوزيف. حيث لم يستغرق سقوطه سوى خمسة عشر يوما فقط. إذ دفعوا إليه بصاروخ بشري من إسرائيل، فتاة رائعة مثيرة مدربة ، بهرته وألجمت عقله فلم تعد لديه القدرة على التفكير، أو المقاومة ، استسلم أمامها صاغرًا طائعًا ، ووفر عليهم اللجوء لأسلوب (مصيدة العسل) الذي

اشتهرت به الموساد في السيطرة على الخونة والجواسيس (استدراج المطلوب تجنيده لبيت آمن، مزود بأجهزة معقدة للتصوير والتسجيل، ومفاجأته وهو في قمة نشوته وضعفه، فتشل حينئذ إرادته ومقاومته ، ويوافق خائرًا بدون شروط على العمل لصالح إسرائيل) .

ومقابل خمسين ألف دولار.. وافق جوزيف على العمل لإنجاح العملية بالاشتراك مع ابن عمه . انحصرت مهمته في استبدال الصناديق التي تحوي اللوحات الأصلية، بصناديق أخرى مشابهة مليئة بالصحف القديمة، وتتم عملية المبادلة في أحد المستودعات القديمة المهجورة خارج جنيف. حيث يتسلمها عملاء الموساد ويتولون نقلها بسرعة لمكان آخر، ثم بعد ذلك إلى إسرائيل بمعدل ٥٠ كيلوجراما من اللوحات كل أسبوع .

غادر إسرائيل إلى سويسرا فريق من رجال (لاكام) – وحدة التجسس التكنولوجي في وزارة الدفاع الإسرائيلية – للتأكد من لوحات التصميمات قبل نقلها إلى تل أبيب. فالإسرائيليون لم يرضوا فقط بلوحات المحرك النفاث الجديد، بل طمعوا في الحصول على تصميمات الطائرة بأكملها، وإن اتجهت نيتهم في الاستيلاء على مكونات الـ ٤٧ طائرة الباقية، التي لم يتم إنتاجها في مصانع إخوان سولزر .

هكذا مع الأصدقاء

هكذا التقت الأطماع والنوايا، وكانت البداية الفعلية في ٥ أكتوبر ١٩٦٨ ، حيث تمت العملية الأولى للمبادلة بنجاح أدهش فرانكشت وجوزيف، بعدما تولى رجال الموساد في سويسرا صناعة صناديق مشابهة تماما لتلك التي تحوي التصميمات. واطلع خبراء (لاكام) على المحتوى الثمين، ومن ثم نُقلت الشحنة إلى ألمانيا الغربية أولاً، ومن هناك طارت متفرقة إلى إسرائيل .

وبشكل منتظم ، استمر العميلان السويسريان في تسليم التصميمات للإسرائيليين حتى العاشر من سبتمبر ١٩٦٩، ففي ذلك اليوم ألقى القبض على جوزيف فرانكشت

وثلاثة رجال من لاكام أثناء عملية المبادلة في المستودع، بينما هرب المهندس الفريد بسيارته محاولاً الخروج من سويسرا لكن أمكن الإمساك به.

كانت الصدمة قاسية في سويسرا وإسرائيل بانكشاف الأمر، بسبب صاحب المستودع الذي وقف على الحقيقة، وأبلغ السلطات عن شكوكه في أن عملية مبادلة غامضة تتم من وراء ظهره، اكتشفها بالصدفة البحتة حينما اختبأ بالمستودع واستمع إلى حوار بين شخصين كانا على مقربة من مخبأه، فهم من حديثهما أنهما إسرائيليان.

وما أن أعلنت السلطات السويسرية تفاصيل التورط الإسرائيلي على أراضيها، عمت الفضيحة كل مكان على سطح المعمورة. واستدعت الحكومة السفير الإسرائيلي، وحملته رسالة احتجاج شديدة اللهجة، وأمرت بطرد الملحق العسكري الإسرائيلي من برن[1] .

أثيرت أزمة دبلوماسية حادة بين البلدين، وحكمت المحكمة الفيدرالية على الفريد فرانكشت بالسجن ٨ سنوات، بعدما تبين قيامه بنقل (١٠٢) ألف لوحة تصميم إلى إسرائيل، استعانت بها في تصميم وإنتاج الطائرة (كافير) التي تعتبر نسخة مطابقة للطائرة الفرنسية ميراج لكنها تحمل اسمًا إسرائيليًا.

أما جوزيف فرانكشت، فقد حكم عليه بالسجن لمدة عامين فقط. وبعد أربع سنوات ونصف، أفرج عن ألفريد فرانكشت. هكذا خسر معشوقته التي تزوجت في فرنسا، وكرهه الشعب السويسري الذي يمقت التجسس على بلاده.

ولأنه لم يكن قد تسلم أكثر من ربع المبلغ المتفق عليه، اتصل بالسفارة الإسرائيلية في جنيف للمطالبة ببقية مستحقاته، إلا أنهم نهروه ورفضوا استقباله .وصدم عندما

---

(١) (ليس لسويسرا عاصمة قومية، فلتفادي تركيز السلطة جعلوا من لوزان مقر المحاكم الفيدرالية، وبرن مقر البرلمان، وجنيف هي مركز الشئون الدولية، وزيوريخ عاصمة المال، وبال هي مركز النقل. وليس لسويسرا رئيس منتخب، بل يعين البرلمان أحد المستشارين الفيدراليين رئيسا كل عام) .

سافر إلى إسرائيل فقوبل هناك بتجاهل تام.. وببرود شديد حتى أنه أنفق على نفسه خلال إقامته لعدة أيام في تل أبيب ، دون أن يستضيفوه كما كان يأمل، واضطر أن يغادر إلى سويسرا غاضبًا بعدما اقترض ثمن تذكرة الطائرة. (مغفل) .. هذا ما قاله لنفسه. لقد أخذوا ما يريدون ولم يعد يهمهم أمره. بل وأنكروا عليه حقه في بقية مستحقاته. وطردوه.

فرانكشت الغاضب الحانق، على صفحات الجرائد السويسرية اعترف فيما بعد أنه.. ندم على فعلته. لكن حب الكسندرا.. وعقدة الذنب.. كانا يسيطران على عقله..!!





سرقة الصاروخ أكسوسيت من تشيلي..!!

بسبب الحظر الأوربي على بيع السلاح لإسرائيل.. لجأت الموساد إلى طرق الخداع والتحايل.. فسرقت من قبل تصميمات الطائرة الفرنسية ميراج، ونسخت منها طائرة تحمل مواصفاتها.. لكن باسم إسرائيلي (كفير).. ثم سرقت الصاروخ الفرنسي من تشيلي.. خوفاً من البحرية المصرية ذات القوة التي تحيطها السرية..!!

وجدوه في تشيلي

عام ١٩٩٠ كشف ضابط الموساد السابق ، فيكتور أوستروفسكي[1] ، لأول مرة قصة سرقة الصاروخ الفرنسي أكسوسيت من تشيلي.. وهو صاروخ سطح/ سطح تصنعه شركة إيروسباسيال الفرنسية، ويطلق عليه اسم (كاشط الأمواج) لأنه يطلق من سفينة، فيرتفع حتى يجد هدفه، ثم يهبط إلى ارتفاع بسيط على سطح الماء مما يجعل من الصعب كشفه بواسطة الرادار ومن ثم التصدي له.

كانت فرنسا قد فرضت حظراً على بيع الأسلحة إلى إسرائيل، مجاملة للعرب من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنها تعلم أن إسرائيل ستسعى إلى تصنيعه وتطلق عليه اسماً إسرائيلياً[2] ، وبسبب خوف إسرائيل من البحرية المصرية التي لم تشترك في حرب أكتوبر، في اقتناء هذا الصاروخ، خاصة وأن هناك قصورًا في المعلومات عن قوة البحرية المصرية وتسليحها وتكتيكها القتالي.. فقد كان من المهم بمكان اقتناء هذا الصاروخ للتعرف على مزاياه الهجومية.. تحسبًا لوجوده ضمن تسليح البحرية المصرية ، حالاً أو مستقبلاً، وربما ضمن تسليح البحرية السورية أيضا .

---

(١) فيكتور أوستروفسكي : ولد في كندا عام ١٩٤٩، لأب طيار حربي وأم مدرسة صهيونية المبادئ.. أخذته معها إلى إسرائيل عام ١٩٥٢ بعد انفصالها عن والده.. حيث عاش في كنف والدي أمه الصهيونيين.. لذلك نشأ هو الآخر صهيونيًا.. وانخرط في الجيش حتى عام ١٩٧١، ثم انضم إلى البحرية الإسرائيلية عام ١٩٧٧. وفي عام ١٩٧٩ عمل في جهاز الموساد برتبة عقيد حتى فصل منه في آخر مارس ١٩٨٦، بسبب حادث اختطاف الطائرة المدنية الليبية إلى إسرائيل، فغادر تل أبيب إلى كندا حيث استقر مع زوجته بلا وابنتيه في أوتاوا. فضح أوستروفسكي نشاط الموساد في كتابين : عن طريق الخداع ، والجانب الآخر للخداع.. يبدو أنهما حظيا بموافقة الموساد سرًا، لكن هوجم الضابط السابق في العلن، وحاولت إسرائيل منع صدور الكتابين، حتى أنها رفعت دعوى قضائية ضد المؤلف في أمريكا، وأصبح رجل الموساد السابق هدفًا لحملة تشهير عالمية، ووصف بأنه خيالي وكاذب. ورفضت محكمة نيويورك الدعوى الإسرائيلية ضد أوستروفسكي، مما أدى إرى رواج كتابه الأول بصورة لا مثيل لها.. ولكنني لا أثق بهذه الحيل الإسرائيلية من أجل ترويج الكتاب.. فما جاء به ويتصل بعمليات الموساد ضد الدول العربية والفلسطينيين على وجه الخصوص يميل إلى المبالغة، يفتقر إلى الكثير من المصداقية، بما يؤكد أن الكتاب ما صدر أصلاً إلا للترويج لحراس الهيكل، رجال الموساد، وإبراز تفوقهم ومهاراتهم في خوض غمار نشاطاتهم السرية في سائر أنحاء المعمورة ..!!

(٢) تماماً مثلما سرقت تصميمات الطائرة الفرنسية ميراج٣، بواسطة مهندس سويسري عام ١٩٧١، أدين بالحبس، وتجاهلته إسرائيل التي استعانت باللوحات المسروقة في تصنيع نسخة من الطائرة الفرنسية، أطلقت عليها عام ١٩٧٥ اسم (كفير) .

لذلك .. ظهرت رغبة البحرية الإسرائيلية في الحصول على صاروخ أكسوسيت لتجربته، وتكشف طرق التصدي له. فالمعلومات التي كانت قد توافرت عنه لدى الموساد، لم تكن سوى معلومات عامة عن مزاياه ومواصفاته.. وهي بلا شك معلومات لا تشفى حاجة إسرائيل لمعرفة خفاياه واسراره الكاملة.. ووصل الأمر بالبحرية الإسرائيلية ، أنها طلبت رأس الصاروخ فقط، حيث توجد جميع الأجهزة الإلكترونية التي من خلالها تتكشف أسرار الصاروخ.

ولأن أوربا كانت طريقًا مسدودًا لحصول الموساد على الصاروخ، بدأ التفكير في أمريكا اللاتينية، وبالأخص الأرجنتين وتشيلي. ونظرًا لأن الأرجنتين كانت قد عقدت صفقة لشراء محركات نفاثة إسرائيلية، كان طلب الصاروخ منها مخاطرة قد تعرض الصفقة المربحة للخطر. لذلك اتجهت الأنظار إلى تشيلي، التي كانت قد طلبت من إسرائيل مساعدتها في تدريب عناصر من جهاز الشرطة السرية (Dina) ذات السمعة السيئة ، حيث تطلع رئيس تشيلي الجديد، الجنرال أوجستو بينوشيه أوجرات[1] ، إلى تطويره وإصلاحه ، وعين من أجل ذلك الجنرال مانويل كونتريراس رئيساً له، وهو الذي أرسل بدوره طالبًا مساعدة الإسرائيليين في مسعاه .

ردت إسرائيل بشكل رسمي على الطلب التشيلي ، قائلة : إنها سترسل ضابطاً إدارياً ، لبحث المشروع.. وفي سانتياجو أخبر الجنرال كوتريراس ضيفه الإسرائيلي، بأنهم يريدون تدريب وحدة أمن خاصة للسيطرة على الإرهاب المحلي ، إضافة إلى حماية الزوار من كبار الشخصيات .

---

(١) جاء الجنرال بينوشيه رئيسًا لتشيلي عام ١٩٧٣ ، خلفًا للرئيس السابق سلفادور الليندي، الذي أسقطته المخابرات المركزية C.I.A . وقبل ذلك بعام كانت قد حُلّت Dima بضغط كبير من الولايات المتحدة، لكن الرئيس الجديد، بينوشيه، أعاد إحيائها بتنظيم مختلف ، وعمل جاهدًا على محو سمعتها الدولية السيئة التي رافقتها لسنوات طويلة .

صفقة متبادلة

طلب ضابط الموساد من رئيس Dina أن يختار ٦٠ من أفضل رجاله للبرنامج التدريبي، سيتم فرزهم، واختيار أفضل ٢٠ رجلاً منهم لمواصلة تدريباتهم في إسرائيل، ومن هؤلاء سيخرج الرقباء والرتب الأعلى.. وبدأ كونتريراس يساوم في السعر، إلى أن تم الاتفاق النهائي على شتى التفاصيل.. وعندها طلب منه ضابط الموساد رأس صاروخ أكسوسيت، وفي اليوم التالي أخبره بأنه يستطيع تجاوز القنوات الرسمية ويسلمه الصاروخ، مقابل مليون دولار .

كانت الصفقة ملائمة جدًا لإسرائيل.. لذلك طار في الحال خبير صواريخ إسرائيلي إلى سانتياجو، ولأنهم في إسرائيل يريدون صاروخاً عاملاً، فقد اصر الخبير على أخذ الصاروخ من أحد الزوارق، برأس جاهز للإطلاق.. كي لا يتعرضوا للخداع بواسطة رأس مزيف أو تالف ، وأنزل الصاروخ عن الزورق ووضع على مقطورة، وبعدما أقر الخبير بأن الصاروخ سليم تمامًا.. تسلم الجنرال التشيلي المليون دولار ، وقال لرجل الموساد : عليكم إذن حراسته إن أردتم، لكن قبل أن تأخذوه، أريدك أن تستدعي رئيسك لأنني أريد أن أتحدث إليه.

لم يكن أمام ضابط الموساد خيار.. وفي اليوم التالي طار إلى سانتياجو ناعوم أدموني[1] ، وفوجئ بالجنرال التشيلي يطلب منه مساعدته على بناء قوة أمن شخصي، تجيد مطاردة الأعداء أينما كانوا، تمامًا كما يفعلون مع رجال منظمة التحرير الفلسطينية.

استعانت الموساد بمايك هراري ، الذي كان مسئولاً عن فضيحة ليليهامر الشهيرة في النرويج ، حيث جرى تكليفه بمهمة تدريب الفريق الأمني التشيلي، ونقل

---

(١) ناحوم عدموني، أو ناعوم أدموني: كان وقتها يشغل منصب ضابط الارتباط المسئول عن أمريكا اللاتينية، وتولى بعد ذلك رئاسة الموساد (١٩٨٢ : ١٩٨٩). وهو بولندي الأصل ولد عام ١٩٢٩ في القدس وخدم في منظمة الهاجانا الإرهابية، ولثلاثة عقود عمل في دائرة الارتباط التابعة للوكالة السرية، في محطات تمتد من واشنطن إلى أثيوبيا.. وفي عهده تفجرت فضيحة بولارد على الملأ واهتزت علاقات إسرائيل بأمريكا.. ثم فضيحة إيران جيت بعدها بأيام.

الصاروخ عام ١٩٧٥ إلى إسرائيل.. وفي سبتمبر ١٩٧٦ قاد الفريق الأمني التشيلي أكبر حملة لاغتيال رجال المعارضة في الخارج، وكان على رأس الضحايا: أورلاندو ليلتييه الوزير السابق في حكومة الليندي، الذي انفجرت بـه سيارته المفخخة عن بعد في واشنطن.. بذات أسلوب الموساد في اغتيال الزعامات الفلسطينية في عواصم أوربا.. وكانت الموساد طرفًا في اغتيال الوزير التشيلي المعارض.. لكن المحكمة الفيدرالية الأمريكية وجهت الاتهام إلى كونتريراس وستة آخرين.. بينما استبعدت الموساد.. وأمام الضغط الأمريكي رفضت تشيلي تسليم كونتريراس.. ولتحسين الصورة أقاله بينوشيه من منصبه في أكتوبر ١٩٧٧..!!

(تم الجزء الأول بعون الله ومشيئته)

ملحق صــور

الجــزء الأول



عمر ديكو .. الوزير النيجيري اللاجـئ سياسياً في لندن. فشـلت خطـة الموسـاد في اختطافـه علـى نسـق عمليـة اختطـاف آيتشمان من الأرجنتين . وفي الأسفل منزله في شارع بيزووتر بوسط لندن .





قـاد ألكسـندر بـاراك عمليـة اختطـاف عمـر ديكـو الفاشـلة.. وعندمـا تم ضبطـه داخل الصندوق مع أحد زميليـه كـان قـد تبرّز على نفسه من الرعب..!!



إدولف آيتشمان ، النازي الذي اتهم بإبادة يـهود أوربـا.. أراد اعتنـاق اليهودية قبل إعدامه في إسرائيل، ليقال إن كلباً يـهودياً أعـدم. بنـوا لـه فرنـاً لحرقـه ثـم نـثروا رمـاد رفاتـه في البحر..!!





المناضل المغربي بن بركة .. تعرض للتعذيب الشديد قبل قتله في باريس .. وإذابة جثته بجوار قصر الملك في الرباط. كان مُعلِّم الملك وضحية السياسة. تعاونت أجـهزة الاستخبارات المغربية والفرنسية في خطفه لاغتياله ، فتحول إلى أسطورة..!!

الصورة إلى اليسار عندما كان معلماً للملك ، والثانية قبل خطفه بأسابيع قليلة.



الجنرال محمد أوفقير كان الرجل الثاني في المغرب.. لإرضاء الملك قتل بن بركة بالخنجر في باريس، فكرَّمه الملك بخمس رصاصات كانت القاتلة في عنقه، وحبس زوجته وأولاده الخمسة عشرين عاماً بلا ذنب..!



رجل المخابرات المغربي أحمد البخاري بعد ٣٦ عاماً يعترف : عُلِّق بن بركة على الحبل لفترة طويلة ، إلى أن مزَّق أوفقير صدره بخنجر.



عبد الله أوجلان .. زعيم حزب العمال الكردستاني بين رجاله. طاردته المخابرات التركية والأمريكية والموساد إلى أن تصيدوه في كينيا ، واقتادوه في طائرة خاصة إلى أنقرة .





أوجلان معصوب العينين أمام العلم التركي ، في صورة وزعتها الحكومة التركية فأثارت ملايين الأكراد .



صورة السفير اليوناني في نيروبي جورج كوستولوس ، يبكي في مؤتمر صحفي (لقد خدعتني حكومة بلادي) .



١ أكتوبر ١٩٩٨

أوجلان في روسيا

١٦ نوفمبر ١٩٩٨

١٨ نوفمبر ١٩٩٨

القضاء الإيطالي يرفض تسليمه إلى تركيا

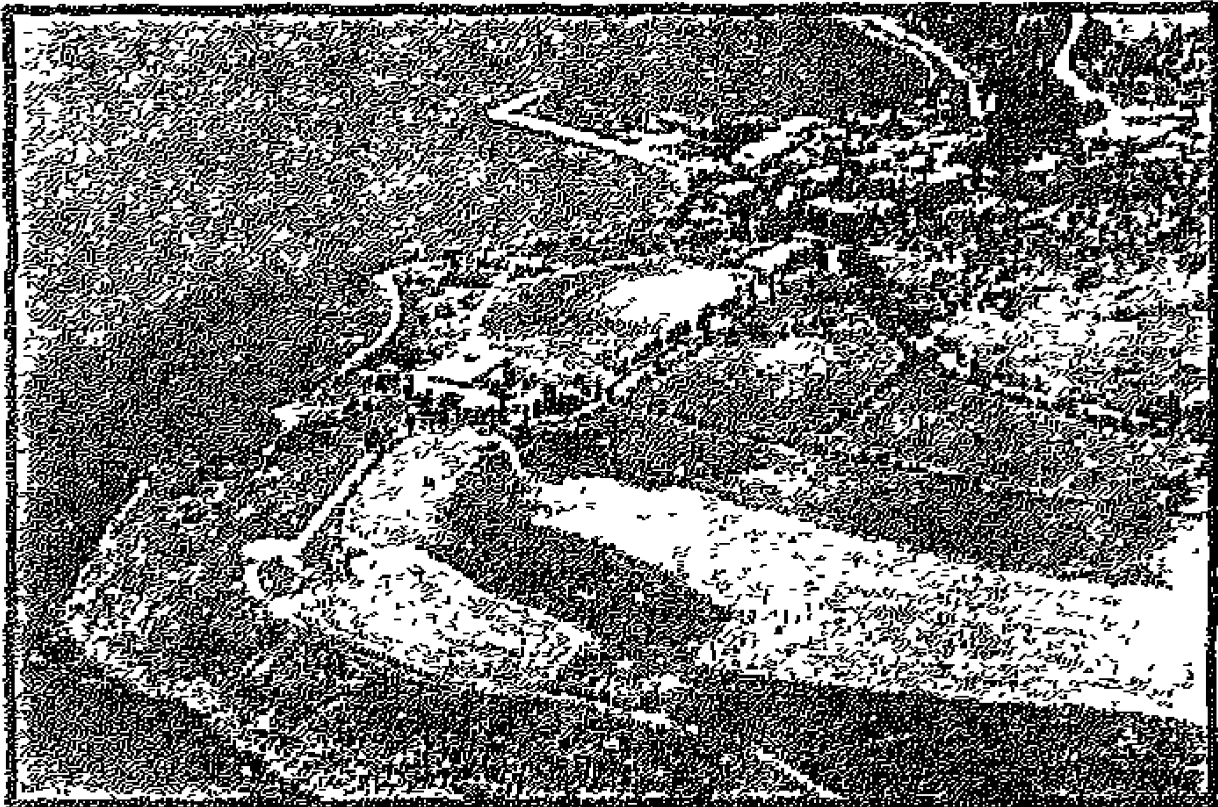
١ فبراير ١٩٩٩

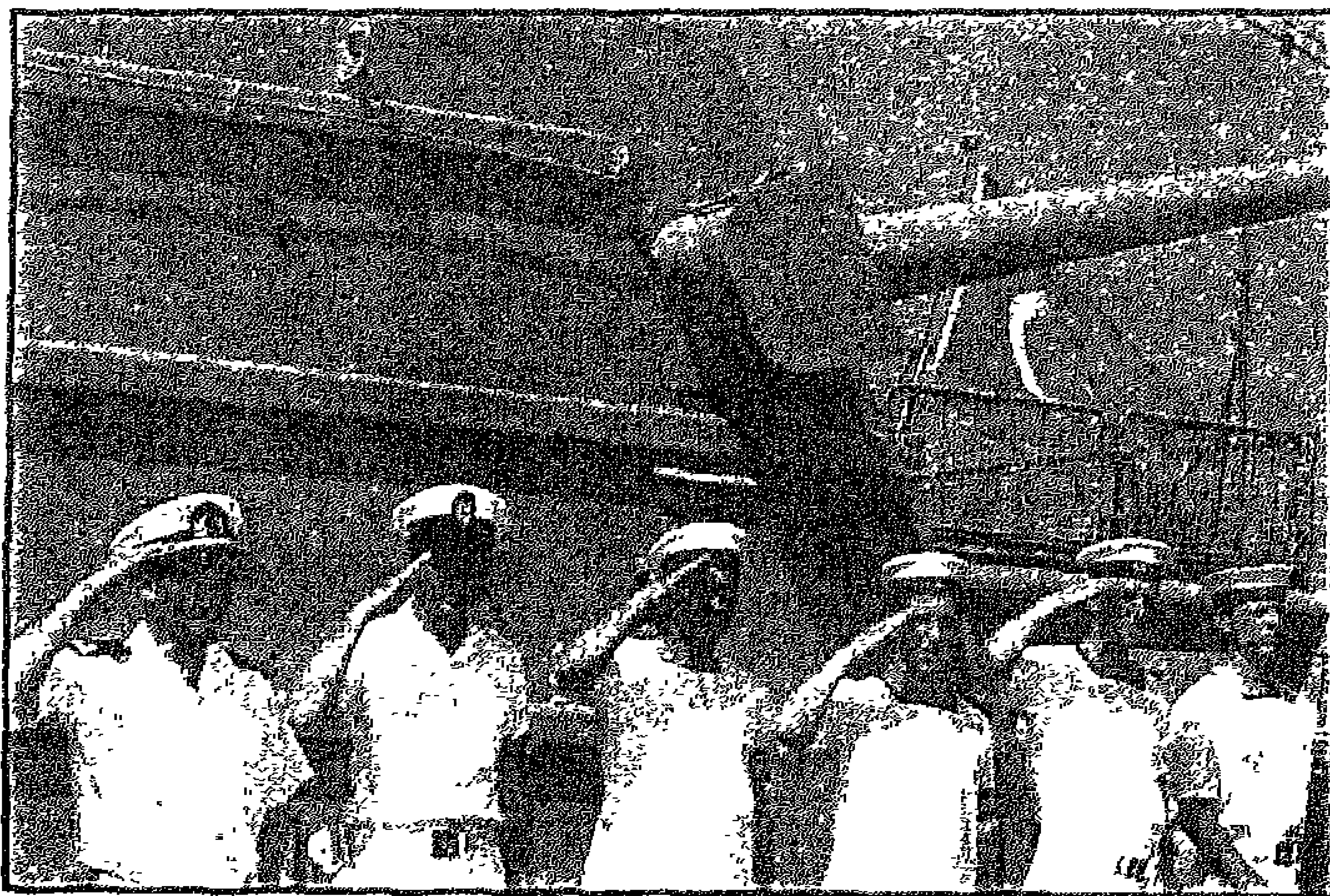
اليونان تنكر تواجد أوجلان على الأراضي اليونانية

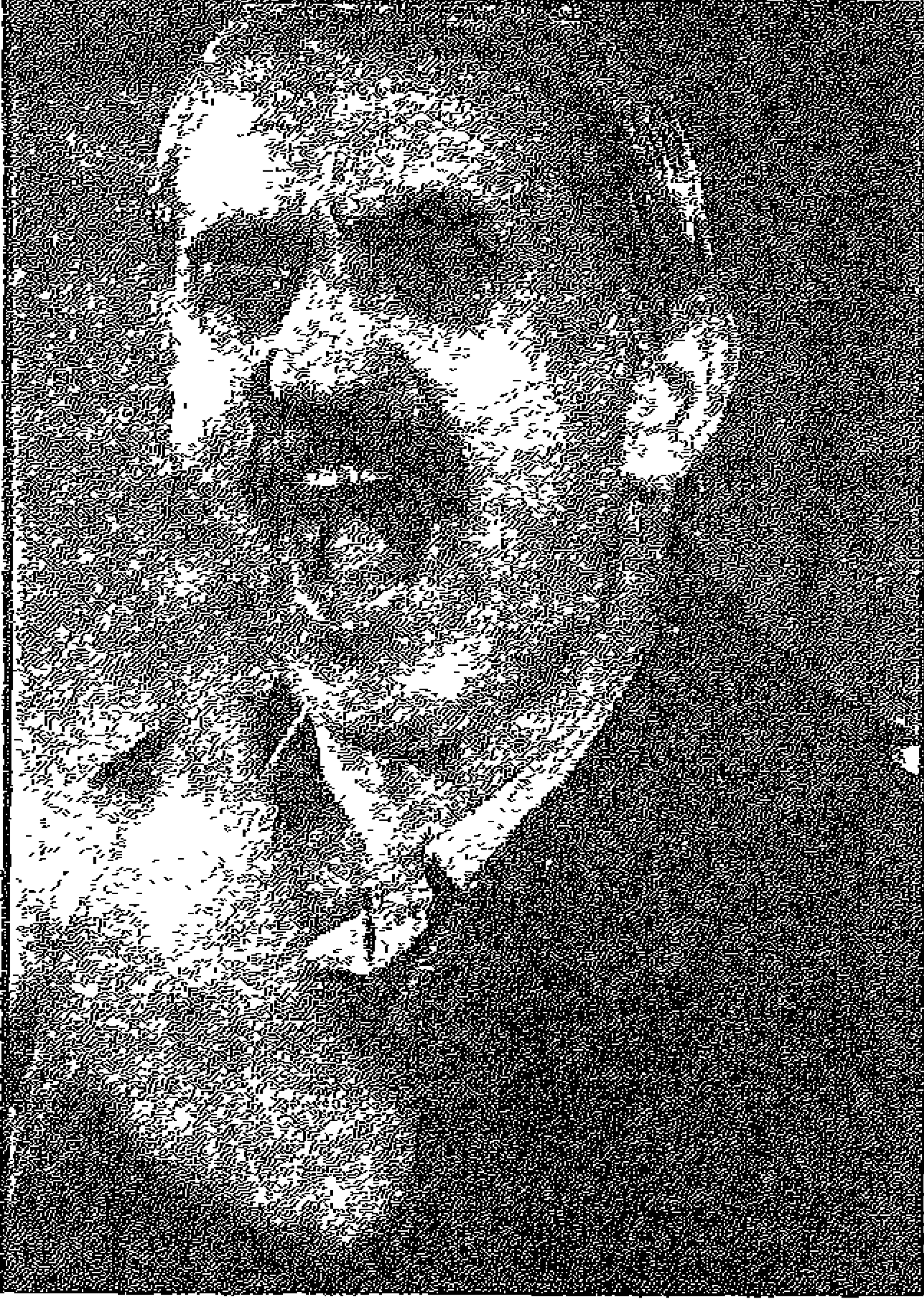
١٥ فبراير ١٩٩٩



أوجلان في قيوده داخل الطائرة ، بينما يتبادل أفراد فريق الكوماندوز التهاني. ثم جزيرة (إيمرلي) التي تحرسها البحرية التركية ولا يُسمح بالاقتراب منها.







الدكتـور جـورج حبـش.. بعبـع إسرائيل المخيف الذي زلزل أمنها مـع رفيق دربه في الجامعـة والكفاح وديع حداد

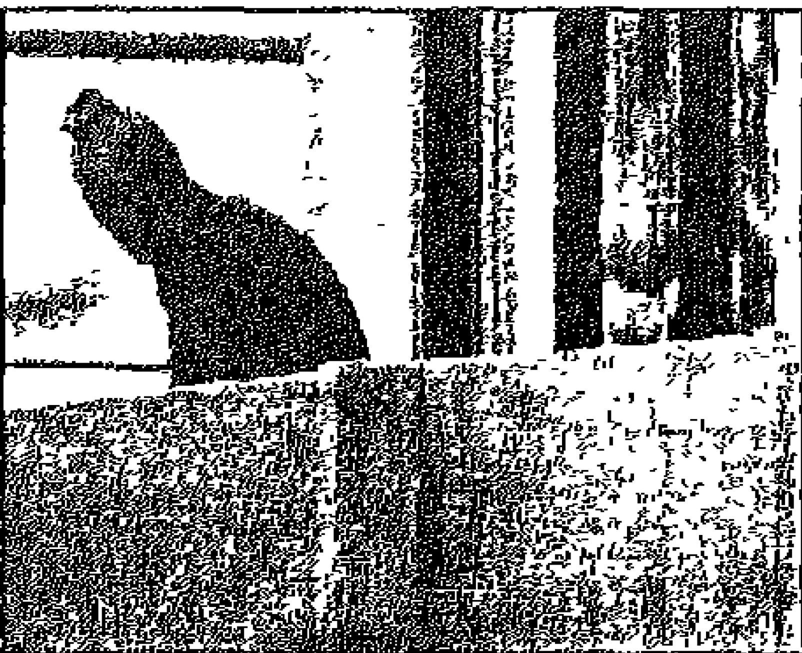




أبلغـت أمينـة المفتي الموسـاد عـن وجود حبش على متن الطائرة اللبنانية فاختطفتها إسرائيل لاعتقاله.. لكنه لم يكـن بـين الركـاب. الصـورة المقابلـة لحـداد لـدى تخرجـه مـن الجامعـة الأمريكية ببيروت ١٩٥٢ .



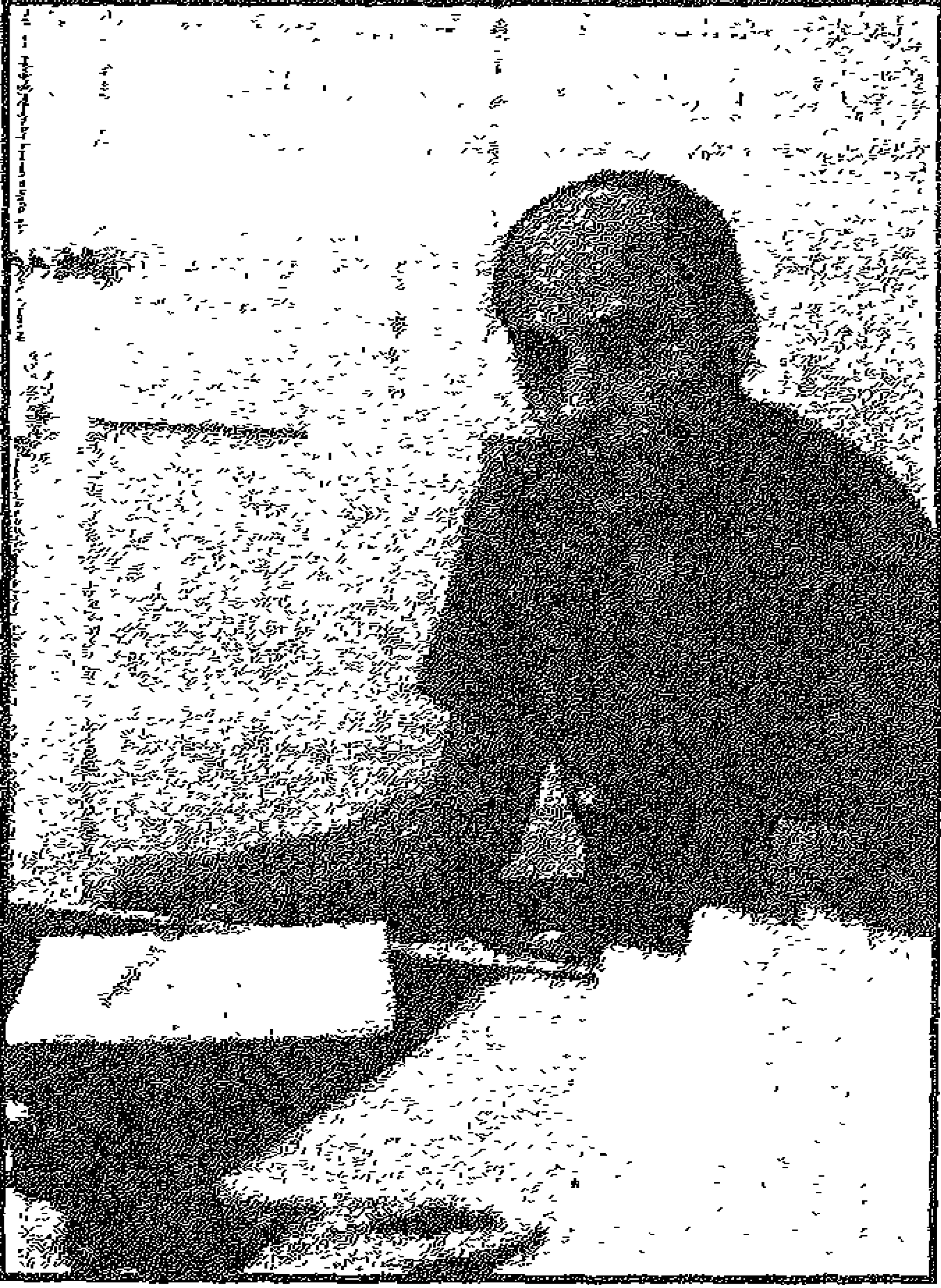
أبو إياد (صلاح خلف) الرجـل الثـاني بعـد عرفات في ذروة الصـراع المسـلح مـع إسـرائيل. كان علـى قائمـة المـوت الـتي حددتـها جولـدا مائير، لكنه استشهد برصاص فلسطيني.



الصورة المقابلة لفدائي فلسطيني في شرفة الجنـاح الإسرائيلي بالقرية الأوليمبية في ميونيخ عـام ١٩٧٢. إنها أشـهر صـورة تناقلتـها وسـائل الإعـلام العالميـة وقتها قبل وقوع المذبحة .



نايف حواتمة

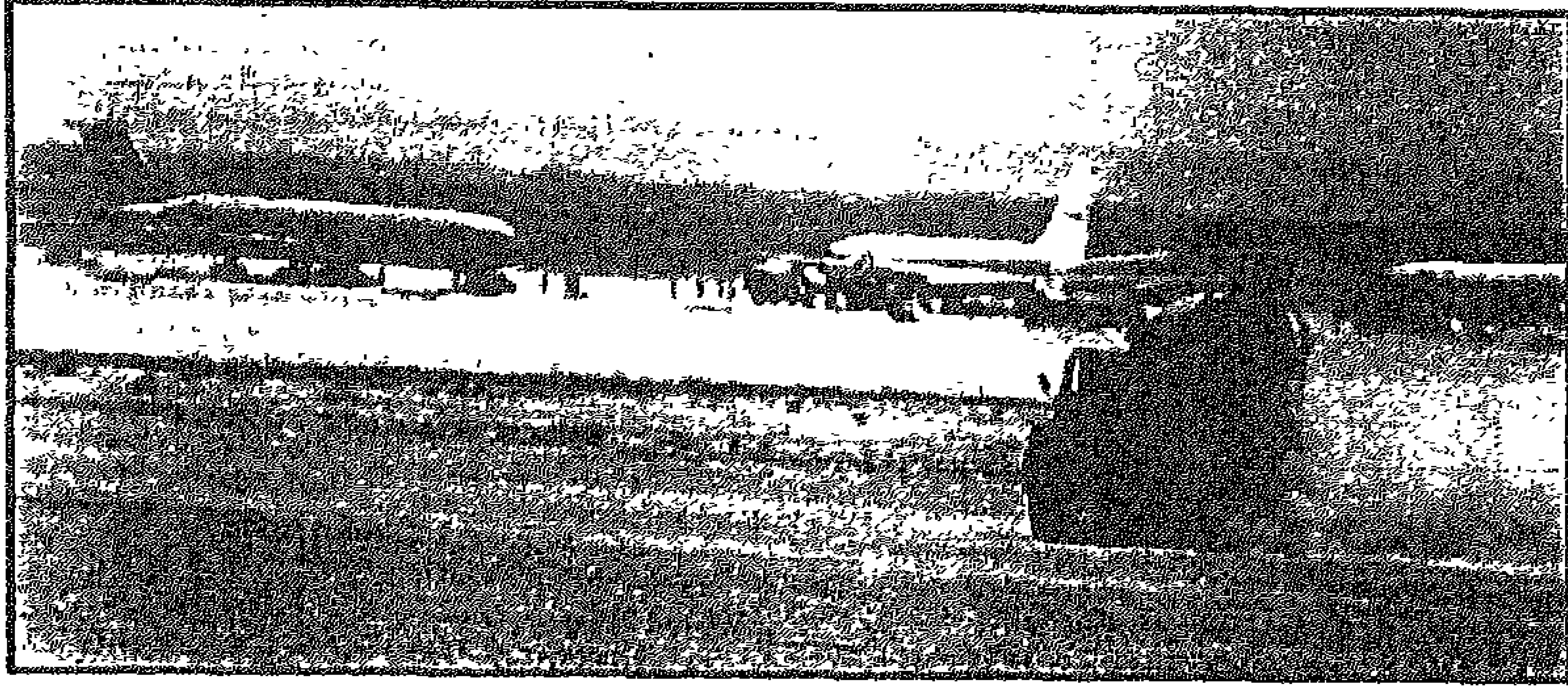


أبو نضال

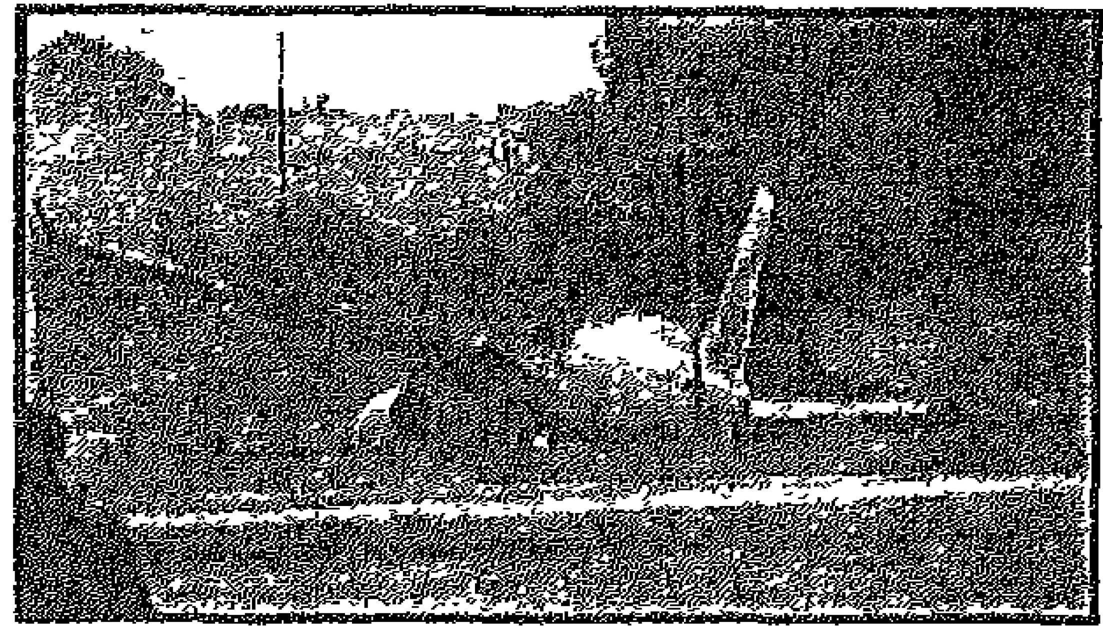
سعت إسرائيل للانتقام منهم لسنوات وسنوات . وفي عام ١٩٨٦ قامت باختطاف الطائرة الليبية ظناً بأنهم على متنها. وكان الأخير (أبو نضال) يردد دائماً : (أنا روح أجهزة المخابرات المرعبة.. أنا الروح الشريرة التي تتجول في الليل فتصيبهم بالكوابيس)، وفي أغسطس ٢٠٠٢ قتله صدام حسين ببغداد مغازلاً أمريكا .



أحمد جبريل



الطائرات الثلاث في مطار الثـورة بـالأردن ، واحـدة مـن عمليـات جـورج حبـش ووديع حداد بغــرض لفـت انتبـاه العـالم لقضيـة فلسـطين. الصـورة الثانيـة لإحـدى الطائرات وهي تحترق. وأسفل الطائرة الفرنسـية المختطفـة علـى ممـر مطـار عنتيـبي بأوغندا .







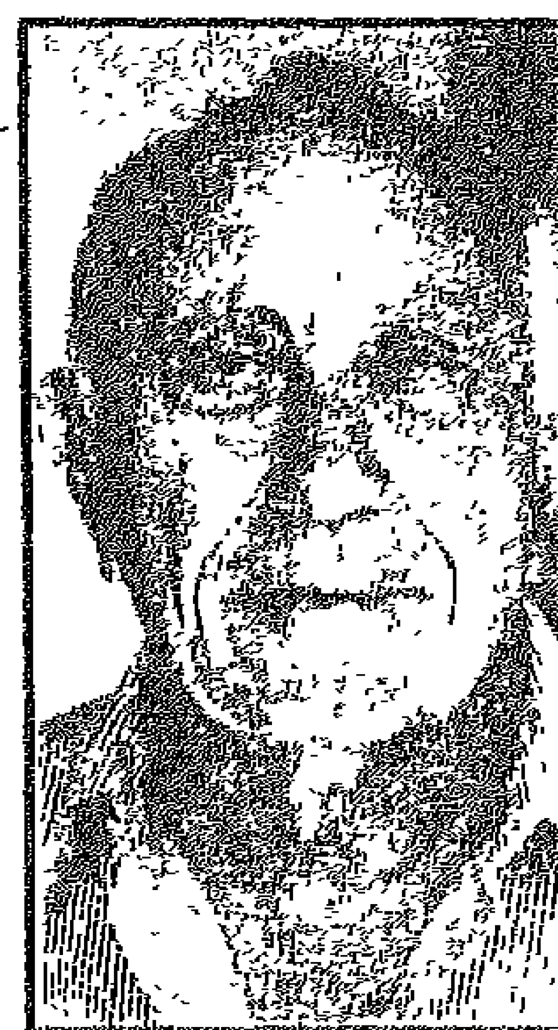
الشهيدة دلال المغربي (٢٠ عاماً) فلسطينية ولدت بلبنان. اشتاقت لأرضها فقادت فريقاً من ١٢ شاباً عبر البحر إلى إسرائيل.. فأمر مناحيم بيجن بمنعهم . لكـن فريـق (كمال عدوان) قتل العشرات من اليهود على أعتاب تل أبيب. وكشف رجال بيجـن عورة الشهيدة أمام الكاميرات..!



زيفـي زامـير رئيس الموســاد . طـارد الزعمـاء الفلسـطينيين إلى أن حبسـه علـي حسـن سـلامة في الـنرويج ، إثـر فضيحـة ليليـهامر أشـهر فضـائح الموسـاد طـوال تاريخـها الدموي.



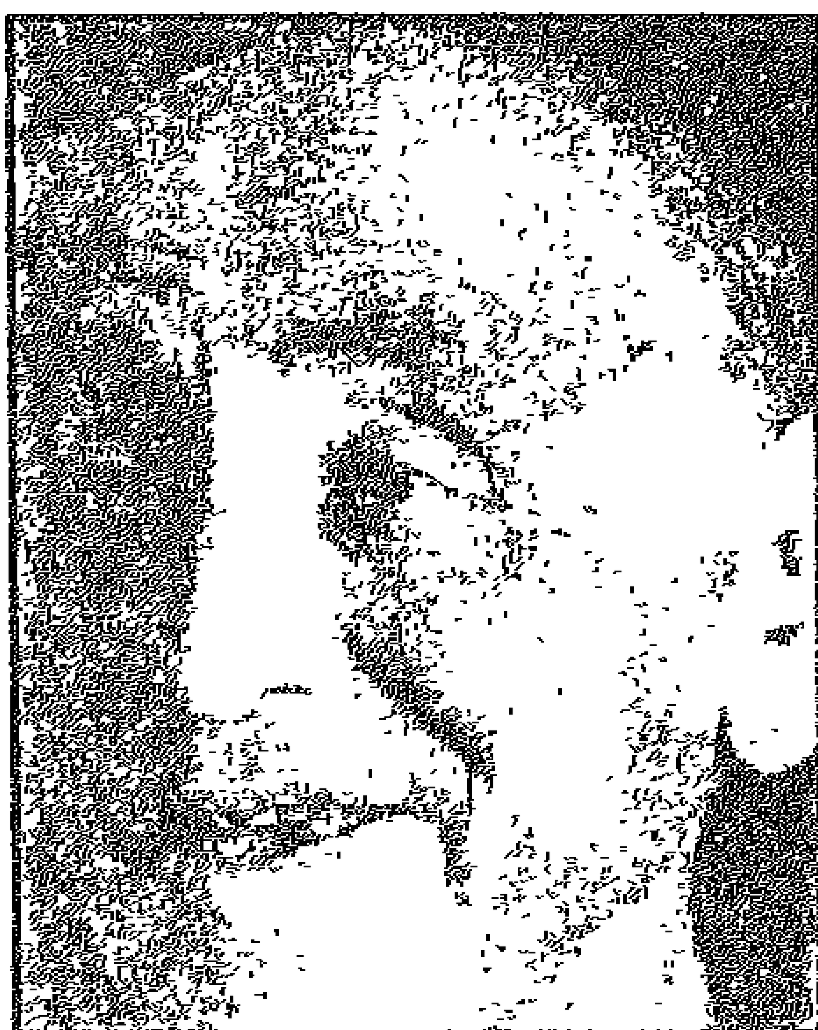
مـايك هـاراري (بالنظـارة السـوداء)، رئيـس العمليـات في الموسـاد. قـاد عمليـات الاغتيال للزعامات الفلسطينية، مستخدماً شتى وسائل القتل، إلى أن أوقعه سلامة في النرويج مع رئيسه ، فتحول إلى بطل فضيحة ليليهامر. والصورة لـه خلـف نوريبجـا رئيس بنما خلال استقباله بإسرائيل ١٩٨٥ .



(١)



(٢)



(٣)

(١) مائير عاميت رئيس الموساد . شاهد بنفسه لأول مرة مصيدة عسل أعدت لمنير روفا في باريس. أهدى عاميت لإسرائيل الميج ٢١ العراقية .

(٢) رئيس الوزراء الإسرائيلي ليفي أشكول. استقبل روفا بمكتبه ووعده بمكافأة.

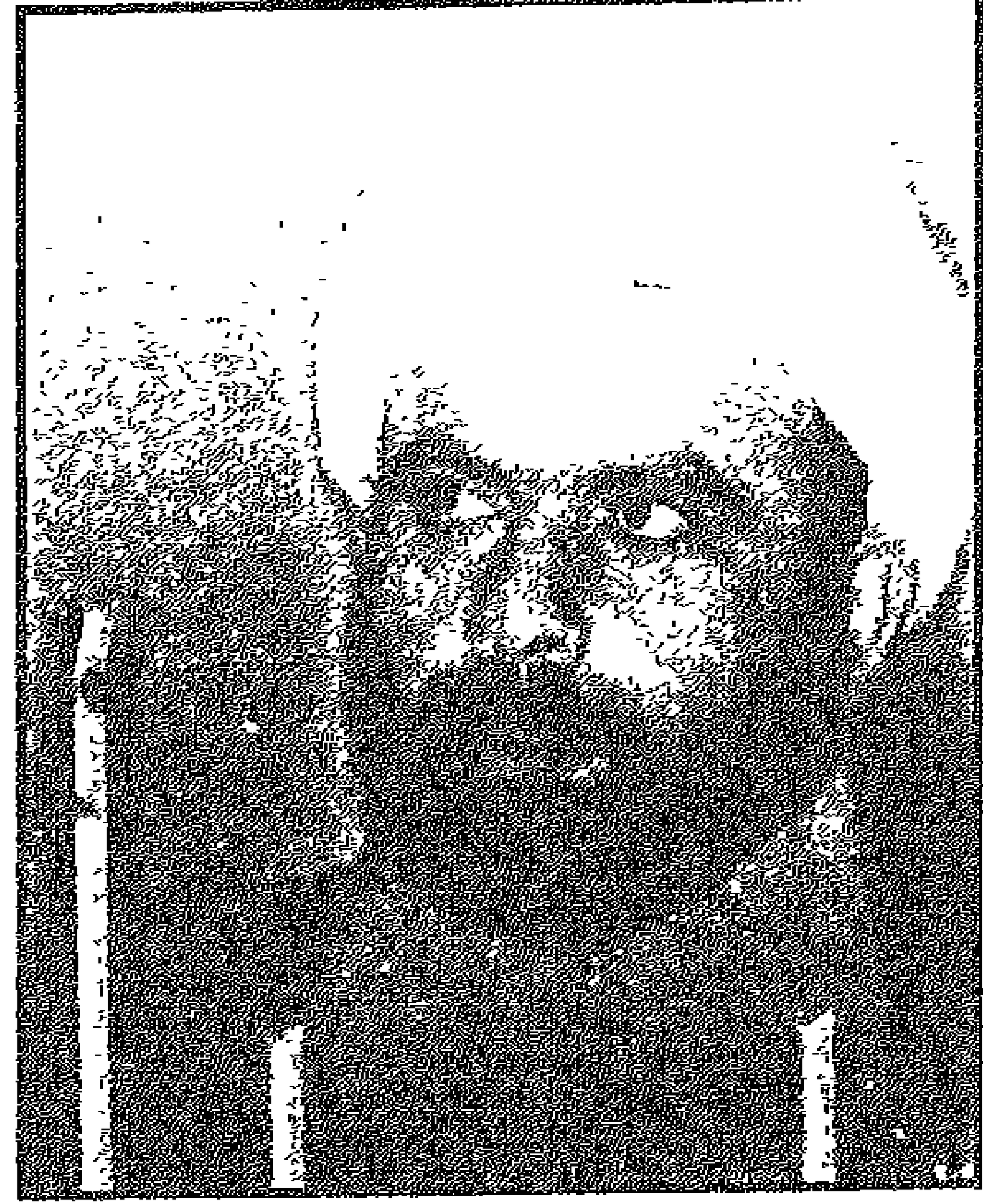
(٣) رئيس الموساد إيسير هاريل. خطف إدولف آيتشمان (إيخمان) من الأرجنتين.





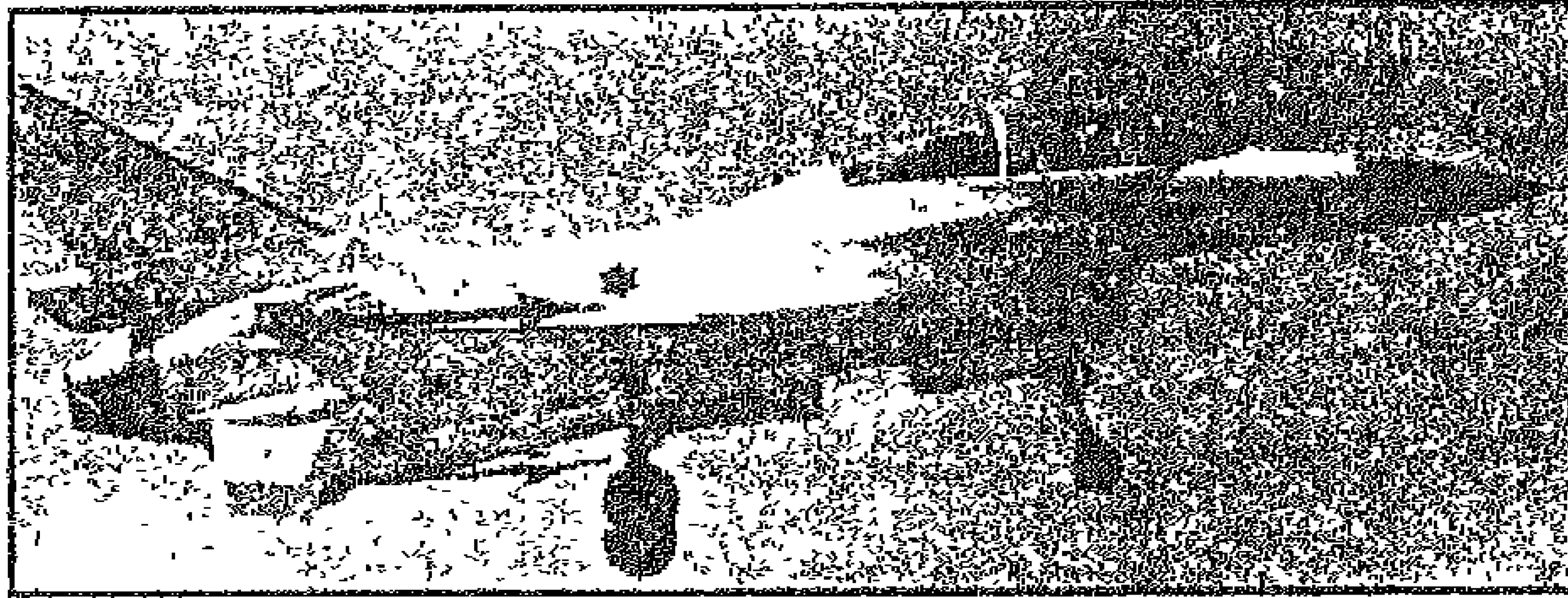
أنطوان لحد .. أحد أشهر عملاء إسرائيل الذين أوقعوا بالضباط السوريين الثلاثة لتختطفهم الموساد.. يعيش الآن ذليلاً في تل أبيب. صورته الأولى مع موفاز رئيس الأركان الصهيوني ثم وزير الدفاع. والصورة الثانية مع نتانياهو رئيس الوزراء الأسبق وهو يهديه سيفاً من الفضة المطعم بالذهب والأحجار الكريمة ..!!





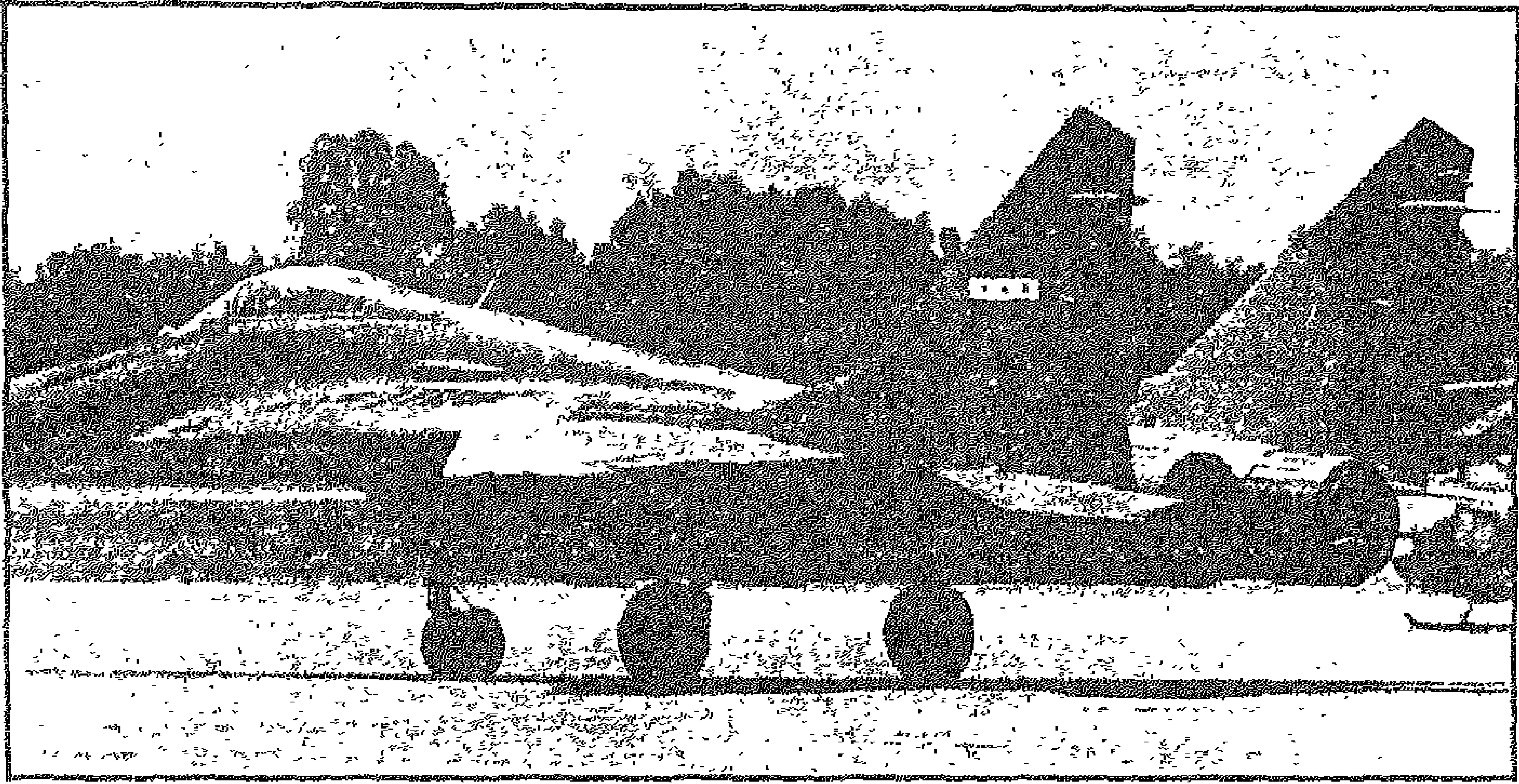
الشيخ عبد الكريم عبيد أحد رموز حزب الله. اختطف إلى إسرائيل بعملية كوماندوز، وتدور الآن مفاوضات لمبادلته بثلاثة أسرى إسرائيليين لدى الحزب. وفي الصورة الأخرى (داني سعيل) إلى أقصى اليمين بميناء حيفا مع بقية أسرته. حتى وقت قريب كانت زوجته قد اتهمت الموساد بخطفه ودفنه حياً..!!





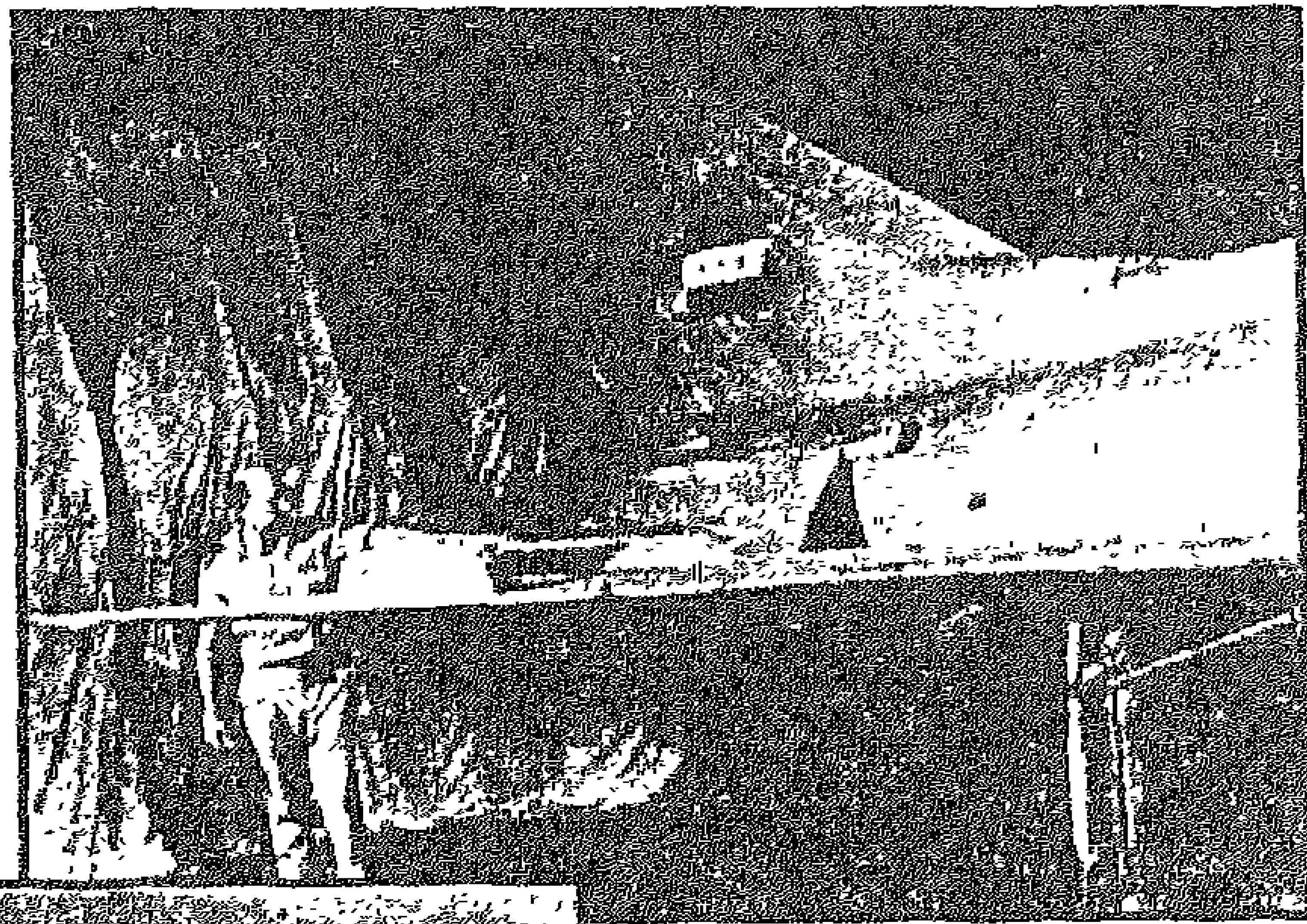


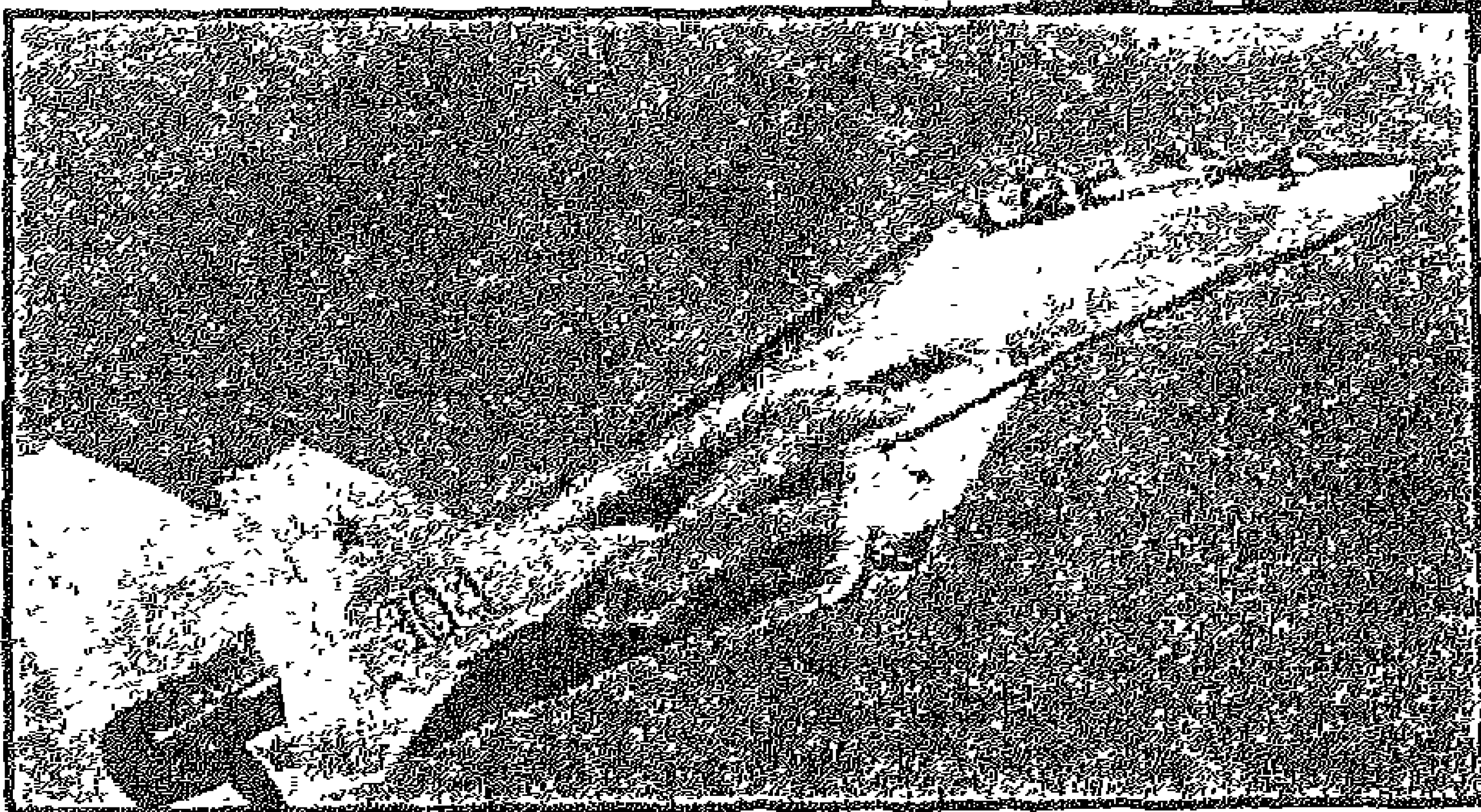
فرض الرئيس الفرنسي حظراً على بيع السلاح لإسرائيل بعد عدوان ١٩٦٧، وطرد مكتب الموساد في باريس. فسرقت إسرائيل لوحات تصميمات الطائرة من سويسرا،وصنعت طائرة نسخة أصلية من الميراج ٣ الفرنسية أسمتها (كفير). وفي الصورة يظهر شيمون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلي يتفقد كابينة الطائرة



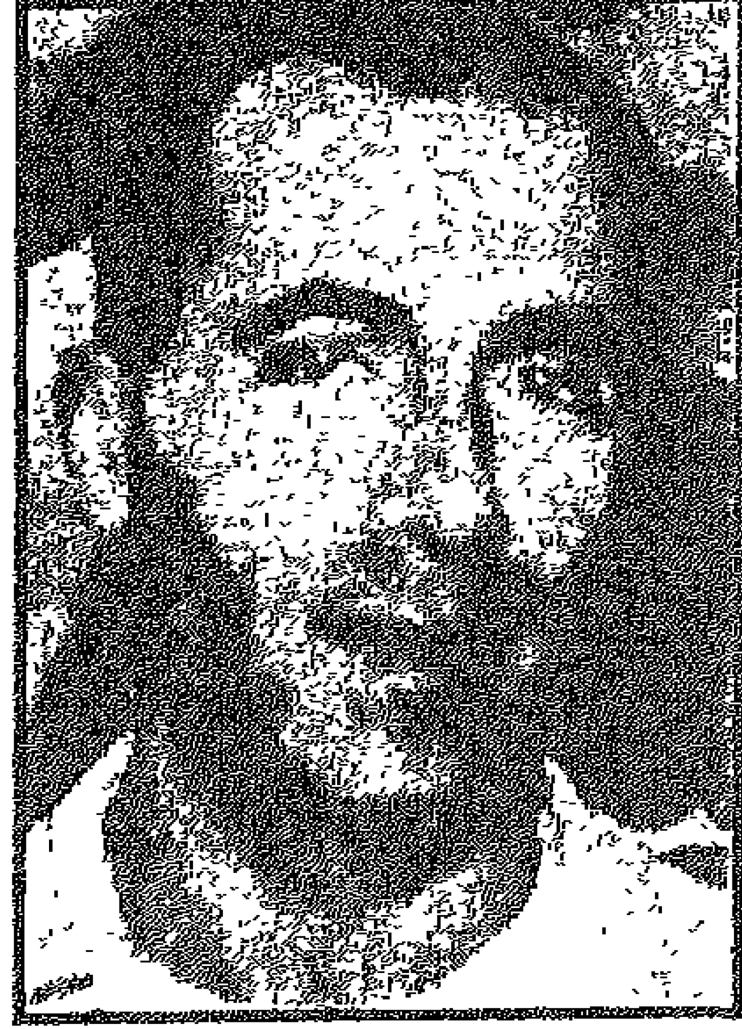
الميج ٢١ العراقية .. أرعبت إسرائيل وأمريكا ردحًا من الزمان وبواسطة منير روفا تكشفوا مزاياها وأسرار قوتها الأسطورية.

وأسفل الميج ٢٣ السورية بإحدى القواعد الجوية الإسرائيلية (الصورة العليا) ، ثم الميج ٢٩ الخارقة القوة التي سرقت من بولندا.

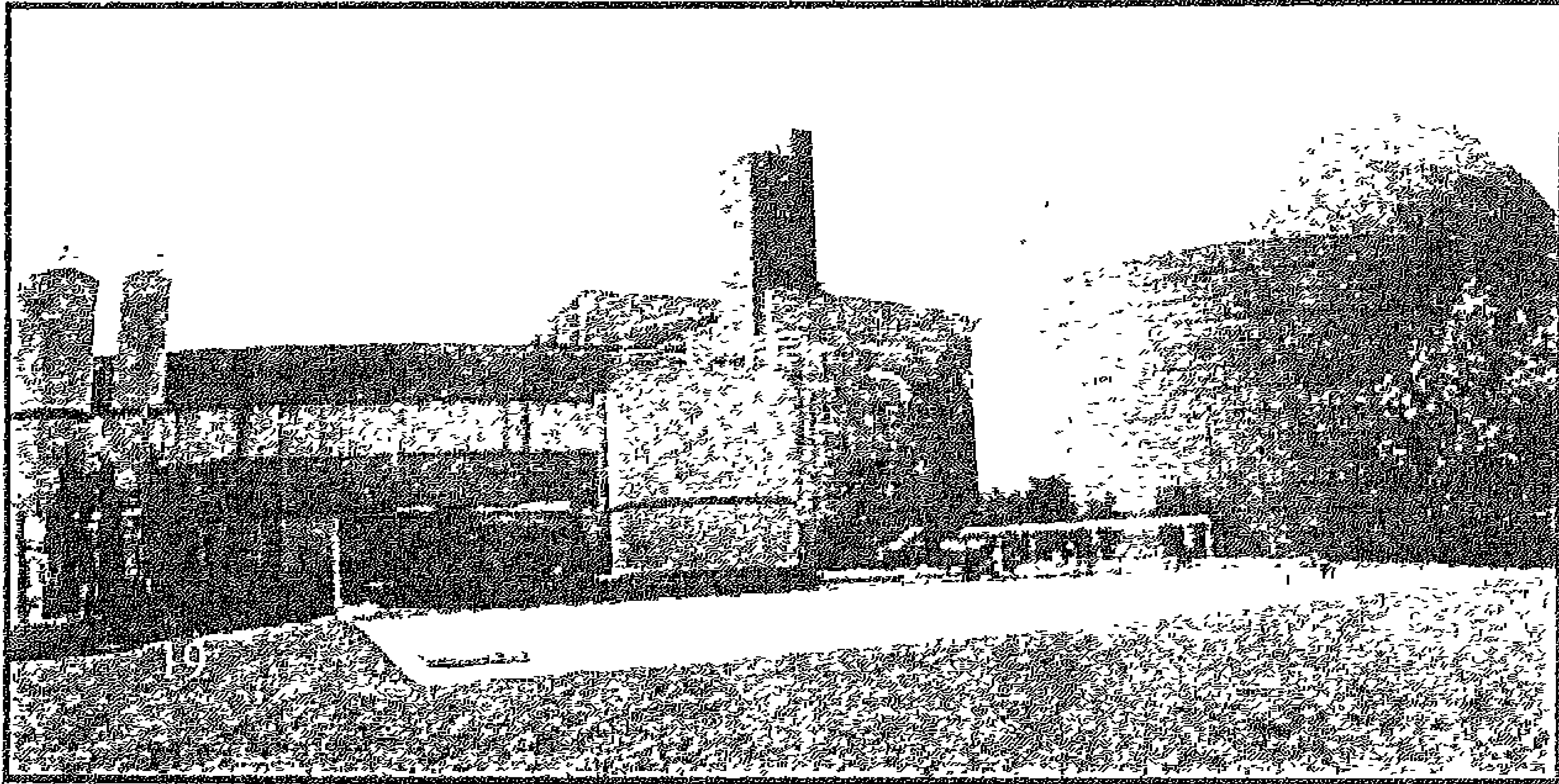








فانونو .. كذبة إسرائيل الكبرى لتخويف العرب.. والصورة التي نشرت في العالم أجمع وقد كتب على يده بأنه اختطف، فأثار بها إيطاليا وبريطانيا. وصورة أخرى لمفاعل ديمونا الذري من تصويره نشرت في الصانداي تايمز .



المصادر والمراجع

١ - د. صالح زهر الدين : المنطقة العربية في ملف المخابرات الصهيونية. المركز العربي للأبحاث التوثيقية. بيروت - ١٩٨٥.

٢ - يوسف ميلمان، دان رافيف: أمراء الموساد . ترجمة محمود برهوم، حزامة حبايب. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت - ١٩٩١ .

٣ - سعيد الجزائري : المخابرات والعالم . دار الجيل . بيروت - ١٩٨٩ .

٤ - رولاند راين : الموساد .. الملفات السرية لجهاز المخابرات الإسرائيلية. ترجمة : طلعت غنيم، مجدي عبد الكريم. مكتبة رجب . القاهرة - ١٩٩٣.

٥ - جراهام يوست : تقنية التجسس . ترجمة : إياس فرحات. دار الحرف العربي. بيروت - ١٩٩٣ .

٦ - نيل . س . لفنجستون، دافيد هاليفي : القصة الحقيقية لمنظمة التحرير الفلسطينية. الزهراء للإعلام العربي. القاهرة - ١٩٩٢ .

٧ - أيمن العلوي : الجاسوسية الإسرائيلية تحت المجهر. دار الرافد. لندن - ١٩٩٣.

٨ - محمد فوزي (الفريق أول) : حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧/ ١٩٧٠. دار المستقبل العربي - ١٩٨٤.

٩ – **جوردون توماس** : انحطاط الموساد – اغتيالات وأكاذيب وارتزاق. ترجمة محمد معتوق. بيسان للنشر والتوزيع . بيروت – ٢٠٠٠ .

١٠ – **جوردون توماس** : جواسيس جدعون.. التاريخ السري للموساد. ترجمة أحمد عمر شاهين، مجدي شرشر. كتاب سطور – ١٩٩٩ .

١١ – **إيان بلاك ، بني موريس** : الحروب السرية للاستخبارات الإسرائيلية. ترجمة العقيد الركن إلياس فرحات. دار الحرف العربي . بيروت – ١٩٩٨ .

١٢ – **د. إيريش فولات** : عين داوود.. عمليات الوحدات السرية الإسرائيلية. ترجمة أسيمة جانو. مكتبة مدبولي بالقاهرة – ١٩٨٧ .

١٣ – **د. عبد العظيم رمضان**: تحطيم الآلهة.. قصة حرب يونية ١٩٦٧ . الجزء الأول. مكتبة مدبولي بالقاهرة – ١٩٨٨ .

١٤ – **فيكتور أوستروفسكي ، كلير هوى** : عن طريق الخداع. صورة مروعة للموساد من الداخل. ترجمة ماهر الكيالي وآخرين. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت – ١٩٩٠ .

١٥ – **فريد الفالوجي** : العملية 007 .. وهروب أول طائرة حربية عربية لإسرائيل.. مكتبة مدبولي. القاهرة – ٢٠٠٣ .

١٦ – **د. ممدوح حامد عطية**: البرنامج النووي الإسرائيلي.. والأمن القومي العربي. مكتبة الأسرة – ١٩٩٧ .

١٧ – **أحمد حجازي السقا** : الجنس عند اليهود.. أخبار النساء الصالحات والفاسدات من بني إسرائيل. دار الكتاب العربي. دمشق – القاهرة – ٢٠٠٣ .

١٨ – **طلعت المرصفي**: أوراق مجهولة من ملفات المخابرات العالمية. مكتبة مدبولي. القاهرة – ١٩٩٥ .

١٩ – **قصي عدنان عباسي** : المخابرات الإسرائيلية. أسرار وحقائق. منشورات دار علاء الدين. دمشق – ٢٠٠١ .

٢٠ – **وليم ديشيل** : إريكا.. عميلة الموساد. ترجمة د. رمضان أبو العلا، د. عبد العظيم حسنة. مدبولي الصغير. القاهرة – ١٩٩٣ .

٢١ – **بليدوفسكاو بلوخ** : الجاسوسية والجاسوسية المضادة. ترجمة حكمت البعبيني. منشورات البحر المتوسط. بيروت – باريس – ١٩٩١ .

٢٢ – **يوسف هلال** : أسرار الجاسوسية ولعبة المخابرات . مركز الحضارة العربية. القاهرة – ١٩٩٨ .

٢٣ – **د. رفعت سيد أحمد** : وثائق حرب فلسطين – الملفات السرية للجنرالات العرب. مكتبة مدبولي. القاهرة – ١٩٨٩ .

٢٤ – **إبراهيم العربي** : التقارير السرية للمخابرات الأمريكية . المركز العربي للنشر والتوزيع . الإسكندرية – القاهرة، بدون تاريخ إصدار .

٢٥ – **د. عبد الوهاب المسيري** : اليد الخفية.. دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية. مكتبة الأسرة – ٢٠٠٠ .

٢٦ – **ريتشارد ديكون** : العمليات السرية للمخابرات الإسرائيلية . ترجمة دار طلاس. دمشق – ١٩٨٧ .

٢٧ – **دايفيد كان** : حرب الاستخبارات. ترجمة عبد اللطيف أفيوني. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت – ١٩٨٢ .

٢٨ – دينيس إيزنبرج : الموساد.. جهاز المخابرات الإسرائيلية السري. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت – ١٩٨١ .

٢٩ – نزار عمار : الاستخبارات الإسرائيلية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت – ١٩٧٦ .

الصحف والدوريات:

أعداد من (القدس) ، (الكفاح العربي) ؛ (الشراع) ؛ (الحوادث)، (الوسط)، (روز اليوسف) ، (استراتيجيا) ، (المجلة العسكرية) . سوريا، (المعركة) ، (الوطن العربي)، (الأحرار) . بيروت، (العالم) ، (آخر ساعة)، (أكتوبر)، (الدوحة) ، (الأهرام) ، (الموقف العربي) ، (الشرق الأوسط)، (الحياة)، (البيان) ، (المصور) ، (الأنباء) ، (اليقظة) .

صدر للمؤلف

١ – أمينة المفتي.. أشهر جاسوسة عربية للموساد. مكتبة مدبولي. القاهرة.

٢ – جواسيس الموساد العرب.. قصة سقوط ٢٥ جاسوسًا. مكتبة مدبولي. القاهرة.

٣ – العملية 007 .. وهروب أول طائرة حربية عربية لإسرائيل. مكتبة مدبولي. القاهرة .

٤ –أحمد الحلاق .. أول جاسوس أعدم في لبنان. مدبولي الصغير. القاهرة.

٥ – انشراح موسى.. أعدمها السادات فأعتقها بيجين. مدبولي الصغير. القاهرة.

٦ – التاريخ السري للصحاف.. بين المخابرات والخارجية والإعلام. دار الكتاب العربي. دمشق – القاهرة .

٧ – ماذا حدث في بغداد ..؟ خفايا الانهيار المفاجئ لنظام صدّام. دار الكتاب العربي– دمشق – القاهرة .

٨ – حراس الهيكل.. عمليات الموساد الخارجية في نصف قرن. الجزء الأول: الخطف .

٩ – حراس الهيكل . الجزء الثاني : الاغتيالات .

١٠ – حراس الهيكل . الجزء الثالث : الفضائح .

كتب تحت الطبع للمؤلف

١ – رصاصة الرحمة.. اللحظات الأخيرة في حياة الخونة .

٢ – جاسوسات عاشقات.. خَلَّدهن الحب وحقَّرهن التاريخ .

٣ – نساء الجنس المقدس .. في الموساد ..

٤ – سجينة كهف السعرانة.. مذكرات منسية لأخطر جاسوسة عربية للموساد.

٥ – سيكولوجية الجاسوس.. تشريح مرض الخيانة .

٦ – البكاء الصامت .. دراسة سيكولوجية عن دموع العظماء .

٧ – هكذا دفنوا أحياء.. جواسيس الوهم والجنس والثراء .

٨ – قصتي مع الموساد .. مذكرات جاسوس من الإسكندرية .

٩ – جواسيس السلام في مصر.. هدايا إسرائيل بعد كامب ديفيد.

١٠ – الشِّبَاك الناعمة.. نساء الجاسوسية والحب والانتحار .

تطلب جميع أعمال الكاتب

من



أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي

٢٥ شارع وادى النيل - المهندسين -القاهرة

٥ شارع محمد شفيق من شارع وادى النيل

المهندسين - القاهرة

تليفون: ٣٠٢٧٩٦٥-٣٠٣٩٥٣٩-٣٠٤٣٤٦٩ فاكس: ٣٠٢٨٣٢٨

E-mail: innov@innovations-co.com

الفهـرست

حراس الهيكل

عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن

الجزء الأول: الخطف

لم يكن من الممكن أن تقوم لإسرائيل دولة أو كيان إلا عن طريق تلك الأساليب الخبيثة والسلوكيات الدنيئة التى اتبعتها هذه الشرذمة من اليهود دون رادع من ضمير أو أخلاق.. ولقد كانت نواة هذه الدولة عبارة عن أجهزة مخابرات تعمل فى مجال الجاسوسية، وتحالفات الخيانة، وعمليات السطو والبلطجة بين قارات العالم ودوله المختلفة.

وفى هذا الكتاب يقدم المؤلف مجموعة من عملياتهم الإرهابية ومخططاتهم الأستفزازية والإنتهازية ضد كل من يخالفهم فى الرأي أو يحاول كشف حقيقتهم، بالإضافة إلى إستخدامهم كقراصنة من قبل بعض الحكام والجماعات للتخلص من خصومهم.. وقد تناول المؤلف بالتفصيل والتحليل عدداً من عمليات الخطف التى قاموا بها سواء كانت للأفراد أو الطائرات أو السفن أو السلع الإستراتيجية، وغير ذلك من صور سعيهم فى الأرض ليفسدوا فيها ويلوثوا نقاءها ويدنسوا صفاءها إنه كتاب يعنى الكثير لكل من أراد أن يتتبع تا الوضيعة المسماة إسرائيل.

الناشر

